جواهر الأدب

في

أدبيات وإنشاء لغة العرب

تأليف

المرحوم السيد أحمد الهاشمي

الجزء الثاني

منشورات

مؤسسة المعارف

بيروت

بسم الله الرحمن الرحيم

الفن السابع في تاريخ أدب اللغة العربية

وفيه مقدمات عشر

المقدمة الأولى في التاريخ

التاريخ : هو معرفة أخبار الماضين وأحوالهم من حيث معيشتهم ، وسياستهم ، واعتقادهم ، وأدبهم ، ولغتهم .

والأدب : (كل رياضة محمودة يَتَخَرَّجُ بها الإنسان في فضيلة من الفضائل) وهذه الرياضة كما تكون بالفعل ، وحسن النظر ، والمحاكاةِ ، تكون أيضاً بمزاولة الأقوال الحكمية التي تضمنتها لغة أي أمة .

واللغة : ألفاظٌ يُعبِّر بها كلّ قوم عن أغراضهم ، وهي من الأوضاع البشرية .

وأدبُ لغة أيّ أمة : هو ما أُودعَ شعرها ونثرها من نتائج عقول أبنائها وصوَر أخيلتهم وطباعِهم . مما شأنه أن يهذب النفس ، ويثقف العقل ، ويقوّم اللسان .

وتاريخ أدب اللغة : هو العلم الباحثُ عن أحوال اللغة ، نثرها ونظمها في عصورها المختلفة من حيث رفعتُها وضعتُها ، وعما كان لنابغيها من التأثير البيِّن فيها .

واللغة العربية إحدى اللغات السَّاميّة ، وهي لغة أُمة العرب القديمة العهد الشائعة الذكر ، التي كانت تسكن الجزيرة المنسوبةَ إليها في الطرف الغربي من آسيا .

وهذه الأمة : منها القدماءُ ، وهم الذين يسكنون تلك الجزيرةَ ، وينطقون باللغة العربية سليقةً وطبعاً ، وهم ثلاثُ طبقات :

أُولاها : العربُ البائدةُ ، وهؤلاء لم يصلْ إلينا شيءٌ صحيحٌ عن أخبارهم إلا ما قصه اللهُ علينا في القرآن الكريم ، وإلا ما جاء في الحديث النبوي ، ومن أشْهرَ قبائلهم : طسم ، وجديس ، وعادٌ ، وثمودٌ ، وعِمْليق ، وعبدُ ضَخْم .

وثانيتها - العرب العاربة : وهم بنو قحطان الذين اختاروا اليمن منازلَ لهم ومن أمهات قبائلهم : كهلان وحِمْيَر .

وثالثتها - العرب المستعربة : وهم بنو إسماعيل الطارئون على القحطانيين والممتزجون بهم لغة ونسباً ، والمعروفون بعدُ بالعدنانيين ، ومن أمهات قبائلهم ربيعة ، ومُضَرُ ، وإيادٌ ، ونزار .

ومنها المحدَثون : وهم سلائل هؤلاء الأقوام الممتزجون بسلائل غيرهم والمنتشرون بعد الإسلام في بقاع الأرض من المحيط الأخضر (الأطلنطي) إلى ما وراء بحر فارس ودجلةَ ؛ ومن أعالي النهرين إلى ما وراء جاوه وسُومَطْرة .

المقدمة الثانية في توضيح بعض ما في المقدمة الأولى

اعلم أنه يوجدُ في الجنوب الغربي من آسيا إقليم واسع الأرجاء، تبلغ مساحته رُبعَ أوربا تقريباً ، تَساهل الأقدمون فسمَّوه « جزيرة العرب » مع أن الماء لم يحط به من جميع جهاته .

يتألف غربي هذا الإقليم من جزأين شهيرين : الحجاز شمالاً ، واليمن جنوباً ، أما الحجاز فقطر فقير ، قلّت مياهه ، وأجدبت أرضُه ، واشتدت حرارته ، يَعتمد أهله على الأودية القليلة ، والآبار الشحيحة ، لم يستطيعوا أن ينتفعوا كثيراً بالماء الذي يَنزلُ منَ السماء ، لأنهم لم يبلغوا من الفنون مبلغاً يمكنهم منَ اختزانه واستخدامه عند الحاجةِ إليه ، وأشهر مُدنه مكة والمدينة والطائف .

وأما اليمن فقد اشتهرَ قديماً بالغنى والخِصب والحضارة ، كثرت أمطاره وسيوله وعَرَفَ أهله بما أوتوا من فن أن ينتفعوا بها ، فأنشأوا السدود يسيطرون بها على الماء جمعاً وتصريفاً ؛ وأشهرُ مدنه صنعاءُ ، ونجران ، وعدن .

وهذان القطران ، أعني - الحجاز واليمن - أبعدُ البلادِ أثراً في حياةِ العرب وفي تاريخهم السياسي ، والاقتصادي ، والأدبي .

وإذا وقع نظرك على (مصور) جزيرة العرب فأبْيَنُ ما ترى فيها وأبعده مدًى صحْراؤها في داخلها. وهي متنوعة في طبيعتها، فسهلة لينة حيناً،وصلبة انتثرت فيها الحصباء حيناً ، ومفروشة بحجارة سوداء تسمى الحرار حيناً. وهذه الصحراء في جملتها قفر ، تسطع الشمس عليها في الحر فتلفح ارضهـــا وأهلها ، ويعتمد ساكنوها على ما تُنبته البِقاع عقِب المطر فترعاه إبلهم وشياههم ؛ وهم يأكلون من لحومها ، ويشربون من ألبانها ، ويَلبسون من أصوافها وأوبارها .

المقدمة الثالثة في نسب سكان جزيرة العرب

اعتاد النسّابون أن يقسّموا الشعوب إلى أجناس ، ويُسمُّوا كل جنس باسم خاص يجمعها؛ فاعتادوا أن يُسَمُّوا الجنس الذي منه العرب (الجنسُ الساميّ) نسبة إلى(سام بن نوح)عليه السلام ، وعدُّوا من هذا الجنس البابليين والأشوريين والعبرانيين والفينيقيين والآرميين والحبشيين . ولكن هذا كله لا يزال موضع خلاف بين علماء الأنساب ؛ كما اختلفوا في ان أصل (الجنس السّامي) نشأ في آسيا (في جزيرة العرب او أرمينية أو على شاطىء الفرات او نشأ في إفريقية ثم نزح منها إلى آسيا .

ومن قديمٍ وهؤلاء العربُ ينقسمون إلى عرب الشمال (الحجازيين) وعرب الجنــوب (اليمانيين) ويذكر النسّابون أن عرب الشمال يرجعون في نسَبهم إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما الـسلام ، ويُسمون النزاريين نسبة إلى نزار من نسْل إسماعيل وعرب الجنوب من نسل قحطان، ويسمون اليمانيين أو القحطانين،وبين هذين النوعين منالعرب فروق ترجع في جملتها إلى أن عرب الحجاز تغْلب عليهم عيشة البداوةِ ، وعرب اليمن يعيشون عيشة حَضارة .

ولسنا نقصد أنعرب الشمال كانوا يسكنونالحجاز فحسبُ،وعربالجنوب كانوا يسكنون اليمن ولا يتعدونها،بل نعنيأن كلاّ من الحجازيينواليمانيين عُنصر

يختلف في نسبه ودمه عن العنصر الآخر، ولكن كانت بين العنصرين صلات، ورحل قوم من كل فريق إلى موطن الآخر لأسباب يطول ذكرها، فكان في الحجاز عرب من اليمن وكان في اليمن عرب من الحجاز.

وكل من اليمانيين والحجازيين ينقسمون إلى قبائل.

فاليمانيون: يتفرعون إلى فرعين كبيرين: شعب كهلان وشعب حِمْير

فشعب كهلان: أشهر قبائله طيِّىء، وهَمْدان، ولخم، وكِندة.

وشعب حِمْير: أشهر قبائله قُضاعة، وتنوخ، وكلب.

والحجازيون: كذلك ينقسمون إلى قسمين كبيرين: ربيعة، ومُضر

فشعب ربيعة، أشهر قبائله: بَكر وتَغلِب.

وشعب مُضَر، أشهر قبائله: قيس، وتميم، وهُذيل، وكنانة، وقرَيش، وكل قبيلة من هذه القبائل تنقسم إلى بطون وأفخاذ يطول عدّها، وكان بين هذه القبائل حتى ما كان منها من أصل واحد - من الحروب، والمنازعات، والتهاجي ما ملئت به كتب التاريخ والأدب.

المقدمة الرابعة في اللغة العربية

وإذ قد ذكرنا قبلُ أنّ العرب والعبرانيين ومن إليهم يُعدُّون (ساميين) فلغاتهم التي يتكلمون بها تُسمى (لغات سامية. فاللغة العربية إحدى اللغات السامية وقد عُرفت على النحو الذي نعلمه، حول آخر القرن الخامس للميلاد.

ويذهب الباحثون في علم المقارنة بين اللغات إلى أن اللغة العربية من أقرب اللغات إلى اللغة الأصلية التي تفرّعت منها اللغات السامية، نظراً لاحتباس العرب في بلادهم وقلة النازحين منها والوافدين اليها، وضعف العلاقة بين أهلها وغيرهم من الأمم.

وكما انقسم العرب إلى حجازيين ويمانيين انقسمت لغتهم إلى مُضريّة، وحِمْيرية وكانت هناك فُروق بين اللغتين عظيمةٌ في الألفاظِ اللغوية، وفي الصِّيغ، وفي

التراكيب ، وفي اللهجات ؛ ولكن حدث قُبيل الإسلام أن أخذت لغة الحجاز وبعبارة أدق (لغة قريش) ، تسود وما زالت كذلك حتى ظفرت باللغة الحميرية ، وحتى صارت (لغة قريش) هي لغة جزيرة العرب جميعها . وقد دعا إلى هذه الظاهرة أسباب سياسية ، ودينية ، واقتصادية — ستأتي الإشارة اليها بعد .

المقدمة الخامسة في تاريخ الأمة العربية

ليس تاريخ الأمّة العربية قبل الإسلام معروفاً محققاً ، لأن أكثر الأمّة كانوا أهل بَدْو لم تمكنهم بداوتهم من أن يدوّنوا تاريخَهُمْ ، أو ينقشوا حوادِثهم حتى أنّ الذين تحضروا منهم كاليمانيين والحميريين لم يعثر الباحثون إلا على القليل من نقوشهم وآثارهم ، وإنما يَعْتَمِدُ الذين يؤرّخون للعرب قبل الإسلام على هذا القليل من الآثار ، وعلى ما كتبه أهل عصرِهم من الأمم الأخرى كاليونان ، والرومان والمصريين ، والعبريين ، والحبشيين ، وعلى ما يستنبطون من بعض نصوص أدبية . ولنقصر الآن كلامنا على حالة العرب قُبيل الإسلام ، فإن اللغة العربية التي نعنى بآدابها وتاريخها إنما عُرفت في هذا العصر .

هذا العصر سمّاه القرآن الكريم (الجاهلية) ونَسَبْنا إليه فقلنا : العصر الجاهلي ، والأدب الجاهلي ؛ وقد يكون اشتقاق هذا الاسم من الجهل وهو ضد العلم لما كان يغلبُ فيه من السفه والفخر والأنسابِ والإمعان في سفك الدّماء والعصبية الحادّة ونحو ذلك مما كرهَهُ الإسلام ونفر منه ، وقد نُقل إلينا كثير مما يدُل على حالة هذا العصر الاجتماعية والسياسية من شعر وأمثال وقصص . ولكنها كلها لم تُدَوّن في الكتب إلا في القرن الثاني والثالث للهجرة ، فكان بعضها مثاراً لنقد الناقدين وأخذ العلماء والأدباء من قديم يُمحّصونها ويصحّحون بعضاً ويكذبون بعضاً ، ولكن بجانب ذلك وَرَد كثير من آيات القرآن الكريم وصحيح الحديث يروي لنا الشيء الكثير عن هذه الحياة الجاهلية ، ويكشفُ

لنا من غموضها

يدلنا ما صحّ من تاريخهم على أنه قد أُنشىء على تُخوم جزيرة العرب الشمالية إمارتان كبيرتان : إمارةُ الحيرة في العراق بجوار الفرس ، وإمارة الغساسنة في الشام بجوار الرومان ؛ وكان يحكم هاتين الإمارتين أمراء من العرب يتبعون في نظامهم نظام الدول المجاورة لهم . فإمارة الحيرة تتبع في كثير من شئونها نظام الفرس وإمارة الغساسنة تتبع في كثير من شئونها نظام الرومان .

وكان سُكان هاتين الإمارتين وسكان اليمن في الجنوب يعيشون عيشة حضارة يزرعون ويصنعون ، وكثير من سادتهم مُترَفون ، وقد رُوي لنا الكثير عن ترف أمراء الغساسنة في الشام ، وعن حضارة الحيريين ، ومـــا كان لهم من خَوَرْنَق وسدير .

أما داخل الجزيرة والحجاز ، إذا أنت استَثْنَيت بعض سكان المدن المشهورة — كمكة ويَثرب والطائف — فكانوا أهل بـدْو يحتقرون الزراعة والصناعة والتجارة ويعتمدون في معيشتهم على الإبل ، ويُوغلون بها في الصحراء ، ويتطلبون منابت العُشب ، ومراعي الشجر ، وموارد الماء ، ويأكلون مما تخرجه الأنعام .

المقدمة السادسة في حياة العرب الاجتماعية

كان سكان الجزيرة يعيشون عيشة قبائل ، فالقبيلة هي الوحدة التي يُبنى عليها نظام حياتهم ، وأفرادُ القبيلة ينتسبون إلى أبٍ واحد ، وقلّ أن ينتسب إليها من لم يُساهمها في نسَبها إلا عن طريق الحلف أو الولاء [١] .

تسود أفراد القبيلة فكرةُ العصبية ، فكلُّ فرد يتعصب لقبيلته ويُعنى بحفظ

---

(١) كان الأسير من قبيلة أخرى اذا لم يستطع فداء نفسه يسمونه بسمة القبيلة التي أسرته ، ويسمى حليفاً لها . وكانوا يجيزون استرقاق الأسرى ، فإذا عتق الأسير ظلت هناك صلة بين المعتِق والمعتَق ، وهذه الصلة تسمى الولاء .

نسبه ويفتخر به ، ويحنو على من يُشاركه ، ويسير على منهج قبيلته ، سواء أصابت أم أخطأت ، ومن هذه الظاهرة قول القائل :

وما أنا إلا من غزيّةَ إن غوَت غوَيتُ وإنْ ترشد غزية أرشُدِ

والقبيلة تحميه من العدوان ، وتطالب بدمه إن جنى أحد عليه ، ولكل قبيلة رئيس هو سيدها ، وهو مرجعُ الأفراد في إقامة العدل بينهم على حسب عُرْفهم وتقليدهم .

وعلاقة القبيلة بغيرها من القبائل علاقة عداء غالباً – تُغيرُ عليها ، وتغنم من مالها ورجالها ، والأخرى تتربص بها الدوائر لتنتقم منها :

يُغار علينا واترين فيُشتفى بنا إن أصبنا أو نُغير على وترِ [١]
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا فما ينقضي إلا ونحن على شطر

ولم تكن للعرب في الجاهلية عدا من ذكرنا قبلُ حكومة تسيطر عليهم جميعاً وتشرف على شئونهم ، لأن شرط قيام الحكومة انتساب الأفراد الى المواطن ، لا الى القبائل ، وانحلال العصبيات وقيام الجامعة الوطنية أو الدينية مقام العصبية القَبَلِيّة ، وهي أمور لم تتوافر للعرب في جاهليتها .

كانت القبيلة تنقسم عندهم الى أسر ، ونظام الأسرة كان في هذا الطور هو المعروف عند علماء الاجتماع : بطوْر السلطة الأبوية ، اذ كان الأب فيها واسع السلطان نافذَ الكلمة على كل افراد الأسرة ، يتصرّف في مالهم وفي شئونهم ويقطع في الأمور دونهم ، وهو المرْجع الأعلى لهم جميعاً ، وكان بعض هذه الأسر تمتاز بصفات ، وأعمال تجعل له الرياسة والشرف كبيت هاشم ، وبيت أميّة في قريش ، وبيت زُرارة في تميم وهكذا .

---

(١) الواتر القاتل ، والموتور الذي قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه ، وواترين حال من الضمير في علينا .

المقدمة السابعة في أخلاقهم

ترى أن اكثر العرب أهلُ بدْو . ولأهل البدو صفات خاصة يتمدحون بها ويُكثرون في شعرهم من ذِكرِها والتغني بها. ولعلّ من خير ما يمثل هذه الصفات ما جاء في قول « تأبّط شرّاً » أحد الشعراء الجاهليين ' إذ يمدح ابن عم له بأنه قليل الشكوى من الهمّ ينزل به ، بعيد الهمّة واسع الامل يسير وحيداً لايهاب ، ويركب المهالك ولا يخشى مواجهتها ، (عدّاء) يسبق الريح السريعة ، إن نام فإنما تنام عينه ، ولا ينام قلبه ، وإن صحا كانت عينُه دَيْدَبان قلبه . وله سيفُ صارمٌ ، ان أصاب به قِرنا استقبلته المنايا مُتهللةً ، لا يخشى الوحدة بل يأنس بها ، ويعرف مسالك الصحراء فلا يضلُّ في سيره ، كما لا تضلّ الشمس ، وهذه الصفات ، كما ترى ، هي (المثل الاعلى) لبدويّ لا للحضري .

قد تمدّحوا بالمروءة وأكثروا من ذكرها ، وهو لفظ يجمع قانون الشرف ، عمادُه الشجاعة والكرم والوفاء ، وأكثر ما تتجلى فيه الشجاعة عندهم النزال والقتال والدفاع عن الاهل والقبيلة ونجدة المستصرخ. وأكثر ما يتجلى فيه الكرم ايقاد النيران ونحر الجزور ، واضافة اللاجيء .

---

(١) قليل التشكي للمهم يصيبه ... كثير الهوى شتى النوى والمسالك
يظل بموماة ويمسي بغيرها ... جحيشاً ويعروري ظهور المهالك
ويسبق وفد الريح من حيث تنتحي ... بمنخرق من شدة المتدارك
اذا خاص عينيه كرى النوم لم يزل ... له كالىء من قلب شيحان فاتك
ويجعل عينيه ربيئة قلبه ... الى سلة من حد أخلق صائك
اذا هزه في عظم قرن تهللت ... نواجذ أفواه المنايا الضواحك
يرى الوحشة الأنس ويهتدي ... بحيث اهتدت أم النجوم الشوائك

الموماة المفازة التي لا ماء فيها ، وجحيشاً : وحيداً ، ويعروري ظهور المهالك: يركبها ، مأخوذ من قولهم اعروريت الفرس اذا ركبته عارياً ليس عليه شيء ، ووفد الريح اولها والمعنى انه يسبق الريح لخفته ، والمنخرق السريع والمتدارك المتلاحق؛ خاص خاط والشيحان الحازم ، والفاتك الذي اذا هم بشيء فعله ؛ ربيئة القلب ديدبانه - ويريد بالسلة السيف الذي يستل ، ام النجوم : الشمس .

فأما الشجاعة فيمثلها في نظرهم قول عمرو بن معديكرب :

لمّا رأيتُ نساءَنا يفحصنَ بالمعزاء شدّا [١]
وبدت « لميس » كأنها بدرُ السماء اذا تبدّى
وبدت محاسنها التي تخفى وكان الامرُ جِدّا
نازلتُ كبشَهُمُ ولم أرَ مِنْ نزالِ الكبشِ بُدّا [٢]
هم يُنذِرون دمي وأنذِرُ ان لقيتُ بأن أشُدّا
كم من أخٍ لي صالحٍ بوّأتُهُ بيديّ لحدا
ما إن جزِعتُ ولا هلِعتُ ولا يرُدُّ بكاي زندا
ألبستُهُ أثوابَهُ وخُلِقتُ يوم خُلِقتُ جلدا
أغني غَناءَ الذاهبين أعُدُّ للأعداءِ عَدّا
ذهب الذين أحبُّهم وبَقيتُ مثل السيفِ فردا

وأما الكرم ، فمن خير ما يمثله في نظرهم قول عتبة بن بُجير :

فقالوا غريبٌ طارقٌ طوّحتْ به متون الفيافي والخطوبُ الطوائح [٣]
فقمتُ ولم اجثم مكاني ولم تقم مع النفس عِلّاتُ البخيل الفواضح
وناديتُ شبلا فاستجاب ورُبما ضمنا قِرى عشر لمن لا نصافح [٤]
فقام أبو ضيفٍ كريم كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازحُ [٥]
الى جِذْمِ مالٍ قد نهكنا سوامه وأعراضنا فيه بواق صحائح [٦]

---

١) المعزاء : الارض الصلبة ذات الحجارة ، ومعنى يفحصن بالمعزاء شداً : أي أنهم يؤثرون في الارض الصلبة لشدة عدوهن (٢) كبش القبيلة : رئيسها (٣) الخطوب الطوائح : اي المصائب المهلكة ،وطوحت به: حملته على ركوب المهالك (٤ شبل اسم ابنه : وقرى عشر اي ضيافة عشر ليال لمن ليس بيننا وبينه مصادقة توجب مصافحته (٥) أبو ضيف يريد نفسه (٦)الى جذم:متعلق بقام في البيت قبله . ويريد بجذم المال أصل المال ، وهو النوق جمع ناقة .

جعلناه دون الذمّ حتى كأنه إذا عُدّ مالُ المكثرين المنائح[1]
لنا حمد أرْباب المئين ولا يُرى إلى بيتنا مالٌ مع الليل رائح[2]

قد أحبوا كثيراً، وشربوا الخمر، ولعبوا الميسر، وشُغِفوا بالصيد، وطربوا للغناء وتاقوا إلى السمر، وكان هذا كله مادة لشعرهم وأدبهم .

المقدمة الثامنة في دينهم

كان للعرب في الجاهلية دينٌ، ولكنه دين ضعيف، لا يُخلصون له ولا يصل إلى أعماق نفوسهم، وحسبنا دليلاً على ذلك أننا ننظر فيما بين أيدينا من شعرهم فنرى فيه الصيد كثيراً، والخمر والنساء والميسر كثيراً، والفخر والهجاء ووصف القتال كثيراً، ولكن قل أن نرى فيه شرحاً لعاطفةٍ دينية، وقل أن نرى فيه ذكر الله وتمجيده، وقل أن نرى فيه وصفاً لما كانوا يعبدون .

انتشرت اليهودية والنصرانية في بعض بقاع جزيرة العرب، فقد كان فيها مستعمرات يهودية أشهرها «يثرب» وهي سُميت بعدُ «بالمدينة»، كذلك انتشرت اليهودية في اليمن في أوائل القرن السادس للميلاد، ولكنها كانت في نزاع مستمرّ مع النصرانية .

وانتشرت النصرانية في مناذرةِ الحيرة، وفي غساسنة الشام، وسائر قبائله وزاحمت اليهودية في اليمن، وكان أشهر مراكز النصرانية في اليمن «مدينة نجران» .

وكان القسيسون والرهبان يردون أسواق العرب يعظون ويبشّرون ويذكرون البعث والحساب والجنة والنار، واشتهر من شعرائهم وخطبائهم (عديُّ بن زَيْدٍ وقس بن ساعدة) ولكن اليهودية والنصرانية كانتا قليلتين إذا قيستا بالدين السائد في الجزيرة وهو الوثنية، فقد عبد العرب الأصنام، وعظموا الأوثان ونصبوها

(١) المنائح: جمع منيحة وهو الناقة او الشاة تدفع الى الجار لينتفع بلبنها ما دام فيها لبن (٢) يقول ان مالنا قليل فإبلنا باركة بفناء الدار انتظاراً للضيف وهي ليست كثيرة حتى تصير سارحة ورائحة ومع ذلك لنا من الحمد والثناء مثل ما للمكثرين أصحاب المئين .

في الكعبة ، وقرّبوا لها القرابين ، وكان من أشهر هذه الأصنام : اللات والعزّى ومناة) وكان تقديسها يكاد يعم قبائل العرب ، وإن كان ثم أصنام اخرى خاصة ببعض القبائل .

المقدمة التاسعة في ثقافتهم

كانت المدن على التخوم واليمن متحضرةً بعض تحضر ، فالآثار التي عُثر عليها في اليمن والحيرة . وما نقل عن أهلها يدل دلالة صادقة على أنهم كانوا على حظ من الفنّ والعلم غير قليل : فأهل الحيرة تسرّب إليهم شيء من علوم الفرس وآدابهم وعلوم اليونان وآدابهم والغساسنة في الشام تسرب إليهم شيء من حضارة الرومان واليونان وآدابهم . واليمن أمة عريقة في المدنية كانت تتصل بالفرس ، وتتصل بالحبشة وتتصل بالرومان ، ولها معهم جميعاً صلات تجارية - أما ما عدا هؤلاء من سكان الجزيرة فكان حظهم منَ العلم والفن قليلاً .

وعلى الجملة كان للعرب معرفةٌ بالأنساب ، وبشيء من أخبار الأمم ، وبشيء من الطب . ولكن ما كان عندهم من ذلك لم يعدُ أن يكون معلومات عملية أولية وتجارب ينقصها الاستقراء . ونظرات عامة يعوزها التعمق والاستقصاء

أما من الناحية الأدبية فكان لهم شعرٌ وقصص وأمثال وقد طبع كل ذلك بطابع عقليتهم التي أنتجها تاريخهم وبيئتهم كما سترى .

المقدمة العاشرة في عصور اللغة العربية وآدابها

لما كان تاريخ لغة أي أمة وأدبها يرتبط كل الارتباط بالحوادث السياسية والدينية والاجتماعية التي تقع بين ظهْراني هذه الأمة . ناسب لذلك تقسيم تاريخ أدب اللغة العربية إلى خمسة أعصر

الأول : عصر الجاهلية ، وينتهي بظهور الإسلام . ومُدتـه نحو خمسين ومائة سنة .

الثـــاني : عصر صدر الإسلام ويشمل دولة بني أمية ؛ ويبتدىء بظهور الإسلام ، وينتهي بقيام دولة بني العباس سنة (١٣٢) هـ .

الثالث عصر بني العباس ؛ ويبتدىء بقيام دولتهم وينتهي بسقوط بغداد في أيدي التتار سنة (٦٥٦) هـ

الرابع عصر الدول التركية ؛ويبتدىء بسقوط بغداد وينتهي بمبدإ النهضة الأخيرة سنة (١٢٢٠) هـ

الخامس عصر النهضة الأخيرة ؛ ويبتدىء من حكم الأسرة المحمدية العلوية بمصر .

العصر الأول : عصر الجاهلية

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لغة العرب من أغنى اللغات كَلماً ، وأعْرَقها قدماً ، وأوْسَعها لكل ما يقع تحت الحسّ ، أو يَجول في الخاطر : من تحقيق علوم ، وسنّ قوانين ، وتصوير خيال ، وتعيين مرافق — وهي على هندمة أوضاعها ، وتناسُق أجزائها لغة قوم أميينَ ، ولا عجب إن بلغت تلك المنزلة : من بسطة الثروة ، وسعة المدى ، إذ كان لها من عوامل النموّ ، ودواعي البقاء والرقيّ ، ما قلما يَتهيأ لغيرها وما رواه لنا منها أئمة اللغة وجاء به القرآن الكريم والحديث النبّوي هو نتيجة امتزاج لغات الشعوب التي سكنت جزيرة العرب ، ولا شك في أن من أسباب امتزاج هذه اللغات ما يأتي :

(١) هجرة القحطانيين إلى جزيرة العرب ومخالطتهم فيها العرب البائدة باليمن ثم تمزّقهم في بقاع الجزيرة كل ممزّق بظلمهم أنفسهم وتخرُّب بلادهم بسيل العرم[1] .

---

(١) العرم : جمع عرمة كفرجة وهي سد يعترض به الوادي او هو جمع بلا واحد او هو الأحباس والسدود تبنى في الوادي لحبس المياه خلفها وهي المسماة الآن بالخزانات . وحادثة سيل العرم أنه كان لسبإ في اليمن عرم تحبس المياه خلفها فتوزع بنظام فهدمت العرم بسيل عظيم أغرق البلاد ودمر القرى أمامه فكان هو مع كثير من الفتن والحروب الأهلية سبباً في تفرق قبائل سبأ في أنحاء جزيرة العرب حتى ضرب بهم المثل في التفرق فقيل (تفرقوا أيدي سبأ) .

(٢) هجرة اسماعيل عليه السلام إلى جزيرة العرب واختلاطه وبنيه بالقحطانيّين بالمصاهرة والمجاورة والمحاربة والمتاجرة ، وأظهرُ مواطن هذا الامتزاج مشاعر الحج والأسواق التي كانت تقيمها العرب في أنحاء بلادها ، ومن هذه الأسواق : عكاظُ ، ومَجنة ، وذو المجاز .

وأهمها سوق عكاظ ؛ وكانت تُقام من أول ذي القعدة إلى اليوم العشرين منه ، وأقيمت تلك السوق بعد عام الفيل بخمس عشرة سنة . وبقيّت إلى ما بعد الإسلام حتى سنة تسع وعشرين ومائة . وكان يجتمع بهذه السوق أكثر أشراف العرب للمتاجرة ومُفاداة الأسرى ، والتحكيم في الخصومات ، وللمفاخرة والمنافرة بالشعر والخُطب ، في الحسب والنسب والكرَم والفصاحة والجمال والشجاعة ، وما شاكل ذلك . وكان من أشهر المحكمين في الشعر « النّابغة الذّبياني » ، ومن أشهر خُطبائها « قس بن ساعدة الإيادي » . وقد لهج الشعراء بذكرها في شعرهم وحضَرها منهم الرجال والنساء . ولقريش عظيم الأثر فيما نجمَ عن اجتماع العرب بتهذيب لغتهم .

كلام العرب

الغرضُ من كلام العرب كغيره الإبانة عما في النفس من الأفكار . ليكون مدعاةً إلى المعاونة والمعاضدة ، وذريعة إلى تسهّل أعمال الحياة .

ولما كانت هذه الأفكارُ لا تزال متجدّدةً غير متناهية ، كانت صور الكلام المبين عنها لا تزال كذلك متجدّدة خاضعة لقوى الاختراع والابتداع وأنواع الإنشاء والتأليف على حسب ما يَقتضيه المقام ؛ فقد تَصِل صورة الكلام إلى الغاية القصوى في البلاغة . وقد تنحطُّ صورة العبارة إلى الدرك الأسفل من الإبانة بحيث لو انحطت عن ذلك لكانت عند الأدباء بأصوات العجماوات أشبه ، وبينَ الحالين مراتب وجلُّ بحث علم الأدب وتاريخه في التفاوت بين هذه المراتب ورجالها .

وكلام العرب بمراتبه العليا والدنيا وما بينهما تعتوره كغيره أحوال تتغيّر بتغيُّر حياة أهله العقلية والمعاشيّة والدينيّة، وتلك الأحوال تتمثل «في أغراض اللغة، ومعانيها، وعباراتها»

أغراض اللغة في الجاهلية

(١) كانت اللغة تستعمل في أغراض المعيشة البدوية، ووصف مرافقها من حل وترحال، وانتجاع كلإ، واستدرار غيث، ونَتج حيوان.

(٢) وفي إثارة المنازعات والمشاحنات، وما يتبعُها من الحض على إدراك الثأر، والتفاخر بالانتصار، والتّباهي بكَرَم الأصل والنّجار.

(٣) شرح حال المشاهدات والكيفيّات، والإخبار عن الوقائع والقصص وغير ذلك.

معاني اللغة في الجاهلية

تجمل معاني اللغة فيما يأتي:

(١) في قصْر معاني المفرَدات على ما تَقتضيه البداوة والفطرة الغضة الخالية من تَكلف أهل الحضر وتأنقهم.

(٢) وفي انحصار أحكامهم في (الخبر) ومطالبهم في (الإنشاء) إمـا في التعقل المستَنبط من الحسّ، والمشاهدة، أو الطبيعة، او التجربة، او الوِجدان من غير مبالَغة ولا إغراء، وإما في التخيُّل المنتزعة صوره من المحسوسات بحيث لا تخرج عن الإمكان العقليّ والعاديّ.

عبارة اللغة في الجاهلية

تُلخص أحوال العبارة في الجاهلية فيما يأتي:

(١) استعمال الألفاظ في معانيها الوضعية، أو معان مناسبة للمعنى الأصلي بطريق المجاز الذي قد يصبح بعد قليل وضعاً جديداً.

(٢) كثرة استعمال المترادف، وقلة الأعجمي المعبر عنه بالمعرب، وخلو الكلام العربيّ من اللحن، وغلبة الإيجاز عليه، كما تراه واضحاً في شعرهم

(٣) إرسال الأساليب الكلامية على حسب ما تقتضيه البلاغة بدون تكلف.

تقسيم كلام العرب

ينقسم كلام العرب إلى قسمين: نثراً، ونظماً.

فالنظم هو الموزون المقفّى، والنثرُ ما ليس مُرتبطاً بوزن ولا قافية.

النثر ـ المحادثة ـ الخطابة ـ الكتابة

الأصل في الكلام أن يكون منثوراً: لإبانته عن مقاصد النفس بوجه أوضح وكلفة أقل: وهو إما حديث يدور بين الناس وبعض في إصلاح شؤون المعيشة، واجتلاب ضروب المصالح والمنافع، وذلك ما يسمى (المحادثة) أو (لغة التخاطب) وإما خطاب من فصيح نابه الشأن، يُلقيه على جماعة في أمر ذي بال، وهذا ما يسمّى (الخطابة)، وإما كلام نفسي مدلول عليه بحروف ونقوش لإرادة عدم التلفظ به او لحفظه الخلف، أو لبعد الشقة بين المتخاطبين وذلك ما يسمّى (الكتابة): إذن فأقسام النثر ثلاثة: محادثة، وخطابة، وكتابة.

وكلها إما أن تكون كلاماً خالياً من التزام التقفية في أواخر عباراته، وذلك ما يسمى «النثر المرسل» وإما أن تكون قطعاً ملتزماً في آخر كل فقرتين منها أو أكثر قافية واحدة وهذا ما يسمى «السجع» وهو نوع الحلية اللفظية إذا جاء عفواً ولم يُتعَمد التزامه، ولحسن وقعه في الأسماع، وحوكه وتأثيره في الطباع، وكان أكثر ما يستعمل في الخطابة، والأمثال والحكم، والمفاخرات والمنافرات.

المحادثة، أو: لغة التخاطب

لغة التخاطب عند عرب الجاهلية بعد أن توحّدت لغاتها هي اللغة المعربة المستعملة في شعرها وخطبها وكتابتها، ولا فرق بينها في البلاغة إلا بقدر ما تستدعيه حال الخطابة والشعر والكتابة من نبالة الموضوع، والتأنق في العبارة.

وأكثر ما وصل إلينا ما كان شريف المعنى ، فصيحَ اللفظ .

الخطابة

لـمّا كان جُلُّ العرب في جاهليتها قبائل مُتَبَدِّية لا يربطها قانون عام ولا تضبُطها حكومة مُنَظَّمة .

ومن شأن المعيشة البدوية شَنُّ الغارات لأوهى الأسباب، والمدافعة بالنفس عن الرُّوح والعِرْض والمال ، والمباهاة بقوّة العَصَبية وكرَم النِّجار وشرف الخصال ، وللقول في ذلك أثر لا يَقِلُّ عن الصّول ، كانت الخطابة لهم ضرورية ، وفيهم فطريّة . وإنما لم تصل إلينا أخبار خطبائهم الأوائل ، وشيءٌ من خُطَبهم كما كان ذلك في الشعر ، لحفلهم قديماً بالشعر دون الخطابة ، ولصعوبة حفظ النثر .

وما عُني الرُّواة بنقل أخبار الخُطباء وخُطبهم إلا عند ما حلت الخطابة بعدُ منزلة أسمى من الشعر ، لابتذاله بتعاطي السفهاء والعامّة له وتلوّثهم بالتكسب به ، والتعرض للحُرَم ، فنَبُه بذلك شأن الخطابة ، واشتَهَرَ بها الأشراف .

وكان لكلّ قبيلة خطيب ، كما كان لكلّ قبيلة شاعر .

وأكثر ما كانت الخطابة في التحريض على القتال والتحكيم في الخصومات وإصلاح ذات البين ، وفي المفاخرات والمنافرات ، والوصايا ، وغير ذلك .

وكان من عادة الخطيب في غير خُطب الإملاك والتزويج أن يَخطب قائماً ، أو على نشز ومُرتفع من الأرض ، أو على ظَهْر راحلته ، لإبعاد مَدى الصوت وللتأثير بشخصه ، وإظهار مَلامح وَجْهه ، وحركات جوارحه ، ولا غِنىً له عن لَوْث وعَصْب العمامة ، والاعتماد على مخصرة أو عصا أو قناة أو قوس ، وربما أشار بإحداها ، أو بيده .

وخُطباء العرب كثيرون (من أقدمهم كعب بن لُؤَيّ) وكان ذا نُفوذ عظيم في قومه ، حتى أكبروا مَوْته ، وذو الإصبع العَدْواني وهو خرثان بن محرِّث

(ومن أشهرهم) قيسُ بن خارجة بن سنان خطيب حرب داحس[١] والغبراء، وخوَيلد بن عمرو الغطفاني، خطيب يوم الفِجار[٢]، وقس[٣] بن ساعدة الإيادي، خطيب عكاظ، وأكثم بن صيفي زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى: وهم أكثم بن صيفي، وحاجب[٤] بن زرارة التميميّان، والحارث بن عُباد[٥]، وقيس بن مسعود[٦] البكريّان، وخالد بن جعفر[٧]، وعلقمة بن علاثة[٨]، وعامر بن الطفيل[٩] العامريون، وعمرو بن الشّريد السُّلمي[١٠]، وعمرو

(١) داحس والغبراء فرسان لقيس بن زهير سيد عبس، راهنه حذيفة بن بدر الفزاري على أن يسابقه بفرسيه، الخطار والحنفاء، فوضعت فزارة كميناً في طريق السباق، فلطم وجه الغبراء وكانت سابقة، فهاجت الحرب بين عبس وفزارة، ثم بين عبس وذبيان لنصرتها فزارة وفي القصة روايات أخرى (٢) يوم الفِجار حرب كانت بين قريش وهوازن حضرها النبي ﷺ (٣) ستأتي ترجمة قس وأكثم (٤) سيد من سادات تميم، وهو الذي وفد على كسرى حين منع تميماً من ريف العراق حتى أصابهم القحط فأعجب به ومدحه مطلبه وتعهد له حاجب بحسن الجوار. ورهن عنده قوسه على ذلك فقبلها منه وبقيت عند كسرى حتى أخذها ابن حاجب ثم بيعت بعد بأربعة آلاف درهم (٥) كغراب كان خطيباً مؤثراً، وشاعراً بليغاً، وله عمل جليل في الحرب التي نشبت بين بكر وتغلب لمقتل كليب بعد أن اعتزلها، وله فيها قصيدة مشهورة منها:

قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال

٦) هو قيس بن مسعود بن خالد بن ذي الجدين كان كريماً عالي الهمة من أفضل العرب حسباً ونسباً وكانت تقر له كلها بذلك هي وكسرى أيضاً. وكان له حظيرة فيها مائة من الإبل لأضيافه إذا نحرت ناقة قيدت أخرى مكانها (٧) سيد من سادات بني عامر. خلص قومه من العبودية لغطفان بعد أن قتل سيدها زهير بن خزيمة. (٨) خطيب بليغ اشتهر في قومه بالعفة والمحافظة على الجوار والعقل الراجح والحسب الواضح (٩) هو ابن عم لبيد الصحابي شاعر متين، وفارس من أشهر فرسان العرب نجدة وأبعدهم اسماً، ولقد بلغ من شهرته أن قيصر كان إذا قدم قادم من العرب قال ما بينك وبين عامر فان كانت بينه وبينه رحم ووشيجة قربه وأكرمه (١٠) هو أبو السيدة تماضر الخنساء يميل إلى الفخر والصراحة في القول — ولقد بلغ من تغاليه في ذلك أنه كان يأخذ ابنيه معاوية وصخراً في المواسم العامة.

ابن معديكرب[١] الزُّبيدي ، والحارث بن ظالم [٢] المرّي .

قُسٌّ بن ساعدة الايادي

هو خطيب العرب قاطبة ، والمضروب به المثل في البلاغة والحكمة ، كان يدين بالتوحيد ، ويؤمنُ بالبعث ، ويدعو العرب إلى نبذ العكوف على الأوثان ، ويرشدهم إلى عبادة الخالق ويقال إنه أوّل مَن خطبَ على شرف ، وأول من قالَ في خطبه « أما بعدُ » وأول من اتكأ على سيف ، أو عصاً في خطابته ، وكان الناس يتحاكمون إليه ، وهو القائل : « البينة على من ادّعى ، واليمين على من أنكر » وسمعه النبي ﷺ قبل البعثة يخطب في عُكاظ ، فأثنى عليه ، وعَمَّر قُسٌّ طويلاً ومات قبيل البعثة – ومن خطبه خطبته التي خطبها في سوق عكاظ وهي – أيها الناس : اسمعوا وعُوا ، من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آت آت ، ليلٌ داج ، ونهارٌ ساج ، وسماءٌ ذات أبراج ، ونجوم تزخر ، وجبال مرساة ، وأرض مُدحاة ، وأنهار مُجراة ، إن في السماء لخبراً وإن في الأرض لعبراً ، ما بال الناس يذهبون ولا يرْجعون ، أرَضوا بالمقام فأقاموا ؟ أم تركوا هناك فناموا ؟ يُقسِم قسٌّ بالله قسماً لا إثمَ فيه ، إن لله ديناً هو أرضى لكم وأفضل من دينكم الذي أنتم عليه ، إنكم لتأتون من الأمر منكراً

ويروى أن قساً أنشأ بعد ذلك يقول :

في الذاهبين الأولين من القرون لنا بصائر
لما رأيت موارداً للناس ليس لها مصادر
ورأيت قوميَ نحوها تمضي الأكابر والأصاغر

---

(١) خطيب شاعر وفارس قاهر وصحابي جليل شهد حربي اليرموك والقادسية وأبلى فيهما البلاء الحسن على كبر سنه وضعف جسمه (٢) كان شجاعاً فاتكاً وخطيباً شاعراً يميل إلى معاقرة الخمر وهو الذي قتل خالد بن جعفر غيلة لقتله أباه وكثيراً من قومه .

لا يرجع الماضي إلينا ولا من الباقين غابر
أيقنتُ أني لا محـالة حيث صار القوم صائر

أكثم بن صيفي

هو أعرف الخطباء بالأنساب ، وأكثرهم ضربَ أمثال ، وإصابة رأي وقوة حجة ، وقلّ من جاراه من خطباء عصره ، وهو زعيم الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كسرى ، ولقد بلغ من إعجابه به أن قال له : لو لم يكن للعرب غيرُك لكفى . وقد عمر طويلاً حتى أدرك مبعث النبي ﷺ وجمع قومه وحثهم على الإيمان به ، وفي إسلامه رواياتٌ . وكان في خُطبه قليل المجاز ، حسن الإيجاز ، حلو الألفاظ ، دقيق المعاني ، مُولعاً بالأمثال (راجع خطبه في فن المناظرات الآتية)

الكتابة

يراد بالكتابة عند الأدباء : صناعة إنشاء الكتب والرسائل ، وإذا كانت الكتابة بهذا المعنى تؤدّى بالنقوش المسماة بالخط ، فأوّل حلقة من سلسلة الخط العربي هي الخط المصري القديم ، ومنه اشتقّ الخط الفينيقي ، ومن هذا اشتق الآرامي ، والمسند ، بأنواعه ، والصفويّ ، والثموديّ ، واللحيانيّ ، شمالي جزيرة العرب . والحميريّ جنوبيها .

ورواة العرب يقولون : إنهم أخذوا خطهم الحجاري عن أهل الحيرة والأنبار .

أما الكتابة : بمعنى إنشاء الكتب والرسائل ، فهي لازمة لكل أمة متحضرة ذات حكومة منظمة ، ودواوين متعددة ، وقد كان بعض ذلك موفوراً في ممالك التبابعة جنوباً ، ومأثوراً عن ممالك المناذرة والغساسنة شمالاً ، ولذلك استعمل الخط المسند الحميري عند الأوّلين من عهد مديد ، والأنباري الحيري عند الآخرين ، وإنما لم يصل إلينا شيء من رسائل تلك الأمم ، ولا من كتب فنونها ودينها غير قليل عثروا عليه لتقادُم عهد أهلها ، وعدم استكمال البحث بعد في بلادها .

ولم يعرّفنا التاريخ أيضاً بأحد من كتّاب هذه الصناعة إلا (بعديّ بن زيد العباديّ) الذي كان كاتباً ومترجماً عند كسرى .

أما البدوُ من سكان أواسط الجزيرة وهم جمهور مُضر ، وبعض القحطانيين فكانوا أُمّيين - ومن المعقول أنهم لم يعرفوا الكتابة الإنشائية إلا بعد أن عرّفوا الخط (آخرَ عصور الجاهلية) ؛ وما نقل عنهم فيه أنهم كانوا يكتبون في بدء رسائلهم : باسمك اللهمّ ، ومن فلان إلى فلان ، وأمّا بعد .

ولم تقم لهم دولة بالمعنى السابق إلا بقيام الإسلام ، فهو الذي أفشى فيهم الخط والكتابة .

ولما كانت علوم كل أمة لها الأثر العظيم في تكوين فكر الأديب ، وخيال الشاعر ، وكانت كتابتها قسماً قائماً بنفسه يسمى كتابة التدوين ،ناسب شرح ذلك .

علوم العرب وفنونها

العلوم والصناعات لازمة لحضارة الأمم ،ومن العرب أهلُ حضارة دلت عليها دُولهم العظيمة وقِدَمُ تاريخهم ، وآثارهم الخالدةُ ، وهم التّبابعة في اليمن ، والمناذِرةُ والغساسنة في الشمال - وإذن تكون هندسة إرواء الأرض وعمارة المدن ، والحساب ، والطب ،والبيطرةُ ، والزراعة ، ونحوُها معروفة في الجنوب والشمال ، مدوّنة في الكتب ، وإن لم يحفظ لنا الدهرُ صوراً منها - أما البدْوُ منهم : وإن كانوا أميين يمقتون الصناعاتِ ، فلا غِنى لهم عن تجربة تُرْشدُهم إلى ما ينفعهم ، ليعرفوا متى تجود السماء ، وبِمَ يتميز الأقرباء من البداء ؟؟ فأكسبهم ذلك علم النجوم ، والطبّ الضروري ، والأنسابَ والأخبار ،ووصف الأرض ، والفراسة والعيافة ، والقيافة ، والكهانة ، والعرافة ، والزجر ، وقرض الشّعر.

أما علم النجوم وهو معرفة أحوال الكواكب - فقد كانوا أبرع

في هذا العلم منهم في كل علم سواه ، تعرفه عامتهم قبل خاصتهم للاهتداء به في ظلمات البر والبحر ، ومعرفة أزمنة الخصب والمحل ، وبعض معارفهم فيه مُستمد من الكلدان لاختلاطهم بهم ولاتفاق اللغتين في كثير من أسماء الكواكب والبروج .

ومن أشهرهم فيه (بنو حارثة بن كلب ، وبنو مرة بن همام الشّيباني) .

الطب الإنساني والحيواني (البيطرة) ، وقد عاناه من العرب كثيرون.

ومن مشهوريهم (الحارث بن كِلَدة الثقفي ، وابن حذيم التيْميّ) .

الأنساب : علم تتعرف به قرابات التي بين بعض القبائل وبعض ، فتُلحق فروعها بأصولها ، وإنما دعاهم إلى العناية به حاجتُهم إلى التناصر بالعصبية ، لكثرة حروبهم ، وتفرق قبائلهم وأنفتهم من أن يكون للغريب عنهم سلطان عليهم وحبُّهم الافتخار بأسلافهم .

وممن اشتهر بمعرفة أنساب العرب (دغفل بن حنظلة الشيباني ، وزيدُ بن الكيس النمري ، وابن لسان الحُمَّرة) ولهذا كانوا يحفظون أنسابَهم .

الأخبار والتاريخ والقصص: هي معرفة أحوال السابقين،وكانوا يعرفون منها ما كان عليه أسلافهم ، وبعض مُجاوريهم من الأحوال المأثورة ، ووقائع أيامهم المشهورة ، كقصة الفيل ، وحرب البسوس ، وحرب الفِجار .

وصف الأرض: هو معرفة كل بُقعة وما يجاورها ، وكيف يهتدي إليها .

ومن قرأ شعر العرب في نسيبهم،واطلع على وصفهم ، وكيف كانوايحددون الحقير منها بحدود قلما تحد به مملكة عظيمة ، عرف شدة حذقهم بمعرفة بلادهم.

الفراسة : هي الاستدلال بهيئة الإنسان وشكله ولونه وقوله على أخلاقه وفضائله ورذائله ، وقد نبغ فيها من العرب من لا يُحصى عددهم ، ولهم في ذلك نوادر شتّى .

القيافة : ضربٌ من الفراسة وهي الاهتداء بآثار الأقدام على أربابها ، أو الاستدلال بهيئة الإنسان وأعضائه على نسبه . فقد كانوا يميزون بين أثر الرجل

والمرأة ، والشيخ ، والشاب ، والأعمى ، والبصير ، والأحمق ، والكيس .

وإذا نظروا عِدَّة أشخاص أَلحقوا الابن بأبيه ، والأخَ بأخيه ، والقريب بقريبه وعرفوا الأجنبيَّ من بينهم – وممن اشتهر بالقيافة (بنو مدلج ، وبنو لهب) .

الكهانة والعرافة : وهما القضاء بالغيب ، وربما خُصَّتْ الكهانة بالأمور المستقبلة والعِرافة بالماضية ، وطريقُهم في ذلك الاستدلال ببعض الحوادث الحالية على الحوادث الآتية ، لِما بينهما من المشابهة الخفية ، وللعرب في الكهَّان اعتقاد عريض لِزعمهم أنهم يعلمون الغيب ، فيرفعون إليهم أمورهم للاستشارة ويستفسرونهم عن الرُّؤى ، ويستطبُّونهم في أمراضهم وممن اشتهر من الكهان (شِق أنمار ، وسَطيح الذِّئبي) ومن الكواهن (طريفةُ الخير ، وسَلمى الهمدانية) ومن العرَّافين عرَّاف نجد الأبلقُ الأسدي ، وعراف اليمامة ربَاح بن عَجلة)

الزَّجر : وهو الاستدلال بأصواتِ الحيوان ، وحركاتهِ ، وسائر أحواله على الحوادث بقوَّة الخيال ، والاسترسال فيه .

ومن أشهر الزجارين : بنو لهب ، وأبو ذؤيب الهذليُّ ، ومُرَّة الأسدي .

ومن العرب من لم يَعبأ بالزجر وما شاكله كلبيد بن ربيعة القائل :

لَعَمْرُك ما تدري الطوارقُ بالحصى ... ولا زاجراتُ الطير ما الله صانعُ

وكضابىء بن الحارث القائل :

وما علاجاتُ الطير تُدني من الفتى ... نجاحاً ولا عن رَيثهِنَّ يَخيب
ورُبَّ أمور لا تَضيرك ضَيرةً ... وللقلب من مخشاتهن وجيبُ
ولا خير فيمن لا يوطِّنُ نفسه ... على نائبات الدهر حين تَنوبُ

النظم – والشعر – والشعراء

النظم : عرَّفه العَروضيون بأنه الكلام الموزون المقفى قصداً – ويُرادفه الشِّعر

عندهم –أما المحققون من الأدباء فيخصون الشعر بأنه الكلا الفصيح الموزو المعبِّر غالباً عن صوَر الخيال البديع . ولمَّا كان الخيال أغلب مادته أ، العرب (تجوّزاً) لفظ الشِّعر على كل كلام تضمَّن خيالاً ، ولو لم يكـ مُقفَّى ، ولجريه وفق النظام الممثَّل في صورة الوزن والتقفية كان النفس من قبيل إثارة الوجدان والشعور ، بَسْطاً وقَبْضاً وترغيباً وتـ من قَبيل إقناع الفكر بالحجة الدامغة ، والبرهان العقليّ ؛ ولذلك يُـ في إثارة العواطف وتصوير أحوال النفس، لا في الحقائق النظرية ، ولا النفس ترتاع بصور المحسوس الباهر، وما انتُزع منه من الخيال الجليّ لخفـ عليها؛ وإراحته لها من المعاناة والكد ؛ إذا انضم إلى ذلك نَغَمُ الوزن الشديد الشبه بتأثير الإيقاع والتلحين الذي يَطرَب له الحيوانُ، فضلاً عن

والعرب بفطرتهم مطبوعون على الشِّعر لبداوتهم ، وملاءمة بيئتـ الخيال فالبدويّ لحريته ، واستقلاله بأمر نفسه ، يغلبُ على أحكامه الـ ويسلك إليه من طريق الشعور؛ ومعيشةُ البدوي فوق أرض نقيَّة التر سماء صافية الأديم ، ساطعة الكواكب ، ضاحية الشمس تَجلت لحِسِّـ الوجود وعوالمَ الشهود ، فكان لخياله من ذلك مادة لا يغور ماؤها، و مَعينها فهام بهـا في كل وادٍ ، وأفاض منهـا إلى كل مراد ، وكان له مـ وفصاحة لسانه أقوى ساعِد ، وأكبر مُعاضِد ، ويشعرُ الإنسان بطـ الشعر متأخر في الوجود عن النثر ، وإن كانت هناك واسطة بين النثر فليست إلا السجع ، لما فيه من مُعادلة الفِقَر ، والتزام القافية ، والميل ــ فكان من ذلك المقطعات ، والأراجيز الصغيرة ، يحدون بها الإبل ، و بها المكارم. ثمَّ لما نمَتْ ملكة الشعر فيهم ، واتسعت أغراضُه أمامهم الأوزان ، وأطالوا القوافي ، وقصَّدوا القصيد .

وقد خَفِي علينا ــ كأكثر الأمم ــ مبدأُ قول الشعر ، وأول من قا

أما ما نُسب من الشعر، إلى آدم، وإبليس، والملائكة، والجن، والعرب البائدة، فهو حديثُ خرافة.

والشعر الذي صحّت روايته منذ أواسط القرن الثاني قبل الهجرة ينتهي أقدم مطوّلاته (إلى مُهلهل بن ربيعة) وأقدمُ مقطعاته إلى (نفر) لعلهم لم يبعدوا عنه طويلاً مثل: العنبر بن عمرو بن تميم، ودريد بن زيد بن نهد، وأعصُر بن سعد بن قيس عيلان، وزهير بن جناب الكلبي، والأفوه الأودي، وأبو دُواد الإيادي، وقد رووا أنه لم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا الأبياتُ يقولها الرجل في حاجته، وأن أول من قصد القصائد، وذكر الوقائع (المهلهل ابن ربيعة التغلبي) في قتل أخيه كُليب، فهو أول من رويَتْ له كلمة تبلغ ثلاثين بيتاً، وتبعه الشعراء. مثل (امرىء القيس) وعلقمة، وعبيد، ممن أخرجوا لنا الشعر العربيّ في صورته الحاضرة.

هذا مجمل ما يتعلق بحقيقة الشعر، ونشأته في الجاهلية.

أما ما يتعلق بمادّته وجوهره فإنه يرجع إلى أغراضه، وفنونه، ومعانيه، وأخيلته، وألفاظه، وأساليبه، وأوزانه، وقوافيه.

(١) أغراضه وفنونه

نظم العرب الشعر في كل ما أدركته حواسهم، وخطر على قلوبهم من فنونه وأغراضه الكثيرة **كالنسيب** ويسمّى (التشبيب والتغزل). وطريقته عند الجاهلية تكون بذكر النساء ومحاسنهنّ، وشرْح أحوالهن، وكان له عندهم المقام الأول من بين أغراض الشعر، حتى لو انضم إليه غرض آخر قدم النسيب عليه وافتتح به القصيد، لما فيه من كل اجتماع إنساني، والبدو أكثر الناس حبًا لفراغهم.

و**الفخر**: هو تمدح المرء بخصال نفسه وقومه، والتحدث بحسن بلائهم ومكارمهم وكرم عُنصرهم، ووفرة قبيلهم، ورفعة حسبهم، وشُهرة شجاعتهم.

والمدح: وهو الثناء على ذي شأن بما يستحسن من الأخلاق النفسية كرجاحة العقل، والعفة، والعدل، والشجاعة، أن هذه الصفات عريقة فيه وفي قومه وبتعداد محاسنه الخلقية — وشاع المدح عندما ابتذل الشعر، واتخذه الشعراء مهنة ومن أوائل مدّاحيهم: زهير — والنابغة — والأعشى.

والرثاء: وهو تَعداد مناقب الميت، وإظهار التفجع والتلهُّف عليه، واستعظام المصيبة فيه

والهجاء: وهو تعداد مثالب المرء وقبيله، ونفي المكارم والمحاسن عنه.

والاعتذار وهو درْء الشاعر التهمة عنه، والترَفق في الاحتجاج على براءته منها، واستمالة قلب المعتذر إليه واستعطافه عليه: و (النابغة) في الجاهلية فارس هذه الحلبة.

والوصف: هو شرح حال الشيء وهيئته على ما هو عليه في الواقع لإحضاره في ذهن السامع، كأنه يراه أو يشعر به، ومن أشهرهم في ذلك (امرؤ القيس وأبو دواد الإيادي).

والحكمة والمثل: فالحكمة قول رائعٌ يتضمن حكماً صحيحاً مسلماً به، والمثل مرآة تريك أحوال الأمم وقد مَضت، وتَقف بك على أخلاقها وقد انقضت، فالأمثال ميزان يوزن به رقيّ الأمم وانحطاطها وسعادتها وشقاؤها وأدبها ولغتها. وأكثر ما تكون أمثال العرب وحكمها موجزة متضمنة حكماً مقبولاً، أو تجربة صحيحة، تمليها عليها طباعها بلا تكلف — وأكثر الشعراء أمثالاً: (زهير والنابغة).

(٢) معانيه وأخيلته

قصد الشاعر من شعره الإبانة عما يخالج نفسه من المعاني في أي غرض من الأغراض السابقة ونحوها، ومن هذه المعاني ما هو عادي في البدويّ والحضَري

والعربيّ والعجميّ كالأخبار الصادقة، وأوصاف المشاهدات، وشرح الوجدانات كما يمليها الخاطر بلا مبالغة ولا إغراق؛ ومنها ما هو غريبٌ نادر، انتزعه الخيال من المرئيات البديعة والأشكال المنتظمة، وذلك يسمّى المخترع، تتفاضل الشعراء بالإجادة فيه والإكثار منه.

وإذا قِسنا الشعر الجاهلي بهذا المعيار وجدنا معانيه وأخيلته تمتاز بالأمور الآتية:

(١) جلاء المعاني وظهورها ومطابقتها للحقيقة. (٢) قلة المبالغة والغلو فيها عما يخرجها عن حد العقل ومألوف الطبع (٣) قلة المعاني الغريبة المنزع، الدقيقة المأخذ المتجلية في صور الخيال البديع، والتشبيه الظريف، والاستعانة الجميلة والكناية الدقيقة وحسن التعليل وغير ذلك (٤) قلة تأنقهم في ترتيب المعاني والأفكار على النظام الذي يقتضيه الذوق، فيدخلون معنى في معنى، وينتقلون من غرض إلى آخر اقتضاباً بدون تخيل ولا تلطف.

(٣) ألفاظه وأساليبه

ولما كانت العربُ أمةً بدوية تنظم الشعر بطبعها، من غير معاناة صناعة ولا دراسة علم ــ غلب على شعرها صراحة القول وقلةُ المواربة فيه، والبعد عن التكلف وصحة النظم، والوفاء بحق المعنى ــ أضف إلى ذلك الأمور الآتية:

(١) جودة استعمال الألفاظ في معانيها الموضوعة لها، لإحاطة علمهم بلغتهم ومعرفتهم بوجود دلالتها. (٢) غلبة استعمال الألفاظ الجزلة، واستعمال الألفاظ الغريبة التي هجرت عند المحدثين. (٣) القصد في استعمال ألفاظ المجاز، ومقت استعمال الأعجمي إلا ما وقع نادراً. (٤) عدم تعمد المحسنات البديعية اللفظية، ومتانة الأسلوب، بحسن إيراد المعنى إلى النفس من أقرب الطرق إليها وأطرفها لديها وبإيثار المجاز، أو قلة الإسهاب إلا إذا دعت الحال.

(٤) أوزانه وقوافيه

العرب لم تعرف موازين الشعر بتعلم قوانين صناعية، وتعرُّف أصول وضعية، وإنما كانت تنْظم بطبعها على حسب ما يُهيّئه لها إنشادُها ، وقد هدتهم هذه الفطرة إلى أوزان أرجعها الخليلُ إلى خمسة عشر وزناً سماها بحوراً وزاد عليها الأخفش بحراً ، وقد أكثروا النظم من بعضها دون بعض .

راجع مؤلفنا « ميزان الذهب في بحور شعر العرب » .

وشعر العرب رَجزُه وقصيدُهُ يُبنى على قافية واحدة كيفما طال القول .

(٥) شعراء الجاهلية

شُعراء الجاهليّة : أكثر من أن يحاط بهم ، ومن جُهل منهم أكثر ممن عُرف، وإنما اشتهر بعضهم دون بعض لنبوغه ، أو كثرَة المروي من شعره ، أو قُرب عهده من الاسلام زمن الرواية ــ وكان للشعراء عند العرب منزلة رفيعة، وحكمٌ نافذ ، وسلطان غالب، إذ كانوا ألسنتهُم الناطقة بمكارمهم ومفاخرهم وأسلحتهم التي يذودون بها عن حياض شرَفهم ، وكانت القبيلة من العرب إذا نَبَغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمة ، وأتت النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس، ويَتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذَبٌّ عن حياضهم ، وتخليدٌ لمفاخرهم ، وإشادة بذكرهم ، وكانوا لا يُهنّئون إلا بغلام يولد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تنتج .

وكانت طريقة نظمُ الشعراء ارتجالية، فتأتيهم ألفاظهُ عفواً، ومعانيه رهواً، كما وقعَ للحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم، أما من اتخذه منهم صناعة يستدر بها ويلتمس به الجوائز، وينشده في المحافل والمواقف العظام ، فإنه يتعهده بالتهذيب والتنقيح، لجعله رقيق الحاشية، حسَن الديباجة، يصح أن يقال فيه إنه المثل الأعلى للشعر الجاهلي كما ترى ذلك واضحاً في حوليّات زهير ، واعتذاريات النابغة ،

وقد غبر الناس دهراً طويلاً لا يقولون الشعر إلا في الأغراض الشريفة ، لا يمدَحون عظيماً طمعاً في نَواله ، ولا يهجون شريفاً تشفياً منـه وانتقاماً ، حتى نشأت فيهم فئة امتهنت الشعر وتكسبت به ، ومدَحَت المـلوكَ والأمراء ، كالنابغة الذبياني وحسان مع النعمان بن المنذر ، وملوك غَسَّان ، وزُهير بن أبي سُلمى مع هرِم ابن سِنان وأُمية بن أبي الصَّلت مع عبدالله بن جدعان أحـد أجْوادِ قريش ، والأعشى مع الملوك والسُّوقة ، حتى قصد به الأعاجم ، وجعله متجراً يتجر به ، فتحامى الشعرَ الأشراف ، وآثروا عليه الخطابة .

(٦) طبقات الشعراء

طَبقاتُ الشعراء باعتبار عُصورهم أربع : (١) الجاهليّين . (٢) طبقة المخضْرَمين ، وهم الذين اشتهروا بقول الشعر في الجاهلية والاسلام . (٣) طبقة الإسلاميّين ، وهم الذين نشأوا في الإسلام ،ولم تفسُدْ سَليقتهم العربية ،وهم شعراء بَني أمية . (٤) طبقة المولدين أو المحدثين ، وهم الذين نشأوا زمن فسادِ العربية وامتزاج العرب بالعجم ، وذلك من عصر الدولة العباسية إلى يومنا هذا .

والشعراء الجاهليون يُقسَّمون باعتبار شهرتهم في الشعر للاجادة ، أو للكثرة إلى طبقات كثيرة ، نذكر منها ثلاثاً : (١) الطبقة الأولى ، امرؤ القيس بن حجر وعمرو بن كلثوم ، وزُهَير بن أبي سُلمى ، والنابغة الذبياني (٢) الطبقة الثانية الأعشى ولبيد بن ربيعة العامري ، وطرَفة بن العبد . (٣) الطبقة الثالثة عَنترة ابن شداد ، وعُرْوةَ بن الوَرد ، ودُرَيد بن الصِّمّة ، والمرقش الاكبر ،والحارث ابن حِلِّزة اليَشْكُري ــ ومن الادباء مَن يُقدم ويزيد

(١) أمْرُوء القيس

هو الملكُ أبو الحارث حُنْدُجُ بن حُجْرِ الكِندي شاعرُ اليمانيةِ .

وآباؤه من أشراف كِندة وملوكها ، وكانت بنو أسد المضرية خاضعة لملوك كِندة ــ وآخر ملك عليهم هو حُجر أبو امرىءِ القيس ــ وأمه أخت مُهلهل و كُلَيب .

نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد وسلك مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعبُ ويُعاقرُ الخمر ويغازل الحسان فمَقَتَه أبوه ولمّا لم ينجع فيه القولُ طرده عنه وأقصاه ، حتى جاء نبأ ثورانِ بَني أسد على أبيه وقتلهم له لانه كان يَعْسِفُ في حُكمه لهم ، فقال : (ضيّعني صَغيراً ، وحملني دَمَه كبيراً ، لا صَحوَ اليومَ ولا سُكْرَ غداً ، اليومَ خمرٌ ، وغداً أمرٌ) وأخذ يجمعُ العدّة ، ويَستنجدُ القبائل في إدراك ثأره ، فنازل بني أسد وقتل فيهم كثيراً ، ثم اشتدّت به علة فرح فمات منها ودُفن بأنقرَه ؛ وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن .

شعره : يُعتبرُ امرُؤ القيس رأس فحول شعراء الجاهلية ، والمقدّم في الطبقة الاولى ، فهو أوّلُ من أجاد القوْل في استيقاف الصحْب ، وبُكاء الديار وتشْبيه النساء بالظباء والمها والبَيْض ، وفي وصف الخيل بقيد الاوابد ، وترقيق النسيب وتقريب مآخذ الكلام ، وتجويد الاستعارة ، وتنويع التشبيه ، وذلك لسعة خياله بكثرة رحلاته .

وقد يُفْحِشُ في تشبيبه بالنساء ، وتحدثه عنهنّ ، ويُشْتَم من شعره ، رائحة النبل وتلمح فيه شارات السيادة والملك ، من ذلك قوله :

فظل العذارى يَرْتَمين بلحمها وشحمٍ كهدّاب الدمقْس المفتل

وقوله : وظل طهاةُ اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قديدٍ مُعجل

وقوله ولو أنْ ما أسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليلٌ من المال

ولكنما أسعى لجدٍ مُؤثـلٍ وقد يُدرِك المجدَ المؤثلَ أمثالي

وشعره : وإن اشتمل بشملة البداوة في جفاء العبارة ، وخشونة الالفاظ وتجهم المعاني ، تراه أحياناً يخطر في حُلل من حُسْن الديباجة ، وبديع المعنى ودقة النسيب ، ومُقارَبة الوَصْف ، وسهولة المأخذ ، مما كان لخلقه أجملَ مثاله في مُحاكاته ولم يَقل الشعر كاسباً .

ومن شعره ، يذكر رحلته إلى قيصر مع عَمْرو بن قميئة الضبعي :

سَما لكَ شوقٌ بعدما كانَ أقصرا وحلت سُليمى بَطنَ ظَبي فعَرْعرا
فدعْها وسلّ الهمّ عنها بجَسْرة ذَمول إذا صامَ النّهار وهجَّرا
عليها فتى لم تحمِل الارضُ مثله أبرّ بميثـاق وأوْفى وأصبرا
إذا قلتُ هذا صاحبٌ قد رضيتهُ وقرّتْ به العَينان بُدّلتُ آخَرا
كذلك جَدي لا أصاحبُ صاحباً مِنَ النّاس إلا خانني وتغيّرا

ومن أبياته السائرة قوله :

إذا المرءُ لم يخزُنْ عليه لسانه فليس على شيء سِواهُ بخزّانِ

وقوله: وقد طوّفتُ في الآفاق حتى رَضيتُ من الغَنيمــة بالإيابِ

معلقة امرىء القيس

قفَا نَبكِ من ذِكرى حَبيبٍ ومَنزِلِ بِسِقْط اللوَى بين الدخول فحَوْمل [١]
فتُوضحَ فالمقْراة لم يَعفُ رَسمُها لِما نَسَجتْها منْ جَنوبٍ وشَمأَلِ [٢]
ترى بَعَرَ الآرام في عَرَصاتهـا وقيعانها وكأنه حَبُّ فلفـل [٣]
كأني غَداة البَيْن يَوْمَ تَحمّلوا لدى سَمُرات الحي ناقِفُ حَنْظَل
وُقوفاً بها صَحبي عليّ مطيهم يَقولون : لا تهْلِكْ أسى وتجمّـل [٤]

---

(١) اللوي ما التوى من الرمل ، أو استرق منه ،والجمع ألواء وألوية ،وسقط اللوى منتهاه ، وهو مثلث السين . والدخول وحومل وتوضح والمقراة : كلها أسماء أماكن يقع بينها سقط اللوى ، وفيه منزل الحبيب . (٢) لم يعف رسمها ، لم يمح أثرها والمراد من (جنوب وشمأل) ريح الجنوب وريح الشمال
(٣) الآرام جمع رئم وهو الظبي خالص البياض.والعرصات : جمع عرصة وهي البقعة الواسعة بين الدور ليس فيها بناء، والقيعان : فناء الدار (٤) أي وقوف صحبي على مطيهم بسمرات الحي ، ونصحوا لي بالتحمل والاحتمال .

وإنَّ شِفائي عَبْرَةٌ مُهراقـةٌ ... فهَلْ عِندَ رسم دارس مِنْ مُعَوَّلِ [١]
كدأبِكَ مِنْ أمِّ الحوَيرثِ قبلها ... وجارتها أمِّ الرَّباب بمأسَلِ [٢]
إذا قامتا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنهما ... نسيمَ الصَّبا جاءت بريَّا القرَنفلِ [٣]
ففاضَتْ دُموعُ العَيْنِ مني صَبابة ... على النَّحْرِ حتى بلَّ دمعي مِحْملي [٤]
ألا رُبَّ يومٍ لي مِنَ البيض صالحٍ ... ولا سيما يومٌ بِدارَةِ جُلْجُلِ [٥]
ويومَ عَقرتُ للعذارى مَطيَّتي ... فيا عَجَبا مِنْ كورِها المتَحَمَّلِ [٦]
فظلَّ العذارى يَرْتمينَ بلحمِها ... وشحمٍ كهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المفتَّلِ [٧]
تُدارُ علينا بالسديف صِحافُها ... ويؤتى إلينا بالعبيطِ المُثَمَّلِ [٨]
ويومَ دخلتُ الخِدْرَ خِدْرَ عُنَيزةٍ ... فقالت لكَ الوَيلاتُ إنكَ مُرْجِلي [٩]
تقولُ وقَدْ مالَ الغَبيطُ بنا معاً ... عَقرتَ بعيري يا امرأ القيس فانزلِ [١٠]
فقلت لها سيري وأرْخي زِمامَه ... ولا تُبعِديني مِنْ جَناكِ المعلَّلِ [١١]
دَعي البَكْرَ لا تَرثي له مِنْ رِدافِنا ... وهاتي أذِيقينا جَناةَ القرَنفلِ [١٢]
بثَغْرٍ كمِثْلِ الأقْحُوان مُنوَّرٍ ... نَقيِّ الثنايا أشنبٍ غيرَ أثْعَلِ [١٣]

(١) عبرة مهراقة دمعة مسكوبة ، والمعول المستعان به (٢) الدأب الشأن.
(٣) تضوع المسك : انتشرت رائحته . والريا الرائحة ، والمراد أنه إذا قامت هاتان المرأتان يضوع منهما المسك . كما يأتي النسيم بشذا القرنفل . (٤) المحمل على وزن منبر حمالة السيف (٥) ابتداء الشاعر بذكر حوادث شبابه وملاعب صباه ، وخص بالذكر أيامه بدارة جلجل ، وهي مكان بنجد ، وسيحدثنا عن لهوه أطيب الحديث (٦) مطية الشاعر هنا ناقته (٧) هداب الدمقس أطراف الحرير والمفتل : المفتول (٨) السديف : قطع السنام والصحاف جمع صحفة القصعة والعبيط لحم الذبيحة تنحر من غير علة ، والمثمل الشهي (٩) الخدر هنا هودج وعنيزة اسم محبوبته ، إنك مرجلي أي فاضحي بين رجالي (١٠) الغبيط الرحل ، عقرت بعيري دميت ظهره لثقلك (١١) الجنى : الشهد المعلل الشهي (١٢) البكر : البعير ، الرداف : هو أن يركب اثنان على دابة واحدة ـ أذيقينا جنا القرنفل أي مكنينا من ثغرك العطر (١٣) الاقحوان زهر أبيض جميل شبه به الثغر العذاب أشنب فيه برد ورقة وصفاء .

فمثلكِ حُبْلى قد طرَقْتُ ومُرضع ... فألهيتُها عن ذي تمائمَ مُحْوِل [١]
إذا ما بكى من خلفِها انصرَفت له ... بشقٍّ وتحتي شِقها لم يُحَوَّل [٢]
ويَوماً على ظَهْر الكثيب تعذرت ... عليَّ وآلتْ حلفَةً لم تحلل [٣]
أفاطمَ مَهلاً بعضَ هذا التدلل ... وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي [٤]
أغركِ مني أن حبك قاتلي ... وأنكِ مهما تأمري القلبَ يفعل
وأنكِ قَسَّمتِ الفؤاد فنصفه ... قتيلٌ ونصفٌ بالحديد مكبل [٥]
فإن تَكُ قد ساءتكِ مني خليقةٌ ... فسلي ثيابي من ثيابك تنسل [٦]
وما ذرفتْ عيناكِ إلا لتضربي ... بسهميكِ في أعشار قلب مُقتل [٧]
وبَيضة خِدر لا يُرامُ خِباؤها ... تمتعتُ من لهوٍ بها غير مُعْجل [٨]
تجاوَزْتُ أحراساً إليها ومعشراً ... عليَّ حِراصاً لو يُسِرُّون مقتلي [٩]
إذا ما الثريّا في السماء تعرضت ... تعَرُّضَ أثناء الوشاح المفصَّل [١٠]
فجئتُ وقد أنضتْ لنومٍ ثيابها ... لدى السِّتر إلا لبسة المتفَضِّل [١١]
فقالت يمين الله ما لكَ حيلةٌ ... وما إن أرى عنك الغِوايةَ تنجلي [١٢]

(١) محول مضى عليه حول. يريد أن يقول إني رجل أفتن النساء، حتى لا تنجو مني الحبلى ولا المرضع، مع أنها في شغل بالحمل والرضاع (٢) في هذا البيت صورة فاتنة من صور الجماع (٣) تعذرت: تمنعت. أي مضت في عنادها وتجنيها – آلت حلفة: أقسمت يمينا؛ لم تحلل: لم تقيد اليمين يحلها هو ولم يستثن فيها (٤) ازمع الأمر، وازمع عليه. إذا ثبت عزمه على إمضائه. الصرم بفتح الصاد وضمها الهجر والقطيعة والإجمال: الرفق (٥) مكبل: مقيد (٦) الخليقة: السجية والطبيعة والثياب هنا القلب وتنسل تسقط والمعنى: إذا ساءتك خصلة من خصالي فسلي قلبي من قلبك ٧ السهام: العيون. قلب مقتل: أهلكه العشق (٨) بيضة الخدر كناية عن المرأة المخدرة المحجبة. غير معجل غير مضطر الى العجلة ٩ الأحراس: الحراس وحراص جمع حريص وأسر الأمر أضمره (١٠) الوشاح: أديم عريض يرصع بالجوهرة تشده المرأة بين عاتقها وكشحها. والوشاح المفصل: هو المرصع بالذهب أو الزبرجد (١١) أنضى الثياب: خلعها. والمتفضل هو الذي يلبس ثوباً واحداً حين يأوي إلى فراشه (١٣) مالك حيلة: أي لا بصر لك بعواقب الأمور.

خرجتُ بها أمشي تجرُّ وَراءَنا على أثرَيْنا ذيلَ مِرطٍ مُرحَّلِ[١]
فلما أجَزنا ساحةَ الحيِّ وانتحت بنا بطنَ خَبْتٍ ذي حقافٍ عقنقلِ[٢]
هَصَرْتُ بفودَيْ رأسِها فتمايلت عليَّ هَضيمَ الكشحِ ريَّا المخلخلِ[٣]
مُهفهفةٌ بيضاءُ غيرُ مُفاضةٍ ترائبُها مصقولةٌ كالسَّجَنْجَلِ[٤]
كبِكرِ المقاناةِ البَياضِ بصُفرةٍ غذاها نميرُ الماءِ غيرُ المحللِ[٥]
تَصُدُّ وتُبْدي عن أسيلٍ وتتقي بناظرةٍ من وحشِ وَجْرةَ مُطفلِ[٦]
وجيدٍ كجيدِ الرئمِ ليس بفاحشٍ إذا هي نَصّته ولا بمُعطَّلِ[٧]
وفرْعٍ يزينُ المتنَ أسْوَدَ فاحمٍ أثيثٍ كقِنوِ النخلةِ المتَعَثكِلِ[٨]
غدائرُهُ مُستشزِراتٌ إلى العُلى تضلُّ المدارى في مُثنى ومُرْسلِ[٩]
وكشحٍ لطيفٍ كالجديلِ مُخَصَّرٍ وساقٍ كأنبوبِ السَّقيِّ المذَلَّلِ[١٠]

(١) المرط كساء من صوف أو خز مرجل، فيه صور رجال وبالحاء فيه صور رحال ٢) جزت المكان: قطعته وخلفته، انتحت: قصدت، الخبت: الفضاء الواسع والعقنقل: الوادي العظيم (٣ هصرت فوديها: أملتهما إلي، والفودان: جانبا الرأس هضيم الكشح: دقيقة الخصر، ريا المخلخل: بضة الساق (٤) مهفهفة ضامرة البطن. غير مفاضة. غير مسترخية اللحم؛ الترائب موضع القلادة من الصدر والسجنجل المرآة المجلوة ٥ المقاناة الخلط والشاعر يشبه خليلته ببيضة النعام لأول عهدها بمزج الصفرة بالبياض) المحلل: الذي كدرته الإبل، يصف حبيبته بأنها لا تشرب الماء المحلل كسائر الأعرابيات، وإنما هي سيدة مترفة تشرب الماء النمير (٦) تصد: تصدق، تبدي: تعيد الصد، أي تصد. الأسيل. الرقيق، صفة لموصوف محذوف هو الخد، وجرة: مكان لتربية الوحوش بين مكة والبصرة ومطفل ذات طفل والمعنى تصد عن خد أسيل وتتقي المحب بعين مملوءة بالعطف، كما تنظر إلى طفلها الظبية الرءوم (٧) الرئم: الظبي، نصته: رفعته، معطل وعاطل: لا حلية فيه ٨) الفرع الشعر ٩) مستشزرات: مرتفعات والغدائر خصل الشعر، المداري: الأمشاط ١٠) الجديل: الوشاح والمذلل اللين، ومنه شجرة مذللة معطفة الأغصان، ينالها كل أحد.

ويُضْحي فتيتُ المسكِ فوقَ فراشِها ... نؤوم الضحى لم تَنتطقْ عن تفضلِ [١]
وتعطو برَخْصٍ غير شثن كأنه ... أساريع ظبي أو مساويك إسحلِ [٢]
تضيءُ الظلام بالعشاءِ كأنها ... مَنارَةُ مُمْسى راهب مُتبتّلِ [٣]
إلى مثلها يَرْنو الحليم صبابةً ... إذا ما اسبكَرّت بين درعٍ ومجولِ [٤]
تسلتْ عماياتُ الرجال عن الصبا ... وليس فؤادي عن هواها بمنسلِ [٥]
ألا رُبّ خَصمٍ فيكِ ألوَى رَدَدْتُه ... نصيح على تعذاله غير مؤتلِ [٦]
وليل كموْجِ البحر أرخى سُدُولهُ ... عليّ بأنواع الهموم ليبتلي [٧]
فقلت له لما تمطى بجَوْزِهِ ... وأرْدَفَ أعجازاً وناءَ بكلكلِ [٨]
ألا أيها الليلُ الطويل ألا انجلِ ... بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ [٩]
فيَا لكَ من ليل كأن نجومه ... بكل مُغار الفتْل شُدّت بيذبلِ [١٠]
كأن الثريّا عُلقت في مَصامِها ... بأمْراس كتّان إلى صُمّ جَندلِ [١١]

---

(١) انتطقت المرأة: لبست المنطق أو النطاق، والتفضل لبس الثوب الواحد. وعن هنا بمعنى بعد، أي لم تلبس المنطق بعد المفضل يريد أنها لم تكتس بعد عري، ونوم الضحى من عادات المترفات. ٢) العطو التناول، ورخص: لين ناعم، وهو وصف للبنان، وشثن: خشن وأساريع جمع أسروع والإسحل شجر يستاك به. (٣) يقول: تضيء محبوبتي الظلام كأنها منارة الراهب في المساء. ٤) اسبكرت: اعتدلت واستقامت، ودرع المرأة قميصها ٥) تسلت: تكشفت وانزاحت، عمايات جمع عماية، وهي الغواية والضلال. ومنسل: سال، ولم يسل عن هواها فؤادي. (٦) ألوى: عسر. والتعذل والعذل اللوم. غير مؤتل غير مقصر (٧) السدول الستور، يبتلي: يختبر. وهو يصف الليل بتعمد إيذائه ٨) تمطى الليل طال والجوز الوسط، وفي رواية، بصلبه: ناء: نهض، والكلكل: الصدر (٩) أمثل أفضل، يذكر أن همومه موصولة، فليس الصبح خيراً من الليل ١٠) مغار: محكم شديد، ويذبل اسم جبل؛ يصف نجوم الليل بالثبات (١١) في مصامها: في موضعها، أمراس جمع مرس وهو الحبل، والجندل الأصم: الحجر الصلب.

وقربةِ أقوامٍ جعلتُ عصامها على كاهلٍ مني ذَلول مرحّلِ ١
وواد كجوفِ العيرِ قفرٍ قطعتهُ به الذئبُ يَعوي كالخليع المعيّلِ ٢
فقلتُ له لما عَوَى : إن شأننا قليلُ الغنى إن كنت لما تمول ٣
كلانا إذا ما نالَ شيئاً أفاتَه ومن يَحترث حرثي وحرثك يهزُلِ ٤
وقد أغتدي والطيرُ في وكناتِها بمنجردٍ قيد الأوابدِ هيكلِ ٥
مِكرٍ مِفرٍ مُقبلٍ مدبرٍ معاً كجلمود صخرٍ حطّه السيلُ من علِ ٦
كميتٍ يزِلُّ اللبدُ عن حالِ متنه كما زلت الصفواءُ بالمتنزّلِ ٧
على العقبِ جياشٍ كأن اهتزامه إذا جاش فيه حَميه غليُ مرجلِ ٨
مِسَحٍّ إذا ما السابحات على الونى أثرن غباراً بالكديدِ المركلِ ٩
يزِلُ الغلامُ الخف عن صهواتهِ ويلوَى بأثوابِ العنيفِ المثقلِ ١٠
دريرٍ كخذروفِ الوليدِ أمَرّه تتابعُ كفيهِ بخيطٍ موصّلِ ١١

(١) العصام : حبل تربط به القربة ، ومرحل كثير الحمل والترحيل (٢) يقال للموضع الذي لاخير فيه ، والعيل : المسيب الذي ألقى حبله على غاربه (٣) تمول : صار ذا مال (٤) أفاته . ضيعه ومن يحترث حرثي وحرثك . من هو مثلنا ، ويهزل : يضعف (٥) وكنات . العش ، وفرس أجرد ومنجرد : قصير الشعر رقيقه ، الأوابد الوحش النافرة ، وقيد الأوابد مبالغة في سرعة العدو ، والهيكل : الضخم من كل شيء (٦) مكر مفر سريع الكر والفر ، من عل : من فوق . يصف عدو الفرس في كره وفره وإقباله وإدباره بجلاميد الصخر تحطها السيول (٧) كميت خالط حمرته سواد ويزل يسقط ، عن حال متنه عن وسط ظهره الصفواء الملساء المتنزل المطر ينزل من السماء (٨) وجياش إذا حركته بعقبك جاش كما يجيش البحر بالأمواج اهتزامه صهيله ، المرجل : القدر ، يشبه صهيل جواده حين يجيش حمية بالقدر حين تفور (٩) مسح : عداء . السابحات والسوابح : الخيول . الونى الضعف والتعب ، الكديد الأرض تكدها بحوافرها الدواب . المركل : المكدود (١٠) الخف الجلد أو الخفيف العنيف من لا رفق له بركوب الخيل ، المثقل : الثقيل ، يريد أنه لا يذل لغير سيده وهو وصف بديع (١١) درير : كثير الجري ، الوليد : الصبي ، والخذروف شيء يدرره في يديه بخيط فيسمع له دوي نحلة او بلبل . أمره فتله.

لهُ أيْطلا ظَبيٍ وساقا نعامــةٍ وإرخاءُ سَرْحانٍ وتقريبُ تَتْفُلِ ١
ضليعٌ إذا اسْتَدْبَرْتَه سَدَّ فرْجَهُ بضافٍ ،وَيْق الأرض ليس بأعْزَلِ ٢
كأنّ سَنا المتنَيْنِ منه إذا انتَحى مَداكُ عَروسٍ أو صلابة حَنظلِ ٣
كأنّ دمـــاء الهـاديات بِنَحْره عُصارةُ حِناءٍ بِشَيبٍ مُرَجّلِ ٤
فعَنّ لنا سِرْبٌ كأن نِعاجَــهُ عذارى دَوارٍ في مُلاءٍ مُذيـلِ ٥
فأدبرن كالجزْع المفَصّل بَيْنَــهُ بجيدٍ مُعمٍّ في العشيرة مُخوَلِ ٦
فألحقنـــا بالهاديات ودُونَـــهُ جواحِرُها في صَرّةٍ لم تزَيَّـــلِ ٧
فعادى عداءً بين ثَوْرٍ ونَعْجَــةٍ دِراكاً ولم ينضَحْ بماء فيُغْسَلِ ٨
فظَلّ طهاةُ اللحْم ما بين مُنْضِجٍ صفيفَ شِواء أو قَديد مُعجّلِ ٩

---

(١) الأيطل الكشح ، السرحان الذئب ، والتقريب : رفع اليدين معاً (٢) ضليع قوي الجنبين ، استدبرته : نظرت إليه من خلف (٣)المداك والمدوك الصلابة يذكر أن الجواد إذا انتحى ناحية وهو غير مسرج رأيت ظهره براقاً لامعاً كما تلمع صلابة الحنظل و مداك العروس ، وإنما خص صلابة الحنظل لما يترك بها من الدهن اللامع : وخص مداك العروس لقرب عهـده بالطيب . وإن أمرء القيس لشاعر فنان ! (٤) الهاديات : المتقدمات ويريد بهاهنا الفرائس ،مرجل: مسرح، يذكر أن دماء الفرائس بنحره كعصارة الحناء بالشيب المرجل، وكلاهما يلمع من الخضاب (٥) عن : عرض ، السرب : القطيع ، النعاج: البقر ،دوار: اسم صنم، مذيل: طويل الأطراف (٦) الجزع: الخرز ، لأن لونه يجزع إلى بياض وسواد ، والمفصل بينه : أي الذي فصل بين حباته بالذهب أو الزبرجد ،الجيد: العنق المعمم والمخول : كرام العم والخال : يشبه النعاج بالجزع المفصل في جيد من كرم عمه وخاله (٧) الهاديات : السابقات المتقدمات . الجواحر : المتخلفات ،في صرة: في صياح شديد ، لم تزيل : تتفرق (٨) عادى عداء: جمع بين ثور ونعجة ،دراكاً : تباعاً ، لم ينضح بماء : لم يعرق (٦) الطهاة جمع طاه وهو الطباخ . لحم صفيف ، صف على النار ليشوى وفي الشمس ليقدد .

ورُحنا يكادُ الطـّرْفُ يَقصُرُ دونه — متى ما تَرْقَ العينُ فيهِ تَسَفـّلِ ١
فباتَ عليه سَرْجُهُ ولجامُــــهُ — وبات بعَيْني قائماً غيرَ مُرْسل ٢
أصاحِ ؟ ترى برْقاً أريكَ وَميضَهُ — كلمـعِ اليدين في حَبيٍّ مكلل ٣
يُضيءُ سناهُ أو مَصابيحُ رَاهِب — أهانَ السّليط بالذُّبالِ المفتّــــل ٤
قَعَدْتُ وأصحابي لهُ بين ضارجٍ — وبين العُذَيْبِ ، بُعدَ ما مُتأمّل ٥
على قَطنٍ بالشّيْمِ أيمنُ صوْبـــه — وَأيْسَرُهُ على السّتار فيذبــــل ٦
فأضحى يسحُّ الماءَ حول كُتَيْفة — يكبُّ على الأدقانِ دَوْحَ الكنَهْبل ٧
ومَرَّ على القنانِ مِنْ نفيانـــهِ — فأنزَلَ منهُ العُصْمَ من كلِّ مَنزِل ٨
وتَيماءُ لم يترُك بها جِذعَ نخــلة — ولا أُطُماً إلا مشيداً بجَنْـدَل ٩
كأنّ ثبــيراً في عَرانينِ وَبْــلهِ — كبيرُ أُناسٍ في بجاد مُزمّل ١٠

---

(١) يكاد الطرف يقصر دونه أي أن العين لا تقدر على حصر محاسنه ، ترق: تنظر إلى أعلا ، تسفل: تنظر إلى أسفل (٢) يريد أنه بات مقيداً مسرجاً ملجماً ، ليستطيع الفارس امتطاءه متى شاء (٣) ومض البرق ومضاً ووميضاً وومضاناً ، لمع لمعاً خفياً ، الحبي : الحباب المتراكم (٤) السليط ، الزيت الجيد ، الذبال ، جمع ذبالة ، وهي فتيلة المصباح وفي رواية : آمال (٥) ضارج اسم ماء ببلاد طيء ، والعذيب اسم ماء قريب منه ، ومتأمل أي مأمول (٦) قطن اسم جبل ، الشيم النظر إلى البرق ، الصواب : أي المطر ، والستار ويذبل جبلان (٧) يسح الماء يسكبه ، وكتيفة اسم أرض دوح : جمع دوحة وهي الشجرة العظيمة والكنبل نوع من الشجر الضخم (٨) القنان: اسم جبل لبني أسد ، نفيان المطر : رشاشه ، العصم : الوعول ومفردها أعصم سميت بذلك لاعتصامها بالجبال (٩) تيماء اسم أرض ، الأطم : القصر يريد أن المطر لم يترك بتيماء إلا جذوع النخل وما شيد بالصخر من الآطام والديار (١٠) ثبيراً : اسم جبل ، عرانين وبله : في طغيان وبله ، البجاد : كساء مخطط يلبسه كبار الأعراب ، مزمل : ملفف .

كأن ذُرا رأسِ المجيمرِ غدوةً من السيل والغثاءِ فلكة مغزَل ١
وألقى بصحْراء الغَبيط بعاعَه نزول اليماني ذي العيابِ المحمَّل ٢
كأن مُكاكيَّ الجِواءِ غديةً صبحن سُلافاً من رَحيق مفلفل ٣
كأن سباعاً فيه غرقى عشيةً بأرْجائه القصوَى أنابيشُ عنصل ٤

(٢) النابغة الذبياني

هو النابغة الذبياني أبو أمَامة زياد بن معاوية : أحدُ فحول الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية ، وزعيمُهم بعكاظ ، وأحسنهم ديباجة لفظ ، وجلاء معنى ، ولطف اعتذار – ولقب بالنابغة لنبوغه في الشعر فجاءة وهو كبير ، بعد أن امتنع عليه وهو صغير – وهو من أشراف ذبيان ، إلا أن تكسبه بالشعر غض قليلاً من شرَفه ، على أنه لم يتكسب بشعره إلا في مدح ملوك العرب ، وكان من أمره في ذلك أنه اتصل بملوك الحيرة ومدحهم ، وطالت صحبته للنعمان بن المنذر ، فأدناه منه إلى أن وشى به عند النعمان أحد بطانته ، فغَضب عليه وهمَّ بقتله ، فأسر إليه بذلك عصامُ حاجب النعمان ، فهرب النابغة إلى ملوك غسان في الشام ، المنافسين للمناذرة في ملك العرب في الحيرة ، فمدح عمرو بن الحارث الأصغر وأخاه النعمان ، غير أن قديم صحبته للنعمان جعله يحن إلى معاودة العيش في ظلاله ، فتنصل واعتذر اليه بقصائد عطفت عليه قلبه ، وعمِّر النابغة طويلاً ، ومات قبيل البعثة .

---

(١) المجيمر . اسم جبل ، وذرا رأسه ، أعاليه . الغثاء : ما يخالط زبد السيل من ورق الشجر والحشيش (٢) الغبيط أراض لبني يربوع ، بعاعه ثقله – العياب جمع عيبة ، وهي ما يضع الرجل فيه متاعه (٣) المكاكي : ضرب من الطير يصيح في الغدوات – صبحن : شربن شراب الصباح – السلاف والسلافة . صفوة الخمر – الرحيق : الخمر ، مفلفل وضع عليه فلفل يريد أنه لذاع (٤) الأنابيش : جمع أنبوش وهو أصل البقل ، والعنصل البصل البري .

شعره : يمتاز برشاقة اللفظ ووضوح المعنى ، وحسن النظم . وقلة التكلف حتى عُدّ عند المدققين من الشعراء كجرير أنه أشعر شُعراء الجاهلية ، وأغراه تكسُّبه بالشعر أن يفتنّ في ضروب المدح ، حتى مدح الشيء وضده .

ومن جيد قوله في الاعتذار :

أتاني أبيت اللعن)١ أنك لُمتَني ... وتلك التي أهتمُّ ٢ منها وأنصبُ ٣
فبتُّ كأن العائدات ٤ فرشن لي ... هراسا٥ به يُعلى فراشي ويقشَبُ٦
حلفتُ فلم أترك لنفسك ريبةً ... وليس وراءَ الله للمرء مطلبُ
لئن كنت قد بُلغْت عني جناية ٧ ... لمبلغك الواشي أغشُّ وأكذَبُ
ولكنني كنت امرءاً لي جانبٌ ٨ ... من الأرض فيه مسترادٌ٩ ومذهبُ
ملوكٌ ١٠ وإخوان إذا ما أتيتهمْ ... أحَكَّمُ في أموالهم وأُقَرَّبُ
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم ... فلم ترهم في شكرهم لك أذنبوا ١١
فلا تتركَنّي بالوعيد كأنني ... إلى الناس مطليٌّ به القار١٢ أجربُ
ألم تر أن الله أعطاك سَورة١٣ ... ترى كل ملكٍ دونها يتذبذَبُ١٤
ولست بمستبق أخاً لا تلمُّهُ ... على شعث ، أي الرجال المهذبُ١٥

---

(١) جملة دعائية يخاطبون بها الملوك تحية ،ومعناها أبيت أن تفعل شيئاً تلعن به ، وكانت هذه تحية ملوك لخم وجذام (٢) أصير لأجلها ذا هم (٣) أتعب (٤) الزائرات في المرض (٥) شوكا كأنه حسك (٦) يخلط (٧) ذنبا وفي رواية: خيانة (٨) الجانب الناحية وأراد به الشام (٩) موضع يتردد فيه لطلب الرزق (١٠) بدل من مستراد ومذهب أو مبتدأ بتقدير فيه ملوك (١١) قال الأصمعي: كما فعلت أنت بقوم قربتهم وأكرمتهم فتركوا الملوك ولزموك فلم تر ذلك ذنبا عليهم (١٢) القطران (١٣) منزلة رفيعة وشرفا (١٤) يضرب أراد بهذا البيت والذي قبله تسلية النعمان على ما حصل من مدحه لآل جفنة (١٥) تلمه تصلحه . والشعث الفساد ، والمهذب المتقى من العيوب ، يعتذر بذلك عن زلته .

فإن أكُ مظلوماً [١] فعبدٌ ظلمته وإن تكُ ذا عُتْبى [٢] فمثلك يُعتِب [٣]

ومن أبلغ المعلقات والمطولات أيضاً :

مُعلقة النابغة الذبياني

عوجُوا فحيوا لِنُعْمٍ دمنة الدار ماذا تحيون من نؤي وأحجار ؟ [٤]
أقوى وأقفر مِن نُعْــم وغيَّرَه هُوجُ الرياح بهابي الترب موّار [٥]
وقفت فيها سراة اليومَ أسألُها عن آل نُعم أموناً عبرَ أسفار [٦]
فاستعجمت دارُ نعم ما تُكلمنا والدار لو كلمتنا ذات أخبار [٧]
فما وجدت بها شيئاً ألوذ بـــه إلا الثمامَ وإلا مَوْقِدَ النار [٨]
وقد أراني ونعماً لاهيينِ معــاً والدهر والعيش لم يَهْمُمْ بإمرار [٩]
أيام تخبرُني نعم وأخبرهــــا ما أكتم الناس مِن حاجي وأسراري
لولا حبائل من نعم علقتُ بهـــا لأقصر القلب عنها أي إقصار [١٠]
فإن أفاق لقد طالت عمايتـــه والمرء يخلق طوراً بعد أطوار [١١]
نُبئت نعماً على الهجران عاتبة سقياً ورعياً لذاك العاتب الزاري
رأيت نعماً وأصحابي على عَجَلٍ والعيس للبين قد شدّت بأكوار
فريع قلبي وكانت نظرةٌ عرضت حيناً وتوفيقَ أقدار لأقدار [١٢]
بيضاء كالشمس وافتْ يومَ أسعدها لم تؤذِ أهلاً ولم تفحِش على جار

---

(١) جعل غضبه ظلماً لأنه عن غير موجب (٢) رضا (٣) يرضى (٤) عوجوا: قفوا. الدمنة : ما اجتمع من آثار الديار، النؤي ما يكون حول الخباء لمنع المطر (٥) أقوى : خلا ، أقفر : صار قفراً ، هوج جمع أهوج ، الريح تعصف بشدة هابي الترب : سافيه ، موار يجيء ويذهب (٦) سراة اليوم: وسطه. والأمون، الناقة القوية المأمونة (٧) استعجمت : عيت الجواب ٨ ألوذ به : أفزع إليه ، الثمام : نوع من النبت الدقيق الضعيف (٩) أمر العيش إمراراً صار مراً (١٠) الحبائل: جمع حبالة وهي الشرك، أقصر: كف وانصرف (١١) العماية الضلالة والطور الحال ويخلق يتغير (١٢) ريع من الروع وهو الفزع ، والحين : الهلاك.

تلوثُ بعد افتضال البرد مئزرها   لوثاً على مثل دِعْص الرملة الهاري ١
والطيب يزداد طيباً أن يكون بها   في جيد واضحةِ الخدّين معطار ٢
تسقي الضجيعَ إذا استسقى بذي أشر   عذب المذاقة بعد النوم مخمار ٣
كأن مشمولة صرفاً بريقتهــا   من بعدِ رقدتها أو شهد مُشتار ٤
أقولُ والنجمُ قد مالت أواخرُهُ   إلى المغيب : تثبّتْ نظرةً حارِ ٥
ألمحةٌ من سنا برقٍ رأى بصري   أم وجهُ نعم بدا لي أم سنا نار
بل وجهُ نعم بدا والليل مُعتكرٌ   فلاح من بين أثوابٍ وأستار
إنّ الحمول التي راحتْ مُهَجِّرة   يتبعْنَ كلّ سفيه الرأي مغيار ٦
نواعمٌ مِثل بيضاتٍ بمحنيــة   يحفزنَ منه ظليماً في نقاً هار ٧
إذا تغنى الحمامُ الوُرقُ هيّجني   وإنْ تغرّبت عنها أم عمّار ٨
ومهمه نازحٍ تعوي الذئابُ به   نائي المياه عن الوُرّاد مقفار ٩
جاوزْتهُ بعلنداةٍ مناقَــلةٍ   وعر الطريق على الإحزان مضمار ١٠
تجتابُ أرضاً إلى أرض بذي زجل   ماض على الهول هاد غير محيار ١١

(١) تلوث تلف وافتضال البرد هو التوشح به : والدعص : الكثيب الصغير والهاري : المنهار (٢ الجيد العنق . معطار : كثير العطر ووضوح الخد إشراقه (٣ الأشر حسن الثغر وتحريز أطرافه مخمر عطر تقول وجدت خمرة الطيب أي رائحته (٤) المشمولة الخمر والصرف الخالصة ، والريقة : الريق. والمشتار : الذي ينزع العسل من بيوت النحل (٥ حار مرخم حارث (٦) الحمول: الهوادج ويريد بها النساء راحت مهجرة سارت وقت الهجير ، مغيار: غيور (٧ المحنية والمحنو: منعطف الوادي ٨ الورق: جمع ورقاء، وهي الحمامة تألف الشجر الوريق. وأم عمار واقعة موقع البدل من الضمير في (عنها) ٩) المهمه، الوادي الموحش، نازح: بعيد. الوراد ، جمع وارد مقفار : لا أنيس به (١٠) علنداة : شديدة وهو وصف للناقة ، مناقلة : سريعة نقل القوائم في جري بين العدو والخبب . الإحزان : المشي في الحزن ، وهو ما صلب من الأرض . مضمار : كثير الضمور (١١) تجتاب : تقطع وتجوب ، الزجل : الصوت ، محيار : شديد الحيرة .

إذا الرُكاب ونت عنها ركائبها تشذّرت ببعيد الفتر خطّار ١
كأنما الرَحلُ عنها فوق ذي جدَد ذب الرّياد إلى الأشباح نظّار ٢
مطرَّد أفردت عنه حلائله من وحش وجرة أو من وحش ذي قار ٣
مجرّس وَحَدٌ جأب أطاع له نبات غيث من الوسمي مبكار ٤
سراته ما خلا لبانه لهقٌ وفي القوائم مثل الوشم بالقار ٥
باتت له ليلةٌ شهباءُ تسفعه بحاصب ذات إشعان وإمطار ٦
وباتَ ضيفاً لأرطاةٍ وألجأهُ مع الظلام إليها وابل سار ٧
حتى إذا ما انجلت ظلماء ليلته وأسفر الصبحُ عنه أيَّ إسفار
أهوى له قانصٌ يسعى بأكلبه عاري الأشاجع من قناص أنمار ٨
محالفُ الصيدِ هبّاشٌ له لَحَم ما إن عليه ثيابٌ غير أطمار ٩

(١) ونت : من الونى ، وهو الضعف . تشذرت : نشطت . الفتر : الضعف . خطار كثير الخطران برجليه على الناقة يحثها على المضي (٢) ذو الجدد : هو ثور الوحش تعلو ظهره خطوط بيض وحمر . والذب : الدفع ، والرياد والارتياد التجول ، ٣) مطرد : مشرد ، ووجرة وذو قار موضعان ، والوحش إذا أفردت عنه حلائله جن وأكثر من العدو في أرجاء الفضاء ٤) مجرس : خائف وذلك أن يسمع جرس الانسان أي صوته – وحد : وحيد . جأب صلب شديد تطاع له الكلأ وأطاع : إذا اتسع وأمكن رعيه حيث شاء .. الوسمي : أول المطر . ومثله المبكار (٥ سراته ظهره ، لبانه : صدره ، لهق : أبيض ، القار : شيء أسود تطلى به السفن (٦ ليلة شهباء ويوم أشهب : تهب فيها ريح باردة – تسفعه . تلفعه وترميه . والحاصب الريح تقذف بالحصباء وهي الحصى ٧) الأرطاة : شجرة مرة والوابل المطر الغزير ، والساري يسح بالليل ٨) أهوى له : انقض عليه ، أكلبه : كلابه الأشاجع : أصول الأصابع التي تتصل بعصب ظاهر الكف . وعريها محمود في الرجال ، أنمار اسم لقبيلة مشهورة بالصيد (٩ هباش : كثير الهبش وهو الكسب يتكسب لهم ومعه هباشات ، أي مكاسب أطمار جمع طمر : وهو الثوب الخلق .

يسعى بغضب براها فهي طاوية ٌ طول ارتحال بها منه وتَسْيار ١
حتى إذا الثورُ بعد النفر أمكنه أشلى وأرسل غطفاً كلها ضار ٢
فكرّ محمية من أن يفر كما كرّ المحامي حفاظاً خشية العار ٣
فشكّ بالروق منه صدرُ أولها شكّ المشاعب أعشاراً بأعشار ٤
ثم انثنى بعدُ للثاني فأقصده بذات ثغر بعيد القعر نعّار ٥
وأثبت الثالث الباقي بنافذة من باسل عالم بالطعن كرّار ٦
وظل في سبعة منها لحقن به يكرُّ بالروق فيها كر إسوار ٧
حتى إذ ما قضى منها لُباناتهُ وعاد فيها بإقبال وإدبار ٨
انقض كالكوكب الدريّ منصلتاً يهوي ويخلط تقريباً بإحضار ٩
فذاك شِبهُ قلوصي إذ أضرّ بها طول السُّرى والسّرى من بعدأ فار ١٠
لقد نهيت بني ذبيان عن أقر وعن تربّعهم في كل أصفار ١١
فقلت يا قوم إن الليث منقبضٌ على براثنه لوثبة الضاري ١٢
لا أعرفن رَبرَباً حوراً مدامعُها كأنهنّ نعاجٌ حولَ دَوّار ١٣

---

(١) الغضب : جمع أغضب، وهو اللين الناعم . طاوية جائعة (٢) النفر :العدو. أشلي . تقول أشلي: وتقول أشليت الكلب للصيد (٣) محمية .حفاظ والمحامي الذائد والمدافع (٤) الروق القرن ، المشاعب: الذي يشعب القدح ويصدعه (٥) أقصده. رماه بذات ثغر : أي بطعنة ذات ثغر والثغر هنا الشق، بعيد القعر بعيد الغور. نعار له نعير (٦) نافذة أي ماضية . باسل: من البسالة وهي الشجاعة (٧) الإسوار الرامي الحاذق! (٨) لبانته : حاجته (٩) منصلتاً: الانصلات هو المضي في سرعة (١٠) القلوص: الناقة والسرى: السير بالليل (١١) أقر: واد خصيب حماه النعمان. وبنو ذبيان قوم النابغة (١٢) منقبض على برائنه متحفز للوثوب وثبة الأسد الضاري (١٣) الربرب القطيع من البقر شبه بـه النساء حور جمع حوراء ، من الحور وهو شدة بياض العـين مع شدة سواد سوادها والمدامع: العيون.. والنعاج يريد بها هنا أيضاً النساء ودوار : صنم كن يطفن حوله .

ينظرنَ شزراً لي مَن جاء عن عُرض ... بأوجه منكرات الرق أحرار ١
خلفَ العضاريط لا يوقين فاحشة ... مستمسكات بأقتاب وأكوار ٢
يذرفن دمعاً على الأشفار منحدراً ... يأملن رحلة حصن وابن سيّار ٣
إما عُصيت فإني غيرُ منفلت ... مني اللصابُ فجنبا حرّة النار ٤
إذ أصنع البيت في سوداء مظلمة ... تقيدُ العير لا يسري بها الساري ٥
تدافع الناس عنّا حين نركبها ... من المظالم تدعى أم صبّار
ساق الرفيدات من جَوْش ومن خَرَدٍ ... وماش من رهط ربعيٍّ وحجّار ٦
قرمي قضاعة حلاً حولَ حجرَته ... مدّا عليه بسلاف وأنفار ٧
حتى استقل بجمع لا كفاء له ... ينفي الوحوش عن الصحراء جرار ٨
لا يخفضُ الرزّ عن أرض ألم بها ... ولا يضل على مصباحه الساري ٩
وعيّرتني بنو ذبيان خشيته ... وهل عليّ بأن أخشاك من عار

(١) النظر الشزر هو النظر في إعراض بمؤخر العين كنظر المباغض،العرض: الجانب منكرات الرق أحرار صفة للنساء يرميهن السبي بالعبودية (٢) العضاريط: الخدم،لايوقين فاحشة يريد أن السبي عرضهن للمنكر أي الفحشاء الأقتاب: جمع قتب : وهو عود الرحل والأكوار الرحال (٣) الأشفار منابت الهدب (٤) اللصاب : جمع لصب وهو الشعب الضيق من الجبل والحرة : أرض ذات حجارة سود نخرت كأنها حرقت بالنار (٥) سوداء مظلمة وصف لحزة النار . تقيد العير تمنعه من المشي (٦) الرفيدات ، بنو رفيدة من كلب بن وبرة جوش: جبل ببلاد بني القين ، ربعي وحجار رجلان من قضاعة (٧) قرمي قضاعة. صفة لربعي وحجار والمراد الرجل القوي المتين . حلا : نزلا ، مدا عليه : أمداه السلاف : من يتقدمون العسكر والأنفار : من يتكون الجيش من أفرادهم .

(٨) استقل : نهض : لا كفاء له ، لا نظير له ، والجرار الجيش الكثير كأنه يجر بعضه بعضاً .

(٩) الرز : الصوت. ألم نزل يعني أنه لا يهاب أرضاً ينزل بها حتى يخفض صوته

(٣) زهير بن أبي سلمى المزني المضري

هو زُهير بن أبي سلمى : واسمه ربيعة بن رياح المزني ثالث فحول الطبقة الأولى من الجاهلية ، وأعفهم قولاً ، وأوجزهم لفظاً ، وأغزرهم حكمة ، وأكثرهم تهذيباً لشعره .

نشأ في غطفان وإن كان من مزينة ، من بيت جل أهله شعراء ، رجالاً ونساء ، واختص زهير بمدح هرم بن سنان الذبياني المري ، وأول ما أعجبه من فعله وحبب إليه مدحه حسن سعيه هو والحارث بن عوف في الصلح بين عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى التي بلغت ثلاث آلاف بعير ، وقال في ذلك قصيدته ، وهي إحدى المعلقات السبع .

ثم تابع مدحه كما تابع هرم عطاءه حتى حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه عبداً أو وليدة أو فرساً ، فاستحيا زهير منه ، فكان إذا رآه في ملأ قال : أنعِموا صباحاً غير هرم ، وخيركم استثنيت . وكان زهير سيداً كثير المال حليماً معروفاً بالورع ، متديناً مؤمناً بالبعث والحساب ، كما يبدو من قوله :

فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع في كتاب فيدخرْ ليوم حساب أو يعجل فينقم

وَعمّرَ زهير ، ومات قبل البعثة بسنة .

وكان زهير صاحب روية وتعمل وتهذيب لما يقول ، ولاسيما مطولاته ، حتى قيل : إنه كان ينظم القصيدة في أربعة أشهر ، ويهذبها في أربعة أشهر ، ويعرضها على خواصه في أربعة أشهر ، فلا يظهرها إلا بعد حول ، ولذلك يسمون بعض مطولاته الحوليات ، ومما سبق فيه غيره قوله يمدح هرماً

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرُقا
من يلق يوماً على علاته هرماً يلقَ السماحةَ منه والندى خُلقا
لو نال حيٌ من الدنيا بمكرمة أفقَ السماء لنالت كفه الأفقا

وشعره يمتاز أولاً بحسن الإيجاز وحذف فضول الكلام وحشوه ، بحيث يودعُ اللفظ اليسير المعنى الكثير .

وثانياً بإجادة المدح وتجنب الكذب فيه .

وثالثاً بتجنب التعقيد اللفظي والمعنوي، والبعد من وحشي الكلام وغريبه .

ورابعاً بقلة الهذر والسخف في كلامه ، ولذلك كان شعره عفيفاً يقلُّ فيه الهجاء ولقد هجا قوماً فأوجع ، ثم ندم على ما صنع .

ومن أشهر المعلقات والمطولات أيضاً :

مُعلقة زُهير بن أبي سلمى

أمِنْ أمّ أوفى دمنةٌ لم تكلم بحومانة الدرّاج فالمتثلم ١
ديارٌ لها بالرّقمتين كأنها مراجيعُ وشم في نواشر معصمِ ٢
بها العينُ والآرامُ يمشينَ خلفةً وأطلاؤها ينهضنَ من كل مجثم ٣
وقفتُ بها منْ بعد عشرينَ حجة فلأياً عرفتُ الدارَ بعدَ توهمِ ٤
أثافيَّ سفعاً في معرّس مرجل ونُؤْياً كجذم الحوْض لم يتثلمِ ٥
فلما عرفتُ الدارَ قلت لربعها ألا انعِم صباحاً أيها الربعُ واسلمِ
تبصر خليلي هلْ ترى من ظعائن تحملنَ بالعلياء من فوق جرثمِ ٦

(١) أم أوفى امرأة زهير . ودمنة الدار : الأثر . لم تكلم : لم تظهر أي ، أمن دمن . أم أوفى دمنة لم تتكلم . وحومانة الدراج موضع . وكذلك المتثلم .
(٢) الرقمتان : اسم مكان ، مراجع الوشم : خطوطه ، ونواشر المعصم : عروقه
(٣) العين : البقر ، والآرام : الظباء وأطلاؤها : أولادها . والمجثم المكان الذي يقمن فيه يمشين خلفه : فوجاً بعد فوج وسرباً بعد سرب .
(٤) حجة : سنة (٥) الأثافي : الحجارة توضع عليها القدر . سفع : سود . ومعرس المرجل : الموضع الذي يكون فيه . والنؤي : ما يحفر حول الخيام لمنع السيل . جذم الحوض أصله . لم يتثلم لم يتكثر (٦) الظعائن . الجمال عليها الهوادج : العليا وجريم : موضعان والتحمل الارتحال .

جعلنَ القنانَ عن يمين وحزْنَهُ وكم بالقنان مِن محلٍّ ومحرمِ ١
علوْنَ بأنماط عتاق وكلة وِرادٍ حواشيها مُشاكِهة الدمِ ٢
ظهرْنَ منَ السوبان ثمّ جزَعنهُ على كل قيني قشيب ومُفأم ٣
ووركنَ في السوبان يعلو مَتنهُ عليهنّ دَلّ الناعِم المتنعمِ ٤
بكرْنَ بكوراً واستَحَرْنَ بسحرة فهن ووادي الرس كاليد للفمِ ٥
وفيهن ملهى للصديق ومَنظر أنيق لعين الناظر المتوسمِ
كأن فتات العهن في كل منزل نزلنَ به حب الفنا لم يحطم ٦
فلما وَردنَ الماء زرقاً جمامهُ وضعن عصيى الحاضر المتخيمِ ٧
تذكرني الأحلامُ ليلى ومن تطفْ عليه خيالاتُ الأحبة يحلمِ ٨
سعى ساعيان غيظ بن مرة بعدما تبزل ما بين العشيرة بالدمِ ٩
فأقسمتُ بالبيت الذي طاف حولهُ رجالٌ بنوه من قريش وجرهم ١٠
يميناً لنعم السيدان وجدتما على كل حال من سحيل ومبرم ١١

(١) القنان : اسم جبل . الحزن ما غلظ من الأرض (٢) الأنماط : ثياب تفرش بها الهوادج . وعتاق : جيدة الحوك . والكلة : الستارة الناموسية ،وراد موردة ، مشاكهة مشابهة (٣) السوبان : اسم واد جزعنه قطعنه قشيب : جديد مفأم : واسع (٤) وركن في السوبان . عرجن عليه ، متنه ظهره (٥) استحرن : سرين سحراً ، كاليد للفم : يريد أنهن في قربهن من وادي الرس كاليد للفم ؛ لأنها لا تخطئه في قربها منه (٦) العهن : الصوف ، الفنا : شجر له حب أحمر وفيه نقط سود (٧) جمام الماء : ما اجتمع منه والجمام الزرق المياه الصافية ووضع العصيى كناية من ترك السير . الحاضر : النازل على الماء ،المتخيم ؛ المقيم . (٨) في كتاب مدامع العشاق بحث مفصل عما قاله الشعراء في طيف الخيال . (٩) الساعيان في هذا الصلح هما الحارث بن عوف وهرم بن سنان وإليهما يوجه زهير الثناء (١٠) البيت هو الكعبة وجرهم اسم لقوم كانوا ولاة البيت قبل قريش وأبادهم الله لبغيهم (١١) السحيل : الخيط المفرد المبرم المفتول ،والسحيل هنا والمبرم كناية عن الرخاء والشدة .

تَداركتُما عَبْساً وذُبْيانَ بعدَ ما ... تفانَوا ودقّوا بينهم عِطرَ مَنشَمِ ١

وقد قُلتُما : إن نُدرِكِ السِّلْمَ واسعاً ... بمالٍ ومعروفٍ مِنَ الأمرِ نَسلمِ ٢

فأصبحتُما منها على خيرِ مَوطِنٍ ... بعيدَيْنِ فيها من عُقوقٍ ومَأثَمِ ٣

عظيمَيْنِ في عَليا مَعَدٍّ هُديتُما ... ومَنْ يستبِحْ كنزاً مِنَ المجدِ يَعظُمِ

وأصبحَ يُحْدَى فيهمُ مِنْ تِلادِكم ... مغانمُ شتّى من إفالٍ مُزَنَّمِ ٤

تُعَفّى الكلومُ بالمئينَ فأصبحت ... يُنجِّمُها مَنْ ليسَ فيها بمُجرِمِ ٥

يُنجِّمُها قومٌ لقومٍ غَرامةً ... ولمْ يُهريقوا بينهم مِلْءَ مِحْجَمِ ٦

ألا أبلِغِ الأحلافَ عَني رِسالةً ... وذُبيانَ هل أقسَمْتُمُ كلَّ مَقسَمِ ٧

فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في صُدورِكم ... ليخفى ، ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ

يُؤخَّرْ فيُوضعْ في كتابٍ فيُدَّخَرْ ... ليومِ حسابٍ أو يُعَجَّلْ فيُنْقَمِ

وما الحربُ إلا ما علمتم وذُقتمو ... وما هوَ عَنها بالحديثِ المرَجَّمِ

متى تبعثوها تبعثوها ذَميمةً ... وتَضرى إذا ضَرَّيْتُموها فتَضْرَمِ ٨

فتعرُكْكُمُ عَرْكَ الرَّحى بنقالها ... وتلقحْ كِشافاً ثمّ تُنتِجْ فتُتْئِمِ ٩

---

(١) منشم : امرأة تبيع عطراً . فإذا حاربوا اشتروا منها كافوراً لموتاهم

(٢) واسعاً خالصاً من شوائب الأحقاد .

(٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأثم الإثم . وهو العدوان .

(٤) يحدى : يساق . إفال : جمع أفيل وهو الفصيل . مزنم : معلم .

(٥) تعفى : تمحى ، الكلوم الجروح ، ينجمها . يؤديها أقساطاً .

(٦) المحجم : وعاء يتلقى فيه الحجام الدم عند الفصد .

(٧) أي : هل حلفتم لا تعملون شيئاً ينقض ما تحالفتم عليه .

(٨) يقال ضريته فضرى : أي هجته فهاج . تضرم : تشتعل

(٩) النقال : جلد يبسط تحت الرحى عند الطحن .

فتنتج لكم غلمان أشأمَ كلّهم ... كأحمر عاد ثمّ ترضع فتفطم ١
فتغللْ لكم ما لا تُغلّ لأهلها ... قُرًى بالعراق من قفيز ودرهم ٢
لحيٍّ حلالٍ يعصم النّاس أمرهم ... إذا طرقت إحدى الليالي بمُعظم ٣
كرامٍ فلا ذو الضِّغن يُدرك نبلهُ ... ولا الجارم الجاني عليهم بمُسلم ٤
رعوا ما رعوا من ظِمئهم ثم أوردوا ... غماراً تفرّى بالسّلاح وبالدم ٥
فقضّوا منايا بينهم ثمّ أصدروا ... إلى كلإٍ مستوبِلٍ متوخّم ٦
لعمري لنعم الحيّ جرّ عليهمُ ... بما لا يُؤاتيهم حُصَينُ بن ضمضم
وكان طوى كشحاً على مُستكنّة ... فلا هو أبداها ولم يتجمجمِ ٧
وقال سأقضي حاجتي ثم أتّقي ... عدوّي بألفٍ من ورائي مُلجَم ٨
فشدّ ولم ينظر بيوتاً كثيرةً ... لدى حيث ألقت رحلها أمُّ قشعم ٩
لدى أسد شاكي السّلاح مُقذّف ... له لبدٌ أظفاره لم تُقلّم ١٠
جريءٍ متى يُظلم يُعاقب بظلمه ... سريعاً وإلا يُبدَ بالظلم يَظلم

(١) غلمان أشأم : غلمان شؤم . وأحمر عاد : هو عاقر الناقة .
(٢) القفيز اسم مكيال .
(٣) حي حلال : حالون في مكان واحد متجاورون يعصم الناس أمرهم يسلم الناس برأيهم . والمعظم : الحادث الرهيب .
٤) النبل : الثأر ، الجارم : المجرم .
(٥ الظمأ الهدنة بين الحربين والغمار : جمع غمر ، وهو الماء الكثير ، تفرى : انفجر .
٦ الكلأ : العشب ، أصدروا : رجعوا ، مستوبل متوخم : مستثقل مردوم .
(٧) الكشح : الجنب ، مستكنة : مضمرة .
(٨) ألف ملجم : يريد ألف فارس ألجموا خيولهم .
٩ لم ينظر : لم ينتظر ، والبيوت الكثيرة ، قومه وأنصاره ، يريد أنه لم يستعن بأحد ، وأم قشعم : هي المنية .
(١٠ شاكي السلاح : شاهر السلاح . مقذف به كثيراً إلى الحروب ، لبد الشعر : اللبد على منكبي الأسد .

لعمرُك ما جرَّتْ عليهمْ رِماحُهُم   دمَ ابن نهيك أو قتيلِ المُثَلَّم
ولا شاركوا في القوم في دمِ نوفل   ولا وَهَبٍ منهم ولا ابن المُخَزَّم
فكلاً أراهم أصبَحوا يَعقِلونَهُ   عُلالة ألف بعدَ ألف مُصتَّم
ومَنْ يَعصِ أطرافَ الزِّجاج فإنه   يُطيعُ العوالي رُكِّبت كلَّ لهذم[1]
ومَنْ يوفِ لا يُذمَمْ ومن يفضِ قلبه   إلى مُطمئن البرِّ لا يَتَجَمْجَم
ومنْ هابَ أسبابَ المنايا ينلنه   ولو رام أسباب السَّماء بسلَّم
ومنْ يَكُ ذا فضلٍ فيبخلْ بفَضْله   على قومِه يُستَغنَ عنه ويُذمَم
ومنْ لا يَزل يسترحل الناس نفسه   ولا يُعفِها يوماً من الذل يندم
ومنْ يغترب يَحسَب عدُوّاً صديقه   ومَنْ لا يُكرِّم نفسهُ لا يُكرَّم
ومنْ لا يذُدْ عن حوضه بسلاحه   يُهدَّم ومَنْ لا يظلم الناس يُظلَم[2]
ومنْ لم يصانِعْ في أمور كثيرة   يُضَرَّس بأنياب ويُوطأ بمنسم[3]
ومن يجعل المعروف من دون عرضه   يفرهُ ومن لا يتّقِ الشتم يشتم
ومهما تكن عند امرىء من خليقة   وإن خالها تخفى على الناس تُعلم
وكائن ترى من صامت لك مُعجِب   زيادته أو نقصُه في التكلم
لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادُهُ   فلم يبق إلا صورةُ اللحم والدم
وإن سفاهَ الشيخ لا حلم بعده   وإنّ الفتى بعدَ السَّفاهة يحلُمُ
سئمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يعش   ثمانينَ حولاً لا أبا لكَ يسأم

---

(١) الزجاج أسفل الرمح ، والعوالي : جمع عالية . وهي أعلاه اللهذم : السنان الطويل والمعنى : من عصى زجاج الرمح وهي لا تقتل ،أطاع عواليه وهي قتالة . أي من لم يطع باللين أطاع بالشدة .

(٢) الذود : هو الدفع ، ومن لا يظلم يظلم : يريد به أنه من طمع الناس أن يبطشوا بالضعيف وأن يظلموا من لا يقدر على الظلم يعني من لم يدفع الظلم بمثله يظلم .

(٣) المصانعة : المداراة ، يضرس يمضغ بالأضراس . والمنسم الحافر

وأعلمُ ما في اليومِ والأمسِ قبلَه ولكنني عن علم ما في غدٍ عَمِ
رأيتُ المنايا خَبْطَ عشواءَ مَن تُصِب تُمِتْه ومن تُخطِىء يُعَمَّرْ فيهرم
سألْنا فأعطيتم وعُدْنا فعُدتم ومَن يُكثر التسآلَ يوماً سيُحرَم

(٤) عنترة العبسي

هو عنترة بن عمرو بن شدّاد العَبْسي أحد فرسان العرب وأغربتها وأجوادِها وشُعرائها المشهورين بالفخر والحماسة .

وكانت أُمُّهُ أَمَةً حبشية تسمّى زَبيبة ، وأبوه من سادات بني عَبْس

وكان من عادات العرب ألا تُلحق ابن الأمَة بنسَبِها ، بل تجعله في عِداد العبيد ، ولذلك كان عنترة عند أبيه منبوذاً بين عبدانه ، يَرْعى له إبله وخيله فرَباً بنفسه عن خصال العبيد ، ومارس الفروسية ومهرَ فيها ، فشبَّ فارساً شجاعاً هماماً ، وكان يكره استعباد أبيه له وعدم إلحاقه به ، حتى أغار بعضُ العرب على عَبْس ، واستاقوا إبلَهم ، ولحقتهم بنو عَبْس ، وفيهم عنترةُ لاستنقاذ الإبل ، فقال له أبوه : كِرّْ يا عنترة ، فقال : العبدُ لا يحسن الكَرّ ، إنما يحسنُ الحِلابَ والصر ، فقال ، كِرّْ وأنت حُرٌّ ، فقاتل قتالاً شديداً ، حتى هَزم القوم واستنقذ الإبل ، فاستلحقه أبوه ، ومن ذلك الوقت ظهر اسمهُ بين فرسان العرب وساداتها .

وطال عُمر عنترة حتى ضَعُف جسمه ، وعجز عن شنّ الغارات ، ومات قُبيل البعثة .

شعره — لم يشتهر عنترة أول أمره بشعر غير البيتين والثلاثة ، وإنما غلبت عليه الفُروسية مكتفياً بها حتى عيّرَه يوماً بعضُ قومه بسواده وأنه لا يقول الشعر فاحتج لسواده بخلقه وشجاعته ، واحتجّ لفصاحته بنظم مُعلقته المشهورة التي كانت تسمى المُذَهّبة أيضاً ، وقد ضمّنها خصاله ومكارم قومه ، وحُسْن دفاعه عنهم ووفرة جُوده معرّجاً فيها على أوصاف أمور شتى ، وهي من أجمل المعلّقات .

معلقة عنترة العبسي

هل غادرَ الشعراءُ من متردَّم ؟ أم هل عرفت الدار بعد توهُّم؟[١]
يا دار عبلةَ بالجـواءِ تكلمي وعمي صباحاً دار عبلة واسلمي[٢]
دارٌ لآنسةٍ غضيض طرفُها طوْعِ العنانِ لذيذة المتبسمِ
فوقفتُ فيها ناقتي وكأنها فدنٌ – لأقضي حاجة المُتلوِّم[٣]
وتحلُّ عبلةَ بالجواء وأهلُنـا بالحزنِ فالصمّان فالمتثلمِ[٤]
حُيِّيتَ مِن طلل تقادم عهدُهُ أقوى وأقفر بعد أم الهيثم[٥]
حلت بأرض الزائرين فأصبحت عسِراً عليَّ طلابك ابنة مخرم[٦]
علقتها عرَضاً وأقتـلُ قومها زعماً لعمر أبيك ليس بمزعم[٧]
ولقد نزلت، فلا تظني غـيره، مني بمنزلة المحبِّ المكرم[٨]
كيفَ المزارُ وقد تربـع هلها بعنيزتين وهلُنا بالغَيْلَم[٩]
إنْ كنتِ أزمعتِ الفراق فإنما زُمَّت ركابُكم بليل مظلم[١٠]
ما راعني إلا حَمولة أهلها وسطالديارِ تسفُّ حَبَّ الخمخِم[١١]

(١) غادر: ترك، متردم: أي شيء يصلح لم يكونوا أصلحوه ٢ الجواء: بلد، تكلمي: أفصحي وأخبري وعمي وأنعمي أي نعم الله صباحك وأدامك سالمة (٣) الفدن القصر، والمتلوم المترقب المنتظر، وعنى بالمتلوم نفسه. ٤ تحل: تترك والصوان والصمان بمعنى واحد وهو مكان معروف عند العرب (٥) حييت لك مني التحية، من طلل: المكان تقادم عهده، أقوى: خلا من السكان، أقفر: خرب، الهيثم: الصقر (٦) الزائرين: بالهمزة الأعداء والزاير بالياء من الزيارة للأحباب والاصدقاء ٧ علقتها: أحببتها، عرضاً: من غير قصد، زعماً: طمعاً (٨) نزلت: حلت من نفسي منزلة المحب المكرم (٩) تربـع القوم: نزلوا في الربيع، والعنيزتان والغيلم: موضعان. يقول كيف أزورها وقد بعدت عني بعد قربها (١٠) أزمع: نوى وصمم، زمت الركاب: شدت.
(١١) راعني أفزعني والحمولة: الإبل، تسف حب الخمخم: تأكل بقلة لها حب أسود إذا أكله الغنم قلت ألبانها وتغيرت.

فيها اثنتانِ وأربعون حلوبة سوداً كخافيةِ الغراب الأسحم ١
إذ تستبيك بذي غُروب واضح عذبٍ مقبّلهُ لذيذ المطعم ٢
وكأن فارة تاجرٍ بقسيمة سبقت عوارضها إليك من الفم ٣
أو رَوْضة أُنُفاً تَضَمّن نبتُها غيثٌ قليل الدمْن ليس بمعلم ٤
جادتْ عليه كلُّ بِكْرٍ حُرّة فتركْنَ كلّ قرارة كالدرهم ٥
سحّاً وتسكاباً فكلُّ عشيّة يجري عليها الماءُ لم يتصرّم ٦
وخلا الذباب بها فليس ببارح غرداً كفعل الشارب المترنم ٧
هزجاً يحك ذراعهُ بذراعه قدح المكب على الزناد الأجذم ٨
تمسي وتصبحُ فوق ظهر حَشيّة وأبيتُ فوق سَراة أدهم مُلجم ٩
وحشيتي سَرْجٌ على عبل الشوى نهد مراكِلُه نبيل المحزم ١٠
هل تُبلغني دارها شدنية لعِنت بمحروم الشراب مُصرّم ١١

---

(١) الحلوبة : الناقة في ضرعها لبن، الأسحم : شديد السواد (٢) تستبيك: تذهب بعقلك ، غروب : حد ، وغروب الأسنان حدها (٣) فارة : الفارة هنا وعاء (٤) الروضة : الحديقة ، والأنف: التام في كل شيء ، والدمن: المطر الخفيف، والمعلم ذو العلامة (٥) البكر : السحابة في أول الربيع وفي عادتها أن لا تمطر (٦) لم يتصرم : لم ينفد ولم ينقطع وخص مطر العشي لأنه أكثر مايكون صيفاً (٧) خلا : انفرد ، ببارح : أي بتارك ، غرداً : مترنماً والتغريد : الترنيم
(٨) الهزج سريع الصوت ، يحك ذراعه أي يمر إحداهما على الأخرى قدح المكب : الذي أكب على الزناد يقدحه على التوالي: الأجذم الزناد القصير ، وكلها نعوت لغناء الذباب وترنيمه فوق الغدير (٩) الحشية :الفراش المحشو، يعني أن حبيبته تمسي وتصبح مستريحة ناعمة ، وأما هو فيبيت فوق ظهر جواده حارساً لها ومدافعاً عن القبيلة (١٠) حشيتي : فراشي ، سرج : السرج ما يوضع على الجواد . عبل : غليظ ، الشوى : القوائم يريد جواده .
(١١) تبلغني : توصلني ، دارها : منزلها ومقامها .

خَطارةٌ غِبَّ السُّرى زَيّافة تطسُ الإكام بذاتِ خُفٍ مِيثَم ١
وكأنما أقِصُ الإكام عشيــة بقريب بين المنسمين مُصَلّم ٢
تأوي لهُ قلصُ النعام كما أوت حزَقٌ يَمانيةٌ لأعجمَ طِمْطم ٣
يَتبَعْنَ قلة رَأسِهِ وكأنــهُ حَرَجٌ على نعش لهن مُخيّــم ٤
صعل يَعودُ بذي العشيرة بيضهُ كالعَبد ذي الفَرْوِ الطويل الأصلم ٥
شربت بماء الدُّحْرُضين فأصبحت زَوْراءَ تنفرُ عن حياض الديلم ٦
وكأنما تنأى بجانبِ دَفّها الوَحشي من هَزجِ العَشيِّ مؤوّم ٧
هِرٌ جَنيبٌ كلمــا عطفت لهُ غضبى ألقاها باليدين وبالفم ٨

(١) خطارة : تحرك ذنبها وترفعه وتضرب به حاديها : غب السرى : أي بعد السرى زيافة تسرع في مشيها (٢) أقص : أكثر، والآكام المرتفع من الأرض، النسمان : الظفران المقدمان في الخف ، مصلم : مقطوع الأذنين .
(٣) تأوي: ترجع وتسكن، قلص: جمع قلوص وهي الناقة الشابة، حزق: جماعات
(٤) يتبعن : يحطن به ، قلة الرأس : أعلاه ، والحرج سرير يحمل عليه المريض أو الميت .
(٥) صعل : صغير الرأس دقيق العنق، يعود: يأتي إلى بيضه، ذو العشيرة : اسم مكان شبه ذكر النعام بالعبد الأسود عليه فروة طويلة .
(٦) الدحرضان: اسم مورد من موارد الماء زوراء : عوجاء مائلة من النشاط . والديلم الأعداء . والمعنى أنها تجافت عن الحياض لخوفها منها .
(٧) ينأى : يبعد ، والدف ؛ الجنب ، والوحشي : الجانب الأيمن من البهائم . وسمي الجانب الأيمن وحشياً لأنه لا يركب منه الراكب ولا يحلب منه الحالب. هزج العشي ؛ صوت الهر الذي يخدشها لأن السنانير أكثر ما تصيح في العشيات والمؤوم ؛ عظيم الرأس . (٨) هر جنيب : مجنوب كلما مالت له غاضبة اتقاها وردها باليدين وبالفم . والمعنى أنها كثيرة النشاط في ساعة العشي وهي ساعة الفتور عند سواها من الإبل فكأنها من نشاطها يخدشها هر تحت إبطها

أبقى لها طولُ السفار مُقَرْمداً — سنداً ومثلَ دعائم المتخيِّمِ ١
بَرَكتْ على ماء الرداع كأنما — بركت على قصب أجش مُهَضَّم ٢
وكأن ربًّا أو كُحَيلاً معقداً — حش الوقود به جوانبَ قمقم ٣
ينباع من ذفرى غضوب جسرة — زَيّافة مثل الفنيق المكدَمِ ٤
إن تغدفي دوني القناع فإنني — طبٌّ بأخذ الفارس المستلئم ٥
أثني علي بما علمت فإنني — سهل مخالقتي إذا لم أظلم
وإذا ظُلمتُ فإنّ ظلمي باسلٌ — مُرٌّ مذاقتُه كطعم العلقمِ
ولقد شربتُ من المدامة بعدما — ركد الهواجرُ بالمشوف المعلم
بزجاجة صفراء ذات أسرّة — قرنت بأزهرَ في الشمال مُفَدَّم ٦
فإذا شربت فإنني مُستهلكٌ — مالي ، وعرضي وافرٌ لم يكلم ٧
وإذا صحوتُ فما أقصر عن ندى — وكما علمت شمائلي وتكرمي ٨
وحليل غانية تركت مجندلاً — تمكو فريصته كشدق الأعلم ٩

(١) أبقى : ترك . طول السفار : طول السفر وامتداده ، والمقرمد : المبني بالآجر ، أراد به سنامها وقد أراد أنه تكمش وتماسك وصلب كما يتماسك الآجر وهو الحجارة الخشنة الملمس (٢) الرداع مورد لبني سعد ، الأجش : الذي في صوته خشونة ، المهضم ، المخرم ، وقيل الكسر ٣ الرب ما بقي من عصارة الثار . الكحيل القطران – معقداً أوقد تحته حتى انعقد .

(٤) ينباع : ينفعل ، والذافران : العظمان الناتئان خلف الأذنين ، زيافة : متبخترة في سيرها ، والفنيق الفحل من الإبل ، والمكدم : المعضض ، والكدم . العض ، وفي رواية المقرم

(٥) تغدفي : ترخي القناع على وجهك ، طب أي خبير حاذق والمستلئم : الذي لبس اللامة وهي الدرع ٦) الأسرة : الخطوط والطرائق التي وسطها – قرنت شدت بكأس أخرى ، أزهر : إبريق من فضة ، والمقدم المصطفى .

(٧) شربت : سكرت ، مستهلك : مستنفد .

(٨) صحا : أفاق من سكره (٩ الحليل : الزوج .

سبقت يَداي له بعاجل ضَرْبة ... ورشاش نافذة كلون العندم
هلا سألتِ الخيلَ يا ابنةَ مالك ... إنْ كنتِ جاهلة بما لم تعلمي
إذ لا أزالُ على رحالة سابح ... نَهْدٍ تعاوره الكماة مُكلم [1]
طوراً يُعَرّض للطعان وتارة ... يأوي إلى حصدِ القسي عَرمرم [2]
يخبرك مَنْ شهد الوقائع أنني ... أغشى الوغى وأعفّ عند المغنم
فأرى مغانم لو أشاءُ حويتها ... فيَصُدّني عنها الحيا وتكرّمي
ومُدجّج كَرِهَ الكماة نِزالَهُ ... لا مُمعن هرباً ولا مستسلم [3]
جادَتْ يداي له بعاجل طعْنة ... بمثقف صدق الكعوبِ مُقَوّم
برَحيبة الفرغين يهدي جَرْسُها ... بالليل مُعْتس الذئاب الضرّم [4]
فشككتُ بالرمح الأصم ثيابهُ ... ليس الكريمُ على القنا بمحرّم [5]
فتركته جَزَرَ السباع يَنُشْنَهُ ... ما بَينَ قُلّةِ رأسه والمِعْصمِ
ومِشَكّ سابغةٍ هتكتُ فروجها ... بالسيف عن حامي الحقيقة معلم [6]
رَبِذ يداه بالقِداح إذا شتا ... هتّاك غاياتِ التّجار ملوم [7]

---

(١) تعاوره : يطعنه ذا مرة وذاك أخرى . الكماة الشجعان، مكلم: مجروح
(٢) الحصد : الكثير المحكم . والقسي : جمع قوس ، والعرمرم : الشديد ، وقيل الكثير (٣) المدجج بالسلاح . كره الكماة نزاله : خافوا منه .
(٤) الرحيبة : الواسعة . جرسها : الصوت – والمعتس : المبتغي والطالب ، والضرم : الجياع (٥) فشككت : شققت ، ثيابه : درعه وقيل قلبه .
(٦) المشك : الدرع ، السابغة : السابلة أضافها لنفسها وهو جائز، هتكت: فضحت وكشفت ، فروجها : جمع فرجة الخرق النافذة ، الحقيقة الراية والمعلم ، الذي قد أعلم نفسه بعلامة في الحرب .
(٧) الربذ السريع الضرب بالقداح الحاذق في لعبها. إذا شتا : لأن القحط أكثر ما يأتي العرب في الشتاء .

لمَّا رآني قَدْ نزلتُ أريدُهُ أبدى نواجذَه لغيرِ تبَسُّمِ ١
فطَعَنْتُهُ بالرُّمح ثمَّ علوتُهُ بمهند صافي الحديدة مِخْذَمِ ٢
عهدي به مَدَّ النهار كأنما خُضِبَ البنانُ ورأسُهُ بالعِظلمِ ٣
بطل كأن ثيابهُ في سَرْحةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبتِ ليس بتوْأَمِ ٤
ولقد ذكرتُكِ والرماحُ نواهلٌ مني وبيضُ الهند تقطرُ من دَمي
فوَدَدْتُ تقبيلَ السيوفِ لأنها لَمعت كبارق ثغرك المتبسِّم
يا شاةَ ما قنَصٌ لمن حلَّت له حرُمتْ عليَّ وليتها لم تحرم ٥
فبَعثتُ جاريتي فقلت لها اذهبي فتجسَّسي أخبارها ليَ واعلمي
قالت ، رأيتُ من الأعادي غرة والشاة ممكنةٌ لمن هو مُرتَمِ
وكأنما التفتت بجِيدِ جدايةٍ رشاءٍ منَ الغِزلان حُرٍّ أرثمِ ٦
نُبئتُ عمراً غيرَ شاكرِ نعمتي والكُفْرُ مخبثةٌ لنفس المنْعمِ
ولقد حفِظتُ وصاةَ عمي بالضُّحى إذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
في حومة الحرب التي لا تشتكي غمراتِها الأبطالُ ، غيرَ تغمغم
إذ يتقون بي الأسنة لم أخِمْ عنها ولكني تضايق مقدمي ٧

(١) أبدى نواجذه الخ . كلح في وجهي فبدت أضراسه ٢) المخذم من الخذم وهو القطع ٣) خضب : طلى ـ والعظلم شجر أحمر (٤) بطل لأنه يبطل العظائم بسيفه . وقيل وهو الذي تبطل عنده دماء الأقران فلا يأخذ الناس منه أو ممن فعل في حماه ثأراً ـ والسرحة : شجرة لا ثمرة لها وإنما تستظل بها . وتعرف عند العرب بطول ساقها (٥) الشاة هنا المرأة ، وهو يعني جارته لأن من كانت له جارة فهي في حماه ، وكانت محرمة كالأم والأخت .

(٦) الجيد العنق ، والجداية بكسر الجيم وفتحها الظبية أتى عليها خمسة أشهر أو ستة . والرشأ : الغزال الصغير .

(٧) يتقون بي يجعلونني وقاية بينهم وبينها بأن يقدموني للموت . لم أخم : لم أجد تضايق : ضاق .

لما سمعتُ نداء مرةَ قد علا وابنيْ ربيعة في الغبار الأقتم ١
ومحلِّمٌ يسعونَ تحْتَ لوائهم والموتُ تحت لواء آل محلّم ٢
أيقنتُ أن سيكون عند لقائهم ضرب يطيرُ عن الفراخ الجثم
لما رأيت القوم أقبلَ جمْعهم يتذامرون كَرَرْتُ غير مُذَمّم
يدعون: عنترَ ، والرّماحُ كأنها أشْطانُ بئر في لبان الأدهم ٣
ما زلتُ أرميهم بغُرّة وجهه ولَبانِه حتى تسرْبل بالدم
فازْوَرّ من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتحمحم ٤
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ولكان لو علم الكلام مُكَلّمي
والخيلُ تقتحمُ الغبار عوابساً من بين شيظمة وأجرد شيظم ٥
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيلُ الفوارس «وَيْكَ» عنترَ أقدم ٦
ذُللٌ ركابي حيث شئتُ مُشايعي قلبي ، وأحفزُهُ بأمرٍ مُبرم ٧
ولقد خشيت بأن أموت ولم تكن للحرب دائرة على ابني ضمضم ٨
الشاتِمَي عرضي ولم أشتمهما والناذرين إذا لم ألقهما دمي

(١) النداء :الصياح،الأقتم الأسود الحالك ٢) هو ابن عوف الشيباني الذي يضرب به المثل في الوفاء والعزة يقال (لا حر بوادي عوف) . ٣) الأشطان جمع شطن وهو حبل البئر ، شبه الرمح به لطوله ، واللبان بالفتح ، الصدر . (٤) ازور : مال ، وشكا لو كان يستطيع الشكوى ، والعبرة بفتح العين، البكاء والإشفاق (٥) تقتحم : تخوض،والعوابس الكوالح، والشظم والأجرد: القصير الشعر (٦) ويك كلمة يقولها المتندم إذا ندم على ما فرط منه، ولكثرة استعمالها ألحقت بها الكاف ، وقيل وي) بمعنى أعجب أي عجباً لك يا عنترة (٧)ذلل، جمع ذلول ، والذلول من الإبل وغيرها سهلة القياد، وركابي ما أركبه ، وأحفزه، أدفعه والمبرم المحكم (٨ والدائرة: ما ينزل بالناس من بلوى ، وابنا ضمضم : هما هرم وحصين ابنا ضمضم ، المريان ، قتلهما ورد بن حابس العبسي ، وكان عنترة قتل أباهما ضمضما فكانا يتواعدانه .

إن يفعلا فلقد تركت أباهما جزَر السباع وكل نسر قشعم [١]

(٥) عمرو بن كلثوم التغلبي

هو أبو الأسود عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي ؛ وأمه ليلى بنت مهلهل أخي كليب . نشأ عمرو في قبيلة تغلب بالجزيرة الفراتية ،وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة ،وقاد الجيوش مظفراً ، وأكثر ما كانت فتن تغلب مع أختها بكر بن وائل بسبب حرب البسوس ، وكان آخر صلح لهم فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر . ولم تمض مدة حتى حدث بين وجوه القبيلتين مشاحنة في مجلس عمرو بن هند ، قام أثناءها شاعر بكر (الحـارث بن حلزة اليشكري) وأنشد قصيدته المشهورة ، وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر ،فانصرف ابن كلثوم وفي نفسه ما فيها ، ثم خطر في نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعـاه وأمه ليلى بنت مُهلهل وأغرى هنداً أمه أن تستخدمها في قضاء أمر ، فصاحت ليلى: واذلاه ،فثار به الغضب وقتل ابن هند في مجلسه ، ثم رحل توا إلى بلاده بالجزيرة ، وأنشد معلقته الآتية ، وعاش مائة وخمسين سنة - ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

شعره - لم يشتهر عمرو إلا بمعلقته الواحدة التي قامت له مقام الشعر الوفير لحسن لفظها ، وانسجام عبارتها وغلو فخرها ، ولعل شهرته بالخطابة تقل عن شهرته بالشعر الجيد ، ومن سامي الفخر البليغ :

معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي

ألا هُبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا [٢]

(١) يقول مهما ينذراني ومهما يشتماني فلن يبلغا مني مناهما فلقد قدمت أباهما طعمة للسباع والنسور . والقشعم : الكبير من النسور (٢) هبي ، استيقظي ، الصحن القدح العريض - فاصبحينا ، أي اسقينا الصبوح ، وهو شرب الخمور في الغداة . والأندرينا ، جمع الأندر ، وهي قرية بالشام جمعها بما حواليها .

مشعشعة كأن الحص فيها   إذا ما الماء خالطها سخينا ١
تجور بذي اللبانة عن هواهُ   إذا ما ذاقها حتى يَلينا ٢
ترى اللحزَ الشّحيح إذا أُمِرّت   عليه لماله فيها مهينا ٣
صددتِ الكأس عنا أم عمرو   وكان الكأس مجراها اليمينا ٤
وما شرُّ الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذي لا تصبحينا ٥
وكأسٌ قد شربت ببعلبك   وأخرى في دمشق وقاصرينا
إذا صمدتْ حمياها أريباً   من الفتيان خلت به جنُونا ٦
فما برحت مجالَ الشّرْب حتى   تغالوا وقالوا قد روينا ٧
وإنا سوف تدركنا المنايا   مقدرة لنا ومقدّرينا
وإنَّ غداً وإن اليوم رهن   وبعد غد بما لا تعلمينا
قفي قبل التفرقِ يا ظعينا   نخبرْكِ اليقين وتخبرينا
بيوم كريهةٍ ضرْباً وطعناً   أقر به مواليك العيونا ٨
قفي نسألك هل أحدثتِ صرْماً   لوشك البَين أم خنت الأمينا ٩
أفي ليل يعاتبني أبوها   وإخوتها وهم لي ظالمونا ؟!
تريك إذا دخلت على خلاء   وقد أمنت عيون الكاشحينا
ذراعيْ عيطل أدْماء بِكْرٍ   تربعت الأجارع والمتونا ١٠

(١) مشعشعة : ممزوجة ، سميت بذلك لأنه يظهر لها شعاع كالشمس . والحص : الورس ، سخينا : أي جدنا وتكرمنا من السخاء ٢) تجور : بمعنى تعدل وتميل . واللبانة : الحاجة ٣) اللحز : الضيق ، الشحيح البخيل (٤) صددت : أي صرفت ٥ . أي لست أنا شر الثلاثة فتعدل عني الكأس (٦) حمياها : سورتها . أريبا : عاقلا ٧) الشرب : جمع شارب . المجال : موضع المجاولة .
(٨) الكريهة : موضع الحرب – أقر : أي مكن – مواليك هنا بنو عمك .
(٩) الصرم : القطيعة والوشك : السرعة والبين هنا الفراق والأمين : الوفي بالعهد .
(١٠) العيطل الناقة طويلة العنق – والادماء من الإبل والظباء البيضاء – بكر لم تلد تربعت : رعت الربيع ، الأجارع : جمع أجرع ، وهو الرمل

وثَدْياً مثل حقّ العاج رخصاً ... حصاناً من أكف اللامسينا ١
ونحراً مثل ضوء البدر وافى ... بإتمام أناساً مدلجينا ٢
ومتنيْ لدنة طالت ونالت ... روادفها تنوء بما يلينا ٣
ومأكمة يضيق الباب عنها ... وكشحاً قد جننت به جنونا ٤
وسالفتيْ رخام أو بلنط ... يرن خشاش حليهما رنينا ٥
تذكرت الصبا واشتقت لما ... رأيت حمولها أصلاً حدينا ٦
وأعرضت اليمامة واشمخرّت ... كأسياف بأيدي مصلتينا ٧
فما وجدت كوجدي أم ثقب ... أضلته فرجّعت الحنينا
ولا شمطاء لم يترك شقاها ... لها من تسعة إلا جنينا ٨
أبا هند فلا تعجل علينا ... وأنظرنا نخبرك اليقينا ٩
بأنا نورد الرايات بيضاً ... ونصدرهن حمراً قد روينا
فإن الضغن بعد الضغن يفشو ... عليك ويخرج الداء الدفينا ١٠
وأيام لنا غرّ طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا
وسيد معشر قد توجوه ... بتاج الملك يحمي المحجرينا
تركنا الخيل عاكفة عليه ... مقلدة أعنتها صفونا ١١
وقد هرّت كلاب الحي منا ... وشذبنا قتادة من يلينا ١٢

(١) العاج : عظم الفيل . والرخص اللين . والحصان : العفيفة ، واللامس: المباشر (٢) النحر : أعلى الصدر (٣) لدنة أي لينة ، تنوء : بمعنى تثقل
(٤) المأكمة : رأس الورق (٥) السالفتان : صفحتا العنق ، والرخام والبلنط : حجارة بيض . الخشاش : صوت الحلى (٦) أصلاً أصيل: وهو العشي
(٧) أعرضت : قابلت . اشمخرت : ارتفعت . مصلت : مجرد .
(٨) شقاها : يعني شؤمها . (٩) يعني عمرو بن هند .
(١٠) الضغن : الحقد ويفشو : يكثر . الداء الدفين : الكامن .
(١١) صفونا : جمع صافن ، وهي من الخيل .
(١٢) هرت : نبحت ، وشذبنا ،أي قطعنا ،القتادة ،واحدة القتاد وهو الشوك .

وأنزلنا البيوت بذي طلوح ... إلى الشامات ننفي الموعدينا ١
نعم أناسنا ونعف عنهم ... ونحمل عنهم ما حملونا
ورثنا المجد قد علمت معد ... نطاعن دونه حتى يبينا ٢
ونحن إذا عماد الحرب خرت ... على الأخفاض نمنع من يلينا ٣
نطاعن ما تراخى الناس عنا ... ونضرب بالسيوف إذا غشينا ٤
بسمر من قنا الخطي لدن ... ذوابل أو ببيض يعتلينا ٥
نشق بها رؤوس القوم شقاً ... ونخليها الرقاب فتختلينا ٦
تخال جماجم الأبطال منهم ... وسوقاً بالأماعز يرتمينا ٧
نجذ رؤوسهم في غير وتر ... ولا يدرون ماذا يتقونا ٨
كأن ثيابنا منا ومنهم ... خضبن بأرجوان أو طلينا ٩
كأن سيوفنا فينا وفيهم ... مخاريق بأيدي لاعبينا ١٠
إذا ما عي بالإسناف حي ... من الهول المشبه أن يكونا ١١
نصبنا مثل رهوة ذات حد ... محافظة وكنا السابقينا ١٢
بفتيان يرون القتل مجداً ... وشيب في الحروب مجربينا
يدهدون الرؤوس كما تدهدي ... حزاورة بأبطحها الكرينا

---

(١) يقول وأنزلنا بيوتنا بمكان يعرف بذي طلوح إلى الشامات نبغي من هذه الأماكن أعداءنا الذين كانوا يوعدونا (٢) يبين يظهر (٣) الأخفاض: عمد الأخبية ٤) تراخى: تباعد (٥) السمر: الرماح. والخطي: منسوب إلى الخط قرية على ساحل البحر. لدن: لينة. (٦) نخليها، أي نقطع بها، فتختلينا: أي تقطن والضمير راجع إلى السيوف أيضاً. (٧) تخال. تظن وسوق: جمع وسق، وهو المكيال. بالأماعز: جمع أمعز وهو المكان الغليظ. ٨) نجذ نقطع. الوتر الدخل وفي رواية [وبر] (٩) الأرجوان صبغ أحمر (١٠) المخاريق: ثياب صغار يلعب بها الصبيان (١١) الاسناف التقدم ١٢) الرهوة: رأس الجبل، وذات حد أي كثيرة السلاح.

حُديّا الناس كلهمُ جميعاً مُقارعة بَنيهمْ عن بَنينا [١]
فأما يَوْمَ خشيتنا عليهمْ فتُصْبحُ خيلنا عصباً ثُبينا [٢]
وأما يَوْمَ لا نخشى عليهمْ فنُمْعِنُ غارة مُتلبّبينا [٣]
برأس من بَني جُشم بن بكر ندُقُّ به السهولة والحزونا [٤]
بأي مشيئة عمرو بن هند ؟ نكون لقَيلكم فيها قطينا [٥]
بأي مشيئة عمرو بن هند ؟ ترى أنَّا نكون الأرذلينا
بأي مشيئة عمرو بن هند ؟ تطيع بنا الوُشاة وتزدرينا [٦]
تهددنا وتوعدنا ! رويداً متى كنَّا لأمك مقتوينا ؟! [٧]
وإن قناتنا يا عمرو أعيتْ على الأعداء قبلك أن تلينا [٨]
إذا عض الثقافُ بها اشمأزت وولتهُ عشوزَنة زبونا [٩]
عشوزَنة إذا غمزت أرنت تشج قفا المثقفِ والجبينا [١٠]
فهلْ حدثت عن جشم بن بكر ؟ بنقص في الخطوب الأولينا [١١]
ورثنا مجدَ علقمة بن سيف أ ح لنا حصونَ المجد دينا [١٢]
ورثتُ مهلهلا والخيرَ منه زُهيراً نعم زخرُ الزاخرينا [١٣]

(١) الحديا التحدي في القتال ، وهو طلب المبارزة . مقارعة من القراع في القتال وهو اصطدام الفارسين (٢) ثبين جمع ثبة ، وهي الجماعة (٣) تمعن : تسرع . المتلبب : المتحزم (٤) الرأس السيد ، وهو هنا الجماعة (٥) القيل : السيد . والقطين الخدم (٦) الازدراء : الاحتقار (٧) المقتوي : الذي يخدم بقوة . (٨ و ٩) القناة ههنا : العزة ، والثقاف : خشبة تقوم بها الرماح ، واشمأزت ارتفعت . والعشوزنة : الشديدة الصلبة الزبونة : الدفوع (١٠) غمزت : أي لينت ، أرنت أي صوتت ـ تشج : أي تجرح ، المثقف : المصلح للرماح والمفهوم (١١) حشم بن بكر : جده ، الخطوب : الأمور العظيمة (١٢) دينا : أي طاعة لها ، وهو علقمة بن سيف بن شرحبيل بن مالك بن سعد بن جشم بن بكر بن حبيب بن غنم بن جشم بن تغلب بن وائل (١٣) مهلهل : يعني عديا أخا كليب ، وسمي مهلهل لأنه أول من رقق الشعر .

وعتّاباً وكلثوماً جميعـــاً بهم نلنا تراث الأكرمينا ١
وذا البرة الذي حُدّثتَ عنهُ به نُحمى ونَحمي المحجرينا ٢
ومنا قبلة الساعي كليبٌ فأيُّ المجد إلا قد ولينا ؟٣
متى نعقد قرينتَنا بحبـل تجذّ الحبلَ أو تقص القرينا٤
ونوجدُ نحن أمنعهم ذماراً وأوفاهم إذا عقدوا يمينا ٥
ونحنُ غداةَ أُوقدَ في خزازى رفدنا فوق رَفد الرافدينا ٦
ونحن الحابسون لذي أراطى تسَف الجلةُ الخورُ الدرينا٧
فكنا الأيمنين إذ التقينـــا وكان الأيسرين بنو أبينا ٨
فصالوا صولة فيمن يليهـم وصُلْنا صولة فيمن يلينا ٩
فآبوا بالنهـــاب وبالسبايا وأبنا بالملوك مُصَفّدينـــا
إليكم يا بَني بَكر إليـــكم ألمَّا تعلموا منا اليقينـــا
ألمَّا تعلموا منـــا ومنكم كتائب يطّعنّ ويرتمينـــا
نقودُ الخيل دامية كلاهـــا إلى الأعداء لاحقـةً بُطونا
علينا البيضُ واليلبُ اليماني وأسيافٌ يُقمن وينحنينا١٠
علينـــا كلُّ سابغة دِلاص ترى تحت النجادِ لها غضونا١١

(١) كلثوم : أبوه ، وعتاب : جده (٢) ذا البرة : كعب بن زهير بن تيم ، وسمي بهذا لشعرات كانت تحت أنفه مدورة كالبرة في أنف البعير (٣) قبلة الساعي : ضربه مثلاً كالكعبة في كثرة من يختلف اليه (٤) القرينة : أصلها أن يقرن جمل صعب إلى جمل ذلول . وتقص: تكسر ، وهذا مثل ضربه (٥) الذمار مايحق على الإنسان أن يحميه (٦) خزازي . موضع واقعة كانت بين ربيعة واليمن وكانت قضاعة إذ ذاك وربيعة أحلافاً (٧) أراط : موضع واقعة كانت لهم ، وتسف : توكل (٨) بنو أبينا : يعني مضر بن نزار ، وربيعة بن نزار (٩) الصولة : الحملة (١٠) اليلب : جلود تنسج على هيئة الدروع وتلبس (١١) السابغة : الدرع الطويلة ، دلاص : براقة ، والنجاد : النطاق ، والغضون : التثني .

إذا وُضعت عن الأبطال يوماً رأيت لها جلودَ القوم جُونا[١]
كأن متونهنَّ متون غُدْرٍ تصفقها الرِّياح إذا جرينا[٢]
وتحملنا غداةَ الرَّوْع جردٌ عرفنَ لنا نقائذَ وافتُلينا[٣]
وردنَ دوارعاً وخرجْنَ شعثاً كأمثال الرّصائع قد بَلينا
ورثناهنَّ عن آباء صدق ونورثها إذا متنا بَنينا
وقد علم القبائل غير فخرٍ إذا قببٌ بأبطحها بُنينا
بأنا العاصمُون إذا أطعنا وأنّا الغارمونَ إذا عصينا
وأنّا المنعمونَ إذا قدرْنا وأنّا المهلكونَ إذا أتينا
وأنّا الحاكمونَ بما أرَدْنا وأنّا النازلونَ بحيث شينا
وأنّا التاركونَ لما سخطنا وأنّا الآخذونَ لما هَوينا
وأنّا الطالبون إذا نقمْنا وأنّا الضاربون إذا ابتُلينا
وأنّا النازلونَ بكلِّ ثغر يخافُ النازلونَ به المنونا[٤]
ونشربُ إن وردْنا الماءَ صفواً ويشربُ غيرنا كدراً وطينا
ألا سائلْ بَني الطماح عنا ودعمياً فكيفَ وجَدْتمونا ؟[٥]
نزلتُمْ منزلَ الأضيافِ منا فأعْجلنا القرى أن تشتُمونا[٦]
قريناكم فعجّلنا قراكم قبيل الصبح مرداةً طحونا[٧]
متى ننقُلْ إلى قوم رَحانا يكونوا في اللقاء لها طحينا[٨]

---

(١) جونا : سوداً (٢ المتون : الأعالي، شبه أعالي الدروع في بياضها ولمعانها بالغدر وهي الحياض إذا حركتها الريح (٣) الروع : الحرب ، والجرد : قصير الشعر (٤) الثغر : المكان المخوف (٥) بنو الطماح ودعمي : حيان من بني أسد بن ربيعة بن نزار (٦ نزلتم حيث نزل الأضياف: أي جئتم للقتال فعاجلناكم بالحرب ولم ننتظر أن تشتمونا (٧) قريناكم : جعلنا قراكم الحرب لما نزلتم بنا ولقيناكم فطحناكم طحن الرحى، والمرداة : الحجر وكل ما يكسر به الشيء فهو مرداة . (٨) أصل الرحى ما استدار من الشيء والرحى هنا الحرب ، تشبيهاً بالرحى .

يكون ثقالها شرقيّ نجدٍ ولهوتها قضاعة أجمعينا ١
على آثارنا بيضٌ حسانٌ نحاذرُ أن تفارق أو تهونا ٢
ظعائنُ من بني جُشَم بن بكر خَلَطنَ بميسم حسَباً ودينا ٣
أخذن على فوارسهنّ عهداً إذا لاقوا فوارس مُعلمينا ٤
ليستلبن أبداناً وبيضاً وأسرى في الحديد مُقرنينا ٥
إذا ما رُحْن يمشين الهوينا كما اضطربت متون الشارِبينا
يقتن جيادنا ويَقُلْنَ لستم بُعولتنا إذا لم تمنعونا ٦
إذا لم نحمهن فلا بَقينا لشيءٍ بعدهُن ولا حيينا ٧
وما منع الظعائن مثلُ ضَرْبٍ ترى منه السّواعد كالقُلينا ٨
إذا ما الملكُ سامَ الناس خَسْفاً أبينا أن يُقر الخسف فينا ٩
ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا فنجهل فوقَ جهلِ الجاهلينا
ونعدو حيثُ لا يُعدى علينا ونضربُ بالمواسي من يلينا
ألا لا يحسب الأعداءُ أنّا تضعضعنا وأنّا قد فنينا
ترانا بارزين وكلّ حيٍّ قد اتخذوا مخافتنا قرينا
كأنّا والسيوفُ مُسللاتٌ ولدْنا الناس طرا أجمعينا
ملأنا البرّ حتى ضاق عنا كذاكَ البحرُ نملؤُهُ سفينا
إذا بَلغَ الرّضيعُ لنا فطاماً تخر لهُ الجبابرُ ساجدينا

---

(١) الثقال : جلدة توضع تحت الرحى للطحين. ولهوتها : أي مقدار ما يطرح في فم الرحى من الحب (٢) أي نساءنا اللواتي خلفنا نقاتل عنهن ونحذر أن نفارقهن أو يصرن إلى غيرنا (٣) الميسم : الحسن أي لهن مع جمالهن حسب ودين . (٤) المعلم : الذي يعلم نفسه في الحرب بعلامة (٥) الأبدان جمع بدن وهي الدروع (٦) يقتن من القوت ، وهو الطعام جيادنا : جمع جواد ٧ نحميهن : ندافع عنهن . ما بقينا ما حيينا ٨) القلون جمع قلة ، وهي الخشبة التي يلعب بها الصبيان يضربونها بالمقلاء (٩) يقول إننا أعزاء لا تصل الملوك إلى ظلمنا .

لنا الدنيا ومنْ أضْحى عليهـــا ونبطِشُ حينَ نَبْطِشُ قادِرينا
تنــادي المصْعبان وآلُ بكر ونَادَوْا يا لكِنْدَةَ أجمعينـــا
فإنْ نَغلب فَغلاّبونَ قدماً وإن نُغلَب فغيرُ مُغلبينـــا

(٦) طُرفة بن العبد البكري

هو عمرو بن العبد البكريّ : أقصر فحول شعراء الجاهلية عمراً ، ومال إلى الشعر والوقوع به في أعراض الناس ، حتى هَجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة مع أنه كان يتطلب معروفه وجوده ، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفة له فاضطغنها عليه ، حتى إذا ما جاءه هو وخالُه المتلمس يتعرضان لفضله أظهر لهما البشاشة وأمر لكل منهمـــا بجائزة ، وكتب لهما كتابين ، وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه ، وبينما هما في الطريق ارتابَ المتلمّس في صحيفته ، فعرج على غلام يقرؤها له ، ومضى طرفة ، فإذا في الصحيفة الأمر بقتله ، فألقى الصحيفة ، وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفر إلى ملوك غسان ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين وقتل هناك ، وعمره ست وعشرون سنة .

شعره – يجيد طرفة الوصف للناقة في شعر مقتصراً فيه على بيان الحقيقة مع قصد في الغلوّ ، ومعاظلة في بعض التراكيب ، واسترسال في وحشي اللفظ وخفي المعنى وكذلك كان هجاؤه الملوك على شدة وقعه ، ومن أبلغ المقطعات والمعلقات أيضاً .

معلقة طرفة بن العبد البكري

لخولة أطلالٌ ببرقـــةِ ثَهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد[١]
وقوفاً بها صحْبي عليّ مَطيهم يقولون لا تهلك أسى وتجلدِ[٢]
كأن حُدوج المالكيةِ غـدْوة خلايا سفين بالنواصفِ من ددِ[٣]

---

(١) خولة : امرأة من بني كلب. وثهمد : أكمة في بلاد خثعم. تلوح : تظهر.
(٢) وقوفاً: واقفين ، أسى : حزناً . تجلد : تحمل (٣) المالكية نسبة إلى مالك=

عدولية ٌ أو من سفين ابن يامن ٍ — يجُور بها الملاحُ طوراً ويهتدي ١
يشقُّ حباب الماء حيزُومها بها — كما قسم التربَ المفايلُ باليد ِ ٢
وفي الحيّ أحوى ينفضُ المردشادن ٌ — مظاهرُ سمطي ّ لؤلؤ وزَبرجد ِ ٣
خذول ٌ تراعي ربرَباً بخميلة — تناولُ أطراف البرير وترتدي ٤
وتبسمُ ع ن ألمى كأن مُنوّراً — تخلل حرّ الرمل دعص له ند ٥
سقته ُ إياة ُ الشمس إلا لثاته ِ — أسفّ ولم تكدم عليه بإثمد ِ ٦
ووجه ٌ كأن الشمس ألقتْ رداءها — عليه نقي اللون لم يتخدد ِ ٧
وإني لأمضي الهم عند احتضاره — بهوجاء مرقال تروحُ وتغتدي ٨
أمون كألواح الإران نسأتها — على لاحب وكأنه ُ ظهرُ برجد ِ ٩

= ابن صبيعة ابن عم عمرو، والحدوج الهوادج والقباب، والخلايا جمع خلية، السفينة الكبيرة. والنواصف : مجاري الماء إلى البحر . (١) عدولية : قديمة ، وهي الكبيرة من السفن وهي تنسب إلى موضع يقال له ابن يامن، ملاح أو تاجر من أهل البحرين . (٢) حباب الماء طرائفه وما ارتفع منه والحيزوم الصدر. والمفايل الذي يجمع تراباً ويخبىء فيه شيئاً مثل الحلقة ويقسم التراب نصفين ويطلبه في أحدهما فإن أصاب ظفر وإن أخطأ قهر (٣) أحوى في لونه سواد والمراد شجر الأراك والشادن ولد الظبية إذا قوي (٤) الخذول : المتحفة من الظباء ، والربرب: القطيع من الظباء . والخميلة الشجر الملتف . البرير المدرك من ثمر الأراك .
(٥) تبسم : يفتر ثغرها واللمىء سواد في الشفة ، والمنور: الأقحوان، تخلل: دخل فيه، حر الرمل : النقي منه (٦) الإياة . ضوء الشمس . اللثة مغرز الأسنان ، يقول : أسنانها بيض ولثاتها زرق ، أسف أي ذر عليه بإثمد هو الكحل .
(٧) ألقت وفي رواية حلت: رداءها . أي بهاءها ، لم يتخدد : أي يضطرب حتى تصير فيه شقوق (٨) الهوجاء : الخفيفة الفؤاد ، مرقال وصف للناقة بشدة السير (٩) الأمون التي أمنت من أن تكون ضعيفة ، والإران التابوت الذي يحمل فيه الموتى ، نسأتها : أي زجرتها ، واللاحب الطريق ، والبرجد : كساء من أكسية العرب .

جُمالية وَجْناء تَردِي كأنها	سفَنَّجَةٌ تَبري لأزعَر أربدِ
تباري عِتاقاً ناجياتٍ وأتبعتْ	وظيفاً وظيفاً فوقَ مورٍ معبدِ ١
تَرَبَّعتِ القُفَّينِ في الشوْل ترتعي	حدائق موليِّ الأسرَّة أغيد ٢
تريعُ إلى صوت المهيب وتتقي	بذي خُصَلٍ روعاتِ أكلفَ مُلبدِ ٣
كأن جَناحي مضرحيٍّ تكنفا	حفافيه شُكّا في العسيب بمِسْرَدِ ٤
فطوراً به خلف الزَّميل وتارةً	على حشف كالشنّ ذاوٍ مُجَدد ٥
لها فَخِذان أكمل النحضُ فيهما	كأنهما بابا مُنيف مُمَرَّد ٦
وطيُّ محال كالحنيّ خلوفُه	وأجْرِنةٌ لُزَّت بدأيٍ مُنضد ٧
كأن كناسي ضالة يكْنفانها	وأطر قِسيٍّ تحت صُلب مُؤيد ٨

(١) تباري: تشابه، والعتاق: الإبل الكرام، والناجيات: المسرعات في السير، والوظيف: ساق البعير، والمور: الطريق (٢) تربعت: رعت أيام الربيع، والقفان: موضعان موصوفان بالمرعى لجودتها، والشول: بفتح الشين من الإبل التي جف لبنها وأتى عليها من نتاجها سبعة أشهر (٣) تريع: تصغي والروعة: الفزع، والأكلف: الذي في وجهه لون يخالف لونه وهو صفة من صفات الفحل، (٤) المضرحي: النسر، تكنفا: أحاطا، حفافيه: جوانبه (٥) الطور: المرة الأولى، والتارة: المرة الثانية، والزميل. الرديف، والحشف، الضرع الذي لا لبن فيه وهو المنقبض، والشن: القربة الخلقة، والذاوي: هو اليابس، والمجدد الضرع الذي لا لبن فيه ولا لبن.

(٦) النحض: اللحم والمنيف: المشرف، والممرد: المملس.

(٧) المحال: فقار الظهر، والحني القسي. خلوفه: مؤخر أضلاعه، وأجرنة: باطن عنق البعير، لزت: قرب بعضها إلى بعض فانضمت واشتدت، بدأي: أعالي الاضلاع، منضد، أي بعضه فوق بعض.

(٨) الكناس: بيت الظباء والضأن، شبه تباعد ما بين مرفقها وزورها بكناس الظبي حول الشجر: وأطر قسي أي عطفها وانحناؤها، والصلب: الظهر والمؤيد: الموثق، والأيد القوة.

لها مرفقان أفتلان كأنها | تمُر بسلمَيْ دالج مُتشدِّد ١
كقنطرة الروميّ أقسم ربها | لتُكتنفن حتى تشادَ بقرمَد ٢
صهابيّة العُثنون مُؤجدة القرا | بعيدةُ وخد الرِّجل موارةُ اليد ٣
جَنوحٌ دقاقٌ عندلٌ ثم أفرعت | لها كتفاها في مَعالىً مُصعد ٤
أُمرَّت يداها فتل شزْرٍ وأُجنحت | لها عضداها في سَقيف مُسند ٥
كأن علوبَ النِّسع في دَأَياتها | مواردُ من خلقاء في ظهر قردَد ٦
تلاقى وأحياناً تبين كأنها | بنائق غرٌ في قميص مُقدد ٧
وأتلعُ نهاضٌ إذا صعدت به | كسكان بُوصيٍّ بدَجلةَ مُصعد
وجُمجمة مثلَ العلاة كأنما | وعى الملتقى منها إلى حَرف مبرَد ٩

(١) المرفق : مفصل العضد، أفتلان : مفتولان، تمر : وفي رواية أمرا : فتلا، السلم : الدلو له عروة الدالج الذي يمشي بالدلو من البئر إلى الحوض، متشدد متكلف للشدة ، ومعنى ذلك أن الذي يسقي الإبل يجعل الحوض بعيداً عن البئر ، فإذا أخرج الدلو من البئر (٢) القنطرة : الجسر، الرومي : أحد البنائين من الروم ، تكتنفن أي يحاط حواليها بالبناء ، وتشاد : ترفع (٣) صهابية : بياض شيب .

(٤) جنوح : مائلة في سيرها من النشاط ، دقاق متدفقة في السير ، عندل : عظيمة الرأس وأفرعت : رفعت ، في معالي : مرتفع .

(٥) أمرت : فتلت فتلاً محكماً ، والشزر : الفتل إلى اليسار ، وأجنحت : أميلت ، والسقيف : هما صدرها ، ومسند وفي رواية منضد بعضه على بعض .

(٦) العلوب : الآثار، والنسع : حزام الرجل والدأيات مآخير الأضلاع ، موارد : طرق الماء ، والخلفاء : الصخرة الملساء ، والقردد : الأرض الصلبة

(٧) تلاقى : يتصل بعضها ببعض وتتلاقى الطرق من أعلاها وتفترق من أسفلها

(٨) الأتلع : الطويل يعني عنقها ، نهاض : كثير الارتفاع ، صعدت : ارتفعت ، السكان الدقل ، وهو مؤخر السفينة ، والبوصي ، ضرب من السفن ، بدجلة نهر مصعد ، قاصد إلى العراق .

(٩) الجمجمة : غطاء الرأس، وهو يعني رأس الناقة ، والعلاة . السندان يضرب عليه الحداد ، وعي الملتقى يعني جمع ملتقى الرأس شبهه بحرف المبرد لصلابته .

وخدٌ كقرطاس الشآمي ومِشفر كسِبتِ اليماني قدُّه لم يجردِ ١
وعينان كالماويتين استكنّتا بكهفي حجاجي صخرةٍ قلتِ موردِ ٢
طحوران عوارَ القذى فتراهما كمكحولتي مذعورةٍ أم فرقد ٣
وصادقتا سمع التوجُّس للسُّرَى لهمس خفي أو لصوتٍ مندد ٤
مؤللتان تعرف العتق فيهما كسامعتي شاة بحومل مفرد ٥
وأروعُ نباضٌ أحذُّ ململم كمرداة صخرٍ في صفيح مصمدِ ٦
وإن شئت سامي واسط الكور رأسُها وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد ٧
وإن شئت لم ترقل وإن شئت أرقلت مخافة ملوي من القد محصد ٨
وأعلم مخروط من الأنف مارنٌ عتيقٌ متى ترجم به الأرضَ تزددِ ٩

(١) المشفر من البعير: كالشفة من الإنسان، والسبت: جلود البقر إذا دبغت بالقرظ (٢) الماويتان المرآتان المصقولتان. استكنتا: دخلتا (٣) طحوران: دفوعان، العور الخبث الذي يقع في العين وكذلك القذى، كمكحولتي: أي عيني. مذعورة خائفة طردها القناص وأفزع، والفرقد: ولدها. (٤) وصادقتا سمع يعني أذنيها، والتوجس: التسمع، والهمس الصوت الخفي: والمندد المرتفع.
(٥) مؤللتان: محددتان كالحربة والعتق: الكرم، والشاة: بقرة الوحش وتسمى نعجة، وحومل: موضع معروف، ومفرد وحيد. (٦) أروع: فزع ونباض فؤادها. أحذ: قليل الشعر، ململم: أي مجتمع، كمرداة كصخرة تردي بها الحجارة لصلابتها: الصفيح الحجارة العريضة، مصمد: مصلب (٧) سامى: ساوى، واسط: وسط، الكور: الرحل، عامت مدت يدها كهيئة السابح في الماء. الضبعين: العضدان، نجاء سرعة، الخفيدد الظليم، وهو ذكر النعام (٨) الإرقال: ضرب من السير، والملوي من القد: السوط، المحصد: المحكم الفتل (٩) الأعلم: المشقوق المشفر الأعلى. المارن: ما لان من الأنف وهو مقدمه، عتيق: كريم متى ترجم به الأرض: أي تضربها به يريد أنها إذا حطت رأسها إلى الأرض أسرعت في السير وذلك لنشاطها وحدتها.

على مثلها أمضي إذا قال صاحبي ، ألا ليتني أفديك منها وأفتدي
وجاشت إليه النفس خوفاً وخاله مصاباً ولو أمسى على غير مرصد
إذا القوم قالوا من فتى؟ خلت أنني عنيت ، فلم أكسل ولم أتبلد
أحلت عليها بالقطيع فأجذمت وقد خب آل الأمعز المتوقد ١
فذالت كما ذالت وليدة مجلس ترى ربها أذيال سحل ممدد ٢
ولست بحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد ٣
فإن تبغني في حلقة القوم تلقني وإن تقتنصني في الحوانيت تصطد ٤
متى تأتني أصبحك كأساً رويّة وإن كنت عنها غانياً فاغن وازدد ٥
وإن يلتق الحي الجميع تلاقني إلى ذروة البيت الرفيع المصمد ٦
نداماي بيض كالنجوم وقينة تروح علينا بين برد ومجسد ٧
رحيب قطاب الجيب منها رفيقة بجس الندامى بضة المتجرد ٨
وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي ٩
إلى أن تحامتني العشيرة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد ١٠
رأيت بني غبراء لا ينكرونني ولا أهل هذاك الطراف الممدد ١١

(١) أحلت وثبت ، القطيع : السوط ؛ أجذمت : أسرعت ، وخب : ارتفع ، والآل : ما يكون في أول النهار مثل السراب ، الأمعز الأرض الغليظة التي فيها حصى ، والمتوقد : المشتعل ٢ ذالت : تبخترت الناقة ، والوليدة الفتية ترى ربها أي مولاها . آذيال : أطراف الثوب متى يصل إلى الأرض ، والسحل : الثوب القطن والممدد : المبسوط (٣) التلعة من أسماء الأضداد تكون للمرتفع والمنخفض
(٤) حلقة القوم : مجالس أشرافهم ، والحوانيت : بيوت الخمارين .
(٥) تأتني : تجئني (٦) ذروة : الذروة أعلى الشيء (٧) الندامى أصحابي على الخمر ، والقينة : الجارية ، والبرد : الثوب الأبيض . والمجسد : المصبوغ بالزعفران .
(٨) رحيب : واسع . قطاب الجيب أي مجتمع الجيب . يصف صدرها بالرحب والسعة (٩ الطريف الحديث المكتسب (١٠) المعبد المذلل المطلي بالقطران .
(١١) بني غبراء : اللصوص ، والطرف بيت من جلد : يعني أنه لا ينكره .

ألا أيهاذا اللائمي أحضرَ الوغى وأن أشهدَ اللذاتِ هل أنت مُخلدي ١
فإن كنتَ لا تسطيعُ دفعَ منيتي فدَعني أبادرْها بما ملكت يدي
فلولا ثلاثٌ هنّ من عيشةِ الفتى وجدِّكَ لم أحفل متى قام عوّدي
فمنهنّ سَبقي العاذلاتِ بشربةٍ كُميت متى ما تُعل بالماء تزْبد ٢
وكرّي إذا نادى المضافُ مُجنباً كسيدِ الغضا نبهته المتورّد ٣
وتقصير يوم الدجْن والدجنُ معجبٌ ببهكنة تحت الخباءِ المعمّد ٤
كأن البرينَ والدماليج علقتْ على عشرٍ أو خروعٍ لم يخضّد ٥
فذرْني أروّي هامتي في حياتها مخافة شرْب في الحياةِ مصرّد ٦
كريمٌ يروّي نفسه في حياته ستعلمُ إن متنا غداً أينا الصَّدي ٧
أرى قبرَ نحامٍ بخيل بماله كقبرِ غويّ في البطالة مُفسد ٨
ترى جُثوتين من تراب عليهما صفائحُ صمٌ من صفيح منُضّد ٩
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفي عقيلة مال الفاحش المتشدد ١٠
أرى العيش كنزاً ناقصاً كلّ ليلة وما تنقصُ الأيامُ والدهرُ ينفد
لعمرك إن الموتَ ما أخطأ الفتى لكالطوَل المرْخى وثنياهُ باليد ١١

(١) اللائمي . اللاحي ، وفي رواية الزاجري (٢) كميت: خمر تضرب إلى السواد، تعل : أي يصب الماء عليها (٣) كري : عطفي، والمضاف الذي أضافته الهموم ٤ الدجن : المطر الخفيف، معجب: أي يعجب من رآه، والبهكنة : المرأة التامة الخلق ٥ ، البرين : الخلاخل في أنف الناقة ، على عشر : العشر شجر أملس مستو ضعيف العود شبه به عظامها وساعديها لملاسته واستوائه (٦ الشرب بكسر الشين وضمها اسم المشروب والمصرد : المقلل (٧) يروي نفسه من الخمر في حياته والصدي: العطشان (٨ النحام: كثير السعال عندما يسأل والغوي : الذي يتبع هواه ولذاته . والبطالة : اتباع الهوى والجهل (٩) الجثوة: التراب المجموع. صفائح صم صلبة . المنضد ، المجموع بعضه على بعض (١٠) يعتام : يختار ، الخيار : الكرام والأماجد، ويصطفي : ينتخب ، وعقيلة كل شيء خيرته والفاحش: القبيح السيىء الخلق والمتشدد : كثير البخل (١١) الطول : الحبل ، وثنياه أي طرفاه ، ومعناه أن الإنسان وإن يطل عمره إلا أنه كالفرس لصاحبها إذا أرادها جذب الحبل إليه .

فمالي أراني وابنَ عمّي مالكاً · متى أدنُ منهُ يَنأ عني ويَبْعُدِ ١
يَلومُ وما أدْري علامَ يَلومُني؟! · كما لامني في الحيّ قُرْطُ بْنُ مُعبدِ ٢
وأيأسني منْ كلّ خيرٍ طلبْتُهُ · كأنّا وضعْناهُ إلى رمْسِ ملحدِ ٣
على غيرِ ذنبٍ قلتهُ غيرَ أنني · نَشَدتُ فلم أغفل حَمولةَ مَعبدِ ٤
وقرّبتُ بالقُربى وجَدّكَ أنني · متى يَكُ أمرٌ للنكيثةِ أشهدِ ٥
وإن أُدْعَ للجُلى أكنْ منْ حُماتها · وإنْ يأتك الأعداءُ بالجهدِ أجْهدِ ٦
وإن يقذفوا بالقذْعِ عرْضكَ أسقِهم · بكأسِ حياضِ الموتِ قبلَ التهدُّدِ ٧
بلا حدَثٍ أحدَثْتهُ وكمحْدِثٍ · هجائي وقذفي بالشكاةِ ومُطرَدي ٨
فلو كان مولايَ امْرءاً هو غيرُهُ · لفرَّجَ كربي أو لأنظَرَني غدي ٩
ولكنّ مولايَ امرؤٌ هو خانقي · على الشكرِ والتسآلِ أو أنا مُفتدي ١٠
وظلم ذوي القربى أشد مضاضة · على المرء من وقع الحسام المهند ١١
فذَرني وخلقي إنني لك شاكرٌ · ولوْ حلّ بيتي نائياً عندَ ضرْغدِ ١٢
فلو شاءَ ربي كنتُ قيسَ بْنَ خالد · ولوْ شاء ربي كنت عمرو بن مرثد ١٣

(١) ابن عمي على خلافي، أتقرب إليه فيبعد عني (٢) ويبالغ ابن عمي في الجفاء فيلومني على ما لا أستحق اللوم عليه كما يفعل قرط بن معبد (٣) أيأسني جعلني يائساً والرمس القبر والملحد: المقبور. (٤) وكل ما ألقاه منه لا سبب له إلا أني نشدت: طلبت (٥) النكيثة بلوغ الجهد، وقيل الانتقاض (٦) الجلى: الأمر العظيم، والحماة الذائدون (٧) القذع: الشتم القبيح (٨) أي هو متعد علي بلا حدث أحدثته، هجاني وطردني، والمطرد: الطريد (٩) يقول لو أن مولاه رجلاً آخر لفرج كربه وأنظره ولم يتعجله بما تعجله به ابن عمه من القدح والذم. (١٠) خانقي: مكرهي على شكره على ما لم يفعله، وإلا فأنا هدف سهامه (١١) أما أنا فقد ضقت بهذا التجني لأن الظلم من الأقربين لا يحتمل (١٢) ضرغد: جبل بعيد (١٣) قيس بن خالد من بني شيبان، وعمرو بن مرثد ابن عم طرفة قيل لما بلغ هذا عمرو بن عم طرفة وجه إلى طرفة فقال له أما الولد فالله يعطيكهم وأما المال فلك فيه ما لنا، ثم دعا ولده وكانوا سبعة فأمر كل واحد فدفع لطرفة عشراً من إبله، ثم أمر ثلاثة من بني بنيه فدفع كل واحد منهم إلى طرفة عشراً من الإبل.

فأصبحتُ ذا مالٍ كثيرٍ وزارني   بنونَ كرامٌ سادةٌ لمسوَّدِ
أنا الرجلُ الضربُ الذي تعرفونه   خشاشٌ كرأس الحيّةِ المتوقّدِ
فآليتُ لا ينفكُّ كشحي بطانةً   لعضبٍ رقيقِ الشفرتينِ مهنّدِ
حسامٍ إذا ما قمتُ منتصراً به   كفى العَوْدَ منه البدءُ ليس بمعضدِ
أخي ثقةٍ لا ينثني عن ضريبةٍ   إذا قيلَ مهلاً ؛ قال حاجزُهُ قدي
وبَرْكٍ هُجودٍ قد أثارتْ مخافتي   بواديها أمشي بعضبٍ مجرّدِ [1]
فمرّت كهاةٌ ذاتُ خيفٍ جُلالةٌ   عقيلةُ شيخٍ كالوبيلِ يلندد [2]
يقولُ وقد ترّ الوظيفُ وساقها   ألستَ ترى أن قد أتيتَ بمؤيدِ [3]
وقالَ ذروهُ إنما نفعها لهُ   وإلا تردُّوا قاصيَ البَرْكِ يزْددِ [4]
فظلَّ الإماءُ يمتللنَ حُوارَها   ويُسعى علينا بالسديف المسرهد [5]
فإن متُّ فانعيني بما أنا أهلُهُ   وشقّي عليّ الجيبَ يا ابنةَ معبدِ [6]
ولا تجعليني كامرىءٍ ليس همّهُ   كهمّي ولا يُغني غنائي ومشهدي [7]
بطيءٍ عن الجُلّى سريعٍ إلى الخنا   ذليلٍ بإجماعِ الرّجال ملهّدِ [8]
فلو كنتُ وغلاً في الرجال لضرّني   عداوة ذي الأصحابِ والمتوحدِ
ولكنْ نفى عني الأعادي جراءتي   عليهم، وإقدامي وصدقي ومحتدي [9]

---

(١) البرك : الإبل الكثيرة الباركة، والهجود النيام (٢) الكهاة : الناقة السمينة، والخيف الضرع، الجلالة الكبيرة، والوبيل العصا (٣) تر : بمعنى انقطع والوظيف مستدق الساق من الإبل والخيل (٤) ذروه . اتركوا عناده (٥) الحوار الصغير من الإبل، والسديف السنام : والمسرهد المقطع صغاراً (٦) انعيني : اذكري من الأفعال ما أنا أهل له وهو يخاطب ابنة أخيه وشق الجيب معروف، ويراد به التنويه بشدة المصاب (٧) واحذري أن تجعليني هيناً كرجل لا يغني مثل غنائي، ولا يقوم في الحرب مقامي ولا يشهد مشهدي في المجالس والخصومات (٨) البطيء : الكسول المتقاعد، والجلى الأمر الخطير العظيم والخنا الفساد (٩) يقول إن الجرأة والإقدام والصدق وكرم الأصل منعت عنه أعداءه من الإساءة اليه

لَعَمْرُكَ ما أمري عليّ بِغُمَّةٍ نهاري ولا لَيلي عليّ بِسَرْمَدِ ١
ويوم حَبَسْتُ النفسَ عِندَ عِراكِها حِفاظاً على عوراتِه والتّهَدُّدِ ٢
على موطنٍ يخشى الفتى عندَهُ الردى مَتى تعتَرِكْ فيه الفرائصُ تُرْعَدِ
وأصفرَ مَضبوحٍ نَظَرْتُ حِوارَهُ على النار واستَودَعتُه كفَّ مُجمِدِ ٣
أرى الموتَ أعدادَ النفوسِ ولا أرى بعيداً غداً ما أقربَ اليومَ من غَدِ
سَتُبدي لكَ الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ويأتيكَ بالأخبار مَن لم تُزَوِّدِ ٤
ويأتيكَ بالأنباءِ مَنْ لم تَبِعْ لهُ بتاتاً ولم تَضرِبْ له وَقتَ مَوعِدِ ٥
لعمرُكَ ما الأيّامُ إلا مُعارةٌ فما اسْطعتَ من معروفها فتزَوَّدِ ٦
عن المرءِ لا تَسأل وأبصِر قرينَهُ فإنّ القَرينَ بالمقارنِ مُقتَدِ ٧
لعمرُكَ ما أدْري وإني لَواجِلٌ أفي اليوم إقدامُ المنيّةِ أمْ غَدِ؟ ٨
فإنْ تكُ خلفي لا يفُتها سواديا وإن تَكُ قدّامي أجِدها بمَرصَدِ ٩
إذا أنتَ لم تَنفعْ بوُدكَ أهلَهُ ولم تَنكِ بالبوسى عَدُوَّك فابْعدِ ١٠

(١) الغمة : الأمر الذي لا يهتدى له، والمعنى أني لا أتحير في أمري نهاراً ولا ليلا فيطول علي الليل ، والسرمد الطويل (٢) العراك : الازدحام اي صبرت النفس عند ازدحام القوم في الحرب والخصومات على روعات اليوم وهن قرعاته (٣) الأصفر هنا الأسود : المجمد الذي يأخذ بكلتا يديه ولا يخرج من يدية شيء، وقيل الذي يضرب بالسهام او الأمين في القمار (٤) ستبدي : ستظهر ، ما كنت جاهلا ، يعني ما لم تسمع من قبل؛ ويفيدك بها من لم تسأله عنها (٥) تبع له بتاتاً تشتري له زاداً (٦) لعمرك : وحياتك ليست الأيام إلا معارة عارية تسترد وتسترجع فاحرص على عمل الخير وصنع المعروف وتزود من ذلك كثيراً .
(٧) الرواية المحفوظة لهذا البيت .
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي
(٨) وانا وانت وغيرنا لا يدري ولا يعرف متى يحين حينه (٩) فان تك خلفي : فهي جادة ورائي ، ولن أغرب عن عينها، وإن تك قدامي فهي رقيبة مترصدة (١٠) إذا لم تنفع ببرك الأقربين والأصدقاء ولم تلحق العطب بالأعداء ببطشك فاتخذ مكاناً قصياً .

(٧) معلقة أعشى قيس

هو أبو بَصير مَيْمون الأعشى بن قيس بن جَندَل القَيْسي - نشأ في بَدْء أمْره راويةً لخاله (المُسَيَّب بن عَلس) وقد عَميَ الأعشى وطال عُمرُه، حتى انبلجَ فجرُ الإسلام وعظُم أمرُ النبي ﷺ بين العرب ، فأعدَّ له قصيدة يمدحهُ بها وقَصَدَهُ بالحجاز، فلقيه كفارُ قريش وصَدوه على وجهٍ على أن يأخُذ منهم مائة ناقة حمراء، ويرجع إلى بلده لِتَخوُّفهم أثر شعره ففَعَلَ، ولماقَرُب من اليمامة سقط عن ناقته فدُقّت عنقه ومات ، ودفن ببلدته (مَنفوحة) باليمامة .

شِعْرُه : يُعَدُّ (الأعشى) رابعاً للثلاثة الفُحول: امرئ القيس ، والنابغة ، وزُهَير ؛ وإن كان يمتازُ عنهم بغزارة شعره ، وكثرة ما رُوي له من الطِّوال الجياد وتفنّنه في كلّ فن من أغراض الشِّعر؛ واشتَهرَ من بينهم بالمُبالغة في وصف الخمر حتى قيل . أشعرُ الناس امرؤ القيس إذا رَكِبَ ، وزُهَيرٌ إذا رغِب ، والنّابغة إذا رَهِب ، والأعْشى إذا طرِب .

ولشعره طَلاوة ورَوعة ، ليست لكثرة من شعر غيره من القُدماء ، ولقُوّة طبعه وجَلْجَلة شعره سُمّي (صَنّاجة العرب) حتى ليُخيَّل إليك إذا أنشدتَ شعره أنّ آخرَ يُنشِد مَعَكَ

ولجلالة شعره كان يرفعُ الوضيع الخامل، ويخفضُ الشَّريف النّابه، ومن الذين رفَعهم شعرُ الأعْشى (المُحَلَّق الكلابي) وقد كان أبا ثمـاني بنات عَوانس رَغِبتْ عن خِطبَتِهنّ الرجالُ لفقرهنّ، فاستضافه على فقْره ، فمدحه الأعشى ونوّه بذكره في (سُوق عُكاظ) فلم يمض عامٌ حتى لم تبق جارية منهن إلا وهي زَوجٌ لسيد كريم . وكان الأعشى يتطرّف في شعره ويتكسّبُ بـه ، وعدّه بعضهم من أصحاب المعلَّقات ، وذكر قصيدته اللاّمية التي يمدحُ بهـا الأسود الكِندي ، ومطلعها :

مـا بكاء الكبير بالأطلال وسؤالي ومـا تردُّ سُؤالي

ومن جيّد شعره قصيدتُه التي أعدها لينشدها بين يدي رسول الله ﷺ يمدحه فيها ، فلم يفز بذلك ؛ وأولها :

ألم تغتمض عيناك ليلةَ أرمدا وبت كما باتَ السليمُ مُسهدا
وما ذاكَ من عشق النساء وإنما تناسيتَ قبل اليوم خلة مهددا
ولكن أرى الدهر الذي هو خائن إذا أصلحتْ كفايَ عاد فأفسدا
شباب وشيبٌ وافتقارٌ وثروة فللهِ هذا الدهر كيف تردّدا

وقصيدتُهُ التي أنشدها في مدح المحلق أولها :

أرقتُ وما هذا السُّهاد المؤرِّقُ وما بيَ من سُقم وما بي تعشق

ومنها :

لعمري لقد لاحتْ عيونٌ كثيرة الى ضوء نارٍ في اليفاعِ تحرقُ
تشبّ لمقرورين يصطليانها وباتَ على النارِ الندى والمحلقُ
رضيعَي لبان ثدي أُمٍّ تقاسما بأسحَمَ داجٍ عوضُ ولا نتفرقُ
ترى الجُود يجري ظاهراً فوق وجهه كما زانَ متنَ الهندواني رونقُ
يداه يدا صدقٍ فكفٌ مبيدةٌ وأخرى إذا ما ضنّ بالمال تنفقُ

وقيل : إن معلقته هي التي أولها .

ودّع هريرة إن الركب مرتحلُ وهل تطيقُ وداعاً أيها الرجلُ [1]
غرّاء فرعاءُ مصقولٌ عوارضها تمشي الهوينى كما يمشي الوجي الوحل [2]
كأن مشيتها من بيتِ جارتها مرُّ السحابةِ لاريثُ ولا عجل [3]

---

(١) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها إلى قريب له فولدت خليداً الآتي ذكره في شعره . (٢) الغراء البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الفرع أي الشعر ، والعوارض هنا الرباعيات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها نقية الأسنان ، الوجي . الذي يشتكي حافره ولم يشف بعد ، فيكون مشيه متثاقلاً فكيف إذا كان وحلاً ؟ اي يمشي في الوحل ، يعني أن هذه الجارية لسمنها وتدللها تمشي متمهلة متمايلة (٣) الريث البطء .

تسمعُ للحلي وسواساً إذا انصرفت كما استعان بريحٍ عشرقٌ زجلُ ١
ليست كمن يكره الجيران طلعتها ولا تراها لسر الجار تختتلُ ٢
يكادُ يصدعُها – لولا تَشددُها – إذا تقومُ إلى جاراتِها الكسلُ ٣
إذا تقوم يَضوع المسك أصورةً والزنبقُ الوردُ من أردانها شملُ ٤
ما روضةٌ من رياض الحزْن مُعشبة خضراءُ جادَ عليها مُسبلٌ هَطِلُ ٥
يضاحكُ الشمس منها كوكبٌ شرِق مؤزَّر بعميم النَّبتِ مُكتهلُ ٦
يوماً بأطيب منها نشرَ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصلُ ٧
صدت « هريرة » عنا ما تكلمنا جهلاً بأمّ خليد، حبلَ من تصلُ؟ ٨
أئن رأت رجلاً أعشى أضرّ به ريبُ المنون ودهرٌ مُفندٌ خبلُ ٩

(١) الوسواس: صوت الحلي والعشرق: شجرة مقدار ذراع لها أكام فيها حب صغار إذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى. (٢) تختتل: اي تتسمعه استراقاً ٣ يصفها بالسمن والترف، وكانوا يمدحون المثريات بالكسل وقلة العمل في البيت لأنهن مخدومات متنعمات (٤) يضوع المسك: اى تذهب رائحته هنا وهناك، وأصورة: جمع صوار بالضم وهو نافجة المسك او حقه، والزنبق عند العرب: زيت الياسمين، وأكمله ما كان يميل إلى حمرة ولذلك وصفه بالورد (٥) الحزن: الأرض الغليظة، والحزن المراد هنا: موضع ببلاد بني يربوع من اليمامة فيه رياض وقلعان (٦) كوكب كل شيء: معظمه، ويريد به هنا جماعة الزهر. أي يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها، او يتفتح ويشرق عند شروقها: وهذا الزهر مؤزر اي يكتنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتفاف الإزار (٧) الأصل: جمع اصيل وهو من العصر الى الظلام وخص هذا الوقت لان الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملاً رائحة الازهار يعني ان رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة ٨ أم خليد كنية هريرة وقوله «حبل من تصل!» استفهام تعجبي، يعني اذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم إذن. (٩) الاعشى الذي لا يبصر بالليل، والمفند الآتي بالفند وهو السفه في الرأي، ومثله الخبال.

قالت هريرة لما جئتُ زائرَها : وَيلي عليك وويلي منك !يارجلُ[١]
إما ترَينا حُفاةً ، لا نعال لنا إنا كذلك ما نحفى وننتعل[٢]
وقد أقودُ الصِّبا يوماً ، فيتبعني وقد يُصاحبُني ذوالشرَّةِ الغزلُ[٣]
وقد غدوت إلى الحانوت يَتبعُني شاوٍ مِشلٌ شلولٌ شُلشلٌ شولُ[٤]
في فِتيةٍ كسيوف الهند قد علموا أنْ هالِكٌ كلُّ مَنيحفى وينتعلُ[٥]
نازعتهُم قضُبَ الريحانِ متكئاً وقهوةً مُزّةً راوُوقها خَضِلُ[٦]
لا يستفيقون منها ، وهي راهنةٌ إلا بهاتِ ، وإن عَلُّوا،وإننهلوا[٧]

(١) ويلي عليك وويلي منك : أي أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لي في هلاك نفسك وأتفجع منك لأن زيارتك لي تجر إلى هلاكي (٢) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التي صدت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان ، وأنه كان شاباً غنياً طروباً غزلاً يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمع للقيان وينعم بهن فقال : « إما ترينا حفاة لا نعال لنا . . . الخ » أي إن ترينا نتبذل مرة فنمشي حفاة فليس هذا دأبنا دائماً فاننا أيضاً منتعلون فطوراً نفتقر وطوراً نغتني (٣) أقود الصبا الخ :أي أتصابى ،وآتي بأفعال الفتيان ويصحبني منهم الغزل ذوي الشرة وهي : نشاط الشباب . (٤) الحانوت : بيت الخمار ، والشاوي : الذي يشوي اللحم ، والمشل : السواق الخفيف والشلول والشلشل: الغلام الحار الرأس الخفيف الروح النشيط في عمله والشول :من يشول بالشيء الذي يشتريه المشتري ، فيحمله له ويرفعه .(٥) أي كالسيوف في المضاء والصرامة وأنْ مخففة من الثقيلة، وإسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة « هالك كل من . . الخ » خبرها فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر . (٦) الريحان : كل زهر طيب الرائحة ، ونازعتهم قضب الريحان : أتناولها مرة ويتناولونها أخرى ، والقهوة :الخمرة ، الراووق : الوعاء الذي تروق فيه الخمر وخضل :دائم الندى لا يخف لكثرة شربهم . (٧) راهنة دائمة أمامهم أي لا ينتهون إلا إذا أبطأ عليهم الساقي فصاحوا به «هات »ولو شربوا عللا بعدنهل أي مرة بعد أخرى.

يسعى بهاذو زُجاجات له نطَفٌ   مقلصٌ أسفل السربال مُعتمل ١
ومستجيب تخال الصنجَ يُسمِعه   إذا تُرَجِّعُ فيه القينةُ الفضُلُ ٢

(٨) الحارث بن حِلـّزةَ اليَشكري

هو الحارث بن حلزة اليشكريّ البكريّ، يتصل نسبه إلى يشكر رَهْط من بكر بن وائل ولم يؤثر عنه غير قطع يسيرة ، ومعلقته الآتية التي كان من أمرها أن عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة أصلح بين بكر وتغلب بعد حرب البسوس ، وأخذ من كلا الفريقين رهائن من أبنائهم ، ليكفّ بعضهم عن بعض وليقيد منها المُعتدى عليه من المعتدي ، فحدث أن سَرّح الملك ركباً من تغلب في بعض حاجته ، فزعمت تغلب أن الركب نزلوا على ماء لبكر فأجلوهم عنه، وحملوهم على المفازة فماتوا عطشاً، وتزعم بكر أنهم سقوهم وأرشدوهم الطريق فتاهوا وهلكوا، وذهب الفريقان يتدافعان عند عمرو بن هند ، وكانت ضلعه مع تغلب، فهاج ذلك الحارث بن حلزة ، وكان في المجلس مستوراً عن الملك بستارة لما فيه من البرص ، فارتجل قصيدته هذه ارتجالاً يفتخر فيها بقومه وفعالهم وحسن بلائهم عند الملك وعظم أيامهم معه، فما أتم قصيدته حتى انقلب الملك إلى جانب البكريين، وقرّبَ الحارث من مجلسه ، وعمر الحارث طويلاً حتى قيل إنه أنشد هذه القصيدة وعمره خمس وثلاثون ومائة سنة ومات قبل الهجرة بنحو خمسين سنة

---

(١) النطف : القرطة من اللؤلؤ ، ومقلص : مشمر ، والسربال : القميص ، والمعتمل النشيط (المعنى) يسعى بالخمر ساق يحمل زجاجتها مقرط الأذن بلؤلؤ مشمر ذيله معتمل نشيط . (٢) ومستجيب : أي ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحاكاته . أي أن العود والصنج متفقان في النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر . والصنج : دوائر رقاق من صفر يصفق بأحدهما على الأخرى وهي التي نسميها في زماننا «الكاسات» وهو أيضاً نوع من الآلات الوترية ، وترجع : تردد النغم ، القينة : الأمة وقيل إذا كانت مغنية والمرأة الفضل . التي تلبس ثوباً واحداً كأنها متبذلة .

وشعره : تغلبُ عليه الجزالة مع الإيجاز، واطراد التعبير من طريق الحقيقة والتشبيه في الغالب ، وكذلك ما فيه من الطابع البدوي الذي يكاد يمتاز به شعر الجاهليين ، ومعلقته هي :

آذنتنا ببينهـــا أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ ١
بَعدَ عهدٍ لنا ببُرْقةِ شمَّـا ءَ فأدنى ديارِها الخَلصاءُ ٢
لا أرى من عَهِدتُ فيها فأبكي اليَوْمَ دَلْهاً وما يحيرُ البكاءُ
غير أني قد أستعين على الهم إذا خفَّ بالثوي النَّجاءُ ٣
بزفوف كأنهـــا هِقْلَةٌ أمُّ رئـال دَوِيَّة سَقْفاءُ ٤
آنَسَتْ نَبأةً وأفزعها القنـــاصُ عصراً وقددنا الإمساء ٥

ثم قال :

وأتانا من الحوادث والأنبـــاء خطبٌ نَعْنى به ونُساء ٦
أن إخواننا الأراقم يغـلو نَ علينا في قيلهم إحفاء
يخلطون البريءَ منا بذي الذنبِ ولا يَنفعُ الخَليَّ الخَلاء ٧
زَعموا أن كلَّ مَنْ ضربَ العَيْرَ موال لنا ، وأنا الوَلاء ٨

---

(١) آذنتنا أعلمتنا ، وببينها : بفراقها لنا ، وثاو : مقيم . أي كثيراً ما تكره إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشره ، وأسماء ليست من هؤلاء ففراقها شاق علينا . (٢) برقة شماء : مكان ، الخلصاء كذلك، الثوي: المقيم. (٣) النجاء: الإسراع (٤) الزفيف إسراع النعامة في سيرها والمراد المبالغة في وصف الناقة بالسرعة ، والهقلة الناعمة والرئال أولادها والواحد رال والدو المفازة والدوية المنسوبة إليها والسقفاء الطويلة مع انحناء (٥) آنست : أحست ، والنبأة : الصوت الخفي ، القناص الصيادون (٦) نعنى به : نتعب به نحن دون غيرنا ، ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبني بكر قبيلة الشاعر ويغلون علينا يتجاوزون الحد في التقول علينا، والقيل : القول والإحفاء : شدة الإلحاح والاستقصاء . (٧) الخلي هنا الخالي من الذنب . والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، لا تنفع عندهم البريء براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم . (٨) أي فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤخذ عليها فعندهم أن كل من ضرب حماراً مثلاً مذنب .

أجمعوا أمرَهم عِشاءً فلما أصبحوا أصبحت لهم ضوضاء
من مُنادٍ ، ومن مجيب ، ومن تَصْهالِ خيلٍ خِلالَ ذاك رُغاء ١
أيها الناطقُ المرَقِّش عنا عند عمرو ، وهل لذاكَ بقاء ؟ ٢
لا تخلنا على غِراتك ، إنا قبلُ ما قد وشى بنا الأعداء ٣
فبَقينا على الشناءَة تَنْمينا حُصُونٌ ، وعزة قعساء ٤
قبلَ ما اليومِ بَيضتْ بعُيون الناس فيها تعيطٌ وإباء ٥
وكأن المنون تردي بنا أرْ عنَ جوناً ينجابُ عنه العماء ٦
مُكْفَهِراً على الحوادث لا ترْ نوهُ للدهر مؤيدٌ صمّاء ٧
أيما خطةٍ أردتم فأدُّو ها إلينا تمشي بها الأمْلاء ٨

---

(١) أي يتلمسون أي ذنب ، ويتشاورون في الليل في أمر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل في وصف التأهب للارتحال وأصدقه وأوضحه تصويراً للحقيقة (٢) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ أي لتزيينك الباطل دوام ٣ لا تخلنا : أي لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الإغراء ، وما زائد والمفعول الثاني محذوف . (٤) الشناءة : البغض . وتنمينا ترفعنا ، والقعساء : الثابتة . أي فبقينا على بغضك لنا في عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه (٥) قبل ما اليوم أي قبل اليوم وما زائدة ، وبيضت بعيون الناس : بيضتها أي أعمتها والباء زائدة ، والتعيط الترفع والإباء (٦) تردي ترمي وترجم : والباء في « بنا » لتجريد نظير قولهم لئن لقيت فلاناً لتلقين به الأسد ، أي لتلقين الأسد ، أي هو كالأسد ، والأرعن هنا الجبل الذي له حدود وأطراف تخرج عن معظمه ، والجون : الأسود ، وينجاب منه : ينشق عنه ، والعماء السحاب الأبيض ٧) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر ، والمكفهر من الجبال الصلب المنيع ولا ترنوه لا تنقصه وتنال منه ، والمؤيد الداهية وصماء . لا تسمع اعتذارات . أي أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لا تنال منه الدواهي الصماء . (٨) الخطة : الأمر يقع بين القوم ، أو الإقدام على الأمر ، والأملاء جمع ملأ ، وهم الأشراف والرؤساء .

إن نَبشتم ما بين ملحةَ فالصا قب فيه الأمواتُ والأحياء ١
أو نقشتم ، فالنقشُ يجشمه النا سُ ، وفيه الصلاح والإبراءُ ٢
أو سكتمْ عنا ، فكنا كمن أغـمض عيناً في جفنها الأقذاء ٣
أو منعتُم ما تسألون فمن حُدّ ثتُموه له علينا العلاء ؟ ٤
هل علمتم أيام ينتهبُ النا سُ غِواراً لكل حي عُواء ٥
اذْ ركبنا الجمالَ من سعف البحـرين سيراً حتى نهاها الحِساء ٦
ثمّ ملنا على تميم فأحرَمنـا وفينا بنات مُرّ إماء ٧
لا يُقيم العزيز بالبلد السهـلِ ، ولا ينفعُ الذّليلَ النّجاء ٨
ليس يُنجي مُوائلاً من حِذار رَأسُ طودٍ وحرةٌ رجْلاء ٩

---

(١) ملحة الصاقب : موضعان ، أي إن كانت الخطة التي ترضونها أن تثيروا القتال الذي وقع بيننا في هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أي فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم ، وحذفت الفاء الواقعة في جواب الشرط « وهو فيه الأموات الخ » للضرورة . أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك أو أن جواب الشرط الآتي له ولهذا . (٢) أو نقشتم أي دققتم في الاستقصاء ويجسمه : يتكلفه على مشقة (٣) وإن سكتم عنا فانا نسكت ، ونغضي أعيننا على القذى لأن الحق في جانبنا .(٤) وإن منعتهم ما تسألون فيه من الصلح والتراضي فمن الذي أخبرتم أن له العلو علينا ، حتى تطمعوا فينا ؟ وحدث هنا تعدت إلى ثلاث مفاعيل . (٥) غواراً : أي مغاورة بعض على بعض ، والعواء الصياح . ٦ يريد بالسعف : النخل ، والحساء جمع حسى ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريباً أي هل علمتم إذا ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى إنتهينا إلى الحساء (٧) فأحرمنا أي دخلنا في الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا ، ومر أبو تميم .(٨و٩) النجاة : الإسراع والفرار . والموائل الذي يطلب موئلاً أي ملجأ ؛ والطود: الجبل؛ والحرة الأرض ذات الحجارة السوداء والرجلاء : الغليظة .

(٩) لبيد بن ربيعة العامري

هو أبو عقيل لبيدُ بن ربيعة العامري أحد أشراف الشعراء المجيدين ، وهو من بني عامر بن صَعْصَعة إحدى بطون هوازن من مُضَر ، وأمه عبسية ، نشأ لَبيد جواداً شجاعاً فاتكاً؛ أمّا الجود فورثه عن أبيه الملقبُ بربيعة المُعْتَرِّين وأما الشجاعة والفتكُ فهما خَصلتا قبيلته . إذ كان عمه مُلاعِبُ الأسنة أحد فُرْسان مُضَرَ في الجاهلية ، وكان بين قبيلته وبين بني عبس أخواله عداوة شديدة، فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر ، وعلى العبسيين الربيع بن زياد، وعلى العامريين مُلاعِبُ الأسنة ، وكان الربيع مُقَرّباً عند النعمان يُؤاكله ويُنادمه ، فأوغرَ صدره على العامريين، فلما دخل وفدهم على النعمان أعرض عنه فشقّ ذلك عليهم ، ولبيد يؤمئذ صغير ، يسرحُ إبلهم ويرعاها ، فسألهم عن خطبهم فاحتقروه لصغره : فألحّ حتى أشركوه معهم ، فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غداً عند النعمان أسوأ انتقام، بهجاء لا يجالسه بعده ولا يؤاكله فكان ذلك، ومَقَت النعمان الربيع ولم يقبل له عذراً ، وأكرم العامريين وقضى حوائجهم ، فكان هذا أوّلَ ما اشتهر به لبيد، ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطَوّلات ، وشهد النابغة له وهو غلام بأنه أشعر هوازن ، ولما ظهر الإسلام وأقبلت وفودُ العرب على النبي ﷺ جاء لَبيد في وفد بني عامر وأسلمَ ، وعاد إلى بلاده ، وحَسُن إسلامه ، وتنسّك وحفظ القرآن كله ، وقال :

الحمد للهِ إذْ لَمْ يأتِني أجَلي حتى اكتَسَيتُ مِن الإسلامِ سربالا

وهجر الشعر حتى لم يرو له في الإسلام غير بيت واحد ، هو :

ما عاتَبَ الحرّ الكريم كنفسه والمرءُ يُصلحه الجليس الصالحُ

وبعد أن فتحت الأمصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها

دار إقامة . وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة إحدى وأربعين من الهجرة ، وقد قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة

شعره : نبغ فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الأشراف والفرسان .

فمن قوله يرثي أخاه أربد :

بَلينا وما تَبلى النجومُ الطوالعُ وتَبقى الدّيارُ بعدنا والمصانعُ
وقد كنتُ في أكناف جارِ مضنةٍ ففارقني جارٌ بأربدَ نافعُ
فلا جَزَعٌ إن فرّق الدّهر بيننا فكلّ امرىءٍ يوماً به الدهر فاجعُ
وما النّاسُ إلا كالدّيار وأهلها بها يوم حلوها وراحوا بلاقعُ
وما المال والأهلونَ إلا ودائعٌ ولا بدّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ
لعمركَ ماتَدْري الضّوارب بالحصى ولا زاجراتُ الطيرِ ما الله صانعُ
وما الناسُ إلا عاملان : فعامل يُتَبّر ما يبني وآخرُ رافعُ
فمنهم سعيدٌ آخذٌ بنصيبه ومنهم شقيٌ بالمعيشة قانعُ

ومن جيد الشعر وأبلغه أيضاً :

معلقة لبيد بن ربيعة العامري

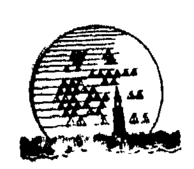
عَفتِ الدّيارُ محلها فمُقامُها بِمنىً تأبدَ غولُها فرِجامُها ١
فمدافِعُ الرّيّان عُرّي رسمُها خَلَقاً كما ضمِنَ الوُحيّ سِلامُها ٢
دِمَنٌ تَجَرّمَ بَعدَ عَهد أنيسها حِججٌ خَلَوْنَ حَلالُها وحَرامُها ٣

---

(١) عفت : درست ، والمحل والمقام : موضع الحلول والإقامة . تأبد : توحش . الغول والرجام : جبلان . (٢) الريان : واد بحمى ضربة ، ومدافع : مجاري المياه به حيث يندفع السيل وعري : رسمها خلقاً : أي ظهر بالياً ، والسلام : الحجارة يذكر أن مدافع الريان لم تبق منها آثار تشبه آثار الكتابة على الأحجار . (٣) الدمن ما اجتمع من آثار الديار ، تجرم : مضى .

رُزِقت مَرابيع النجوم وصابها ودْقُ الرّواعد جودها فَرِهامها [١]
من كل سارية وغادٍ مدجن وعشية متجاوب إرْزامُها [٢]
فعلا فروعُ الأيهُقان وأطفلت بالجهلتين ظباؤها ونعامها [٣]
والعينُ ساكنة على أطلائها عوذاً تأجّل بالفضاء بِهامُها [٤]
وجلا السيول عن الطلوع كأنها زُبُرٌ تجدُّ مُتونها أقلامُها [٥]
أو رجْعُ واشمةٍ أسفّ نؤورها كففاً تعرض فوقهن وشامُها [٦]
فوقفت أسألها ، وكيف سؤالنا صُمّاً خوالد ما يبين كلامُها [٧]
عريت وكان بها الجميع فأبكروا منها وغودر نؤيها وثمامُها [٨]
شاقتك ظعنُ الحيّ حينَ تحمّلوا فتكنّسوا قُطُناً تصرُّ خيامُها [٩]
من كل محفوف يُظِلُّ عصيه زوجٌ عليه كلة وقرامُها [١٠]

(١) المرابيع : أوائل الأمطار في الربيع . والنجوم : الأنواء، وصابها : مطرها والودق: المطر . وجوده غزيره . ورهامه لينه وصغيره (٢) السارية : السحابة وغاد: يسير بالغداة . مدجن : مظلم ، لأن المقيم إذا انتشر ملأ الجو بالدجنة وهي الظلمة والأرزام : صوت الرعد . (٣) الأيهقان : النبت أطفلت : أصبحت ذات أطفال، الجهلتين الجهتين (٤) العين: البقرة وأطلاؤها أولادها ، والعوذ : حديثة النتاج لأن ولدها يعوذ بها ، تأجل : تجمع وصار أجلاً ،والأجل القطيع (٥) يريد أن السيول كشفت عن الطلول فظهرت كالكتب تجدد ظهورها الأقلام (٦) الواشمة : من تحلي الأيدي بالوشم (٧) الصم العواقي وهي الأثافي ، ما يبين : لا يظهر ٨ عريت : خلت . أبكروا : ساروا في البكرة ، وغودر : ترك ، والنؤي : حفرة حول الخباء تمنع السيل ، والثمام: نبت ضعيف (٩) الظعن: الجمال عليها الهوادج ،او هي النساء في الهوادج ،تكنست الظباء: سكنت الكناس ، والقطن الهوادج ، تصر خيامها ، يسمع لها صرير : يريد أن ظعن الحي تركوا وطنهم وأسكنهم الرحيل رحالاً يصفق بها الريح (١٠) محفوف : صفة للهودج يحف بالديباج ويزدان به جانباه ، يظل: يغطي أو يظلل والعصي هنا أعواد الهودج ، والزوج بساط يفرس على الهودج ، والكلة ستر رقيق ، والقرام : ثوب ملون منقوش .



زجلاً كأنّ نِعاجَ توضِحَ فوقها وظِباءَ وجرَةَ عُطَّفاً أرآمُها ١
حُفِزت وزايلها السّراب كأنها أجزاعُ بيشةَ أثلها ورضامها ٢
بل ما تذكّرُ من «نَوار» وقد نأت وتقطّعت أسبابُها ورِمامُها ٣
مُرّيّةٌ حلت بفَيدٍ وجاورَت اهل الحجاز فأينَ منك مرامها ٤
بمشارقِ الجبلَيْنِ أو بمُحَجَّرٍ فتضمّنتها فَرْدةٌ فرُخامها ٥
فصوائق إنْ أيمنَت فمظنّه منها وحافُ القهْر أو طِلخامها ٦
فاقطعْ لُبانةَ مَنْ تعرض وَصلهُ ولشرُّ واصل خُلّة صرامها ٧
واحبُ المُجامل بالجزيل وصرمُهُ باقٍ إذا ظلَعَتْ وزاغَ قِوامها ٨
بطليحِ أسفار تركْنَ بَقيّة منها وأحنق صلبها وسنامها ٩
فإذا تَغالى لحمُها وتحسّرَت وتقطعت بعد الكلال خِدامها ١٠

---

(١) زجل : الجماعة ، توضح ووجرة ، موضعان ، النعاج : البقر ، عطفت الظبية تعطف جيدها إذا ربضت ، يذكر أن النساء فوق الهوادج كأنهن النعاج أو الأرآم والأعلام (٢) حفزت: حثت على المسير وزايلها . فارقها ، بيشة: واد والأجزاع منعطف الوادي، الأثل : نوع من الشجر ، والرضام: صخور عظام . (٣) نوار : اسم حبيبته ، الرمام . القطعة من الحبل البالي ، يريد أن الوصل تقطعت به الأسباب . (٤) مرية تنسب إلى مرة بن عوف ، فيد : موضع في طريق مكة مرامها : مناها . (٥) الجبلان أجا وسلمى ، محجر: جبل في بلاد طيء ، فردة اسم أرض ، والرخاء : موضع كثير الأشجار . (٦) الصوائق : جبل قرب مكة وتروى فصعائد وأيمنت: سارت نحو اليمين. وحاف: الصخراة السوداء ، القهر: اسم موضع والطلخاء الفيلة . (٧) اللبانة : الحاجة ، تعرض : تغير . (٨) واحب . أعط المجامل المكافي، وصرمه باق : أي وقطيعته باقية — إذا ظلعت : إذا مالت مودته عنك وزاغ قوامها أي ملاكها . (٩) الطليح : الناقة المعيية وأحنق بمعنى ضمر . (١٠) تغالى · إرتفع من الهزال وتحسرت : تقطعت والكلال الأعياء .

فلها هِبابٌ في الزمامِ كأنها صهباء راحَ معَ الجنوبِ جُهامُها[١]
أو ملمعٌ وسقتْ لأحقبَ لاحهُ طرْدُ الفحولِ وضربُها وكدامُها[٢]
يعلو بها حَدَبَ الأكامِ مُسَحَّجٌ قد رابهُ عِصيانُها ووِحامُها[٣]
بأحزّةِ الثلبوتِ يرْبأُ فوقها قفرُ المراقب خوفها آرامُها[٤]
حتى إذا سلخا « جمادى » ستة جزءاً فطال صيامه وصيامها[٥]
رجعا بأمرهما إلى ذي مِرّةٍ حصدٍ ونجحُ صريمةٍ إبرامها[٦]
ورمى دوابرها السفا وتهيجتْ ريحُ المصايف سومها وسهامها[٧]
فتنازعا سبطاً تطير ظلالهُ كدخان مشعلة يشبُّ ضرامها[٨]
مشمولة غلثت بنابتِ عرفجٍ كدخان نار ساطعٍ أسنامها[٩]
فمضى وقدمها وكانت عادة منه إذا هي عرّدت إقدامها
فتوسطا عرض السريّ وصدعا مسجورةً متجاوراً قلامها[٢٠]

(١) الهباب : النشاط . والصهباء : السحابة التي لم يكن فيها ماء ، والجهام الذي لا ماء فيه ، والجنوب : هي الريح اليمانية (٢) الملمع الأتان التي قد بان حملها واسودت حلماتها (٣) يعلو : يرتفع الحدب . ما ارتفع من الأرض ، المسحج : المضعض رابه أي شككه . والعصيان: الامتناع، والوحام:الكراهية للشيء . (٤) الأحزة : ما غلظ من الأرض الثلبوت : موضع في نجد ، يربأ : يرفع ، قفر المراقب : عالي موضع الارتقاب ، والآرام : الأعلام (٥) أراد ستة أشهر أولها المحرم وآخرها جمادى، جزءاً: أي إستغنينا بالرطب من الكلأ عن الماء، والصيام عن الماء وسلخا: أي مضى عليهما ٦ رجعا . الأتان والحمار. بأمرهما. برأيهما، ذي مرة قوة ، يعني الحمار ، حصد : محكم وصريمة : عزيمة ، والإبرام : الإحكام . (٧) الدواير : مآخير الحوافر : والسفا : شوك البهى هنا ، المصايف : المرعى أيام الصيف، سومها. مرها. السهام وهج الصيف وشدة حره (٨) تنازعا: تجاذبا (٩) أسنم الدخان: إذا ارتفع و كثر ، علثت : خلطت ، العرفج : كثرة الدخان ساطع مرتفع (١٠) توسطا دخلا وسطه عرض السرى ، ناحية النهر ، وصدعاء قافر ، مسجورة : أي عينا مملوءة .

محفوفــة وسط اليراع يظلهــا منها مُصَرّعُ غابــة وقيامها ١
أفتلكَ ؟ أم وحشيةٌ مسبوعة خذلت وهاديةُ الصوار قوامها ٢
خنساء ضيّعت الفرير فلم يرمْ عُرْض الشقائق طوفها وبغامها ٣
لمعفّر فهْدٍ تنازع شِلوَهُ .. غبس كواسب ما يُمَنُّ طعامها ٤
صادفن منها غرّةً فأصبنهــا إن المنايا لا تطيش سهامُها ٥
باتت وأسْبَلَ واكفٌ من ديمة يروي الخمائلُ دائماً تَسجامُها ٦
تجتافُ صلاً قالصاً متنبــذاً بعُجُوبِ أنقاء يميـــلَ هيامها ٧
يعلو طريقة متنهـــا متواتراً في ليلةٍ كفرَ النجوم ظلامها ٨
وتضيء في وجه الظلام منيرةً كجمانة البحريّ سلَّ نظامها ٩
حتى اذا انحسرَ الظلامُ وأسفرتْ بكرت تزلُّ عن الثرى أزْلامها ١٠

(١) محفوفة : محوطة من جميع جوانبها ، يعني العين ، مصرع : بعضه فوق بعض والغابة ، الأجمة وهي الشجر الملتف (٢) أفتلك : الأتان ، أم وحشية : بقرة الوحش مسبوعة : أكل السبع ولدها ، خذلت : تأخرت عن البقر والخذول : المتخلفة ، وهادية متقدمة (٣) خنساء : قصيرة الأنف ، الفرير : ولد البقرة ، يرم : يبرح ، عرض أي ناحية ، الشقائق : جمع شقيقة وهي ما بين الرملتين وطوفها أي دورانها وترددها وبغامها : صوتها (٤) المعفر ولد البقرة ، والفهد : الأبيض تنازع : تجاذب ، شلوه واحد الأشياء وهي الأعضاء ، وغبس الذئاب الغبر وكواسب تكسب ما تأكل ، ما يمن طعامها ليس أحد يمن به عليها . (٥ صادفن : وجدن ، غرة : غفلة ، فأصبنها ، أوقعنها ، لا تطيش - لا تخطىء (٦) أسبل ، هطل ، الواكف : المطر يقيم أياماً لا ينقطع ، الخمائل الشجر الملتف والتسجام ، كثرة المطر . (٧ تجتاف : تدخل جوفه ، أصلاً قالصاً ، يعني أصل شجرة ، يعقوب . أصل الذنب ، يعني أطراف الرمال ، منتحياً . (٨) الطريقة ، الخطة ، متواتراً . متتابعاً ، كفر غطى ، والغمام . السحاب . (٩) تضيء . تنير والجمانة . الحبة من اللؤلؤ ، سل نظامها . وهو الخيط الذي يسلك فيه اللؤلؤ . (١٠) انحسر الظلام . انكشف ، أسفرت : دخلت في الإسفار وهو الصبح ، بكرت : غدت بكرة ، تزل ، تسرع ، الثرى التراب ، أزلامها ، قوائمها

عَلِهت تبلد في نهاء صعائد سبعاً تؤماً كاملاً أيامُها ١
حتى إذا يئست وأسحق حالقٌ لم يبله إرضاعها وفطامها ٢
وتسمّعت رِزّ الأنيس فراعَها عن ظهر غيب والأنيس سقامها
فغدت كلا الفرجين تحسب أنه مولى المخافةِ خلفها وأمامها ٣
حتى إذا يئسَ الرماة وأرسلوا غضباً دواجن قافلاً أعصامُها ٤
فلحقن واعتكرت لها مدريةٌ كالسمهرية حدها وتمامها ٥
لتذودهنّ وأيقنت إن لم تذد أن قد أحمّ مع الحتوف حمامها ٦
فتقصدت منها كساب فضرّجت بدمٍ وغودر في المكرّ سخامها ٧
فبتلك–إذ رقص اللوامع بالضحى واجتاب أردية السراب إكامها ٨
أقضي اللبانةَ لا أُفرّط ريبة او أن يلوم بحاجة لوّامها ٩
او لم تكن تدري « نوارُ » بأنني وصّالُ عقد حبائل جذامها؟ ١٠
ترّاك أمكنة إذا لم أرضها او يرتبط بعض النفوس حمامُها ١١
بل أنتِ لا تدرينَ كم من ليلة طلق لذيذٍ لهوها وندامُها

(١) علهت : تحيرت ، تبلد : تتردد · وتتحير ، في نهاء . غاية ، الصعائد · المكان تؤماً : أي متتابعة لياليها (٢) سحق · ارتفع ، والحالق · المرتفع وهو ضرعها ،والحالق،الجبل المرتفع(٣)الفرجان:ما بين القوائم،مولى المخافا صاحبها (٤) الغضب : جمع أغضب وهي الكلاب. (٥) اعتكرت · استممت ورجعت مدرية : محدودة ، السمهرية ، الرماح المنسوبة إلى سمهر وهو رجل كان يقوم الرماح باليمن (٦) لذودهن : أي تطردهن ، وأن قد أحم قدر ، الحتوف . جمع حتف وهو الموت والحمام : الموت (٧) فتقصدت : قصدت يعني قتلت ، كساب . إسم كلبة فضرجت.: خلطت وغودر . ترك ، في المكر ، موضع القتال ، سخامها اسم كلب . (٨) فبتلك البكرة رقص · ارتفع اللوامع بالضحى · الآل ، وإجتاب . لبس ، أردية · جمع رداء. (٩ اللبانة · الحاجة ، لا أفرط لا أترك ، والريبة الشك والمخافة ، أو أن لا يلوم (١٠) وصال. أي أصل ولا أقطع. (١١) تراك أمكنة يقول إذ رأى ما يكره تركها ، أو يرتبط· يتلف ، وبعض بمعنى كل .

قد بت سامرَها وغايةَ تاجر … وافيت إذ رُفعت وعز مُدامُها [١]
أُغلي السِّباء بكل أدكنَ عاتق … أو جونة قدحَت وفضّ ختامها [٢]
بصبوح صافية وجَذب كرينة … بمُوتَّر تأتاله إبهامها
باكرت حاجتها الدجاجَ بسُحرة … لأعلّ منها حين هبّ نيامها
وغداة ريح قد وزعتُ وقرّة … إذ أصبحت بيد الشمال زمامُها
ولقد حَميتُ الخيلَ تحمل شكتي … فرُطٌ وشاحي إذ غدَوت لجامُها [٣]
فعلوت مُرتقياً على مَرهوبة … حَرِجٍ إلى أعلامهن قَتامُها [٤]
حتى إذا ألقت يداً في كافر … وأجَنّ عَورات الثغور ظلامها [٥]
أسهلتُ وانتصبت كجِذع مُنيفة … جَرداء يحصُرُ دونها جُرّامها [٦]
رفّعتها طرد النعام وفوقه … حتى إذا سخنَت وخَفّ عظامها [٧]
قلقت رِحالتها وأسبلَ نحرُها … وابتلّ من زَبد الحميم حزامها [٨]
ترقى وتطعنُ في العنان وتنتحي … وردَ الحمامة إذ أجد حمامها [٩]
وكثيرة غرَباؤُها مجهولة … ترجَى نوافلها ويُخشى ذامها [١٠]

(١) بت سامراً : أي فيها وغاية تاجر يريد راية تاجر يبيع الخمر ، ويضع الراية ليعرف موضعه بها فرفعها لذلك ، عز : غلا مدامها : خمرها وسميت مدامه لمداومتها في الدل (٢) السباء : شراء الخمر ، وجونة : سوداء ، والأدكن : الزق ، قدحت غرفت . (٣ فرط : من صفة الفرس السابق ، وشكتي : سلاحي (٤) فعلوت طلعت مرتقياً ، الحرج ، الضيق ، والأعلام ، الصوت ، القتام ، الغبار . (٥) ألقت يداً ، يعني الشمس ، والكافر ، البحر ، وأجن ستر ، العورات : جمع عورة ، موضع المخافة ، والثغر ، موضع المخافة أيضاً . ٦ أسهل ، نزل السهل وانتصبت يريد الفرس ، ومنيفة ، يريد نخلة طويلة الجرام : الصرام (٧) ركضها في المسير كما تطرد النعام وفوقه : فوق الطرد وسخنت جمعت ، وخف عظامها ، وأسرعت . فاذا عرقت جاد جريها ٨ الرحالة : سرج ، والحميم العرق وأسبل نحرها : جرى (٩ إلى الماء وهو الورد ، وترقى تعتمد ، وتنتهي تقصد ، كأنها حمام أجهد نفسه ، ورد الحمامة ، كاسرعها (١٠ يريد كم من خطة وحالة عظيمة مشهورة حضرتها وكنت المقدم فيها ، ترجى نوافلها : فضلها ، ويخشى عليها .

غلب تشذّرَ بالذحول كأنها ... جن البديّ رواسياً اقدامها ١
أنكرت باطلها وبؤت بحقها ... يوماً ولم يفخر عليّ كرامُها ٢
وجزور أيسارٍ دعوت لحتفها ... بمغالق مُتشابه أعلامُها ٣
أدعو بهن لعاقرٍ أو مُطفلٍ ... بذلت لجيران الجميع لحامها
فالضيفُ والجارُ الغريبُ كأنما ... هبطا تَبالةَ مُخصباً أهضامها ٤
تأوي الى الأطنابِ كل رزية ... مثل البليةِ قالص أهدامها ٥
ويكلّلونَ اذا الرياحُ تناوحت ... خلجاً تمُد شوارعاً أيتامُها ٦
إنا إذا التقتِ المجامعُ لم يزَل ... منا لزازُ عظيمة جشامُها ٧
ومقسمٌ يُعطي العشيرة حقها ... ومغذمر لحقوقها هضامها ٨
فضلا، وذو كرم يعينُ على الندَى ... سمْح كسوبِ رغائب غنامها
من معشر سنت لهم آباؤهم ... ولكل قوم سُنةٌ وإمامها
إن يفزعوا تلق المغافر عندهم ... والسِّن يلمع كالكواكب لامها
لا يَطبعون ولا يبورُ فعالهم ... اذ لا يميل معَ الهوى أحلامُها
فبَنوا لنا بيتاً رفيعاً سمكه ... فسما اليه كهلها وغلامها ٩

(١) تشذر: تهيأ للقتال الذحول: الأحقاد، البدي مكان معروف بالجن، رواسياً يعني أنها ثابتة. (٢) بؤت أقررت. (٣) الأيسار: لذين يحضرون القسمة ويضربون بالقداح، والمغالق السابع من سهام الميسر. (٤) يقول عنده من الخصب مثل ماعند هل تبالة من الرطب (٥) الرزية المرة متى أهزلها أهلها والبلية: ناقة الرجل تعقل عند قبره وتفقأ عيناها ويطرح حفتها ويلذون وجهها فلا تزال عند قبره حتى تموت ويحضر له قدر ما بقيت قوائما، الأطناب: حبال الفساطيط، والأهدام: الخلقان، وقالص: قصير مرتفع (٦) التكليل أن يوضع اللحم بعضه على بعض، الخلج · الجفان، شوارع: جمع شارعة وهي من صفات الأيدي، رأى أيديهم ممدودة للآكل. (٧) المحافل: المجامع. لزاز: قرن، لكل عظيمة جشامها أي متجشم لها، متكفل بها. (٨) المقسم: يريد عامر بن الطفيل والمغذمر: الذين يأخذ من هذا ويعطي هذا ويدع هذا، والهضم: النقصان. (٩) بنو: يعني آباءه وأجداده، السمك: المرتفع من الشيء.

فاقنَع بما قسم المليكُ فإنما قسمَ الخلائق بيننا علامُها
وإذا الأمانةُ قسمَتْ في معشر أوْفى بأعظم حظّنا قسّامها
فهمُ السُّعاة إذا العشيرة أفظعتْ وهُمُ فوارسُها وهُمْ حُكّامها ١
وهم ربيع للمجاور فيهمُ والمرْملات إذا تطاول عامُها
وهمُ العشيرةُ إن يُبطأ حاسدٌ أو أن يميلَ مع العدوّ لئامها

ومنه قوله في النعمان يرثيه :

ألا تسألانِ المرء ماذا يحاول أنحبٌ فيقضى أم ضلالٌ وباطلُ ٢
أرى الناس لايدرون ما قدر أمرهم بَلى كلّ ذي لب إلى الله واسلُ ٣
ألا كلّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ وكل نعيم لا محالة زائلُ
وكل أناس سوف تدخُل بينهم دويهيةٌ تصفر منها الأناملُ
وكل امرىء يوماً سيعلم غيبه إذا كشفت عند الإله الحاصلُ

ويعتبر لبيد ممن رثى نفسه قبل موته بقوله لابنتيه وهو محتضر :

تمنى ابنتايَ أن يعيشَ أبوهما وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مُضرْ
فإن حان يوماً أن يموت أبوكما فلا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعرْ
وقولا هو المرْء الذي لا حليفه أضاعَ ولا خان الصديق ولا غدَرْ
إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

(١٠) علقمة بن عبدة التميمي

هو علقمة الفحل بن عبدة بن ناشرة التميمي ، شاعر جاهلي مجيد من أقران امرىء القيس ، مات قبل الإسلام بزمن طويل ، وإنما قيلَ له «الفحل» من أجل أن يتميز في الأخبار من شاعر آخر في قبيلته أيضاً يسمى علقمة الخصي بن سهل

(١) السعاة : جمع ساع وهو المصلح ، وأفظعت : ابتليت بالأمر الفظيع . وهو المهم (٢) السؤال بمعنى الاستفهام ، والمحاولة : استعمال الحيلة ، والنحب النذر (٣) الواسل الطالب والراغب إلى الله ، اي ارى الناس لا يعرفون ما هم فيه .

ويكنى أبا الوَضاح أدرك الإسلام وأسلم،وقيل سمي « الفحل » لأنه خلف امرأ القيس على زوجته بعد أن طلقها،لأنهافضلت علقمة عليه حين حكمّتهافي شعرهما.

(١١) معلقة علقمة الفحل بن عبدة التميمي

طحابك قلب في الحسان طرُوب بُعيد الشباب عصْرَ حان مشيب ١
يُكلفني ليلى ، وقد شط وليهـا وعادت عواد بيننا وخطوب ٢
منعمةٌ ، ما يستطاعُ كلامهـا على بابها من أن تزار رقيب ٣
إذاغاب عنها البعلُ لم تفش سرّه وترضي إيابَ البعل حين يؤوب ٤
فـلا تعـدلي بيني وبين مغمّر سقتك روايا المزن حين تصوب ٥
سقاك يمان ذو حبي وعارض تروح به جُنْحَ العشيّ جنوب ٦

(١) طحا به قلبه ذهب بـه كل مذهب ، والطروب من الطرب ، وهو خفة السرور والشوق إلى الشيء ، وبعيد ، تصغير : بعد . وحان المشيب : قرب أوانه ، اي أضلك قلبك الطروب في حبك الحسان بعدمـا ذهب الشباب وقرب المشيب ، والخطاب لنفسه ، ثم التفت وتكلم عن نفسه فقال: يكلفني الخ (٢. شط وليها : بعد عنك قربها ودنوها؛ومواصلتها عادت: شغلت، وصرفت مقلوب عداه عن الأمر صرفه ، والعوادي جمع عادية ، وهي الأمر الشاغل عن الشيء ، والخطوب : جمع خطب وهو الأمر العظيم من حوادث الدهر

(٣) منعمة : من النعيم فهي محجبة يعني بحراسة أهلها لها (٤ لم تفش سره : كناية أنها لم تخنه، ولذلك هي ترضي إيابه فلا يعجبهاغيره،وإذا قريء وترضى ـ بالضم ـ كان المعنى وتجعل إيابه رضياً حميداً بألا يشك في صونها. (٥) فلا تعدلي فلا تسوي والمغمر من الرجال. المحمق من الرجال الذى يستجهله الناس ، سقتك الخ يدعو لها بأن تسقيها المزن الروية أي تروي حين تمطر ، يريد أنه رجل عاقل نبيل ينبغي لها أن تحرص عليه ثم عاد إلى الدعاء لها فقال، سقاك الخ. ٦) أي سقاك سحاب يمان يأتي من ناحية جنوبي نجد، أصله يمني خففوا ياء النسب، وزادوا الألف عوضاً عنها ، فعومل المنسوب معـاملة المنقوض ، الحبي السحاب المتراكم =

وما أنت ؟ أم ما ذكرها ربعيّةً يخط لها من ثرمداءَ قليب ١
فإنْ تسألوني بالنساءِ فإنني بصير بأدواءِ النساء طبيب ٢
إذا شاب رأس المرءِ أوْ قل مالُه فليس له من وُدّهِنّ نصيب
يردْن ثراءَ المال حيثُ علمنه وشرخُ الشباب عندهن عجيب ٣
فدعها ! وسلّ الهم عنك بجسرة كهمك فيها بالرداف خبيب ٤
إلى الحارث الوهاب أعملت ناقتي بكلكلها والقصر بين وجيب ٥

وقال أيضاً علقمة الفحل بن عبدة التميمي :

والحمد لا يُشترى إلا لهُ ثمنٌ ممّا يضنُّ به الأقوام معلومُ ٦
والجود نافية للمال مهلكة والبخل مبق لأهليه ومذمومُ ٧

= بعضه على بعض فيكون سيره بطيئاً كأنه يحبو، ويكون لذلك مطره غزيراً، والعارض السحاب المعرض في الأفق ، والجنوب: الريح الجنوبية

(١) وما أنت : ما استفهامية للتعجب وأم للأضراب بمعنى بل ، أي ما شأنك ؟ بل ما الداعي لذكرك ليلى ، وهي ربعية من ربيعة وأنت تميمي ، وقد رحلت إلى بلادها حيث خط لها في ثرمداء قليب ، والقليب : البئر وثرمداء موضع ، ثم أخذ يصف أخلاق النساء وطباعهن ، فقال فإن تسألوني الخ : (٢) الأدواء جمع داء ، أي بطباعهن المعيبة التي بمنزلة الأمراض فيهن (٣) الثراء: الكثرة أي يحببن من يعلمن عنده مالا ، وشرخ الشباب أوله ، وعجيب : معجب (٤) الجسرة الناقة القوية الماضية ، وكهمك أي مثل همتك في المضاء والقوة ، والرداف جمع رديف والرديف والردف كل شيء يكون خلف الراكب ، ولو حقائب . والخبيب : السير السريع . ٥ والحارث الوهاب : يريد به الحارث ابن جبلة بن أبي شمر الغساني ، وكان أسر أخاه شاسا فرحل إليه يطلب خلاصه وفكه وأعمل الناقة : وجهها أو أجهدها ، والكلكل . الصدر وما بين الترقوتين ، وهو المناسب هنا . والقصريان ضلعان يليان الترقوتين. والوجيب خفقان القلب أي أنه لشدة إجهادها في السير اشتد نبض قلبها . وبان ذلك في كلكلها وقصرييها لقرب القلب منها . (٦) يقول إن الحمد لا يشترى إلا بأثمان تضن بها النفوس ، والحمد: الثناء والمدح. (٧) نافية أي مبيد ومهلك. والبخل الخ : أي أن البخل يوفر المال وأهله مأمونون وأدخل الهاء في نافية للمبالغة مثل علامة ونسابة .

والمالُ صوف قرار يلعبون به ... على نقادته واف ومجلوم ١
ومُطعمُ الغنم يوم الغنم مُطعمه ... أنى توجه ، والمحروم محروم ٢
والجهلُ ذو عرض لا يُستراد له ... والحلم آونةً في الناس معدوم ٣
ومن تعرّض للغرْبانِ يزجرها ... على سلامته لا بد - مشئومُ ٤
وكلُّ حصن وإن طالت سلامته ... على دعائمه – لا بدَّ – مهدوم ٥

أمية بن أبي الصلت

هو أمية بن عبد الله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي شاعر خطير من أشراف ثقيف، وأحد المتمسين للدين في الجاهلية، وأمه رقية بنت عبد شمس بن عبد مناف .

منشؤه – نشأ بالطائف، وكان أبوه شاعراً مشهوراً، وروى الكثير من أخبار اليهود والنصارى وما بقي في رءوس شيوخ الجاهلية من ملة إبراهيم وإسماعيل وحدث عن خلق السموات والأرض والملائكة والجن وشرائع الأنبياء والرسل، وخاض في التوحيد وأمر الآخرة ، وتعبد ولبس المسوح ، وحرم الخمر على نفسه وشك في الأوثان ، ورأى في الكتب ما يبشر ببعثة نبي من العرب ، فطمع أن يكونه ؛ فلما بُعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كُسِفَ بالُه ، وحمله الحسدُ

---

١) القرار : النقد . وهي غنم صغار الأجرام قصار الواحدة نقدة ، يلعبون به : أي يتداولونه ويعبثون به ، واف: كثير ، ومجلوم: مجزوم بالجلم أي المقص يريد أن منهم من يعطي القليل ومنهم من يعطي الكثير كما أن الصوف على النقد قليل وكثير . والنقادة : جمع لاسم الجمع (٢ المعنى : أن الذي جعل الغنم له طعمة فسيطعمه في يوم الغنم أينما توجه . ومن حرمه فلن يناله فقضاء الله كائن لامحالة . (٣) ذو عرض لك : لا يستراد له أي لا يراد ولا يطلب فأنت لا تحبه ولا تريده ، آونة أحياناً ، ومفرده : أوان (٤) المعنى أن من يزجر الطير وإن سلم فلا بد أن يصيبه شؤم : والغربان يتشاءم بها فمن تعرض لها يزجرها ويطردها خوفاً من أن يصيبه الشؤم فلا بد أن يقع ما يخاف ويحذر . (٥ يقول : كل حصن دامت سلامة أهليه فيه فلا بد أن يهلكوا ويخرب الحصن ، ودعائمه : أركانه التي يقوم بها .

والكمد أن ينابذه ، ويكفر بدينه على علمه بصحته ، ويحرض عليه قريشاً ، ويرثي قتلاهم في وقعة بدر ، فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن رواية شعره في ذلك ، وروي أنه هو الذي نزلت فيه آية «واتلُ عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسَلَخَ منهـــا فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين» وكان عليه الصلاة والسلام إذا سمع شعره في التوحيد والايمان والثناء على الله يقول : آمن لسانه ، وكفر قلبه .

ومن آخر شعر ما قاله عند موته :

كلُّ عيش وإن تطاول دهـراً   منتهى أمـــره إلى أن يزولا
ليتني كنتُ قبلَ ما بـدا لي   في رؤوس الجبال أرعى الوُعولا
فاجعل الموت نصب عينيك واحذر   غولة الدهر إن ذا الدهر غولا

واختص بأكثر مدائحه في الجاهلية (عبد الله بن جدعان أحد سراة قريش وأجوادها) حتى كان منه بمنزلة زهير مع هرم ، وأقام بقية حياته بالطائف إلى أن مات بها كافراً سنة تسع للهجرة .

شعره : يعدُّ أمية من أكبر شعراء القُرى على قلة الشعر فيهم ، غير أن الذي أزرى بشعره في نظر بعضهم كثرة استعماله للدخيـــل من العبرية والسريانية في شعره وكان أمية يسمي السماء : صاقورة ، وحاقورة ؛ ويزعم أن للقمر غلافاً يدخل فيــه إذا خسف ويسميه (السَّاهور) ويسمي الله في شعره السلطيط ، والتغرور ، ونحو ذلك

ويمتاز شعره ببعض السهولة في لفظه ، وبذكره بعض العجائب من القصص الخيالية ، والأساطير الخرافية ، وخلق العالم وفنائه ، وأحوال الآخرة وصفات الخالق والخشوع له ؛ ويذكر من ذلك ما لم يذكره احد من الشعراء قبله ، ويتخلل ذلك شيءٌ من الحكم والأمثال ، ومن شعره :

الحمدُ لله ممسانا ومصبحنـــا   بالخير صَبَّحَنا ربي ومَسَّانا
ربّ الحنيفة لم تنفد خزائنه   مملوءةٌ طبق الآفاق سلطانا
ألا نبيٌّ لنـــا منا فيخبرنا   ما بعد غايتنا من رأس محيانا

وقد علمنا لو ان العلم ينفعنا أن سوف تلحق أخرانا بأولانا

الرواية والرواة

قد علمنا مما تقدم أن عامة المروي من كلام العرب شعرها ونثرها وأخبارها معزو إلى أهل البدو الأميين ، ولذلك لم يصل إلينا كتاب يجمع بين دفتيه الكثير منها ، وما روي لنا من كلام فصحاء العرب ليس إلا النزر اليسير بوجوه مختلفة ، وبالطبع لا يحفظ هذه الوديعة إلا أهل الحفاظ عليها ، والاعتداد بها وهم الشعراء والمتأدبون ، فقد كان امرؤ القيس راوية أبي دواد الايادي ، وزهير راوية أوس ابن حجر ، والأعشى راوية المسيب بن علس .

واشتهر من قريش أربعة بأنهم رواة الناس للأشعار وعلماؤهم بالأنساب ، وهم مخرمة بن نوفل ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وحويطب بن عبد العزّى ، وعقيل ابن أبي طالب .

العصر الثاني ، عصر صدر الاسلام ، ويشمل بني أمية[1]

حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كانت العرب أمماً بدوية ، ليس لها من وسائل العمران وأسباب الرخاء مايحملها على تبحر في علم ، أو تبصر في دين ، أو تفنن في تجارة ، أو زراعة ، او صناعة او سياسة - وعلى وفق ذلك كانت اللغة العربية لا تعدو أغراض المعيشة البدوية -

(١) خلفاء بني أمية هم :
١ - معاوية بن أبي سفيان (٤١ / ٦٠) ٢ - يزيد بن معاوية (٦٠ / ٦٤)
٣ - معاوية بن يزيد (٦٤ / ٦٤) ٤ - مروان بن الحكم (٦٤ / ٦٥)
٥ - عبد الملك بن مروان (٦٥ / ٨٦) ٦ - الوليد بن عبد الملك (٨٦ / ٩٦)
٧ - سليمان بن عبد الملك (٩٦ / ٩٩) ٨ - عمر بن عبد العزيز (٩٩ / ١٠١)
٩ - يزيد بن عبد الملك (١٠١ / ١٠٥) ١٠ - هشام بن عبد الملك (١٠٥ / ١٢٥)
١١ - الوليد بن يزيد بن عبد الملك (١٢٥ / ١٢٦)
١٢ - يزيد بن الوليد الأول (١٢٦ / ١٢٦) ١٣ - مروان الجعدي (١٢٧ / ١٣٢)

إلا أن روحاً من الله تنسم بين أرجائها فأيقظتها من رقدتها ونبهتها لضرورة التعاون على الخير في مَعاشِها ولُغتِها وجماعتها ، فظهر ذلك بيناً في الأسواق التجارية اللغوية الاجتماعية ، وفي الإذعان فيها إلى حكومة الاشراف من قريش وتميم وغيرهما ، مما هيأهم لأن يجتمعوا تحت لواء واحد، ويتفاهموا بلسان واحد، فكان ذلك إيذاناً من الله بإظهار الاسلام فيهم، وما ألِفَتْ نفوسهم هذا النمط الجديد إلا وقد جاء النبي الكريم لامّاً لِشَعثهم ، موحداً لكلمتهم مُهذباً لطباعهم ، مُبيناً طريق الحق ، وجادة الصّواب ، بشريعة عظيمة فكان من نتيجة ذلك أن أُسّسَتْ لهم جامعة قومية مِليّة ومُلكٌ كبير وبالتفاف العرب حول صاحب هذه الدعوة وأنصاره ، وتَفَهّمهم شريعته وكلامه ثم خضوعهم بعدُ لزعامة قومه وخلفائه ووُلاتهم وفُتوحهم تحت ألويتهم ممالكَ الأكاسرة والقياصرة وغيرها ومخالطتهم أهلها بالجوار والمصاهرة حدث في حياتهم الفكريةِ واللسانية ، ما يمكن إجمالُه في الأمور الآتية .

الأول : شيوع اللغة القرَشيّة ، ثم توحّدُ لغات العرب وتمثلها جميعُها في لغة قريش واندماج سائر اللهجات العربية فيها، وبعض أسباب هذا يرجع إلى ما قبل الاسلام بتأثير الأسواق والحج وحكومة قريش - وأكثرها يرجع إلى نزول القرآن بلغتهم وظهور ذلك الدّاعي العظيم منهم ، وانتشار دينهِ وسُلطانه على أيديهم .

وبحكم الضرورة تكون لُغتُهم هي الرسمية بين القبائل .

الثاني : انتشار اللغة العربية في ممالك الفُرْسِ والروم وغيرهما بالفُتوح والمغازي وهجرة قبائل البدو إليها ، واستيطانهم لها ، واختلاطهم بأهلها.

الثالث :اتساع أغراض اللغة بسلوكها مَنْهجاً دينياً، واتباعها خُطة نظاميّة تَقتضيها حالُ الملك وسُكنى الحضر .

الرابع : ارْتِقاء المعاني والتصورات وتَغَيُّرات الألفاظ والأساليب .

الخامس : ظُهور اللحن في الكلام بين المستعربين : من الموالي ، وأبناء العرب من الفَتَيات ، وبعض العرب المكثرين من مُعاشَرة الأعاجم .

ولما كان معظم هـذه التغيرات يرجع إلى القرآن الكريم والحديث النَّبَوي ناسب وصفها بقليل من كثير مما ينبغي أن يقال فيهما

القرآن الكريم وأثره في اللغة العربية ١

القرآن كتابٌ أُحكِمت آياتُه، ثم فُصِّلَت من لدُن حكيم خبيرٍ. فيه آيات بينات، ودلائل واضحات، وأخبار صادقة، ومواعظ رائقة، وشرائع راقية، وآداب عالية بعبارات تأخذ بالألباب وأساليب ليس لأحد من البشر بالغاً ما بلغ

(١) اعلم أولاً أن إعجاز القرآن من جهة أغراضه ومقاصده ـ فتجده في كل غرض وموضوع غاية في الإبانة والجلا. ونهاية في الإصابة واطراد الأحكام: فمن تشريع خالد، وتهذيب بارع، وتعليم جامع وأدب بالغ. وإرشاد شامل، وقصص ومواعظ ومثل سائر، وحكمة بالغة، ووعد وعيد وإخبار بمغيب، إلى غير ذلك من الأغراض والمقاصد. وقد كان فحول البلاغة لا يبرز أحدهم إلا في فن واحد من أنواع القول فمن يبرع في الخطابة لا ينبغ في الشعر ومن يحسن الرجز لا يجيد القصيد ومن يستعظم منه الفخر لا يستعذب منه النسيب؛ ولأمر ما ضربوا المثل بامرىء القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والأعشى إذا طرب والنابغـة إذا رهب. ثانياً: من جهة ألفاظه وأساليبه ـ فلا تجد منه إلا عذوبة في اللفظ، ودماثة في الأساليب وتجاذباً في التراكيب، ليس فيها وحشي متنافر، ولا سوقي مبتذل ولا تعبير عويص، ولا فواصل متعملة. على شيوع ذلك في كلام المفلقين وأهل الحيطة المترونين؛ حتى إنك لترى الجملة المقتبسة منه في كلام أفصح الفصحاء منهم تفرعه جمالا وتشمله نوراً وتكسوه روعة وجلالة، إلى إجمال في خطاب الخاصة وتفصيل في تفهيم العامة وتكنية للعربي وتصريح للأعجمي وغير هذا مما يقصر عن إحصائه الإلمام ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام. ثالثاً: من جهة معانيه ـ فإنك تجدها من غير معين العرب الذي منه يستقون ـ لاطراد صدقها وقرب تناولها واطمئنان النفوس إليها وابتكارها البديع على غير مثال معهود، من حجج باهرة وبرهانات قاطعة وأحكام مسلمة وتشبيهات رائعة على تماذج وتواصل وبراءة من التقاطع والتدابر وهو في جملتنزهة النفوس وشفاء الصدور وهو الكتاب الخالد الذي لاتبديل لكلماته ولا ناسخ لأحكامه ولا ناقض: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون)

من الفصاحة والبلاغة أن يأتي بمثلها، أو يفكر في محاكاتها، فهو آية الله الدائمة، وحجته الخالدة: لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) أنزله الله على رسوله ليبلغه قومه وهم فحول البلاغة وأمراء الكلام، وأباة الضيم، وأرباب الأنفة والحمية، فبهرهم بيانه، وأذهلهم افتنانه فاهتدى به من صح نظره، واستحصف عقله ولطف ذوقه، وصد عنه أهل العناد والمكابرة واللجج - فتحداهم أن يأتوا بمثله فنكصوا، ثم بعشر سور مثله، فعجزوا، ثم بسورة من مثله فانقطعوا، فحق عليهم إعجازه - قال تعالى: (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً).

وللقرآن فضل على اللغة فقد أثر فيها ما لم يؤثر أي كتاب، سماوياً كان أو غير سماوي، في اللغة التي كان بها، إذ ضمن لها حياة طيبة وعمراً طويلاً، وصانها من كل ما يشوه خلقها ويذوي غضارتها - فأصبحت وهي اللغة الحية الخالدة من بين اللغات القديمة التي انطمست آثارها وصارت في عداد اللغات التاريخية الأثرية وأنه قد أحدث علوماً جمة وفنوناً شتى لولاه لم تخطر على قلب، ولم يخطها قلم - منها. اللغة، والنحو ومصرف، والاشتقاق، والمعاني، والبديع، والبيان، والأدب، والرسم، والقراءات، والتفسير، والأصول، والتوحيد، والفقه.

جمع القرآن وكتابته

قد نزل القرآن الكريم على رسول الله ﷺ منجماً على حسب الوقائع ومقتضيات الأحوال في بضع وعشرين سنة، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر كتاب وحيه بكتابة ما ينزل - وتوفي رسول الله ﷺ والقرآن كله مكتوب، وفي صدور الصحابة محفوظ، وفي مدة الإمام عثمان كثرت الفتوحات وانتشر القراء في الأمصار، فأمر عثمان، زيد بن ثابت، وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام - فنسخوا تلك الصحف في

مُصحفٍ واحدٍ مُرتب السور – واقتصر فيه من جميع اللغات على لغة قريش لنزوله بلغتهم .

صاحب الشريعة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم

هو سيدنا محمد بنُ عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي من أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل أبي العرب المسْتَعربة ،وُلد في (مكة) ونشأ بها يتيماً ، وربّتْهُ أُمُّه آمنة بنت وهْب بن عبد مناف ، وأرْضعته حليمة بنت أبي ذؤيب من عرب البوادي ، وماتت أُمه وعمره ست سنين ، فعاله جده عبد المطلب ثم مات جده بعد سنتين ، فكفلهُ عمُّه أبو طالب .

وعندما بلغ أشُدَّه تولى رعي الغنم بالبادية مع إخوته في الرَّضاع ، وكذلك كانت الأنبياء عليهم السلام ، فما من نبيٍّ إلا رعاها ، وهذه من حكم الله سبحانه وتعالى؛ فإن الإنسان إذا استرعى الغنم وهي أضعفُ البهائم سكن قلبه الرّفق والرحمة ، فإذا انتقل من ذلك إلى رعاية الخلق كان قد هذّب نفسه ، وخلصها من شوائب الخلق الغريزية كالحدة والحسد ، ثم اشتغل عليه السلام بالتجارة ، وكان شريكه فيها السائب ، وخرج إلى الشام يتجر لخديجة بنت خُوَيلد من سراة بني أسد ، وشرفت بعد ذلك خديجة بزواجه منها ، فكان يعملُ في مالها تاجراً .

صفاته : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطَ القامة ليس بالطويل البائن ولا القصير المُتردد مُعتدل السِّمَن ، ضخم الرّأس ، عظيم الهامة ، صَلْت الجبين ، سهلَ الخدين ، واسعَ العينين أسودَهما، أزج الحاجبين سابغهما ، أهدب الأشفار صبيحَ الوجه مدوره مستويَ الأنف مُفلج الأسنان ، رَجِلَ الشعر حَسَنهُ ، عريض الصدر ، رَحْب الراحتين ، سائلَ الأطراف ، أزْهر اللون ، فلا بالآدَم ولا بالشديد البياض .

وكان عليه السلام أفصحَ قومه لساناً ، وأرجَحَهم عقلاً ، وأصحهم فهماً ،

وأعظمهم أمانة ، وخيرَهُم جِواراً ، وأصدقَهُمْ حديثاً ، وأكثرهم اتّصافاً بمكارم الأخلاق .

ولمّا بلغ الأربعين من عمره أرسله الله للعالمين بشيراً ونذيراً إذ نزَل عليه الوَحْيُ وهو قائم على جَبَل (حِراء) قريباً من (مكة) فأخذ رسول الله ﷺ يدعو لعبادة الله وحْدَه أقواماً لا دينَ لهم إلا أن يَسْجدوا للأصنام فآمنتْ به زوجته خديجة وابنُ عمه عليّ بن أبي طالب وصدّيقه أبو بكر ومولاه زَيْدُ بن حارِثة الكلبيّ ، وحاضِنته أمُّ أيمن

وجمع رسولُ الله عشيرتهُ ، وهم بنو هاشم ، وبنو عبد المطلب ، وبنو نَوْفل ، وبنو عبدِ شمس أولاد عبد مناف وقال لهم : « إنّ الرّائد لا يَكْذِبُ أهْلهُ والله لو كَذَبت الناس جميعاً ما كَذَبتكم ، ولو غَرَرْتُ الناسَ جميعاً مـا غَرَرْتكم واللهِ الذي لا إله إلا هو إني لَرَسول الله إليكم خاصة وإلى الناس كافة » فقالوا له قَوْلاً ليّناً إلا عمّه أبا لهب .

فلمّا جهَرَ رسول الله بالدّعوة إلى الإسلام بتوْحيد الله ونبْذِ الأوثان سَخِرَت منه (قرَيش) واستهزءُوا به في مجالسهم وأضمروا له الحقدَ والعَداوة وآذوهُ كثيراً ، وكان أشدّهم في ذلك أبو جهل عَمْرو بن هِشام بن المغيرة المخزومي القرشي .

ثم أسلم حَمزة عمُّ رسول الله وعُمَر بن الخطاب ، فقوِيَ بهما وأسلم بمكة نفَرٌ من ولدِ (الأوسِ ، والخزْرَج) وهما قبيلتان من أهل (المدينة) وعادوا إليها ، فانتشر فيها الإسلام بهم ، ووفد على رسول الله جمع من أهلها يدعونه وأصحابه إلى الهجرة إليهم فهاجر ، وبهجرته إلى المدينة ابتدأ التاريخ الهجري .

ولم يقاتل رسولُ الله أحداً على الدخول في الدين بل كان أمْرُهُ مقصوراً على التبشير والإنذار ، فلما ازدادَ طغيانُ أهل مكة ، وأخرجوا المسلمين من ديارهم ، وائتمروا مع غيرهم من مُشركي العرب على قتل رسول الله ﷺ أذن الله سبحانه وتعالى بقتـال المشركين كافـة فكانت أول حرب بين رسول الله وبينهم في

(غزوة بدر) وتلتها غزوات عدة كان النصر في أكثرها لرسول الله ولجماعته .

وبعث رسول الله رسله يدعون إلى الإسلام وهم دحية الكلبي إلى هرقل ملك الروم ، وعبدالله بن حذافة إلى (كسرى) ملك الفرس ، وشجاع الأسدي إلى (الحارث الغساني) ملك البلقاء بالشام ، والحاطب بن أبي بلتعة إلى (المقوقس) أمير مصر ، وسليط بن عمرو العامري إلى هودة صاحب اليمامة ، وبعث عمرو بن أمية إلى النجاشي (أصحمة) ملك الحبشة فأسلم ، وعمرو بن العاص إلى (جيفر) و عبدا ملكي عمان فأسلما ، والعلاء بن عبدالله الحضرمي إلى (المنذر) ملك البحرين فأسلم ، وخالد بن الوليد إلى (بني عبد المدان) ، وعلي ابن أبي طالب إلى (بني مذحج) في أرض (اليمن) فأسلموا ، وأسلمت (همدان) وتابعها سائر أهل (اليمن) وملوك (حمير) ثم أقبلت بعد ذلك وفود العرب جميعاً على رسول الله ﷺ يبايعونه على الإسلام .

وحج رسول الله فخطب في الناس خطبة الوداع وهي أكثر خطبه استيعاباً لأمور الدين والدنيا ، وفي يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة توفي رسول الله بالمدينة وفيها دفن - وله من العمر ٦٣ سنه قمرية ، وثلاثة أيام .

الحديثُ النبويُّ

كان رسولُ الله ﷺ أفصحَ الناس وأبينهم وأحكمهم ، وكانت حياته كلها هداية ونوراً ، وأفعاله وأقواله جميعُها مدَداً ، يستمد منه الخلقُ سدادهم ، وإرشادَهم في معاشهم ومعادِهم - ولهذا حرص المسلمون على حفظ ذلك الأثر العظيم حرْصاً لم توَفق إلى مثله أمة في حفظ آثار رَسولها - فجمعوا من كلامه ، ووصف أفعاله وأحواله الأسفار الضخام ، ووَعَوْا منها في صُدورهم ما لا يدخل تحت حصر - وكلامه ﷺ منزَّه عن اللغو والباطل ، وإنما كان في توضيح قرآن ،

أو تقرير حكم ، أو إرشاد إلى خير ، أو تنفير من شرّ ، أو في حكمة ينتفع الناس بها في دينهم ودنياهم ، بعبارة هي في الفصاحة والبلاغة والإيجاز والبيان في الدرجة الثانية بعد القرآن الكريم ، ولذلك كان تأثيرها في اللغة والأدب بالمنزلة التالية لكلام الله تعالى .

النثر – لغة التخاطب – الخطابة – الكتابة

كانت لغة التخاطب في مبدإ الإسلام بين العرب الخُلَّص والموالي النابتين فيهم هي العربية الفصيحة المعْربة ـ وكانت لغة الموالي الطارئين عليهم تقرب من الفصيحة أو تبتعد عنها على حَسَب طول لُبْثهم فيهم ، أو قِصر مقامهم عندهم ، ولما فتح المسلمون الأمصار ، وكثر عندهم سَبيُ الأعاجم وأسرى الحروب ، ودخل في الإسلام منهم ألوفُ الألوف ، وأصبحوا هم إخواناً وشركاء في الدين وتم بينهم التزاوج والتناسل ، نشأ للعرب ذُرّية اختلطت عليهم ملكة العربية ، وكذلك كان الشأن في المتعربين من الأعاجم . أما العربُ أنفسهم بعد الفتوح فكانت لغتهم في جزيرتهم مثلَ ما كانت عليه في جاهليتهم ، أما سكان الأمصار منهم وأولادهم من الحرائر ، فالعامة منهم المخالطون للأعاجم لم تخل لغتهم من لحن أو هُجنة ، والخاصة منهم تشددوا في المحافظة في سلائقهم ، وتحاموا التزوّج بالأعجميات ، وبالغوا في تربية أبنائهم ، فكانوا يرسلونهم إلى البادية ليرتاضوا على الفصاحة ، أو يحضرون لهم المؤدّبين والمعلمين ـ كذلك كان يفعل خلفاء بني أمية وأمراؤهم اقتداء بكبيرهم (معاوية بن أبي سفيان) في تربية ابنه (يزيد) ومن لحَن منهم عدّ را ذلك عليه عاراً لا يمحى وسُبّةً لا تزول ، ومن هؤلاء اللحّانين عبيد الله بن زياد ، والوليد بن عبد الملك ، وخالد القسْري – مع أن بعضهم كان من أبلغ الناس وأبينهم

ومن هنا يُعلم السر في تسرع القوم إلى وضع النحو وتدوينه والشكل والإعجام

الخطابة في هذا العصر والخطباء

لمّا كان مبدأ كل انقلاب عظيم في أي أمــة : إما دعوة دينية وإما دعوة سياسية ، كانت تلك الدعوة تستدعي ألسنة قوّالة من هلها لتأييدها ونشرها وألسنة من أعدائها وخصومها لإدحاضها والصد عنها: وذلك لا يكون إلا بمخاطبة الجماعات ـ كان ظهور الإسلام من أهم الحوادث التي أنشطت الألسن من عقلها، وأثارت الخطابة من مكمنها فوق ما كانت عليه في جاهليتها؛ فكان العملُ الأكبر لصاحب الدعوة العُظمى سيدنا (محمد) صلى الله عليه وسلم باذىء أمره غير تبليغ القرآن وارداً من طريق الخطابة ، ولأمر ما جعلها الشارع شعار كل الأمور ذوات البــال ، ولذلك كان دعــاةُ النبي عليه الصلاة والسلام ورسله إلى الملوك وأمراء جيوشه وسراياه ثم خلفاؤه من بعده وعمّالهم كلهم خطباء مصاقع ولُسناً مقاولَ ، وأن الشرع صرفهم عن اللهو بالشّعر الذي ينهض بأعباء الخطابة ولا سيا الدّينية لشرحها الحقائق وقرْعها الأسماع بالحُجج العقلية والوجدانية ، وترغيبها في الثواب وترهيبها من العقــاب ، بعبارات تفهمها الخــاصة والعامة . وكان لهم من القرآن وأدلته وحُججه والاقتباس منه مدَدٌ أيما مدد ـ ولما حدثت الفتنة بين المسلمين بعد مقتل عثمان ، وافترقوا إلى عراقيين بزعامة الإمام عليّ ـ وشاميين بزعامــة معاوية ، ولكل منهم دعوة يؤيدها ورغيبةٌ يناضل عنها في تلك الحرب الشعواء التي لم ينكب الإسلام بمثلها ، ظهر من كلتا الطائفتين خطباء لا يحصى عددهم ، ولا يُشقّ غبارهم وعلى رأس العراقيين شيخ الخطباء الإمام (علي بن أبي طالب) وعلى رأس الشاميين (معاوية بن أبي سفيان) ؛ ولم يعْدَم كل طائفة منها خطباء يؤيدون دعوتها بما أُوتوا من البلاغة في الخطابة والفصاحة والبيان .

والخطابة وصلت في هذا العصر إلى أرقى ما وصلت إليه من اللسان العربي ، حتى ممن يُعدُّ عليهم اللحن ؛ ولم تسْعد العربية بكثرة خطباء ووفرة خطب مثل

ما سَعِدت به في هذا الصدر الأول، إذ كان القومُ ورؤساهم عرباً خُلصاً يسمعون القول فيتَّبعون أحسنه .

ولم يخرج الخطباء عن مألوفهم من اعتجار العمامة، والاشتمال بالرِّداء، واختصار المِخْصرة، والخطبة من قيام .

وليس في عصور أدب اللغة عصرٌ أحفلُ بالخطباءِ من هذا العصر إذ كانت الخطابة فيه سَلِسةَ القيادِ على خُلفائه وزُعمائه، لِفِطرتهم العَربية، وتحلِّيهم من الفصاحة والبيان، وانطباعهم على أساليب القرآن واتساع مداركهم .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة

وقف على باب الكعبة، ثم قال :

لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، صدق اللهُ وعدَه، ونصرَ عبدَه، وهَزَمَ الأحزاب وحده، ألا كلُّ مأثَرةٍ أو دمٍ أو مالٍ يُدَّعى فهو تحتَ قدَمَيَّ هاتين، إلا سِدانةَ البيتِ وسِقايةَ الحاج، ألا وقتيلُ الخطإ العمْدِ بالسوْطِ والعصا فيه الدِّية مُغلظة فيها أربعون خِلفة، وفي بطونها أولادُها . يا معشرَ قريش، إن الله قد أذهب عنكم نَخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناسُ من آدمَ وآدمُ خُلِقَ مِنْ تُراب، ثم تلا هذه الآية : « يا أيُّها النَّاس إنَّا خَلَقْنا كُم مِن ذَكَرٍ وأُنثى وجَعلناكم شُعوباً وقبائِلَ لِتَعارَفوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عندَ اللهِ أتْقاكم إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ » .

ومن خطبته في حجة الوداع

الحمد للهِ نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهدي اللهُ فلا مضل له ومَن يُضلل فلا هاديَ له، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله . أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته، وأستفتحُ بالذي هو خيرٌ (أما بعدُ) أيُّها الناس اسمعوا مني أُبيِّنْ لكم، فإني لا أدري لا لعلي ألقاكم بعد

عامي هذا، في موقفي هذا . أيها الناس، إن دماءكم وأموالكم حرامٌ عليـ تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، ألا هل بلـّغـ اشهد ! فمن كانت عنده أمانةٌ فليؤدّها إلى من ائتمنه عليها وإن ربا موضوعٌ ، وإن أول ربا أبدأ به ربا عمّي العباس بن عبد المطلب وإن الجاهلية موضوعة ، وأن أول دمٍ أبدأ به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث المطلب ، وإن مآثرَ الجاهلية موضوعةٌ غير السدانةِ والسقاية ، والعمد وشبهُ العمد ما قُتلَ بالعصا والحجر ، وفيه مائةُ بعير ، فمن زاد فهو الجاهلية أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يُعبدَ في أرضكم هذه قد رضي أن يُطاع فيما سِوى ذلك مِمّا تحقِرون من أعمالكم .

أيهـــا الناس : إن لنسائكم عليكم حقاً ، ولكم عليهن حق ، لكم ع يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يُدْخِلن أحداً تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم بفاحشة ، فإن اللهَ قـــد أذِن لكم أن تعضُلوهُنّ وتهجروهُنّ في ا وتضربوهن ضرباً غيرَ مُبرح : فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهـن و بالمعروف ، فاتقوا الله في النساء ، واستوصوا بهنّ خيراً ، ألا هل بلغ اشهد ! أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ،فلا يحل لامرىء مالُ أخيه إلا ع نفس منه؛ألا هل بلـّغتُ . . . اللهم اشهد ! فلا ترجعن بعدي كفاراً يضرب رقاب بعض ، فإني قد تركتُ فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده : ك وسنتي . . .ألا هل بلغتُ؟اللهم اشهد !أيها الناس إن ربكم واحد،وإن أباكم كلكم لآدم ، وآدمُ من تراب ، وإن أكرمكم عند الله أتقـاكم ، وليس ل عجمي فضلٌ إلا بالتقوى . . . ألا هل بلغت؟اللهم اشهد !قالوا: نعم ! قال الشاهدُ الغائب ، والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إنّ مَثلَ ما بَعثَني الله من الهُدى والعِلمْ كمثل غيثٍ أصاب أرضاً ، فكان منها طائفةٌ طيِّبة قبلَت الماء ، فأنبتت الكلأ والعُشبَ الكثير ، وكان منها أجادبُ أمسكت الماء ، فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا منها وسَقَوْا وزَرَعُوا ، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعانٌ لا تُمسِكُ ماءً ولا تُنبت كَلأ ، فذلك مثل مَنْ فقه في دين الله تعالى ونَفَعه ما بعثني الله تعالى به فعَلِم وعلّم ، ومَثَلُ من لم يرفع بذلك رأساً ، ولم يقبل هدى الله الذي أرْسِلتُ به .

إنما مَثَلي ومثَلُكم كمثل رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراشُ وهذه الدَّوابُ التي تقع في النار تقع فيها ، فجعل يَنزعُهُنَّ ويَغلبْنَه فيَقتَحِمْنَ فيها ، فأنا آخِذٌ بحُجَزكم عن النار ، وأنتم تَقتَحِمون فيها .

أدِّ الأمانة إلى مَن ائتَمنك ، ولا تَخنْ مَن خانَكَ .

إنّ الناسَ إذا رَأوْا الظالِمَ فلمْ يأخُذوا على يَدِه أوشَكَ أن يَعُمَّهمْ الله تعالى بعقاب

مَثَلُ المؤمنين في تَوادِّهِمْ وتراحُمِهم وتعاطفهم مثلُ الجسد إذا اشتكى منه عضْوٌ تَداعَى له سائر الأعضاء بالسَّهَر والحُمَّى .

أبو بكر الصديق رضي الله تبارك وتعالى عنه

هو أبو بكر عبدالله عتيق بن أبي قحافة عثمان صاحبُ رسول الله ﷺ ، وأوّل الخُلفاء الرّاشدين ، ويَجْتَمع نَسَبُه مع نَسَب رسول الله ﷺ في مُرّة ابن كعب

وُلد بعد مَوْلد رسول الله بسنتين وبضْعة أشهر ، ونَشأ من أكْرم قريش خُلُقاً وأرْجَحهم حلماً وأشدّهم عِفّة ، وكان أعلمَهم بالأنساب وأيام العرب ومفاخرهم .

صحبَ رسول الله قبل النبوّة ، وكان أوّل من آمن به من الرّجال وصدّقه في كلّ ما جاء به : ولذلك سُمّي « الصّديق » ، وهاجَر معه إلى المدينة ، وشهد

معه أكثر الغزوات ، وما زال ينفق ماله وقوّته في معاضدته ، حتى انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى .

واختلفتْ العرب وارتدت عن الإسلام ، فجرد عليهم الجيوشَ حتى قمعهم ، وما ماتَ إلا وجيوشه تَهزم جيوش الفُرْس والرُّوم ، وتستولي على مدائنهم وحصونهم ، وكانت وفاته عام ثلاثة عشر من الهجرة ، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر وعشر ليال .

وكان فصيحاً بليغاً خطيباً مُفَوّهاً قوي الحجة شديد التأثير ؛ يشهد بذلك خطبته يوم السقيفة ، وذلك أنه لمّا مات رسولُ الله ﷺ اختلفت الصحابة فيمن يُبايعونه خليفةً له عليهم ، فأبت الأنصارُ إلا أن يكون الخليفة منهم ، وأبى المهاجرون من قريش إلا أن يكون منهم ،واشتدّ النزاع حتى كادت تقعُ الفتنة ، فخطبهم خُطبة لم يلبث الجميعُ بعدها أن بايعوه (خليفة) ، وهي :

حَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناسُ نحن المهاجرون ، وأول الناس إسلاماً ، وأكرمهم أحساباً ، وأوسَطُهم داراً ، وأحسنهم وُجوهاً ، وأكثر الناس ولادةً في العرب،وأمسهم رحماً برسول الله ﷺ . أسلمْنا قَبلكم،وُقدِّمنا في القرآن عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسّابقونَ من المهاجرين والأنصار والذين اتّبعوهم بإحسان) فنحن المهاجرون وأنتم الأنصار : إخوانُنا في الدين وشركاؤنا في الفيء ، وأنصارُنا على العَدَو ، آويتم وواسيتم، فجزاكم الله خيراً، فنحن الأمراءُ وأنتم الوزراءُ ، لا تدينُ العربُ إلا لهذا الحيّ من قريش، فلا تَنفَسوا على إخوانكم المهاجرين ما منَحَهم الله من فضله .

وخطب أيضاً حين بايعَ الناس البَيْعة العامّة :

حَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس إني قد وُلّيتُ عليكم ، ولستُ بخيركم،فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتُموني على باطل فسَدّدوني ،

أطيعوني ما أطعتُ الله فيكم فإذا عصيتُه فلا طاعة لي عليكم — ألا إنّ أقواكم عندي الضعيفُ حتى آخُذَ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخُذَ الحقّ منه.

أقول قولي هذا وأستغفرُ الله لي ولكم .

وخطبَ أيضاً الناسَ ، فقال بعدَ أن حمِد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه ﷺ :

أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله الذي شرع لكم ، وهداكم به ، فإنْ جوامعَ هدْي الإسلام بعد كلمة الإخلاص السمْعُ والطاعة لمنْ ولاّه الله أمركم فإنهُ من يُطع الله وأُولي الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر فقد أفلحَ وأدّى الذي عليه من الحق وإيّاكم واتّباعَ الهوى، فقد أفلحَ من حُفظ من الهوى والطمَع والغضَب . وإياكم والفخرَ ! ومــا فخرُ من خُلق من تُراب ثمّ إلى التراب يعودُ ، ثم يأكله الدودُ ، ثم هو اليومَ حيٌّ وغداً ميتٌ؟ ! فاعلموا يوْماً بيوم، وساعة بساعة ، وتَوَاقَوْا دُعاءَ المظلوم، وعُدوا أنفُسَكم في الموتى واصْبروا فإنّ العمل كله بالصّبر واحذَروا، والحذرُ ينفعُ، واعمَلوا، والعَمَلُ يُقبَلُ ، واحذروا ما حذرَكم اللهَ من عذابه ، وسارعوا فيما وعدكم الله من رحمته وافهَموا وتَفَهّموا، واتقوا وتوَقّوا، فإن الله قد بَيّنَ لكم ما أهلك به من كان قبلكم، وما نجّى به منْ نجّى قبلكم قد بَيّنَ لكم في كتابه حلاله وحرامَه، وما يحب من الأعمال ، وما يكره فإني لا آلوكم ونفسي. والله المستعانُ ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله واعلموا أنكم مــا أخلَصتم لله من أعمالكم ، فربكم أطعتم وحظكم حفظتم واغتبطتمْ ، وما تطوعتم به لدينكم فاجعلوه نوافل بــين أيديكم تستوفوا سَلفكم وتُعطَوا جرايتكم حينَ فقركم وحاجتكم إليها ثم تفكروا عباد الله في إخوانكم وصحابتكم الذين مَضَوْا قد وردوا على ما قدموا فأقاموا عليه وحلوا في الشقاء أو السعادة فيما بعد الموت؛ ان الله ليسَ له شريك، وليس بينَه وبين أحد من خلقه

نَسَبٌ يعطيه به خيراً ولا يَصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره ، فإنه لا خيرَ في خيرٍ بَعْدَهُ النار ، ولا شرّ في شرٍّ بعده الجنة .

من حكم سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

(١) صَنائعُ المعروف تَقي مَصارعَ السُّوء (٢) ليست مع العَزاء مصيبة ، ولا معَ الجزَع فائدة. (٣) ثلاثٌ مَنْ كُنَّ فيه كُنّ عليه . البغيُ ، والنَّكثُ ، والمكْر . (٤) كثيرَ القول يُنسي بعضهُ بعضاً ، وإنما لك ما وُعي عنك. (٥) أصلحْ نفسكَ يَصلُح لك الناس .

سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

هو أميرُ المؤمنين أبو حَفص عُمر بن الخطاب القُرشي – ثاني خليفة لرسول الله ﷺ ، وأوّل من تَسمّى من الخلفاء بأمير المؤمنين) وأولُ مَنْ أرّخ بالتاريخ الهجري ، ومصّر الأمصار ، ودوّنَ الدواوين .

وُلدَ رضي الله عنه بعد مَولد النبيّ ﷺ بثلاثَ عشرةَ سنةً ، حضَرَ مع رسول الله الغزَوات كلها ثم لما قبض أعان أبو بكر على تولية الخلافة ، ولمّا أحَسَّ أبو بكر بالموت عهد بها إليه ، فقام بأعبائها خير قيام ، وأتم جميع ما شرع فيه أبو بكر : من فتح ممالك كِسْرى وقَيصر .

وقتله غيلة الغلامُ الشقيُّ أبو لُؤلؤة ، عبد المغيرة بن شُعبة ، المجوسي ، لأنه لم ينصفه على زَعمه في تخفيض ما يدفعه لسيّده من أجْرة عمله . وكان قتلهُ سنة ٢٣ هـ .

ومُدّة خلافته عشر سنين وستة أشهر وثمانية أيام . وكان رضي الله عنه من أبينِ الناس مَنْطِقاً ، وأبلغهم عبارة ، وأكثرهم صَواباً وحِكمة ، وأرواهم للشعر وأنقدهم له .

ومن خُطبه خُطبته إذ ولي الخلافة

صَعد المِنبر ، فحمِدَ الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أيها الناس . إني داع فأمِّنوا :

اللهم إني غليظٌ فليِّني لأهل طاعتك بموافقة الحق، ابتغاء وجهك والدار الآخرة وارزقني الغِلظة والشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق من غير ظلم مني لهم ولا اعتداء عليهم ، اللهم إني شحيحٌ فسخِّني في نوائب المعروف قصداً من غير سرف ولا تبذير ، ولا رياء ولا سُمعة ، واجعلني ابتغي بذلك وجهك والدارَ الآخرة اللهم ارزقني خفض الجناح ، ولين الجانب للمؤمنين، اللهم إني كثير الغفلة والنسيان فألهمني ذكركَ على كلّ حال ، وذكرَ الموت في كلّ حين ، اللهمّ إني ضعيف عند العمل بطاعتك فارزقني النشاطَ فيها ، والقوّة عليها بالنيّة الحسنة التي لا تكون إلا بعزّتك وتوفيقك. اللهم ثبتني باليقين ، والبرّ والتقوى، وذكر المقام بين يديكَ ، والحياء منك وارزقني الخشوعَ فيما يرضيك عني ، والمحاسبة لنفسي ، وإصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات. اللهم ارزقني التفكر والتدبرَ لما يتلوه لساني من كتابك ، والفهمَ له والمعرفة بمعانيه ، والنظر في عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيتُ ، إنك على كل شيء قدير .

ومن خطبه في ذمّ الدنيا

إنما الدنيا أمل مخترم، وأجَل منتقض، وبلاغٌ إلى دار غيرها ، وسير إلى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرءاً فكر في أمره، ونصحَ لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه ، بئس الجارُ الغنيّ يأخذك بما لا يعطيك من نفسه ، فإن أبيت لم يعذرك ، وإياكم والبطنة فإنها مكسلة عن الصلاة ومفسدة للجسم ، ومؤدّية إلى السقم ، وعليكم بالقصدِ في قوتكم ، فهو أبعدُ من السَّرف ، وأصحّ للبدن ، وأقوى على العبادة ، وإن العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

ومن حكم سيدنا عمر بن الخطاب

(١) من كتم سرّه كان الخيارُ في يده. (٢) أشقى الولاةِ من شقيت به رعيّته

(٣) لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً .

(٤) من لا يعرف الشرّ كان أجدر أن يقع فيه .

(٥) أعقل الناس أعذرهم للناس . (٦) لا تؤخّر عمل يومك إلى غدك .
(٧) أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها. (٨) من يئسَ من شيء استغنى عنه .

ومن خطبته في القضاء الى أبي موسى الأشعري

« أما بعدُ » فإن القضاء فريضة محكمة ، وسنّة متبعة ، فافهمْ إذا أُدليَ إليك ، وإنه لا ينفعُ تكلم بحق لا نفاذ له ، آسِ [١] بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك ، حتى لا يطمعَ شريف في حيفك [٢] ، ولا ييأسَ ضعيفٌ من عدلك ، البينة على من ادّعى ، واليمين على من أنكرَ ، والصلحُ جائزٌ بين المسلمين إلا صلحاً أحلّ حراماً أو حرّم حلالا ، لا يمنعنكَ قضاء قضيتهُ اليوم فراجعت فيه عقلك ، وهديتَ فيه لرشدك أن ترجع إلى الحق ، فإن الحق قديم ، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل ، الفهم ، الفهم فيما تلجلج [٣] في صدرك ، مما ليس في كتاب ولا سنّة [٤] ثم اعرف الأشياء والأمثال ، فقس الأمور عند ذلك ، واعمَد إلى أقربها إلى الله ، وأشبهها بالحق ، واجعل لمن ادّعى حقاً غائباً أو بينةً أمداً ينتهي إليه ، فإذا أحضر بيّنته أخذت له بحقه ، وإلا استحققت عليه القضيّة ، فإنه أنفى للشكّ وأجلى للعمى . المسلمون عدول بعضهم على بعضٍ إلا مجلوداً في حدّ أو مجرّباً عليه شهادة زور أو ظنيناً في ولاءٍ أو نسب [٥] ، وإن الله تولى منكم السّرائرَ ، ودَرَأ بالبينات والأيمان [٦] ، وإياك والقلق والضجر [٧] والتأذي بالخصوم والتنكرُ عند الخصومات ، فإن الحق في مواطن الحق يُعظم الأجر ، ويحسن به الذخر ، فمن صَحّت نيته وأقبل على نفسه كفاهُ الله ما بينه وبين الناس ، ومن

---

(١) آس بين الناس : سو بينهم (٢) الحيف : الميل أي ميلك معه لشرفه .
(٣) تلجلج : تردد حتى كان موقع حيرة (٤) الكتاب : القرآن الكريم ، والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير (٥) ظنين : متهم أي ينتسب إلى غير أبيه أو يدعى إلى غير مواليه ، فليس أهلاً للشهادة (٦) درأ : دفع ، يريد منه الحدود (٧) القلق والضجر ضيق الصدر وقلة الصبر .

تخلق [١] للناس بما يعلم الله أنه ليس من نفسه شانه الله [٢] فما ظنُّك بثواب غيرَ الله عزّ وجلّ في عاجل رزقه وخزائن رحمته ، والسلام [٣] .

عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه

هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان القرشي الأموي ، ثالث الخلفاء الراشدين وموجد نُسَخ القرآن المبين ، وُلد في السنة السادسة من مولد النبي ﷺ وآمن في السابقين الأولين وبذل ماله الكثير في تأييد الإسلام ومعونة المجاهدين وشهد مغازي رسول الله كلها إلا بدراً - وقد كان عمر قبل وفاته عهدَ بالخلافة إلى ستة هو منهم - تنتخبُ الأمة أحدهم خليفة ، فانتخبوا بالشورى عثمان، فأكمل مغازي عمر ، ثم ثارَ عليه بعض الأعراب بحجة أنه يؤثر أقرباءه بولاية الأقاليم ، فحاصروه في داره بالمدينة وقتلوه وهو يتلو القرآن الكريم سنة ٣٥ هـ فكان قتله سبب التفرق بين المسلمين ، ومُدة خلافته اثنتا عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً

وكان رحمه الله من بُلغاء الخطباء ، وأوجزهم لفظاً ، وأجزلهم معنى ، وأسهلهم عبارة ، ومن خطبه بعد أن بويع : وهي بعد الحمد والثناء :

أما بعدُ - فإني قد حمّلت وقد قبلت ، ألا وإني متبع ولست بمبتدع ، ألا وإن لكم عليّ بعد كتاب الله عز وجل وسنّة نبيه ﷺ ثلاثاً : اتباع من كان قبلي فيما اجتمعتم عليه وسننتم ، وسن سُنة أهل الخير فيما لم تسنّوا عن ملأ ، والكَفّ إلا فيما استوجبتم - ألا وإن الدنيا خضرة قد شُهيت إلى الناس ومال إليها كثير منهم ، فلا تركنوا إلى الدنيا ، ولا تثقوا بها ، فإنها ليست بثقة - واعلموا أنها غير تاركة إلا من تركها .

(١) أي ظهر للناس في خلقه خلاف نيته .

(٢) شانه ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله في الدنيا ورحمته في الآخرة .

ومن خطبه أيضاً وهي آخر خطبة خطبها :

أما بعد ـ فإن الله عز وجل إنما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا إليها ـ الدنيا تفنى والآخرة تبقى ، فلا تبطرنكم الفانية ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى ، فإن الدنيا منقطعة ، وإن المصير إلى الله ، اتقوا الله عز وجل فإن تقواه جُنَّة من بأسه ، ووسيلة عنده واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم ، ولا تصيروا أحزاباً : (واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً) .

من حكم سيدنا عثمان

(١) ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن . (٢) أنتم إلى إمام فعّال أحوج منكم إلى إمام قوال. (٣) يكفيك من الحاسد أنه يغتم وقت سرورك .

الامام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه

هو أميرُ المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب، وابنُ عم رسول الله، وزوج ابنته ، ورابع الخلفاء الراشدين ـ ولد رحمه الله بعد مولد النبي ﷺ باثنين وثلاثين سنة ، وهو أول من آمن به الصبيان ، وكان شجاعاً لا يشق له غبار ، شهد الغزوات كلها مع النبي إلا غزوة تبوك ، وأبلى في نصرة رسول الله ما لم يُبْله أحدٌ ، ولما قتل عثمان بايعه الناس بالحجاز . وامتنع عن بيعته معاوية ، وأهلُ الشام شيعة أمية ، غضباً منهم لمقتل عثمان ، وقلة عناية (الإمام علي) بالبحث عن معرفة القتلة على حسب اعتقادهم ، فحدث من جراء ذلك الفتنة العظمى بين المسلمين وافتراقهم إلى طائفتين فتحاربوا مدة من غير أن يستتب الأمر لعلي أو معاوية حتى قتل أحدُ الخوارج الإمام علياً غيلة بمسجد الكوفة سنة ٤٠ هـ .

وكانت مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر .

وكان رحمه الله أفصح الناس بعد رسول الله وأكثرهم علماً وزهداً، وشدة في الحق، وهو إمام الخطباء من العرب على الإطلاق بعد رسول الله ﷺ وخطبه

كثيرة ، منها خطبته ـ كرم الله وجهه ـ بعد التحكيم ، وهي :

الحمد لله وإن أتى الدهر بالخطب الفادح ، والحدث الجلل ـ وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ، ليس معه إله غيرُه وأن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وسلم « أما بعدُ » فإن مَعصية الناصح الشفيق ، العالم المجرّب تورث الحيرة وتعقب الندامة ، وقد كنتُ أمرتكم في هذه الحكومة ١ أمري ونخلتُ لكم مخزون رأيي ، (لو كان يُطاعُ لقصير أمْرٌ) ٢ فأبيتم عليَّ إباءَ المخالفين الجُفاة المنابذين العُصاة ، حتى ارتابَ الناصحُ بنصحه ، وضن الزّندُ بقدْحه ، فكنت وإياكم كما قال أخو هوازن

أمرتهم أمري بمُنْعرجِ اللوى فلم يستبينوا النصح إلا ضُحى الغَد

ومن خطبة له حين خاطبه العبّاس وأبو سفيان في أن يُبايعا له بالخلافة : أيها الناس شقوا أمواجَ الفتن بسفن النجاة ، وعرّجوا عن طريق المنافرة وضعوا عن تيجان المفاخرة . أفلح مَن نهض بجناح ، أو استسلم فأراح ، هذا ماءٌ آجِنٌ ، ولقمةٌ يغَصُّ بها آكلها ، ومجتني الثمرةِ لغير وقت إيناعها كالزارع بغير أرضِه فإنْ أقل يقولوا حرص على الملك ، وإن أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللُّتيّا والتي ، والله لابنُ أبي طالب آنسُ بالموت من الطفل بثَدْيِ أمه ، بل اندَمجتُ على مكنون علم ، لو بُحتُ به لاضطربتم اضطراب الأرشيَةِ في الطويِّ البعيدة .

من حكم سيدنا علي كرم الله وجهه

(١) روي الشيخ خيرٌ من مشهدِ الغلام . ٢ الناس أعداء ما جهلوا . (٣ الناس

(١) اي حكومة الحكمين عمرو بن العاص ، وأبي موسى الأشعري .

(٢) هو مولى جذيمة الأبرش وكان حاذقاً ، وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لا يأمن الزباء ملكة الجزيرة فخالفه وقصدها إجابة لدعوتها في قبولها زواجه فقتلته فقال قصير (لو كان يطاع لقصير أمر) فذهبت مثلاً .

من خوف الذل في الذل (٤) الصبر مطية لا تكبو وسيف لا ينبو (٥) إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه (٦) قيمة كل امرىء ما يحسن (٧) المرء مخبوء تحت لسانه (٨) استغن عمن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره ، وأحسن إلى من شئت تكن أميره (٩) خير أموالك ما كفاك وخير إخوانك من واساك (١٠) الناس بزمانهم أشبه منهم بآبائهم (١١) ما هلك امرؤ عرف قدره (١٢) من عذب لسانه كثر إخوانه (١٣) بشّر مال البخيل بحادث او وارث (١٤) بالبر يستعبد الحر (١٥) إعادة الاعتذار تذكير للذنب (١٦) إذا تم العقل نقص الكلام (١٧) من أكثر فكره في العواقب لم يشجع (١٨) الشرف بالعقل والأدب لا بالأصل والنسب (١٩) أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع (٢٠) قلب الأحمق وراء لسانه ، ولسان العاقل وراء قلبه (٢١) يعيش البخيلُ في الدنيا عيش الفقراء ، ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء (٢٢) الولايات مضاميرُ الرجال (٢٣) الناس أبناء الدنيا ، ولا يُلامُ الرجل على حُبِّ أمه (٢٤) من علم أن كلامه من عمله قل كلامه إلا فيما يعنيه (٢٥) الحرمان خير من الامتنان .

سحبان وائل

هو سحبان بن زفر بن إياد الوائلي ، الخطيب المصقع المضروب به المثل في البلاغة والبيان ، نشأ في الجاهلية بين قبيلة وائل ، ولما ظهر الإسلام أسلم وتقلبت به الأحوال حتى التحق بمعاوية فكان يُعِدُّه للملمّات ، ويتوكأ عليه عند المفاخرة .

قدِمَ على معاوية وفدٌ فطلب سحبان ليتكلم ، فقال . أحضروا لي عصاً ، قالوا ، وما تصنع بها وأنت بحضرة امير المؤمنين ؟ قال ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه ، فضحك معاوية وأمر له باحضارها ، ثم خطب من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر ، ما تنحنَح ولا سَعَل ولا توقف ولا تَلَكّأ ولا

ولا ابتدأ في معنى وخرج منه ، وقد بقي منه شيء ، فما زالت تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون ، فقال معاوية ، أنت أخطبُ العرب ، قال سحبان : والعجم والجن والإنس. وكان سحبان إذا خطب يسيلُ عرقاً، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ ومما يؤثر من خطبه قوله :

إن الدنيا دار بلاغ ، والآخرة دار قرار ، أيها الناس : فخذوا من دار ممركم لدار مقركم ، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها بدانكم ، ففيها حييتم ، ولغيرها خلقتم .
إن الرجل إذا هلك ، قال الناس : ما ترك ؟ وقال الملائكة : ما قدَّم ؟ قَدِّموا بعضاً يكن لكم ، ولا تخلفوا كُلّاً يكن عليكم .

زياد بن أبيه

هو أحد دُهاة العرب وساستها وخطبائها وقادتها .

منشؤه : كان للحارث بن كلدة الثقفي طبيب العرب أمةٌ تسمى سُمَيّة، قد قرنها بعبد له رومي يُدعى عبيداً فولدت له سُميّة زياداً هذا (في السنة الأولى من الهجرة) فنشأ غلاماً فصيحاً شجاعاً ، فما افتتحت العرب الممالك والأمصار حتى عُرف منه ذلك ، فاستكتبه أبو موسى الأشعري والي البصرة من قِبَل عُمر ، فأظهر من المهارة ما جمع القلوب على حبه .

ولما ولي أمير المؤمنين (علي) الخلافة اضطربت عليه فارس فسار إليها زياد بجمع كثير ، وتمكن بخداعه من إيقاع الشقاق بين رؤساء المشاغبين ، وما زال يضرب بعضهم ببعض حتى سكنت ثائرتهم ، وبقي يتولى لعليّ الأعمال حتى قتل (علي) فخافه معاوية، فأرسل له المغيرة بن شعبة يستقدمه، فقدِم عليه فادعاه أخاً له واستلحقه بنسب أبيه أبي سفيان ، وصار يسمى زياد بن أبي سفيان ، بدل زياد بن عبيد ، أو ابن سميّة ، او ابن أبيه .

وولّاه معاوية العراقين ، وهو أول مَنْ جمع له بينهما ، فسار في الناس سيرة لمَّ بها الشعَثَ ، وأقام المُعْوَجّ ، وكبح الفتنة ، واشتَطّ في العقوبة ، وأخذ بالظِّنّة ، وعاقب على الشبهة ، حتى شمل خوفه جميع الناس فأمِن بعضهم بعضاً ، وكان الشيء يسقط من يد الرجل أو المرأة فلا يعرض له أحد ، حتى يأتي صاحبُه فيأخذه ، بل كان لا يُغلِقُ أحَدٌ بابه ، وكان زياد يقول : (لو ضاع حبل بيني وبين خراسان لعرفت آخِذَهُ) وكان مكتوباً في مجلسه عنوان سياسته وهي (الشدة في غير عُنف واللين في غير ضعف ، المُحْسن يجازى بإحسانه ، والمسيء يعاقب بإساءته) .

وتوفي بالكوفة في رمضان سنة ٥٣ هـ .

ومن خطبه البليغة البتراء [١] حين قدم إلى البصرة والياً لمعاوية وهي :

أما بعد : فإن الجهالة الجهلاء ، والضلالة العمياء ، والغَيّ الموفي بأهله على النار ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام التي ينبُت فيها الصغير ، ولا يتحاشى عنها الكبير ، كأنكم لم تقرءوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعد الله من الثواب الكريم لأهل طاعته ، والعذاب الأليم لأهل معصيته ، في الزمن السّرمدي الذي لا يزول . أتكونون كمن طرفت عينه الدنيا ، وسدت مسامعَه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام الحدث الذي لم تُسبَقوا إليه : مِنْ ترككم الضعيف يُقهر ، والضعيفة المسلوبة في النهار لا تنصر ، والعدد غير قليل ، والجمع غير مفترق ، ألم يكن منكم نهاةٌ يمنعون الغواة عن دَلج الليل وغارة النهار ! قربتم القرابة ، وباعدتم الدين ، تعتذرون بغير العُذر ، وتُغضون على النكر ، كل امرىء منكم يَرُدُّ عن سفيهه ، صنع من لا يخاف عقاباً ولا يرجو معاداً ، فلم يزل بهم ما ترَوْن من قيامكم دونهم ، حتى انتهكوا حُرَم الإسلام ، ثم أطرقوا وراءكم كنوساً في مكانس الرّيَبَ .

---

(١) البتراء التي لم يحمد الله فيها .

حرام عليَّ الطعام والشراب حتى أصعَ هذه المواخير بالأرض هَدْماً وإحراقاً . إني رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح أوَّله « لينٌ في غير ضعف ، وشِدَّةٌ في غير عُنف » وإني لأقسم بالله ـ لآخُذَنَّ الولي بالمولى، والمقيم بالظاعن ، والمطيعَ بالعاصي، حتى يلقى الرجل أخاه فيقول: « إنج سَعْدٌ فقد هلك سُعَيْدٌ » ، أو تستقيم لي قناتكم ، إن كِذْبَةَ الأمير بلقاء مشهورة ، فإذا تعلقتم عليَّ بكذبة ، فقد حلت لكم معصيتي ، وقد كان بيني وبين قوم إحَنٌ فجعلت ذلك دُبرَ أذني وتحت قدمي ، إني لو علمت أن أحدكم قد قتله السُّلّ من بُغضي لم أكشف له قناعاً ، ولم أهتك له ستراً ، حتى يُبْدي لي صفحته ، فإذا فعل ذلك لم أناظره فاستأنفوا أموركم ، وأعينوا على أنفسكم فربَّ مُبتَئِس بقدومنا سَيُسر ، ومسرور بقدومنا سَيبتئس .

أيها الناس : إنا قد أصبحنا لكم ساسة ، وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا ، ونذود عنكم بفيء الله الذي خَوَّلنا ، فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ، ولكم علينا العدل فيما ولينا فاستَوْجبوا عَدْلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا .

الحجّاج الثقفي

هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الثقفي، أحد جبابرة العرب وساستها، وموَطد ملك بني أمية ، وأحد البلغاء والخطباء المصاقع، ولد سنة ٤١ هـ وشب في خلافة معاوية .

وخدَم الحجاج بولاية عبد الملك بن مروان ، وابنه الوليد ـ حتى كان ملكه ما بين الشام والصين ـ ومات سنة ٩٥ هـ في مدينة واسط بالعراق .

كان الحجاج آية في البلاغة وفصاحة اللسان وقوة الحجة وشجاعاً داهية عنيفاً، قال الأصمعي : أربعة لم يلحنوا في جد ولا هزل: الشعبي ، وعبد الملك بن مروان، والحجاج بن يوسف ، وابن القرية ، وكان الحجاج أفصحهم ، ومن مآثره اهتمامه بوضع النقط والشكل للمصحف وغيره، ونسخه عدة مصاحف من مصاحف عثمان وإرسالها إلى بقية الأمصار، ومن خطبه المشهورة خطبته لمَّا قدم أميراً على العراق

فانه دخل المسجد – مُعْتَمًا بعمامة قد غطى بها أكثر وجهه ، متقلداً سيفاً ، متنكباً قوساً – يؤم المنبر ، فقام الناس نحوه حتى صعد المنبر فمكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بعضهم لبعض: قبّح الله بني أمية حيث تستعمل مثل هذا على العراق.

فلما رأى عيون الناس إليه حسَر اللثام عن فيه ، ونهض فقال :

أنا ابن جَلا وطلاّعُ الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني

يا أهل الكوفة ، إني لأرى رؤوساً قد أينعت وحان قطافها ، وإني لصاحبها . وكأني أنظر إلى الدماء ترقرقُ بين العمائم واللحى ، ثم قال :

هذا أوانُ الشدّ فاشتدّي زيم   قد لفّها الليلُ بسَوّاقٍ حُطَمْ
ليسَ براعي إبلٍ ولا غنم   ولا بجزّار على ظهر وضَمْ

ثم قال :

قد لفّها الليل بعصلبي   أروعَ خرّاج من الدّويّ
مُهاجر ليس بأعرابي

وقال :

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا   وجدّت الحربُ بكم فجدّوا
والقوسُ فيها وترٌ عُرُدُّ   مثلُ ذراع البكر أو أشدُّ
لا بدّ مما ليس منه بدُّ

إني والله يا أهل العراق ما يقعقع لي بالشنان ، ولا يغمزُ جانبي كتغماز التين ، ولقد فررت عن ذكاء ، وفتشت عن تجربة ، وإن أمير المؤمنين (أطال الله بقاءه) نثر كنانته بين يديه ، فعجم عيدانها ، فوجدني أمرها عوداً ، وأصلبها مكسراً فرماكم بي لأنكم طالما أرضعتم في الفتنة ، واضجعتم في مراقد الضلال ، لأحزمنّكم حزْم السلمة [١] ، ولأضربنّكم ضَرْب غرائب [٢] الإبل ، فإنكم لكأهل قرية

(١) نوع من الشجر وذلك لأن الأشجار تعصب أغصانها ثم تختبط بالعصي لسقوط الورق وهشيم العيدان .

(٢) وهي تضرب عند الهرب وعند الخلاط وعند الحوض أشد الضرب .

كانت آمِنة مُطمئنةً يأتيها رزقها رَغداً من كلِّ مكان فكفَرَت بأنعُم الله ، فأذاقها الله لباسَ الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ، وإني والله ما أقول إلا وفيتُ ولا أهم إلا أمْضيت ، ولا أخلق [1] إلا فَرَيت [2]

وإن أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعْطياتكم ، وأن أوَجّهكم لمحاربة عدُوكم مع المهلب [3] بن أبي صُفرة ، وإني أقسم بالله لا أجدُ رجلاً تخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضَرَبت عُنقَه .

طارق بن زياد

هو أحدُ قوّاد جُيوش الوليد بن عبد الملك ، وكان خطيباً مِصقعاً ، وبَطلاً مقداماً بعيد الهمة ، يعشقُ المجد ، وتصبو نفسه إلى الفتوحات ، خرج من المغرب سنة ٩٢ هـ باثني عشر الف جندي من مواطنيه ، يَقلهم أسطول قوي ، قد جُهِّز لذلك وعبرَ البحر إلى أسبانيا لفتحها ، فلما علم (رُودريك) ملكها بقدوم المسلمين إلى بلاده قابلهم بجيش عظيم ، هالت طارقاً كثرةُ عَدده وكال عُدده ، فبادر طارقٌ وأحرق أسطوله ليقطع أملَ أصحابه في الرُّجوع ، وقال لهم : «أيها الناس الخ » فاندفعوا على الأسبان اندفاع اليائِس ، وهزموهم شر هزيمة ، ثم والى طارقٌ فتوحاته في أسبانيا حتى قبَض على (رُودريك) آخر ملوك الفيزيقوط بها ، وقتله سنة ٩٤ هـ ، وبعد ذلك بسنة استقدمه الوليد إلى دمشق إلى أن مات سنة ١٠١ هـ ، وها هي خطبته البليغة :

أيها الناس ، أين المفَرّ ، البحر من ورائكم ، والعدُو أمامكم ، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر ، واعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيعُ من الأيتام ، في مأدبة اللئام ، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه ، وأسلحته و قواته مَوفورة ، وأنتم لاوزرَ لكم إلا سيوفكم ، ولا أقوات إلا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم ، وإن

---

(١) أقدر (٢) قطعت (٣) هو أبو سعيد المهلب بن أبي صفرة الأزدي البصري قائد قواد الأمويين ومبيد الخوارج ومبتدع الركب الجديد .

امتدت بكم الأيام على افتقاركم ، ولم تنجزوا لكم أمراً ذهبت ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم ، فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت ، وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجو ولا حملتكم على خطة أرخص متاع فيها النفوس أربأ فيها بنفسي ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً استمتعتم بالأرفه الألذ طويلاً ، فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي ، فما حظكم فيه أوفر من حظي ، وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الخيرات العميقة ، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين من الأبطال عزباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان واسماحكم بمجالدة الأبطال والفرسان ، ليكون مغنمها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم ، والله تعالى ولي إنجادكم على ما يكون لكم ذكراً في الدارين ؛ واعلموا أني أول مجيب إلى ما دعوتكم اليه ، وإني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم « لذريق » فقاتله إن شاء الله تعالى فاحملوا معي ، فإن هلكت بعده فقد كفيتم أمره ، ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولي ، فاخلفوني في عزيمتي هذه ، واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا لهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يخذلون .

الكتابة : خطية ، وإنشائية

الكتابة الخطية : كان الخط في مبدإ ظهور الإسلام هو الخط الأنباري الحيري المسمى بعد انتقاله إلى الحجاز بالحجازي ، وهو أصل النسخ ، وكان يكتب به النزر اليسير من العرب عامة وبضعة عشر من قريش خاصة ، فلما انتصر النبي ﷺ على قريش في يوم بدر ، وأسر منهم جماعة كان فيهم بعض الكتاب ، فقبل الفداء من أميهم ، وفادى الكاتب منهم بتعليم عشرة من صبيان المدينة ،

فانتشرت الكتابة بين المسلمين ، وحضّ ﷺ على تعلمها ؛ ومن أشهر كُتّاب الصحابة : . زيد بن ثابت ، وعبدالله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام) ولما فتح المسلمون الممالك ، ونزلت جمْهرة الكُتّاب منهم الكوفة عنوا بتجويد الخط العربي وهندسة أشكاله حتى صار خط أهل الكوفة ممتازاً بشكله عن الخط الحجازي ، واستحق أن يسمى باسم خاص وهو (الكوفي) وبه كانت تكتب المصاحف ، وحلى القصور والمساجد وسك النقود

وكان الصحابة وتابعوهم من بني أمية يكتبون بلا إعجام ولا شكل إلا قليلا اعتماداً منهم على معرفة المكتوب إليهم باللغة ،واكتفائهم بالرمز القليل في قراءة اللفظ ، فلما فسد اللسان باختلاط العرب بالعجم ، وظهر اللحن والتحْريف في الألسنة ، أشفق المسلمون على تحريف كَلِم الكِتاب الكريم فوضع أبو الأسود الدؤلي علامات في المصاحف «بصَبغ مخالف» فجعل علامة الفتحة نقطة فوق الحروف ، والكسرة نقطة أسفله ،والضمة نقطة من الجهة اليسرى ، وجَعل التنوين نقطتين ؛ وكان ذلك في خلافة معاوية رضي الله عنه .

ووضع نصر بن عاصم ويحيى بن يَعْمر بأمر الحجاج نقط الإعجام بنفس المداد الذي يُكتب به الكلام ، حتى لا يختلط بنقط أستاذهما أبي الأسود ،وكان ذلك في خلافة عبد الملك بن مروان ، ثم شاع في الناس بعد .

الكتابة الإنشائية قسمان : كتابة رسائلَ ودواوين ،وكتابة تدوين وتصنيف .

كتابة الرسائل والدواوين

كان زعماء العرب وفصحاؤهم كلهم كتاباً ، ينشئون بملكتهم ،ولو لم يخطوا بيمينهم ، فكان النبي وأصحابه وخلفاؤه يُملون كتبهم على كتّابهم بعبارتهم ، وبعضهم يكتبها بيده ، ولما اتسعت موارد الخلافة أصبحت في حاجة إلى إنشاء الدواوين لضبط ذلك ،فكان « عمر » أوَل من دَوّنَ الدواوين ، وكان كُتّاب

الرسائل للخلفاء وعمالهم إما عَرَباً او مَواليَ يجيدون العربية ؛ أمـا كُتّاب الخراج ونحوه فكانوا في كل إقليم من أهله يكتبون بلغتهم، ولما نَبَغ من العرب من يُحسن عملهم حُوّلت هذه الدواوين إلى العربية زمنَ عبد الملك بن مروان والوليد ابنه ، وجرى خلفاء بني أمية في كتابة الرسائل على ما كان عليه الأمر زمن الخلفاء الراشدين

ثم لما اتسعت رقعة المملكة ، وقَبّرت أمور الدولة ، وازدادت الأعمال وشُغِل الخلفاء على ان يَلوا الكتابة بأنفسهم او بخاصة عشيرتهم عَهدوا بها إلى كبار كتابهم حتى انتشرت وصارت صناعةً مُحكمة ، وكان كثيرٌ منهم يعرف اللغة الرومية او الفارسية او اليونانية او السريانية ، وهي لغـات أمم ذات حضارة وعلوم ونظام ورسوم

ومن هؤلاء : سالم مولى هشام بن عبد الملك ، أحد الواضعين لنظام الرسائل وأستاذ (عبد الحميد الكاتب) الذي آلت إليه زعامة الكتابة آخرالدولةالأموية

مميزات الكتابة الانشائية

وتمتاز الكتابة في هذا العصر بالميزات الآتية :

(١) الاقتصارُ في أعراضها على القدر الضروري لدولة عربية ، والاقتصار في معناها على الإلمام بالحقائق ، وتوضيحها بلا مبالغة ولا تهويـل ، واستعمال الألفاظ الفَحلة والعبارة الجزلة والأساليب البليغة ، إذ كان الكاتب والمكتوب إليه عرباً فصحاء .

(٢) مُراعاة الإيجاز غالباً إلا حيثُ يستدعي الحالُ الإسهاب، وبقي الأمر على ذلك ، حتى جاء عبد الحميد الكاتب آخرَ الدولة الأموية،فأسهب في الرسائل وأطال التحميدات في أولها ، وسلكَ طريقهُ من أتى بَعْدهَ .

الكُتّاب

كتّاب هذا العصر كثيرون ، فقـد كان الخلفاء والأمراء والقواد كلهم

كتّاباً بلغاء ولما صارت الكتابة صناعة ، تداولها كثير من الأعاجم وغيرهم ، واشتهر من بين هؤلاء :

عبد الحميد بن يحيى الكاتب

هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامريّ نسباً ، الشاميّ داراً ، شيخ الكتاب الأوائل وأول من أطال الرسائل ، ونشأ بالأنبار بليغاً حصيفاً .

وكان عبد الحميد في أول أمره معلم صبيان حتى فطنَ له مرْوان بن محمد أيام توليه أرْمينية ، فكتب له مدّة ولايته ، حتى إذا بلغه مبايعة أهل الشام له بالخلافة فسجد مروان لله شكراً وسجد أصحابه إلا عبد الحميد ، فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ فقال : ولمَ أسجد ؟ أعلى أن كنت معنا فطرتَ عنّا ؟ قال: إذاً تطير معي ، قال : الآن طابَ لي السُّجود ، وسجد ، فاتخذه مروان كاتب دولته .

ولما دَهمت مروان جيوش خراسان أنصارُ الدعوة العباسية ، وتوالت عليه الهزائم ، كان عبد الحميد يلازمهُ في كل هذه الشدة ، فقال له مروان ، قد احتجت أن تصير مع عدوّي وتُظهر الغدرَ بي ، فإن إعجابهم بأدبك ، وحاجتهم إلى كتابتك يحوجهُم إلى حسن الظن بك ، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي ، وإلا لمَ تعجز عن حفظ حرَمي بعد وفاتي ، فقال له : إن الذي أشرتَ به عليّ أنفع الأمرين لكَ ، وأقبحهُما بي ، وما عندي إلا الصبر ، حتى يفتح الله عليك ، أو أقتلُ معك وأنشد

أسِرُّ وفاءً ثمَّ أظهرُ غدرةً   فمنْ لي بعذرٍ يوسع الناس ظاهرُه؟

وبقي حتى قتلَ مروان سنة ١٣٢ هـ ، وأخِذَ عبد الحميد إلى السّفاح فقتله سنة ١٣٢ هـ .

منزلته في الكتابة : اتفقت كلمة البلغاء وأهل الأدب على أن عبد الحميد هو الأستاذ الأول لأهل صناعة كتابة الرسائل ، وذلك أنه أول من مهّد سبلها

وميزَ فصولها ، وأطالها في بعض الشئون ، وقصّرها في بعضها الآخر ، وأطالَ التّحميدات في صدرها ، وجعل لها صوراً خاصة ً ببدْئها وختْمها على حسب الأغراض التي ُتكتب فيها ؛ وكان لبلاغة عبد الحميد عمل يعجزُ عنه السّحرُ في خلب الأفئدة وجذبِ النفوس ، فيقال إنه لمّا ظهر أبو مسلم الخراساني بدعوة بني العبّاس كتبَ إليه عن مروان كتاباً يستجلبه به وضمنه ما لو قرىء لأدّى إلى وقوع الخلاف والفشل وقال لمروان : كتاباً َمتى قرأه بطلَ تدبيره ؛ فإن يكُ ذلك وإلا فالهلاك ، وكان الكتابُ لكبر َحجمه ُيحمل على جمل ، فلما وصل الكتاب إلى داهية خراسان أبي مُسلم أمر بإحراقه قبل أن يقرأه ، وكتب على جذاذة منه إلى مروان :

محا السّيف أسطارَ البلاغةِ وانتحى عليـك ليوثُ الغاب من كلّ جانب

التدوين والتصنيف

انقضى زمن الخلفاء الراشدين ، ولم يدَّون فيه كتاب إلا ما كان من أمر كتابة المصّحف ،وكان مرْجع الناس فيأمر دينهم ودْنياهم كتاب الله تعالى وسُنة رسوله فإذا اشتّبه عليهم أمر من أمور الدين رَجعوا إلى الخُلفاء ، وفقهاء الصحابة .

ثم لمّا انتشر الإسلام في زَمن بني أُميّة ،واختلطت العرب بالعجم ، فَفسدت فيهم ملكة اللسان العربي ، وفشا اللحن ، وأشفَقوا على القرآن من التحريف ، وعلى اللغة من الفساد دَونوا النّحو ؛ وكان أول من كتب فيـه « أبو الأسْود الدؤلي » وقد تَلقى مبادئه عن « الإمام عليّ » وأخذ عنه فتيانُ البصرة ، وخصوصاً الموالي إذ كانوا أحوج الناس إلى النّحو ،واشتغلَ به أهل الكوفة بعد أن فشا بالبصرة ، ولم ينقض هذا العصرُ حتى اشتغَل به َطبقتان من البصريين وَطبقة من الكوفيين. ثم لما حدَثت الفتن وتعدّدت المذاهبُ والنّحل وكثرت الفَتاوى والرجوعُ فيها إلى الرؤساء ، ومات أكثر الصحابة ، خافوا أن يَعتمد الناس على رُؤسائهم ، ويَتركوا سنة رسول الله ، فأذن أمير المؤمنين « عمر بنُ

عبد العزيز » لأبي بكر محمد بن عمرو بن حزْم في تَدوين الحديث ، وانقضى هذا العصر ، ولم يُدون فيه من علوم اللغة والدين غير النّحو وبعض الحديث وبعض التفسير ، أما العلوم الأخرى فيروى أن خالد بن يَزيد بن معاوية حببَ إليه مطالعة كتب الأوائل من اليونان فترْجمت له ، ونَبغ فيها ووضع كتباً في الطّب والكيمياء ، وأن معاوية استقدم عبيد بن شرْية من صنعاء فكتب له كتاب « الملوك وأخبار الماضين » وأن وهْب بن منبّه الزّهْرى ، وموسى بن عُقبة ، كتبا في ذلك أيضاً كتباً ، وأن زياد بن أبيه وضع لابنه كتاباً في مثالب قبائل العرب ، وأن ماسرْجَوَيْه متطبّب البصرة تولى في الدولة المروانيّة ترجمة كتاب أهرُون بن أعين ، من السريانية إلى العربية ، وأن يونس الكاتب بن سليمان ألّف كتاباً في الأغاني ونِسْبَتها إلى من غنّى بها ، ولم يبلغ التصنيف شأواً يُذكر .

الشعر والشعراء في هذا العصر

جاء النبي الكريم ، والشعرُ ديوانُ العرب ، فأتاهم بالأمر العظيم ، والحادث الخطير ، حاملاً بإحْدى يدَيه القرآن يَدعو النـاس إلى توحيد الله ، والتمسك بالفَضيلة وشاهراً بالأخرى سيف الحق لحماية هذه الدعوة ، وما كان أشدّ ذهولهم لخَطبها وانزعاجهم من وقعها ، فهبوا يتحسّسون الأول ، ويتمرّسون أساليبه ومعانيه ويَتفرسون ألفاظه ومغازيه ، ما بين معاند يتلمس مطعنـاً فيه ومؤمن يستبينه ويستهديه ، وتأهّبوا للثاني ، بين ضال يناوئه ، ومهتد يعاضده فصار ذلك صارفاً لهم عن التشاغل بالشعر ، محولاً مجرى أفكار المؤمنين منهم عن أكثر فنونه المنحرفة عن سنن الشرف والحق كالمدح بالباطل والهجاء والمغازلة ، وبغض إليهم تلك الفنون المرذولة بازدراء القرآن على الشعر بقوله : (والشعراء يتبعهم الغاوُون ، ألم تر أنهم في كل وادٍ يَهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا) ولهذا لم يكف شعراء المسلمين عن قوله فيما يطابقُ روح القرآن ؛ كالموعظة

والإرشاد ، ومدح الرسول ﷺ وأصحابه ... الخ .

ولبث الحالُ على ذلك مدّة حياة النبي الكريم ، حتى إذا ما ثاروا لإسكان فِتن أهل الردة ، وفتح الممالك والأمصار ، أضافوا إلى ما ألفوه عن أغراض الشعر الإكثار من التباهي بالنصر ، ووصف المعارك ، وأحوال الحصار وآلات القتال .

ولما آل الأمر إلى بني أميّة ، وشغَب عليهم كثير من فِرَق المسلمين أصبح الشعر لساناً يُعبر عن مقاصدِ كلّ حزب ، حتى أصبح حرفة عتيدة ، وصناعة جديدة ومورد ثرْوة ، وأصبحت دراسته ونقده وروايته دأب العلماء والأدباء، حتى الخلفاء وأولياء عهودهم . ونصفُ ما كان عليه الشعر في هذا العصر من حيث أغراضه ومعانيه وتصوراته وعباراته بما يأتي :

أغراض الشعر وفنونه

(١) نشر عقائد الدين وحِكَمه ووصاياه والحث على اتباعه، وخاصة زمن النبي ﷺ وخلفائه الراشدين

(٢) التحريضُ على القِتال ووصفه – والترغيب في نيل الشهادة رَفعاً لكلمة الله ، وذلك في أزمان غزوات النبي وحصار المدن وفتحها .

(٣) الهجاء – وكان أولاً في سبيل الدّفاع عن الإسلام بهجْو مشْركي العرب بما لا يخرج عن حد المروءة وبما رَضيه النبي من حسان بن ثابت شاعره في هجاء قريش وعشيرة النبي من بني عبد مناف ، وكان يتحرج عنه المسلمون ولو بالتعريض زمن النبي وخلفائه ، ولذلك عاقب عمر أمير المؤمنين (الحُطيئة) وهدده بقطع لسانه لنيله من بعض المسلمين ، ثمّ صار يَتساهل في خَطبه حتى كان الهجاء غاية براعة الشاعر ، وإن لم يصل في الإقذاع والفحش إلى الحدّ الذي وصل إليه في العصر التالي ، ومن ذلك التهاجي المشهورُ بين جرير والفرزدق والأخطل .

(٤) المدحُ — وقلّما كان مبدأ الإسلام في غير النبي من حيث الاهتداءُ بهديه، ونشر الحق على يديه، وكان خلفاؤه يأنفون مدحهم بما تزهى به نفوسهم تواضعاً.

ثم استرسل الشعراءُ فيه وقبلَ ذلك منهم الخلفاء إلى أن كان المدحُ من أهمّ الدعائم لتوطيد أركان الدولة وتفخيم مقام الخلفاء والوُلاة والإشادة بعظمتهم.

معانيه وأخيلته وأساليبه وأوزانه

لم يخرج شعراء هذا العصر في جملة تصورهم وتخيُّلهم عما ألفوه زمن الجاهلية وإن فاقوهم كثيراً في ترتيب الفِكَر، وتقريب المعنى إلى الأذهان والوجدان بما هذّب نفوسهم، ورقق طباعهم من دراسة كتاب الله وحديث رسول الله؛ وكذلك لم يخرجوا جملة في هيئة تأليف اللفظ ونسجه ومتانة أسلوبه عن نظائرها في الجاهلية وإنما آثروا جزالة اللفظ ومؤالفته لسابقه ولاحقه دون غرابته كما آثروا جودة الأسلوب ومتانته، وروعة تأثيره ولا سيما أهل النسيب، ولم يطرأ على أوزان الشعر العربي حدثٌ غيرُ ما عُرف عنه في الجاهلية.

وإنما شاع في هذا العصر نظم الأراجيز، والتطويل فيها واستعمالها في جميع أعراض القصيد، حتى في افتتاحها بالنّسيب، والتّخلص منه إلى المدح والذّم ونحو ذلك.

الشعراء

شعراء هذا العصر ممن خلصت عربيتهم، واستقامت ألسنتهم، ولم يتد إليهم اللحن، ولقد زادتهم مُدارسة القرآن الكريم فصاحة وبلاغة، وإحكاماً وإتقاناً حتى فضلهم بعض الرواة على سابقيهم من الجاهليين — ومن أشهر شعراء هذا العصر كعب بن زهير، والخنساء، والحطيئة، وحسان بن ثابت، والنابغة

الجعدي وعمرو بن مَعديكربَ من المخضرمين¹ وعمر بن أبي ربيعة، والأخطل، والفرزدق، وجرير، والكميت، وجميل، وكُثيِّر عزّة، ونُصَيْبٌ، والرّاعي، وذو الرُّمة من الإسلاميين.

كعبُ بن زهير

هو كعبُ بن زُهير بن أبي سلمى أحد فحول المخضرمين، ومادح النبي الأمين، ولما ظهر الإسلام ذهب أخوه بُجَيْر إلى رسول الله ﷺ، فغضب كعب لإسلامه، وهجا رسول الله ﷺ وأصحابه، فتوعده النبي ﷺ وأهدرَ دمه، فحذره أخوه العاقبة، إلا أن يجيء إلى النبي ﷺ مسلماً تائباً، فهام كعب على القبائل أن تجيره فلم يُجِرْهُ أحدٌ، فلما ضاقت الأرض في وجهه جاء أبا بكر رضي الله عنه بالمدينة، وتوسل به إلى الرسول ﷺ، فأقبَلَ به عليه وآمن، وأنشده قصيدته المشهورة الآتية.

فخلع عليه النبي بُرْدته، فبقيت في أهل بيته حتى باعوها لمعاوية بعشرين ألف درهم، ثم بيعت للمنصور العباسي بأربعين ألفاً ومات سنة ٢٤ هـ.

شعره: كان كعب من الشعراء المجيدين المشهورين بالسبق وعُلوّ الكعب في الشعر، وكان خلف الأحمر احد علماء الشعر يقول: لولا قصائد لزُهير ما فضلته على ابنه كعب، وكفاه فضلاً أن الحُطيئة مع ذائع شهرته، رجاه أن يُنوِّه به في شعره، فقال:

فمنْ للقَوافي شانَها مَن يحوكها   إذا ما مضى كعب وفوَّز جَروَلُ

ومن شعره قوله:

لو كنت أعجبُ من شيء لأعجبني   سعيُ الفتى وهو مخبوءٌ له القَدَرُ
يَسعى الفتى لأمور ليس يُدرِكُها   والنفسُ واحدة والهمُّ منتشرُ
فالمرءُ ما عاش ممدودٌ له أمَلٌ   لا ينتهي العمُر حتى ينتهي الأثرُ

(١) المخضرم من الشعراء من عاش في الجاهلية والإسلام.

ومن قوله أيضاً .

إن كنتَ لا ترهَبُ ذمي لما تعرف مِن صفحي عن الجاهل
فاخش سكوتي إذا أنا مُنصِتٌ فيكَ لمسموع خَنَا القائِل
فالسامعُ الذم شريكٌ له ومُطعِمُ المأكول كالآكل
مقالةُ السوء إلى أهلها أسرعُ من مُنحدرٍ سائل
ومَن دعا الناس إلى ذمّهِ ذمُّوهُ بالحق وبالباطل

ومن قوله أيضاً قصيدة « بانت سُعاد » المشهورة – وهي :

بانتْ سعادُ فقلبي اليومَ متبولُ مُتيمٌ في إثرَها لم يُفدَ مكبولُ ١
وما سُعادُ غداةَ البَيْنِ إذ برزت إلا أغنٌّ غضيض الطرْف مكحول ٢
تجلو عوارضَ ذي ظَلم إذا ابتسمت كأنه مُنْهلٌ بالراحِ معلول ٣
شُجّت بذي شبمٍ من ماء مَحنيةٍ صافٍ بأبطح أضحى وهو مشمول ٤
تنفي الرّياحُ القذى عنه وأفرطه من صوب غاديةٍ بيضٌ يعاليل ٥
ويلُ أمها خلّة لو أنها صدقتْ بوعدها ولو أنّ النصحَ مقبول ٦
لكنها خُلة قد سيطَ من دمها فجعٌ وولعٌ وإخلافٌ وتبديل ٧

(١) بانت : فارقت والمتبول الذي أسقمه الحب . ومكبول : مقيد (٢) الأغن : الذي في صوته غنة ، وهي صوت محبوب ؛ غضيض الطرف : أي في طرفها كسر وفتور (٣) تجلو : تكشف والمراد بالعوارض هنا الاسنان ، ذي ظلم : أي ثغر ذي ظلم والظلم ماء الأسنان وبريقها . معلول : أي مسقى بالخمر مرة بعد أخرى (٤) شجت أي مزجت بالماء لتذهب سورتها ؛ وبذي شبم اي بماء ذي شبم والشبم البرد والمحنية : منعطف الوادي لأن ماءها يكون أصفى وأرق ؛ والأبطح : مسيل فيه دقائق الحصى ؛ والمشمول : الذي ضربته ريح الشمال حتى برد (٥) القذى : ما يسقط في الماء ؛ وأفرطه : أي ملأه . (٦) ويل امها في رواية ابن هشام أكرم بها والخلة هنا الصديقة . (٧) سيط من ساط الماء ونحوه يسوطه : خلطه بغيره ؛ والفجع : الإصابة بالمكروه ، والولع : الكذب .

فما تقومُ على حال تكون بها   كما تلوَّنُ في أثوابها الغول ١
ولا تُمسِكُ بالعهدِ الذي زعمَت   إلا كما يُمسِكُ الماء الغرابيل
كانت مواعيدُ عرقوب لها مثلاً   وما مواعيدهُ إلا الأباطيل ٢
أرجو وآمُل أن تدنو مودّتها   وما إخالُ لدينا منكِ تنويل
فلا يَغرنكَ ما منّت وما وعدت   إن الأمانيَ والأحلامَ تضليل
أمست سُعادُ بأرض لا يُبلِّغها   إلا العِتاقُ النجيّاتُ المراسيل ٣
نبئتُ أنَّ رسولَ اللهِ أوعدَني   والعفوُ عند رسول الله مأمول ٤
مهلاً هداك الذي أعطاكَ نافلةَ القرآن فيها مواعيظٌ وتفصيلُ ٥
لا تأخُذَنّي بأقوال الوُشاة ، ولم   أُذنِب ، ولو كثرت فيَّ الأقاويل
لقد أقومُ مقاماً لو يَقومُ بـه   يرى ويسمعُ ما قد أسمعُ الفيل ٦
الظل يُرعَدُ من وجدٍ بوادره   إن لم يكن من رسول الله تنويل ٧
ما زلتُ أقطعُ البَيداء مدّرِعاً   جُنح الظلام وثوبُ الليل مسبول ٨
حتى وضَعت يميني ما أُنازِعها   في كف ذي نَقِمات قوله القيل ٩
فلهْوَ أخوفُ عندي إذ أكلمه   وقيل ، إنك منسوبُ ومسئول ١٠

(١ الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراءى لهم في الفلوات تتلون لهم وتضلهم عن الطريق ٢) عرقوب يضرب به المثل في خلف الوعد ؛ قيل إنه وعد أخاً له ثمر نخلة ؛ وقال ، ائتني إذا أطلع النخل فلما أطلع قال : إذا أبلح فلما أبلح قال : إذا أزهى؛ فلما أزهى قال : إذا أرطب ؛ فلما أرطب قال : إذا صار تمراً فلما صار تمراً جده من الليل ولم يعطه شيئاً ٣ ، العتاق . الإبل أو الخيل الكريمة ، والنجيات السريعات والمراسيل : جمع مرسال وهو السريع (٤) أوعد : هدد (٥ نافلةَ . عطية ، التفصيل : التبيين (٦) أي لقد شهدت برؤية الرسول مشهداً غظيم الهيبة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث . لظل يرعد (٧) لظل يرعد : جواب لو في البيت السابق ، والبوادر جمع بادرة ، وهي ههنا بين المنكب والعنق (٨) إدراع الظلام أي لبسه كأنه درع (٩) ما أنازعها : أي لا أجاذبها ، والقيل : أي القول الحعب ١٠ أخوف : أي أعظم مسبب للخوف ومنسوب : أي مسؤول عن نسبك .

مِنْ ضَيْغَمٍ بِضَرَاءِ الأرضِ مُخدَرُهُ ... في بطنِ عَثَّرَ غِيلٌ دونه غِيلُ ١
يَغدو فيُلحِمُ ضِرْغامَين عيشُهما ... لحمٌ من الناسِ معفورٌ خراديلُ ٢
إذا يُساوِرُ قِرناً لا يَحِلُّ له ... أن يترك القِرنَ إلا وهو مغلولُ ٣
منه تظلُّ حميرُ الجوِّ نافرةً ... ولا تمشّى بواديه الأراجيلُ ٤
ولا يزالُ بواديه أخو ثِقةٍ ... مُضرَّجُ البَزِّ والدِّرسانِ مأكولُ ٥
إن الرسولَ لنورٌ يُستضاءُ به ... مهنّدٌ من سيوفِ اللهِ مسلولُ
في عُصْبةٍ من قريشٍ قال قائلُهم ... ببطنِ مكةَ لما أسلموا: زولوا ٦
زالوا؛ فما زال أنكاسٌ ولا كُشُفٌ ... عند اللقاءِ ميلٌ معازيلُ ٧
يمشون مشيَ الجمالِ الزُّهْرِ يعصمُهمْ ... ضربٌ إذا عرَّدَ السودُ التنابيلُ ٨
شمُّ العرانينِ أبطالٌ لبوسُهمُ ... من نسجِ داودَ في الهيجا سرابيلُ ٩
بيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ ... كأنها حلقُ القَفْعاءِ مجدولُ ١٠

(١) من ضيغم : متعلق بأخوف في البيت السابق ؛ وضراء الأرض أي الأرض استوية التي تأويها السباع وبها نبذ من الشجر ؛ والمخدر : مكان إقامة الأسد ؛ وبطن عثر مأسدة ؛ أي مخدرة غيل من بطن عثر دونه غيل والغيل : الاجمة – يصفه بالمنعة والتوحش ٢) يلحم : أي يطعم اللحم ؛ معفور: أي ملقى في التراب والخراديل ؛ القطع (٣) يساور يواثب ، والقرن : المماثل ، ولا يحل : ولا يسوغ ، والغلول : المقدد (٤)الجو : البر الواسع ، والأراجيل جمع رجيل ؛ وهو الراجل غير الراكب (٥) البز الثياب ؛ والدرس : الثوب الخلق ، أي أن بوادي هذا الأسد تجد شجاعاً كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقة ممزقة (٦) زولوا أي انتقلوا من مكة إلى المدينة (٧) النكس : الضعيف والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له ، والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب والمعازيل: جمع معزول وهو من لا سلاح له (٨) الزهر .البيض ،وعرد فر وأعرض والتنابيل: القصار . (٩) شم العرانين: شم الأنوف ؛ أي أعزة ، واللبوس ، السرابيل. الدروع أي لباسهم دروع من نسج داود (١٠)بيض صفة للسرابيل ،والسوابغ: الطوال ، والقمفاء : نبات ينبسط على الأرض يشبه حلق الدروع .

ليسوا مفاريحَ إن نالت رماحُهُمُ قوماً ، وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا [١]
لا يقطعُ الطعنُ إلا في نحورِهمُ وليس لهم عن حياضِ الموت تهليل [٢]

(٢) عمرو بن معديكرب الزُّبيدي

هو أبو ثور عمرو بن معديكرب الزبيدي المذحجي ، فارس اليمانينَ ،وأحد الشعراء المعمَّرين ، والخطباء الموفَدين .

منشؤه وصِفاته : نشأ عمرو بين قومه ُمحقاً أكولاً ، لا يؤمَّـلُ منه خير ، ولا ُتلحظ فيه سيادة ، على ضخامة في جثة ،وجهارة في صوت ، حتى بلغ زبيداً أن خثعمَ ستشُنّ الغارة عليهم ، فتأهّبوا ، ودخل عمرو على أُخته ، فقال : أشبعيني إن غداً الكتيبة ، فأخبرت أباه ، فقال : سَلي هذا المائق ما يُشبعه ، فأكل عنزاً بثلاثة آصع ذُرة ،وأتتهم خثعَم فتبلد حتى رأى لواءَ أبيه مالَ وانهزمت زُبيد ، فثار وكرَّ على خثعم ،وتراجع إليه قومه فهزموا الأعداء؛ فأصبح ُيسمى فارس زُبيد بعد أن كان ُيسمَّى مائق زَبيد ، واشتهرَ بالشجاعة حتى هابته أبطال العرب وضُرب به المثل في الشجاعة ، وفي ذلك يقول أبو تمام :

إقدام عمرو ، في سماحةِ حاتم في حـلم أحنفَ ، في ذكاء إياسِ

وفي شجاعته يقول عن نفسه : وسِرتُ بظعينة وحدي على مياه مَعدّ كلها ما خِفت أن أُغلبَ عليها – ما لم يَلقَني حُرّاها أو عَبداها ؛ فأما الحُرّان : فعامر بن الطفيل، وعُيينة بن الحارث بن شِهاب، وأما العَبْدان : فأسْود بني عَبس – يعني عَنترة – والسُّليك بن السُّلَكة ، وكلهم قد لقيت .

ولما فشا الإسلام في قبائل العرب ، وفد مع بعض قومه على رسول الله فأسلم ثم رَجع إلى قومه ، ولما مصّرت الكوفة أقام بها حتى كانت وقعة نَهاوَند فحضرها تحت لواء النعمان بن مُقرّن ، ومات بها سنة إحدى وعشرين .

---

(١) المفاريح : جمع مفراح ، الشديد الفرح والمجازيع ، جمع مجزاع الشديد الحزن . (٢) التهليل : الجبن والفرار .

ويُعَدّ عمرو من الشعراء المخضرمين ، ويأتي شعره في الطبقة الثانية من الجودة ويَغلب عليه وصف الوقائع والتحدث عن نفسه بالشجاعة ، وهو أحد الخطباء الذين أوفدهم النعمان على كِسرى .

ومن شعره قوله في صدق عن نفسه في الحرب :

ولما رأيتُ الخيلَ زُوراً كأنها   جداول زَرع أُرْسِلت فاسبطرّتِ
فجاشت إليّ النفسُ أوّل مرة   فرُدت على مكروهها فاستقرّتِ
علام تقولُ الرُّمْح يُثقلُ عاتقي   إذا أنا أطعنْ إذا الخيلُ كَرّتِ

ومن قوله أيضاً :

أمِن رَيحانة الدّاعي السميعُ   يؤَرّقُني وأصحابي هُجوعُ
أشاب الرّأس أيامٌ طوالٌ   وهمٌّ ما تَضَمَّنه الضلوعُ
وسوق كتيبةٍ دَلَفت لأخرى   كأن نهارَها رأسٌ صليعُ
إذا لم تَستَطع شيئاً فدَعه   وجاوزهُ إلى ما تَستَطيعُ
وصِله بالزَّمـاع فكلّ أمر   سَما لك أو سموت له ولوعُ

(٣) الخنساء

هي السيدة تماضِرُ الخنساء بنت عمرو بن الشَّريد السلمية ، أرقى شواعر العرب وأحزن مَنْ بَكى ونَدب .

كان أبوها عمرو ، وأخواها مُعاوية وصَخر ، وكانت هي من أجمل نساء زمانها فخطبها دُرَيد بن الصمة فارس جُشم ، فرَغبت عنه ، وآثرت التزَوّج في قومها ، فتزوجت منهم ، وكانت تقول المقطعات من الشعر ، فلما قُتل شقيقُها معاوية ، ثم أخوها لأبيها صخر ، جَزَعت عليهما جزَعاً شديداً ، وبَكَتهما بكاءً مُرّا ، وكان أشد وجدها على صخر ، لأنه شاطرها هي وزَوْجها أمواله مراراً ، ولما جاء الإسلام

وفدت مع قومها على النبي ﷺ وأسلمت، وكان يُعجبه شِعرُها، ويستنشِدُها ويقول (هيه يا خناس) ويُومىءُ بيده .

وما فتئت تبكي صخراً قبل الإسلام وبعده حتى عميت ، وبَقيت إلى أن شَهِدَت حرب القادِسية مع أولادها الأربعة، فأوصتهم وصيتها المشهورة وحضتهم على الصبر عند الزحف ، فقتلوا جميعاً ، فقالت: الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم، ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها، وتوفيت بالبادية سنة ٤٦ ﻫ في خلافة معاوية .

شِعرها : أغلب علماء الشّعر على أنه لم تكن امرأةٌ قبلَ الخنساء ولا بعدها أشعرَ منها ، ومن فضّل ليلى الأخيلية عليها لم يُنكر أنها أرثى النساء ، وكان بَشّار يقول : لم تقل امرأة شعراً إلا ظهر الضعف فيه ، فقيل له : وكذلك الخنساء ، فقال : تلك التي غلبت الفحول . ولم يكن شأنها عند شُعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الإسلام ، فذلك النابغة الذبياني يقول لها ، وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها :

قذًى بعينيك أم بالعين عوّارُ أم ذرفت إذ خلت من أهلها الدارُ

لولا أن أبا بَصير (يعني الأعشى) أنشدني قبلك لقلت : إنكِ أشعر مَن بالسوق وسُئل جرير : مَن أشعر الناس ؟ قال : أنا ، لولا الخنساء ، قيل : فيم فضّلتك ؟ قال : بقولها :

إن الزمان (وما يَفنى له عجَبٌ) أبقى لنا ذَنَباً واستؤصل الرأس
إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يَفسد الناس

ومن جيد شعرها ترثي أخاها صخراً :

أعَيْنَيّ جُودا ولا تجمُدا ألا تَبكيانِ لصخر الندى
ألا تَبكيانِ الجريء الجميل ألا تبكيان الفتى السيّدا
رفيعُ العماد طويل النّجا د سادَ عشيرتَهُ أمردا

إذا القومُ مَدوا بأيديهم إلى المجد مَدَّ إليه يَدا
فنال الذي فوق أيديهمُ من المجد ثم انتمى مُصْعدا
يحمّله القوم ما عالهمْ وإن كان أصغرَهم مَولدا
وإن ذُكِرَ المجدُ ألفَيْته تأزّرَ بالمجد ثم ارتَدى

ومن قولها ترثيه أيضاً

ألا يا صَخْرُ إن أبكيتَ عيني فقد أضحَكْتَني زمناً طويلا
دَفعتُ بكَ الخطوبَ وأنتَ حيٌّ فمَنْ ذا يَدفعُ الخطبَ الجليلا
إذا قَبُح البكاءُ على قتيلٍ رأيتُ بكاءَكَ الحسنَ الجميلا

ومن بديع قولها .

يُذَكرني طلوعُ الشمس صَخْراً وأذكرُه لكلّ غروب شمسِ
فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلتُ نفسي
ولكن لا أزالُ أرى عجولاً ونائحةً تنوحُ ليوم نحْسِ
هما كلتاهما تبكي أخاها عشيّةَ رزئه أو غِبَّ أمس
وما يَبكين مثل أخي ولكنْ أسَلِّي النفسَ عنهُ بالتأسّي
فقد ودعت يوم فراقِ صَخْرٍ أبي حسانَ لذّاتي وأنسي
فيا لهفي عليه ولهفَ أمّي أيُصْبحُ في الضّريح وفيه يُمسي

(٤) الحُطيئة

هو أبو مُلَيكةَ جَرولُ الحطيئة العبسيّ ، منشؤه معلول النسب ، وكان جَشِعاً سؤولا مُلحفاً دنيء النفس ، كثير الشر قليل الخير ، بخيلا قبيح المنظر ، رَثّ الهيئة فاسد الدين . وعاش الحطيئة مدة في الجاهلية ، وجاء الإسلام فأسلم ، ولم يكن له صحبة برسول الله ﷺ ، ثم عاش متنقلاً في القبائل يمدح هذه تارة ، ويَذُمُّ تلك أخرى ، ويَنتَسِبُ إلى عبس طوراً ، وطوراً إلى ذُهل ، ويهجو

اليوم من يمدحه بالأمس ، وكل قبيلة تخطب وُدّه ، وتتقي شر لسانه ، حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حَبَسَه ، فما زال يستشفع إليه بالناس وقول الشعر حتى أطلقه وهدّده بقطع لسانه إن هجا أحداً ، واشترى منه أعراض المسلمين بثلاثة آلاف درهم ، ولكنه نكثَ ، وأوغَلَ في الهجاء بعد موت عمر ، وبقي كذلك حتى مات أوائل خلافة معاوية سنة ٥٩ هـ .

شعره : لولا ما وُصِمَ به الحطيئة من خِسّةِ النفس ، ودناءة الخلق ، وجهالة النسب لكان بإجادته في كل ضربٍ من ضُروب الشعر زعيم شعراء المخضرمينَ على الإطلاق ، إلا أنه لم يقف ببراعته وفصاحته موقفاً لله والشرف ، وقلما يوجد في كلام الحطيئة مظنة ضعفٍ ، أو مغمزٌ لغامز من ركاكةِ لفظ ، أو غضاضة معنى أو اضطراب قافية .

ومن مدحه الذي لا يَلحق له فيه غُبار ، قوله :

يَسوسون أحلاماً بعيداً أناتُها ... وإن غضبوا جاء الحفيظة والجد
أقِلوا عليهم (لا أباً لأبيكم) ... من اللوم أو سُدّوا المكان الذي سَدوا
أولئك قومٌ إن بنَوْا أحسنوا البنا ... وإن عاهدوا أوفَوا وإن عقدوا شدّوا
وإن كانت النعماء فيهم جَزَوا بها ... وإن أنعَموا لا كدّروها ولا كدُّوا
مَطاعينُ في الهيجا مكاشيفُ للدجى ... بَنى لهم آباؤهم وبَنى الجدُّ
ويَعذُلُني أبناءُ سعدٍ عليهم ... وما قلتُ إلا بالذي عَلِمَت سعدُ

ومن أبياته التي استعطف بها أميرَ المؤمنين عمر وهو في سجنه قوله :

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخ ... زُغبُ الحواصلِ لا ماءٌ ولا شجرُ
ألقيتَ كاسبَهم في قعرِ مُظلمة ... فاصفح ، عليكَ سلام اللهِ يا عمر !
أنتَ الأمين الذي مِن بعدِ صاحبه ... ألقى إليكَ مقاليدَ النُّهى البشرُ
لم يُؤثِروكَ بها إذ قدّموك لها ... لكن لأنفسهم كانت بكَ الخيَرُ

(٥) حسان بن ثابت

هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري : شاعر رسول الله ﷺ وأشعر شعراء المخضرمين ، وهو من بني النجار أهل المدينة ، نشأ في الجاهلية ونبه شأنه فيها ، ولما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة ، وأسلم الأنصار ، أسلم معهم ودافع عنه بلسانه ، كما دافع عنه الأنصار بسيوفهم .

وعاش حسان بعد النبي محبباً إلى خلفائه مرضياً عنه ، وعمر قريباً من ١٢٠ سنة ، وبقي أكثر حياته ممتعاً بحواسه وعقله ، حتى وهن جسمه في أواخر عمره ، وكف بصره ، ومات في خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ .

شعره كان حسان شاعر أهل المدر في الجاهلية ، وشاعر اليمانية في الإسلام ولم يكن في أصحاب النبي ولا في أعدائه عند دعوته إلى الله أشعر منه ، ولذلك رمى مشركي قريش من لسانه بالداهية التي لم يكن لهم قبل بها ، فأوجعهم وأخرسهم من غير فحش ولا هجر ، ولما أذن له النبي ﷺ في هجائهم قال له كيف تهجوهم وأنا منهم ؟ قال : أسلك منهم كما تسل الشعرة من العجين . وكان النبي ﷺ ينصب له منبراً بالمسجد ، ويسمع هجاءه في أعدائه ، ويقول : « أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس » . وكان في شعر حسان زمن الجاهلية شدة وغرابة لفظ ، فلما أسلم وسمع القرآن ووعاه ، وكثر ارتجاله الشعر ، لان شعره وسهل أسلوبه .

ومن شعره في الجاهلية :

ولقد تقلد نا العشيرة أمرها ونسود النائبات ونعتلي
ويسود سيدنا جحاجح سادة ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابة فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوك ركابنا ومتى نحكّم في البرية نعدل

ومن شعره في الإسلام يفاخر وفد تميم بقوم النبي ﷺ :

إنّ الذوائبَ من فِهْرٍ وإخوتهم قد بينوا سُنناً للناس تُتبَعُ
يرضى بها كلُّ من كانت سريرتهُ تقوى الإلهِ وبالأمر الذي شرعوا
قومٌ إذا حاربوا ضرُّوا عدوَّهم أو حاولوا النفعَ في أشياعِهم نفعوا
سجيةٌ تلك فيهم غيرُ محْدَثة إنّ الخلائق (فاعلم) شرها البِدَعُ
لا يَرفع الناسُ ما أوْهت أكفهمُ عند الدفاع ولا يُوهون ما رفعوا
إن كان في الناس سبّاقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبعُ
وعفةٌ ذُكرَتْ في الوحي عفتهم لا يَطمعون ولا يزري بهم طمعُ
لا يفخرون إذا نالوا عدوَّهم وإن أصيبوا فلا خورٌ ولا جزَعُ

(٦) النابغة الجعدي

هو أبو ليلى حسّان بن عبدالله الجعدي العامريّ أحد القدماء المُعمّرين والشعراء المخضرمين ، ووُصّاف الخيل المشهورين .

قال الشعر في الجاهلية ، ثم استعصى عليه دهراً ، ثم نبغ في الشعر عند ظهور الإسلام وبعده ، ولذلك سمّي (النابغة) وهو ممن فكر في الجاهلية ، وأنكرَ الخمرَ وما تفعلُ بالعقل ، وهجر الأزلام والأوثان ، وذكرَ دينَ إبراهيم ، وصام واستغفر ، ووفد على رسول الله ﷺ ، وأسلم .

وعاش طويلاً في الإسلام ، فأقام زمناً مهاجراً ، حتى أيام عثمان رضي الله عنه ، فأحس بضَعْفٍ في نفسه ، فاستأذن عثمان في الرجوع إلى البادية ، فأذن له ، ثم لما كانت خلافة (عليّ) شهد معه وقائع صِفين ، وظاهره بيده ولسانه ، ونال من معاوية وبني أمية – ومات بأصبهان سنة ٥٨ هـ – بعد أن عمر مائة وثمانين سنة .

شعره : كان النابغة الجعدي شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام ، وهو أول من سبق إلى الكناية في الشعر عن اسم من يعني إلى غيرها ، وتبعه الناس بعد ، قال :

أكني بغير اسمها ، وقد علم الله خَفيّات كلّ مُكتَتم

وكان ممّن يَصفون الخيل، فلا يُلحق له في ذلك غبار، حتى ضُرب به المثل.
قال الأصمعي : ثلاثة يصفون الخيل لا يُقاربهم أحد ، طفَيل الغنوي، وأبو دواد الإيادي والنابغة الجعْدي ، وله في الفخر والهجاء والمديح والرثاء شعر كثير .

ومن أشرَفه قصيدته التي مدح بها الرسول الكريم ﷺ – وهي :

خليليّ عُوجا ساعة وتهجّرا ونوحا على ما أحدث الدهرُ أوذَرا
ولا تجزعا إنّ الحياة ذميمةٌ فخفا لرَوعات الحوادث أوقرَا
وإن جاء أمر لا تطيقان دفعه فلا تجزعا مما قضى اللهُ واصبرا
ألم تريا أن الملامة نفعها قليلٌ إذا ما الشيءُ ولّى وأدْبرا
تهيج البكاء والنّدامة ثم لا تغيّرُ شيئاً غير ما كان قدّرا
أتيتُ رسول الله إذ جاء بالهدى ويَتلو كتاباً كالمجرة نيّرا
أقيمُ على التقوى وأرضى بفعلها وكنتُ من النار المخوفةِ أحذرا

ومنها في الفخر :

وإنّا لقومٌ ما تعوّد خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
ونُنكر يوم الروع ألوانَ خيلنا من الطعن حتى نحسب الَجون أشقرا
بلغنا السماء مجدُنا وجُدودُنا وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرَا
ولا خير في جهل إذا لم يكن له حَليمٌ إذا أورد الأمرَ أصدرا

ولما سمع رسول الله (بلغنا السماء – البيت) قال له فأين المظهر يا أبا ليلى؟ قال . الجنة يا رسول الله ، قال له : إن شاء الله ، ولما أتم قصيدته، قال الرسول: أَجدْتَ ، لا يفضض الله فاك ، فأتت عليه مائة سنة أو نحوها وما انفَضّت من فيه سِنٌ .

(٧) عمر بن أبي ربيعة

هو أبو الخطاب عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة القرشي المخزومي، أشعر قريش وأرق أصحاب الغزل ، وأوصف الشعراء لأحوال النساء .

وُلد بالمدينة ليلة مات أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضوان الله عليه، وكانت أمه نصرانية، وكان أبوه تاجراً مُوسراً، وعامــلاً لرسول الله ﷺ وللخلفاء الثلاثة من بعده، فشب في نعيم وترف، وقال الشعر صغيراً، وسَلك فيه طريق الغزَل، ووصف أحوال النساء، وتزاوُرَهُن ومداعبة بعضهن لبعض وتعرّض للمحصنات المتعفّفات من نساء قوْمه ومن غيرهن، فوقعن منه في بلاء عظيم، وصِرن يخفن الخروج إلى الحجّ، لأنه كان يتلقّاهُن بمكــة، ويترقب خُروجهن للطواف والسعي، ويَصِفهُنّ وَهُنّ محْرِمــات، وحلـُمتْ عليه رجالاتُ قريش لمكانة نسَبِه منهم، ولترقب توبته وإقلاعــه، فلما تمادى في أمره، وشبّب ببنات السادات والخلفاء غضب عليه عمر بن عبد العزيز ُونفاه إلى جزيرة أمام مدينة مصوع، ثم رأى أن يُكفـّر عن سيئاته بالتوبة والجهاد، فغزا في البحر، فاحترقت السفينة التي كان فيها، واحترق هو أيضاً سنة ٩٣ هـ.

شعره: رقيق بلفظ رشيق، ومعنى أنيق، حتى قال فيه جرير هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته، وقد سلك في الغزل طريقاً لم يَسْلكوه، ومن قوله المشهور:

ليتَ هِنْداً أنجزتنا ما تعِدْ ... وشَفَتْ أنفسنا مما نجِــدْ
واستبدّتْ مرّةً واحـــدةً ... إنما العاجزُ منْ لا يستَبِــدْ
زعموها سألتْ جاراتِهـــا ... وتعرّتْ ذات يوم تَبْترِدْ [1]
أكما يَنعَتُنِي تُبصِرْنَنِي ؟ ... رِكنَ الله ! أم لا يقتَصِدْ ![2]
فتضاحكن، وقد قلن لها : ... حسنٌ في كلّ عيْنٍ من تودّ [3]
حسداً حُمّلنه من شأنهـا ... وقديماً كان في الناس الحسد

(١) تبترد : تصب الماء البارد على رأسها .
(٢) وينعتني يصفني ، عمر كن الله : أذكر الله ، يقتصد : يعتدل فلا يبالغ
(٣) أي أن من تحبه تعتقد أنه حسن لدى جميع الناس .

غادة تفـــترُّ عن أشنبهـــا حين تجـــلوه أقاحٍ أو برد ١
ولها عينانِ في طرفيهمـــا حورٌ منها ، وفي الجيد غَيَد ٢
قلت : من أنتِ ؟ فقالت : أنا من شفّهُ الوجدُ ، وأبلاهُ الكمد ٣
نحن أهل الخيف من أهل منىً مـــا لمقتول قتلناهُ قود ٤
قلتُ : أهلاً ! أنتُمُ بُغيتنا فتسمّين ؟ فقالت : أنا هند ! ٥
إنمـــا ضلّـــل قلبي فاحتوى صعدةٌ في سابريٍّ تطّـــرد ٦
إنمـــا أهلُك جيرانٌ لنـــا إنمـــا نحنُ وهم شيءٌ أحد ٧
حـــدثونا أنهـــا لي نفثتْ عُقداً ، يا حبذا تلك العُقد ! ٨
كلمـــا قلت : متى ميعادُنا ؟ ضحكت هند ، وقالت : بعد غد !

(٨) الأخطل

هو أبو مالك غياثُ الأخطل بن غوث التغلبي النصراني ، شاعر الأمويين وأمدح ثلاثة شعرائهم المقدمين ، والمتفرد بالتعمُّق بوصف الخمر دون الإسلاميين ، قال الشعر وهو صبي ، وما لبث أن زاحم شاعر تغلب وقتئذ كعب بن جُعيل) وهاجاه وظهر عليه ، ولما طلب يزيد بن معاوية قبل أن يلي الخلافة من كعب هجاء الأنصار ،

---

(١) الغادة : المرأة اللينة ؛ تفتر : تظهر ، الأشنب : الفم في أسنانه ماء ورقة وعذوبة . تجلوه تكشفه ، الأقاح : جمع أقحوان وهو البابونج البري من نبات الربيع له نور أبيض . البرد : ماء الغمام يسقط جامداً (٢) الحور : شدة سواد سواد العين مع شدة بياض بياضها . الجيد . العنق ، غيد : نعومة (٣) شفه الوجد : أهزله الحب ، الكمد : الحزن الشديد (٤) الخيف : ناحية من منى عند مكة ، القود : القصاص . (٥) بغيتنا : مطلبنا (٦) ضلل : صار ضالا لا يهتدي ؛ احتوى : اشتمل ، الصعدة : القناة تنبت مستقيمة لا تحتاج إلى مثقف ، شبه محبوبته في اعتدال قدها بها ؛ السـابري : الثوب الرقيق الجيد تطرد . تمشي مستقيمة . (٧) شيء أحد : أي شيء واحد . (٨) نفثت عقداً : سحرتني ، والنفث النفخ ، والعقد تكون من خيوط ينفث بها قصد السحر .

لتعرُّض عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري لأخته في شعره ، أبى عليه ذلك كعب ، وقال : لا أهجو قوماً نصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ولكنني أدلُّك على الأخطل ، فبعث إليه وأمره بهجائهم ، فهجاهم بقصيدة منها :

ذهبت قريش بالسماحة والندى واللؤمُ تحت عمائم الأنصار
فدعوا المكارم لستم من أهلها وخُذُوا مساحيكم بني النجار

وبلغ الشعر كبار الأنصار فغضبوا ، وشكوه إلى معاوية ، فوعدهم بقطع لسانه ، فاستجارَ بيزيد ، فما زال بأبيه حتى عفا عنه ، ولما ولي يزيد الخلافة قرّبه إليه ، وتابعه في ذلك خُلَفَاءُ بني أمية ، وبخاصةٍ عبد الملك ، إذ كان يستعين به على أعدائه ، فقربه إليه وأدناه ، وسمح له بالدخول عليه بلا إذن ، وأجزل له العطايا ، وسمّاه شاعر الخليفة .

ولما حدثت المهاجاةُ بين جرير والفرزدق ، وحُكم فيهما أيُّهما أشعرُ ؟ ؟ عرض بتفضيل الفرزدق ، فهَجاه جرير ، فرد عليه الأخطل ، وكانت الشيخوخة قد بلغت منه ، فلم يلحق جريراً ، وكان الأخطل يُقيم أزماناً بدمشق ، وأحياناً ببلاده من أرض الجزيرة ، ومات في أول خلافة الوليد سنة ١٢٥ هـ ، وقد نيّف على السبعين .

شعره : كان الأخطل أحد الشعراء الثلاثة السابقين سواهم من فحول الإسلاميين وكان مطبوعاً على الشعر ، بعيداً عن التكلف والتعمُّق فيه ، وامتاز بإجادة المديح والإبداع في معانيه ، قال يمدح بني أمية ، ويخُصُّ بشر بن مروان :

إن يحلموا عنك فالأحلامُ شيمتُهم والموتُ ساعةَ يحمَى منهمُ الغضبُ
كأنهم عند ذاكم ليس بينهم وبين من حاربوا قربى ولا نسبُ
كانوا مواليَ حقٍّ يطلبون به فأدركوه وما ملوا ولا لغبوا
وإن يكُ للحقِّ أسبابٌ يمد بها ففي أكفهم الأرسانُ والسبب
هُمُ سعوا بابن عفان الإمام وهم بعد الشمّاس مروّها ثمت احتلبُوا

ومنها .

إذا أتيتَ أبا مروان تسأله وجدتَه حاضراه الجُودُ والحسبُ
ترَى إليه رِفاق الناس سائلةً من كل أوْبٍ على أبوابه عُصَبُ
يحتضرون سِجالاً من فواضله والخيرُ محتضر الأبواب منتهب
والمطعِمُ الكومَ لا ينفكّ يعقرها إذا تلاقى رواق البيت واللهبُ
كأن جيرانها في كل منزلة قتلى مجرَّدة الأوصال تُستلبُ

ومن أفضل شعره قوله :

والناسُ همهمُ الحياةُ ولا أرى طول الحياة يزيد غير خَبالِ
وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذُخراً يكون كصالح الأعمالِ

(٩) الفرزدق

هو أبو فِراس همام بن غالب التميمي الدارميّ ، أفخرُ ثلاثة الشعراء الأمويين وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء .

وُلد سنة ١٩هـ ونشأ بين البصرة والبادية - وأتى به أبوه يوماً إلى امير المؤمنين عليّ بن ابي طالب كرم الله وجهه ، فسأله عنه ، فقال هذا ابني يُوشك ان يكون شاعراً مجيداً ، فقال له أقرئه القرآن ، فأقرأه وحفظه ، ثم رَحل إلى خلفاء بني أُمية بالشام ومدحهم ونال جوائزهم ، وأخصّ من كان يمدحه منهم « عبد الملك بن مروان » ثم أولاده من بعده ، وكان الفرزدق فوق إقذاعه في الهجو ، وفحشه في السباب وقذف المحصنات ، يُرْمى بالفجور ، وقلة التمسك بشعائر الدين ، ثم تاب في أواخر شيخوخته على يد الحسن البصري ، وكان فيه تشيُّع يستره أيام اختلافه إلى بني أمية ، ثم كاشف به آخر حياته حتى أمام الخليفة « هشام » عندما رأى الناس تُفسح طريق الطواف بالكعبة ، مهابةً وإجلالاً « لعليّ بن الحسين » فسأل عنه كالمتجاهل لأمر ، فشق ذلك على الفرزدق ،

وأنشد قصيدته الميمية الآتية يعرِّف «بعلي» وينكر على «هشام» تجاهله، فحبسه هشام ثم أطلقه، وعاش الفرزدق قريباً من مائة سنة، ومات بالبصرة سنة ١١٤ هـ.

شعره: يمتاز شعر الفرزدق بفخامة عبارته، وجزالة لفظه، وكثرة غريبه ومداخلة بعض ألفاظه في بعض، ولذلك يعجب به أهل اللغة والنحو، وكان يقال (لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث اللغة). ويعتبر الفرزدق من أفخر شعراء العرب، وقد قضت العوامل السياسية والاجتماعية ان يشتبك مع جرير في التهاجي والتساب حتى أفحشا وشغلا الناس بنقائضهما.

ومن جيد شعره قوله يمدح سيدنا زين العابدين (وهو علي بن الحسين):

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحِلُّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقيُّ النقيُّ الطاهرُ العلم
وليس قولك: من هذا؟ بضائره ... ألعُرْب تعرف من أنكرتَ والعجمُ
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرمُ
ينمى إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجمُ
يُغضي حياءً ويُغضى من مهابته ... فلا يكلم إلا حين يبتسمُ
بكفه خيزران ريحها عبق ... من كفّ أروع في عرنينه شمم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
ينشق ثوبُ الدجى من نور غرته ... كالشمس تنجاب عن إشراقها الظلم
من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصمُ
إن عُدَّ أهل التقى كانوا أئمتهم ... أو قيل من خير اهل الأرض قيل هم

(١٠) جرير

هو أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي اليربوعي، احد فحول

الشعراء الإسلاميين ، وبلغاء المداحين الهجائين ،وأنسبُ ثلاثتهم المفْلِقين ، وهو من بني يَرْبوُع أحد أحياء تميم ، ولد باليمامة سنة ٤٢ ﻫ ونشأ في البادية ، وفيها قـال الشعر ونبغ ، وكان يختلفُ إلى البصرة في طلب الميرة ومدح الكبراء ، فرأى الفرزدق وما أكسبه الشعر من المنزلة عندالأمراء والولاة وهوتميميٌّ مثْلُه ، وودّ لو يَسبِقهُ إلى ما ناله ، وأغراه قومه به للتنويه بشـأنهم ، فوقعت بينهما المُهاجاة عشر سنين لعوامل سياسية واجتماعية ، وكان أكثر إقامةِ جرير أثناءها في البادية وكان الفرزدق مقيما بالبصرة يَملأ عليه الدنيا هجاءً وسبّاً ، فما زال به بَنو يربوع حتى أقدَموه إلى البصرة ، واتصلَ بالحجـاج ومدحه فأكرمه ورفع منزلته عنده ، فعَظُم أمره ، وشرّق شعره وغرّب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه ، فأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة « يزيد بن معاوية » بدمشق ليصل بذلك لى مدحه ، ومن وقتئذٍ عُـدَ من مدّاح خلفـاء بني أمية ، ومات باليمامة سنة ١١٤ ﻫ .

وكان في جرير على هجائه للناس عفةٌ ودين ، وحسن خلق ، ورقة طبع

شعره : اتفق عُلماء الأدب ، وأئمة نقد الشعر ، على أنه لم يوجد في الشعراء الذين نشأوا في ملك الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والأخطل ، وإنما اختلفوا في أيهم أشعر ، ولكل هوًى وميْل في تقديم صاحبه ، فمن كان هواه في رقة النسيب وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الأسلوب ، والتصرف في أغ اض شتى فضل « جريراً »؛ومن مال إلى إجادة الفخر ،وفخامة اللفظ ، ودقة المسلك وصلابة الشعر ، وقوة أسره ، فضل « الفرزدق »؛ ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ إلى إجادة المدح والإمعان في الهجاء واستهواه وصف الخمر واجتماع الندمـان عليها حكم «للأخْطل ». وإن لجرير في كل باب من الشعر أبياتاً سائرة ، هي الغاية التي يُضرب بها المثل ، فيقال إن أغزل شعر قالته العربُ هو قوله :

إن العيون التي في طرفها حورٌ قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللبّ حتى لا حراك به وهنّ أضعفُ خلق الله إنسانا

وإن أمدح بيت قوله :

ألستمْ خيرَ من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

وإن أفخر بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم رأيت الناس كلهم غضابا

وإن أهجى بيت مع التصوّن عن الفحش قوله :

فغُضّ الطرف إنك من نُمير فلا كعباً بلغت ولا كلابا

وإن أصدق بيت قوله :

إني لأرجو منكَ خيراً عاجلاً والنفس مولعةٌ بحبّ العاجل

وإنّ أشدّ بيت تهكماً قوله :

زعم الفرزدق أن سيقتلُ مربعاً أبشِرْ بطول سلامةٍ يا مربع

ومن جيّد شعره قوله من قصيدة يرثي بها امرأته ، وهي التي نُدِبت بها نَوَار امرأة الفرزدق :

لولا الحياءُ لهاجني استعبارُ ولزُرتُ قبركِ والحبيب يُزارُ
ولقد نظرْتُ وما تمتّع نظرةٌ في اللحد حيثُ تمكن الإحفارُ
ولّهتِ قلبي إذ علتني كبْرة وذوو التمائم من بنيك صغارُ
لا يلبثُ القُرناءَ أن يتفرّقوا ليلٌ يكرُّ عليهم ونهارُ
صلى الملائكة الذين تُخيّروا والطيّبون عليكِ والأبرارُ
فلقد أراكِ كُسيتِ أحسن منظر ومع الجمال سكينةٌ ووقارُ

(١١) الكُميتُ

هو الشاعر الخطيب الراوية ابو المستهل الكميتُ بن زَيْدٍ الأسدي الكوفي ،

أشعرُ شعراء الشيعة الهاشمية ، ومثير عصبية العدنانية على القحطانية وُلد سنة ٦٠هـ – ونشأ بالكوفة بين قومه بني أسد – إحدى قبائل العرب الفُصحاء من مُضر ، فلَقِنَ العربية ، وعرف الأدب والرّواية ، وعلم أنساب العرب وأيامها ومثالبها بمُدارسة العلم والأخذ عن الأعراب ، وكان له جدّتان أدركتا الجاهلية تقصّان عليه اخبارها وأشعار أهلها . فخرج أعلم اهل زمانه في ذلك ، وأقرّ له (حمادٌ) الراوية بالسبق عليه .

وقال الكميتُ الشعر وهو صغير ،وكان لا يُذيعه ولايتكسّب به ، ويكتفي بحرفته (تعليم صِبيان الكوفة بالمسجد) ولما حصفَ شعرهُ وقويَ أثرهُ ، ولا سيما قصائدة التي أعلن فيها تشيُّعه (لبني هاشم وآل علِيّ) أنشد الفرزدق مُستنصحاً له في أمر إذاعته إذا أعجبه فأمره بإذاعته ، فقال قصائده البليغة المطولة المسماة (بالهاشميات) التي يقول فيها من قصيدة في مدح بني هاشم :

طربتُ وماشوقاًإلىالبيضِ أطرب ... ولا لعِباً مني وذو الشيبِ يلعبُ
ولم يُلهني دارٌ ولا رَسمُ منزلٍ ... ولم يتطرّبني بنانٌ مُخَضّبُ
ولا السانحاتُ البارحات عشيّة ... أمرّ سليم القرن أم مرّ أعضبُ
ولكن إلى أهل الفضائل والنُّهى ... وخيرِ بَني حوّاء والخيرُ يُطلبُ
بني هاشمٍ رهطِ النبي فإنني ... بهم ولهم أرضى مِراراً وأغضبُ
خفضتُ لهم مني الجناح مودّةً ... على كنفٍ عطفاه أهلٌ ومرحبُ
وما لِيَ إلا آل أحمدَ شيعةٌ ... وما لِيَ إلا مذهبَ الحقّ مذهبُ
بأيّ كتاب أم بأيةِ سُنّة ... يُرى حبُّهم عاراً عليّ ويُحسبُ

شع ٥ – لشعره منالتأثير السياسي والمذهبي أثر سيىء شتّتَ شمل الوحدة العربية . وتوفي سنة ١٢٦ هـ .

الرواية والرواة

ظهر الإسلام وعمدةُ العرب في ضبط علومهم وآدابهم على الحفظ والرواية فجاءهم من كتاب الله وسنة رسوله بالأمر الخطير والعلم الكثير فكانت عنايتُهم بحفظها في الصدور أكثر من كتابتها في السطور .

ولما اتسع علم المسلمين بما أُضيف إليهما من تفسير الصحابة والتابعين ، ومن أقوالهم في الدين – تعددت طوائف الرواة للقرآن والحديث وفنون الأدب

ولما كان الإنسان عُرضة للنِّسْيان ، وأحوال الناس تختلف في الصدق والكذب تشددت الصحابة والتابعون وتابعوهم في تصحيح الرواية ، وشدة التوثق من صدق الرواة تحرُّجاً منهم أن يدْخلَ في الدين ما ليس منه .

ولما خاف سيدنا (عمر بن عبد العزيز) أن تموت السّنة الصحيحة بموت رُواتها وبما وضعه الزنادقة والشّيعة والخوارج ودسوه فيها ، أمر العُلماء بتدوين الحديث وبَقي الأمر في الشعر والأدب كما كان في الجاهلية : لكلّ شاعر راوٍ ، أو عدة رُواة ، ومن أشهر هؤلاء – هُدبة بن خشرَم راوية الحُطيئة ، وجميل راوية هُدبة وكثيّر راوية جميل ، وأبو شفقل وعُبيد أخو ربيعة بن حنظلة راوية الفرزدق ومربع راوية جرير والفرزدق معاً ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، وصالح بن سُليمان راوية ذي الرّمة ، وذو الرُّمة راوية الراعي .

وبَقيَ الأمر كذلك حتى أواخر هذا العصر – فاشتغل العلماء بالرّواية ، وصار الراوي منهم يروي لمئات من الشعراء والشواعر ، وإن لم يكن هو شاعراً .

وأكثر هؤلاء العلماء من الرواة أدرك العصر (عصر بني العباس) فيذكر فيه .

ومع تشدد الناس في تصحيح الرواية سُنةً وأدباً حدث في الشعر والخطب كثير من التصحيف والتحريف والنقض والزّيادة – ونحو ذلك .

العصر الثالث : عصر الدولة العباسية [١] من ١٣٢ ٦٥٦ هـ
أحوال اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

كان بنو أميّة شديدي التعصب للعرب والعربية ، فكان كلُّ شيء في دولتهم عربيَّ الصِّبغة وكانت جمهرة العرب مُنتشرةً في كل مكان امتدَّ إليه سلطانُها ، فلما قامت الدولة العباسية بدعوتها ، لم تجد لها من العرب أنصاراً وأعواناً ، مثل ما وجدت من الفرس و سم الأعاجم ، فاكتَسَحتْ بهم دولة بني أُمية ، وأسَّست دولةً قوية ، كان أكثر النفوذ فيها للموالي . فاستخدمهم الخلفاء والأمراء في كل شيء من سقاية الماء إلى قيادة الجيوش والوزارة ، وابتدأ شأنُ العرب السياسيُّ يتضاءلُ من ذلك الحين شيئاً فشيئاً ، واختلطوا بالأعاجم ، وكان من المجموع شعبٌ ممتزجٌ لغة وعادةً وخلقاً ، فأثّرَ في اللغة لفظاً ومعنى وشعراً ونثراً ، كتابة وتأليفاً ، ولم يظهر ذلك بالطبع في جميع الممالك بنسبة واحدة بل كان في أواسط آسيا أظهر منه في مصر والشام ، أما حال ممالك العرب والأندلس صدر هذا العصر فلم يبعُد كثيراً عما كان عليه في العصر الماضي ، ثم سرتْ إليها عدوى تقليدها المشَارِقة في أكثر الأمور .

---

(١) خلفاء بني العباس إلى سنة ٣٣٣ :

أبو العباس عبدالله السفاح (١٣٦/١٣٢)
أبو جعفر المنصور (١٥٨/١٣٦)
محمد المهدي (١٦٩/١٥٨)
موسى الهادي (١٧٠/ ٦٩)
هارون الرشيد (١٩٣/١٧٠)
محمد الأمين (١٩٨/١٩٣)
عبد الله المأمون (٢١٨/١٩٨)
أبو إسحق محمد المعتصم (٢٢٧/٢١٨)
أبو جعفر هارون الواثق (٢٣٢/٢٢٧
جعفر المتوكل على الله (٢٤٧/٢٣٢)
محمد المنتصر (٢٤٨/٢٤٧)
أبو العباس أحمد المستعين (٢٥٢/٢٤٨)
أبو عبدالله المعتز (٢٥٥/٢٥٢)
محمد المهدي بالله (٢٥٦/٢٥٥)
أحمد المعتمد على الله (٢٧٩/٢٥٦)
أحمد المعتضد بالله (٢٨٩/٢٧٩)
علي المكتفي بالله (٢٩٥/٢٨٩)
جعفر المقتدر بالله (٣٢٠/٢٩٥)
أبو منصور محمد القاهر (٣٢٢/٣٢٠)
أبو العباس أحمد الراضي (٣٢٩/٣٢٢)
إبراهيم المتقي بالله (٣٣٣/٣١٩)

ويمكن إرجاع جميع هذه التغيرات إلى ثلاثة أمور؛ الأول: ما يتعلق بالأغراض التي تؤديها اللغة. الثاني ما يتعلق بالمعاني والأفكار. الثالث: ما يتعلق بالألفاظ والأساليب.

أغراضُ اللغة

لمّا قامت الدولة العباسية وتشبّه الخلفاء بملوك الفُرْس في أكثر أمور السياسة والمعيشة، وحاكتهم العامة في ذلك بتقليد أمثالهم من طبقات الأعاجم، تناولت اللغة في المشرق أغراضاً لم تعهد فيها من قبلُ، بنقل علوم تلك الأمم وآدابها وعاداتها وطرق معيشتها.

ثم تناولت هذه الأغراضَ في الغرب بعدئذٍ بفرق يسير، فكان من تلك الأغراض ما يأتي:

(١) تدوين العلوم الشرعية واللسانية والعقلية، ولم يُدَوَّن في صدر الإسلام من ذلك إلا نذرٌ يسير وكذلك الترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية.

(٢) تأديةُ مقاصد الصناعات المختلفة: وخاصة بعد دخول العرب في غمار الصُّناع وبعد تعرُّب الأعاجم.

(٣) تأديةُ المقاصد التي استدعاها الانغماسُ في الترف بلذائذ الحضارة التي جرت فيها الأمم عصرَ الدولة العباسية إلى أمد بعيد، أو اقتضاها نظام الملك والدفاع عنه كالإمعان في وصف الأشياء النفيسة ممّا لم يُعرف للعرب في صدر الإسلام أو عُرف وكان قليلاً ممقوتاً صاحبُهُ ــ كوصف البحر والأساطيل الحربية والمعارك البحرية ــ وامتاز بأكثر ذلك المغربُ والأندلسُ كما امتازت الأندلس بالإجادة في وصف مناظر الطبيعة، ومحاسن الوجود الملاءمة بيئتها لذلك، وكادت تلحق بها في الوصف صقلية وإفريقية إبان ازدهائها.

(٤) تأديةُ مقاصد أنواع الخلاعة والسّخرية، مما قلّ نظيره في صدر الإسلام.

(٥) المحاضرة والمناظرة والبحث والجدل وتدريس العلوم.

المعاني والأفكار

إنّ ما حدث في مشارق الممالك الإسلامية ومغاربها، أثنــــاء العصر العباسي من الانقلابات السياسية والاجتماعية ، كان له نتيجة ظاهرة في الحركة الفكرية للمتكلمين بالعربية ؛ ظهر ذلك في عباراتهم وأشعارهم بصور مختلفة ، فمنها :

(١) ازديادُ شُيوع المعاني الدقيقة ، والتصورات الجميلة، والأخيلة البديعة.

(٢) التعويلُ على القياس والتعليل في الأحكام الفكرية ، بالإكثار من الحجج والبراهين العقلية ، وانتحاء مذاهب الفلاسفة في الشعر والكتابة والتدريس ، ولا سيما بعد عصر الترجمة ، وأكثر ما كان ذلك بالمشرق ، وقلما عُنيَ به أهــل المغرب .

(٣) التهويلُ والغلو في التفخيم المقتبس في المشرق من اللغة الفارسية والساري بعضُه بالعدوى إلى أهل المغرب والأندلس .

الألفاظ والأساليب

غلب على عبارة اللغة العربية في هذه المدة أمران عظيمان: السُّهولة، والمحسنات البديعية ، ويشمل ذلك ما يأتي

(١) انتقاءُ الألفاظ الرشيقة السهلة ، وقلة الحاجة إلى الارتجال .

(٢) ازديادُ الميل إلى استعمال ألفاظ القرآن، والاقتباس منه والاستشهاد به.

(٣) الإكثار من ألفاظ المجاز ، والتشبيه ، والتمثيل ، والكناية ، والمحسنات اللفظية .

(٤) التوسُّع في إدخال ألقاب التعظيم على أسماء الخلفاء والأمراء والعظماء .

(٥) تفاقمُ الخَطْب في استعمال الكلمات الأعجمية في كثير من الأشياء .

(٦) وضع اصطلاحات العلوم والفنون والصناعات وإدارة الحكومة وغيرها.

(٧) التأنق في صَوْغ العبارات وتوثيق الربط بينها والميل إلى استعمال السَّجْع.

(٨) التطرف إلى غاية حدّي الإطناب والإيجاز ، ولكل منهما مَقام

(٩) حدوث لغة تأليفية لتعليم العلوم تُقاسُ بمعيار المنطق لا بمعيار البلاغة.

وإذاً كانت اللغة إما نثراً ، وإما شعراً .

والنثر : محادثة ، وخطابة ، وكتابة ، فاحفظ ما يتلى عليك .

النثر – المحادثة – أو « لغة التخاطب »

إن لغة التخاطب بين الخاصة من العرب في أواخر العصر الماضي كانت العربية الفصيحة الخالية من اللحن، إلا من آحاد عيّروا به، وإن لغة العامة والسوقة من العرب المختلطين بالعجم هي العربية المشوبة بشيء من اللحن ، ولغة المتعربين من العجم تقل عن هذه الفصاحة ، وتزيد عليها في اللحن بمراتب مختلفة .

فلما تمّ امتزاج العرب بالعجم « عصر الدولة العباسية » تكونت بين العامة في البلاد التي تكثر فيها جمهرة العرب لغات تخاطب عامية ، إلا بين أهل جزيرة العرب فلم يزل تخاطبهم باللسان الفصيح إلى أواسط القرن الرابع، وبقيت لغات التخاطب في البلاد التي تقل فيها جاليتهم هي اللغات الوطنية الأعجمية ممزوجة ببعض الألفاظ العربية التي أدخلها عليها الإسلام .

وخاف الخلفاء والخاصة من هول تغلب العامية على أبنائهم ، وأشفقوا أن تستطيل على الفصيحة ، فيستغلق على المسلمين فهم الكتاب والسنة ، وهما كل الدين ، فحرضوا العلماء على تدوين اللغة والإكثار من العناية بضبط النحو وفنون البلاغة ، ولكن ذلك كله لم يوقف تيار العامية الزاخر ، واستمر في طغيانه إلى أن غلب في النصف الأخير من عصر هذه الدولة على جميع لغات التخاطب، حتى لغة الخلفاء وعلماء العربية أنفسهم، وأصبح لكل بلاد عربية لغة تخاطب عامية خاصة بها ، ولكن لم تصبح العامية لغة علم وأدب ، كما وأن ذلك لم يكن طويل الأمد .

الخطابة والخطباء

لما كان قيام الدولة العباسية في المشرق ، والإدريسية في المغرب الأقصى ،

والأموية الثانيـة في الأندلس ، من الأمور التي ينشأ عنهـا كثيرٌ من الانقلابات السياسية والمذهبية والاجتماعية ، وكان ذلك يستدعي تأليف العصابات، ودعوة الناس إلى التشيُّع لزعمـاء لأحزاب ، كانت دواعي الخطابة متوافرة لتوافر أسبابها ؛ فكان بين قُوَّاد هذه الدول ودُعاتها وخلفائها ورؤساء وُفودها خطباء مصاقعُ . ثم لما فترت هذه الدواعي باستقرار الدول ، واشتدَّ اختلاطُ العرب بالأعاجم،وتولى كثير من الموالي قيادةالجيوش وعمالةَ الولايات والمواسم،ضَعُفَ شأن الخطابة لضعفِ قدرتهم عليها . فلم يَمْضِ قَرْنٌ ونصفٌ من قيام تلك الدول حتى بطل شأن الخطابة إلا قليلاً في المغرب أيام الحفل وقدومُ الوُفود ، وبَقيت الخطابة قاصرة على خطبِ الجمعةوالعيدين والمواسم وخطب الزواج ونحو ذلك وقلَّ فيها الارتجالُ ، أو عُدِم جُمْلةً ، وحـل محـل الخطابة في الأمور السياسية نشر المنشورات ، وفي الأمور الدّينيـة مجالسُ الوعظ والتدريس في المساجد والمدارس ، واشتهر في صدر الدولة العباسية جملة خطباء ، أشهرهم : داوُد بن عليّ ، وشبيبُ بن شيبة .

داود بن علي

هو داوُد بن علي بن عبدالله بن عباس ، خطيبُ بني العباس، وأحدُ مؤسسي دولتهم . نشأ هو وإخوته — وكانوا اثنين وعشرين رجلاً — في قرية الحُمَيمة من أعمال عَمَّان — وكان الوليدُ بن عبـد الملك أجلىَ « علي بن عبد الله بن عباس » وأهل بيته إليها — سنة ٩٥ هـ غضباً عليه .

وكان داوُد أحدَ النابغين من إخوته وكان بَليغهم ولسانَهم وأخطبهـم في وقته ، وعاجلتـه منيَّته قبل أن يستطير سلطانه في الدولة . ولاَّهُ أبو العباس عقب بيعته بالكوفة ولاية الكوفة وسوادَها ، ثم ولاَّه إمارة الحج في هـذه السنة ، وولاَّه معها ولاية الحجاز واليمن واليمامة، فقتل من ظفر بهم من بني أمية في مكة والمدينة سنة ١٣٢ هـ — وهو أول موسم تَملَّكه بنو العباس — وخطبهم الخُطْبة الآتية وهي :

« شُكراً شُكراً ، إنا والله ما خرجنا لِنَحْفِر فيكم نهراً ، ولا لِنبني فيكم قصراً . أَظنّ عدوُّ الله أن لَنْ نَقْدِرَ عليه ؟ أن رُوخي له من خطامه ، حتى عثرَ في فضل زمامه ، فالآن حيثُ أخذ القوسَ باريها وعادت القَوْسُ إلى النزعة ، ورجع المُلْكُ في نصابه في أهل بيت النبُوَّة والرحمة ، والله لقد كنا نتوجعُ لكم ونحن في فُرُشِنا ، أمِنَ الأسود والأحمرُ ، لكم ذمة الله ، لكم ذمة رسول الله ﷺ ، لكم ذمة العباس ، لا وربّ هذه البنية ـ وأومأ بيده إلى الكعبة ـ لا نهيّج منكم أحداً » ، ثم ذهب إلى المدينة ، ومات بها سنة ١٣٣ هـ .

شبيب بن شيبة

هو شبيبُ بن شيبة بن عبد الله المِنقري التميمي ، خطيب البصرة ، ونشأ بها ، وامتاز بنَبالة نفس وسخاء كف ، وحُسْن تواضع ونزاهة لسان ، كما امتاز بخطبه القصيرة البليغة ، القريبة من حد الإعجاز . قال الجاحظ : يقال إنهم لم يَرَوْا خطيباً كشبيب بن شيبة ، فإن ابتدأ بحلاوة ورشاقة ، وسهولة وعذوبة ، فلم يَزَل يزدادُ منها حتى صارَ في كلّ موقف يَبلغ بقليل الكلام ما لا يَبلغه الخطباء المصاقعُ بكثيره ، وقد يُطوّل حتى يقول فيه الراجز :

إذا غَدَتْ سَعْدٌ على شبيبها على فتاها وعلى خطيبها
مِنْ مطلَعِ الشمس إلى مغيبها عجبْتَ مِن كثرتها وطيبها

وعرف شبيبٌ أبا جعفر المنصور قبل خِلافته ، ثم اتصل به بعدها ، فجعله في حاشية وليّ عهده « المهدي » وبقي كذلك حتى وُليَ المهدي الخِلافة ، فصار من خيرة سُمّاره وجُلسائه ، إلى أن مات في حدود سنة ١٧٠ هـ

ومن خطبه القِصار ، ما عزّى به المهدي يوم ماتت ابنته « البانوقة » وجزع

عليها جَزعاً شديداً – أعطاك اللهُ يا أمير المؤمنين على ما رُزئت أجراً، وأعقبك صبراً ولا أجهد اللهُ بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمة ، ثوابُ الله خيرٌ منها ، رحمة الله خيرٌ لها منك ، وأحق ما صبرَ عليه ما لا سبيل إلى رده .

الكتابة – خطية وإنشائية

الكتابة الخطية : تنوع في هذا العصر الخط الكوفي إلى أنواع أربَتْ على خمسين نوعاً : – ومن أشهرها – المحرّر ، والمشجّر ، والمربع ، والمدوّر ، والمتداخل وبقي مستعملا في المباني والسكة إلى حدود الألف . ثم نسي جملة وقد جُددت منه أنواع في عصرنا ؛ أما تاريخ خطنا المستعمل الآن فحدث في آخر الدولة الأموية أن استنبط (قطبةُ) المحرر من الخط الكوفي والحجازي خطاً هو أساس الخط الذي يكتب به الآن ، واخترع القلم الجليل الذي يكتب به على المباني ونحوها وقلم الطومار (الورقة الكبيرة) وهو أصغر أنواع الجليل وحَسّن عمله غيره من كتاب صدر الدولة العباسية حتى ظهرَ إبراهيم الشّجري ، وأخوه يوسف من كتاب أواخر القرن الثاني فولّدَ إبراهيم من الجليل قلم الثلثين وولد يوسف من الجليل القلم الرياسي ، وهو قلم التَّوقيع ، وعن إبراهيم أخذ الأحولُ المحرر من (صنائع البرامكة) واخترع قلم النصف

هذه هي أشهر الخطوط وقد تولدَ منها نحو ٢٠ خطاً يختص كلٌ منها بغرض خاص ، واتفقوا على أن طول الألف يعتبر معياراً لارتفاع بقية الحروف . وأن يكون طول الألف مربعاً مقدار قطة القلم

وعن الأحول – أخذ مهندس الخط الأعظم ، الوزير (ابو علي محمد بن مُقلة) وأخوه أبو عبدالله الحسن المتوفى سنة ٣٣٨ هـ – وهما اللذان تمّ على أيديهما هندسة خط النسخ والجليل وفروعه على الأشكال التي نعرفها الآن – وأمّا العمل الذي بدأ به (قطبة) فهندسا الحروف ، وقدّرا مقاييسها وأبعادها وضبطاهـا

ضبطاً محكماً ، واخترعا له القواعد — وعن الوزير ابن مقلة أخذ أبو عبدالله بن أسد القـارىء المتوفى سنة ٤١٠ هـ وعنه أخذ أبو الحسن علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البوّاب ـ المتوفى سنة ٤١٣ هـ — وهو الذي أكمل قواعد الخط واخترع عدّة أقلام — وإليه انتهت الغاية . وكل من جاء بعده فهو تابع لطريقته كأمين الدين ياقوت الملكي المتوفى سنة ٦١٨ هـ ـ كاتب السلطان ملكشاه السلجوقي ـ أما الأندلسيون والمغـاربة فلم يعبأوا بهذا الاصطلاح وبقوا يكتبون على طريقة الخط الحجـازي إلى الآن بنوع من التعديل ـ واخترع الجليل الشكل المستعمل الآن بأن كتب الضمة واواً تكتب فوق الحروف ، والفتحة الفـاً ، والكسرة ياء والشدّة رأس شين ، والسكون رأس خاء وهمزة القطع رأس عين ، ثم اختزل شكلهـا وزيد عليها حتى آلت إلى الشكل المعروف الآن ، وهاك ترجمة الخطاط المتفنن المشهور :

أبن مُقـلة

هو الوزير أبو عليّ محمد بن علي بن الحسن بن مُقلة إمام الخطاطين . وأحد كبار الكتّاب البارعين ، أخذ الخط عن الأحول المحرّر صنيعة البرامكة ، وتم على يـديه ويدي أخيه الحسن نقـلُ الخط من الكوفي إلى الشكل المعروف في زماننا وكان ابن مقلة يتولى في أوّل أمره بعض أعمال فارس ، يجبي خراجَها ، وتنقلت به الأحوال إلى أن استوزره الإمام المقتدر بالله سنة ٣١٦ هـ ـ ثم كاد له أعداؤه عنـده فقبض عليه سنة ٣١٨ هـ ، ونفـاه الى فارس ـ ثم وزر للرّاضي فوشى به أعداؤه عنده فقبض عليه وعزل ـ ثم أطمعه نحسه أن يكيد لابن رائق أمير الأمراء ببغداد عند هذا الخليفة ، فقبض عليه ابنُ رائق وقطع يده اليمنى ثم عاد فقطع لسانه أيضاً حتى مات سنة ٣٢٨ هـ — ومن قوله في تلك الحوادث :

إذا ما مات بعضكَ فابكِ بعضاً فـإنّ البعض من بعض قريبُ

وقوله :

مــا سئِمْتُ الحيـــاةَ لكن توثقت بأيمانهم فبـانتْ يميني
بِعتُ ديني لهم بدُنياي حتى حرموني دُنيـاهمو بعد ديني
ولقدحُطْتُ ما استطعتُ بجهدي حفظ أرواحهم فمـا حفظوني
ليس بعـدَ اليمـين لذّةُ عيش يا حيـــاتي بانت يميني فبيني

الكتابة الانشائية في الرسائل الديوانية والاخوانية

كانت كتابة الرسائل في أوائل حُـكم بني العبّاس جارية على نظام كتابتها في أواخر عهد بني أميّة ، سالكة الطريق التي سلكهـــا (عبد الحميد ، وابن المقفع ، والقاسم بن صبيح ، وعمارةُ بن حمـزة ، ونظراؤهم) من العناية بجعل عبارتها جزلة بليغة متناسقة الوضع والأسلوب ، لا يقصد بهـا إلا إفهامُ المعنى الجيد بوضوح وبلاغة وقوة حُجة ،غير منظور فيها إلى زُخرُف اللفظ ومحسناته – وبقيت كذلك بل زادت حُسناً وجمالاً ومُراعاة لمقتضى الحال إلى أوائل القرن الرابع ثم أخذت الصناعات اللفظية تغلبُ عليها تدريجياً بتضاؤل ملكة البلاغة في الكتاب وتقاصر هممهم عن استيفاء أداتها لتغلب الأعاجم من الديلم البويهيينَ والترك السلجوقيّين على سُلطان الخلفاء في الشرق ، وتغلب البربر على شماليّ أفريقية والأندلُس في الغرب ، فلم يعدْ في الملوك والأمراء من يعنيهم أمر العربية وبلاغتها . وما زالت كذلك حتى سقطت الدولة العباسية على أيدي الأعاجم من التتار فكان ذلك عصر ابتداء اضمحلال الكتابة ، واضمحلال اللغة في الجملة .

الكتّاب

كان أكثر كتاب المشرق في هـذا العصر ، من سلالة فارسية أو سوادية ، بلغوا بحذقهم سياسة الملك ونبوغهم في البلاغة أن ارتقوا عند خلفـاء العباسيين إلى مرتبة الوزارة – وأول من ارتقى منهم إليها هو أبو سلمة الخلالُ وأشهر من

بلغ نفوذُه وسلطانهُ مبلغاً زاحم فيه الخليفة ، يحيى بن خالد بن برْمك ،وابناه جعفرٌ والفضلُ ثم محمدُ بن الزيات في زمن المعتصم ، والواثق) وكان كتاب الأندلس والمغرب أكثرهم من سلالة عربية ، ومن أشهر كتّاب هـذا العصر في الشرق (ابن المقفع ،ويحيى بن خالد بن برْمك ،وابناه جعفر والفضل ،وإسماعيل ابن صبيح ، وعمرو بن مسعدة ، وأحمد بن يوسف ، وابن الزيات ، والحسن بن وهب ، وعلي بن الفرات ، وابن مُقلة ،وابن العميد ، والصاحب بن عبّاد ، وأبو بكر الخوارزمي ، والبديع ، والصابي ، والعماد الكاتب ، والقاضي الفاضل) .

ومن أشهر كتّابه في الأندلس (ابنُ شهيد ، وأبو المطرف بن عميرة ، وابن زيدون ، ولسان الدين بن الخطيب) .

ابن المقفّع

هو محمد بن عبدالله بن المقفع – أحد فحول البلاغة ، و ني اثنين مهدا للناس طريق الترسل ورفعا لهم معالم صناعة الإنشاء – وأولهما (عبدُ الحميد) .

منشؤه – نشأ ابن المقفع بين أحياء العرب . فكان أبوه (داذَوَيْه) المقفع الفارسي يعمـــل في جباية الخراج لوُلاة العراق من قبل بني أمية ، وهو على دين المجوسية ثم أسلم في آخر عمره ، وَوُلد له ابنه هــذا سنة ١٠٦ هـ – وسمّاه (رَوْزَبَهَ) فنشأ بالبصرة وهي يومئذ حلبة العرب ومُنتدى البلغاء والخطباء ، والشعراء فكان لكل ذلك – فوق ذكائه المفرط وتأديب أبيه له – أعظمُ أثر في تربيته وتهيئته لأن يصير من أكبر كتاب العربية ، وعُلمائها أودبائهــا والمترجمين إليها ، وقد أسلم بمحضر من الناس وتسمّى (عبد الله) وتكنى بأبي محمد .

أخلاقه وبلاغته – وكان نادرة في الذكاء ، غاية في جميع علوم اللغة ، والحكمة وتاريخ الفرس مُأدباً متعففاً قليل الاختلاط إلا بمن على شاكلته ، كثير الوفاء لأصحابه .

وكان أمة في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني إلى بيان غرض وسهولة

لفظ ، ورشاقة أسلوب ، ولا توصفُ بلاغته بأحسن ممّا وصف هو البلاغــــة ، حيث يقول (البلاغة هي التي إذا سمعها الجاهلُ ظنّ أنه يحسنُ مثلها) .

ومن رسائله أنه عزى بعضهم فقال :

(أما بعدُ) فإن أمر الآخرة والدُّنيا بيد الله ، هو يدّبرهما ويقضي فيهما ما يشاء لا رادّ لقضائه ،ولا مُعقب لحكمه ،فإن الله خلق الخلق بقدرته،ثم كتب عليهم الموت بعد الحياة ، لئلا يطمع أحدٌ من خلقه في خُـــلد الدنيا ، ووقّت لكل شيء ميقات أجل ، لا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون ، فليس أحد من خلقه إلا وهو مُستَيقنٌ بالموت ، لا يرْجو أن يخلصه من ذلك أحـد ، نسأل الله تعالى خير المنقلب ؛ وبلغني وفاة فلان ، فكانت وفاتــه من المصائب العظام التي يحتسب ثوابها من ربنا الذي إليه مُنقلبنا ومعادُنا وعليه ثوابنا .

فعليكَ بتقوى الله والصبر وحُسن الظن بالله، فإنه جعل لأهل الصبر صلوات منه ُ ورحمة ، وجعلهم من المهتدينَ .

وقد ترجم كتباً عديدة من أشهرها كتاب (كليلة ودمْنة) وقيل إن هـذا الكتاب من وضع ابن المقفـــع ــ وهو قول مقبول لا بأس به ــ وله كتاب (الأدب الكبير) و (الأدب الصغير) و (الدُّرة اليتيمة) وقتله والي البصرة سفيان بن مُعاوية سنة ١٤٢ هـ لاتهامه بالزندقة والكيد للإسلام بترجمـة كتب الزندقة .

إبراهيم الصُّولي

هو أبو إسحق ابراهيم بن العباس بن محمد بن صول ، كاتب العراق ، وأشعر أصحاب المقطعات ، نشأ ببغداد ، فتلقى العلم والأدب عن أئمة زمانه ، واشتغل بالشعر في حداثته ، فبرع فيه ، وتكسّب به ، ورحل إلى العُمال والأمراء يمدحُهم ويستميح ّجدواهم،ثم قصد الفضل بن سهل وزير المأمون أيامَمُقامه معه

بخُراسان ، ومَدَحه فوهَب له عشرة آلاف درهم ، وجعله الفَضْلُ كاتباً لأحد قوّاده وبقي يتنقل في أعمال النواحي والدواوين حتى كان زمن الواثق عاملاً على الأهواز ، فتحامَل عليه وزيرُه ابن الزيات ، فعزله وسجنه بها ، فكتب إليه يَسْتعطفه ، فلم يزددْ بذلك إلا جفاء وغلظة ، ثم أطلع الواثق على ذلك فأطلقه وتولى ديوان الضياع والنفقات في خلافة المتوكل ، ومات سنة ٢٤٢ هـ ومن رسائله تعزية عن لسان المنتصر بالله إلى طاهر بن عبدالله مولى أمير المؤمنين .

« أما بعد ، تولى الله توفيقَك وحياطتَكَ ، وما يَرْتَضيه منك ويرضاه عنك ؛ إنّ أفضلَ النعم نعمةٌ تلقيتْ بحقّ الله فيها من الشكر ، وأوفرَ حادثة ثواباً حادثة أُدّيَ حقُّ الله فيها من الرّضا والتسليم والصبر ، ومثلك منْ قدم ما يجبُ لله عليه في نعمة فشكرَها ، وفي مُصيبة فأطاعه فيها ، وقد قضى الله سبحانه وتعالى في محمد بن إسحاق مَولى أمير المؤمنين ـ عفا الله عنه ! ـ قَضاءهُ السابق والموقع ، وفي ثواب الله ورضا أمير المؤمنين ـ أدام الله عزه ! ـ وتقديم ما يقدّمُ مثله أهل الحجا والفهم ، ما اعتاضه مُعتاضٌ وقدمه موفق ، فليكن الله عز وجل وما أطعته به وقدّمْتَ حقه أولى بك من الأمور كلها ، فإنك إن تتقرَب إليه في المكروه بطاعته ، يحسن ولايَتك في توْفيقك لشكر نعمه عندك .

ابن العميد

هو الأستاذ الرئيسُ الوزيرُ أبوالفضل محمدُ بن الحسين العميد ، كاتب المشرق وعمادُ ملك آل بوَيه وصدر وزرائهم ، نشأ شغوفاً بمعرفة العلوم العقلية واللسانية فبرَع في علوم الحكمة والنجوم ، ونبغَ في الأدب والكتابة وابتدَع طريقة الشعر المنثور ، حتى قيل فيه (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه ، وتقلد شريفَ الأعمال في دولتهم ـ إلى أن تولى وزارة

ركن الدولة سنة ٣٢٨ هـ فساس دولته ووطد أركانها، وتشبّه بالبرامكة ففتح بابه للعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء، وكان يشاركهم في كل ما يعلمون إلا الفقه، وما زال في وزارته محطّ الرّحال، وكعبة الآمال حتى توفاه الله تعالى سنة ٣٦٠ هـ.

ومن رسائله إلى أبي عبدالله الطبري: كتابي إليك، وأنا بحال لو لم ينغّصها الشّوق إليك، ولم يرنق صفوها النزوع نحوك، لعددتها من الأحوال الجميلة، وعددتُ حظي منها في النّعم الجليلة، فقد جمعتْ فيها بين سلامة عامة ونعمة تامّة، وحظيتُ منها في جسمي بصلاح، وفي سعيي بنجاح، لكن ما بقي أن يصفو لي عيش مع بُعْدي عنك، ويخلو ذرعي مع خلوّي منك، ويسوغ لي مطعم ومشرب مع انفرادي دونك، وكيف أطمع في ذلك وأنتَ جزءٌ من نفسي، وناظمٌ لشمْل أنسي، وقد حُرِمْتُ رؤيتك، وعدمتُ مشاهدتك، وهل تسكنُ نفس متشعّبة ذات انقسام، وينفعُ أنسُ بيتٍ بلا نظام، وقد قرأت كتابك، جعلني الله فداءك، فامتلأتُ سروراً بملاحظة خطك، وتأمّل تصرّفك في لفظك

وما أقرّظهما فكل خصالك مقرظ عندي، وما أمدحهما، فكل أمركَ ممدوحٌ في ضميري وعقدي.

بقية خلفاء العباسيين

عبد الله المستكفي بالله	(٣٣٣/٣٣٤)	المنصور الراشد بالله	(٥٢٩/٥٣٠)
القاسم المطيع لله	(٣٣٤/٣٦٣)	محمد المقتفي لأمر الله	(٥٣٠/٥٥٥)
أبو بكر الطائع لله	(٣٦٣/٣٨١)	يوسف المستنجد بالله	(٥٥٥/٥٦٦)
أحمد القادر بالله	(٣٨١/٤٢٢)	حسن المستضيء بأمر الله	(٥٦٦/٥٧٥)
عبد الله القائم بأمر الله	(٤٢٢/٤٦٧)	أحمد الناصر لدين الله	(٥٧٥/٦٢٢)
عبدالله المقتدي بأمر الله	(٤٦٧/٤٨٧)	محمد الظاهر بامر الله	(٦٢٢/٦٢٤)
أحمد المستظهر بالله	(٤٨٧/٥١٢)	منصو المستنصر بالله	(٦٢٣/٦٤٠)
فضل المسترشد بالله	(٥١٢/٥٢٩)	عبدالله المستعصم بالله	(٦٤٠/٦٥٦)

وأرجو أن تكون حقيقةُ أمرك مُوافِقةً لتقديري فيك ؛ فإن كان كذلك وإلاّ فقد غطى هواك وما ألقي على بَصَري .

الصاحب بن عباد

هو كافي الكُفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحبُ بن عبّاد ، وزيرُ آل بُويْه وكاتبُهم ، وُلِدَ سنة ٣١٦ هـ بطالقان قَزْوين ، وتعلّمَ العلم والادب من أبيه ، ثم اتّصل بابن العَميد ، فلزمَ صُحْبَته ، وأخذ عنه الأدب ، وتولى له كتابة خاصّته ، ثم تنقّلت به الأحوال في خدمة ملوك بني بُويْه ، فكان وزيراً لمؤيد الدولة ، ثم لأخيه فخر الدولة ، وله في ملكها اليَدُ المطلقة ، والأمرُ النافذ حتى مات سنة ٣٨٥ هـ .

ويُعَدّ ابن عَبّاد في الكتابة ثاني ابن العميد في حَلبته ، وأبلغَ من سلك طريقته غير أنه أولع بالسجع والجناس ، ولا يعرف بعدهما من بلغ بشرف العلم والأدب مبلغهما ، ولا حلَّ من شرف الملك والسلطان بمهنة الكتابة منزلتهما ، ومن رسائله ما كتب به إلى بعض السادة ، وقد أهدى إلى ابن عَبّاد مُصْحفاً .

ألبرُّ ، أدام الله السيد ، أنواعٌ ، تطولُ به أبواعٌ ، وتقصُر عنه أبواع ، فإن يكن فيها ما هو أكرم مَنصباً ، وأشرف منسباً ، فتحفةُ السيد ، إذ أهدى ما لا تشاكله النِّعَمُ ، ولا تُعادِله القِيَمُ : كتابَ الله وبيانه ، وكلامه وفُرْقانه ، ووَحْيَهُ وتنزيله وهُداه وسبيله ، ومعجزةَ رسول الله ﷺ ودليلُهُ ، طبع دون معارضة على الشّفاه وختَمَ على الخواطر والأفواه ، فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بقي المَلَوان ، لائحٌ سراجه ، واضحٌ منهاجُه ، منيرٌ دليله ، عميقٌ تأويله ، يقصم كلّ شيطان مَريد ، ويذل كلّ جبار عنيد ، وفضائلُ القرآن لا تُحصى في مُطَوّلات الأسفار ؛ فأصِفُ الخط الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد في نخْوةِ الأقلامِ ، بل أصفه بترك الوصف فأخباره

آثاره، وعينه فراره، وحقاً أقول إني لا أحسب أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت وابتدع في استكتابها ما ابتدعت، وإن هذا المصحف لزائد عن جميعها زيادة الفرع على الغرة، بل زيادة الحج على العمرة

أبو بكر الخوارزمي

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي، الكاتب الشاعر اللغوي الأديب الرحالة، ولد بخوارزم سنة ٣٢٣ هـ ونشأ بها، وكان ضليعاً من كل فن من فنون العربية، وخاصة الكتابة والشعر، جاب الأقطار، ودخل الأمصار من الشام إلى أقصى خراسان، في استفادة العلم والأدب وإفادتهما، وكان كثير الحفظ للشعر غزير مادة اللغة .

وتقلب الخوارزمي في خدمة كثير من الملوك والأمراء والوزراء حتى ألقى عصا التسيار بمدينة نيسابور، وطاب عيشه بها إلى أن مني في آخر أيامه بمساجلة بديع الزمان الهمذاني ومناظرته ومناضلته، وأعانه عليه قوم من أعيان البلدة ووجوهها، فانخذل الخوارزمي انخذالاً شديداً، وكسف باله، ولم يحل عليه الحول حتى مات سنة ٣٨٣ هـ .

وكان الخوارزمي ممن يجري على طريقة ابن العميد في الكتابة متوخياً جزالة الألفاظ، محتفلاً بصحة المعاني مع ميل فيه إلى الغريب، وتقدم له كثير من الرسائل .

بديع الزّمان الهمذانيّ

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسّل، والشاعر المبدع.

منشؤه، نشأ بهمذان، ودرس العربية والأدب، ونبغ فيهما، وضرب في الأرض يتكسّب بأدبه، ثم أقام بنيسابور مدّة أملى بها أربعمائة مقامة، بلفظ رشيق وسجع رقيق، وعلى منوالها نسج الحريري، ثم شجر بينه وبين

الخُوارزْمي" ما كان سبباً في هبوب ريحه، وبعد صيته، إذ لم يكن في الحُسْبان أن أحداً يجترىء على الخوارزمي .

وبموت الخوارزمي خلا له الجوُّ عند الملوك والأمراء، فجوّل في حواضرهم، ثم استوطن هَراة، وصاهر أحد أعيانها العلماء، فحسنت حاله، ونعم باله، ولكن المنيّة عاجلته وهو في سن الأربعين سنة ٣٩٣ هـ، وتقدم له كثير من الرسائل والمقامات المشهورة .

ابن زيدون

هو الكاتبُ الشاعرُ ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبدالله المشهور بابن زَيدون المخزومي الأندُلسي، ولد سنة ٣٥٤ هـ، ونشأ في مدينة قرْطبة، وتأدّب على كبار أئمتها، وقال الشعر وأجاده، ولمّا نَبُه شأنه بين شعراء قرطبة، اتّصل بأبي الوليد بن جَهْور أحد ملوك الطوائف فحَظي عنده ومدحه حتى أصبحَ لسان دولته الناطقَ، وحسامها المسلول، فأفسد أعداؤه ما بينه وبين ابن جَهْور، فاعتقله ومكث في محبسه مدّةً استشفع فيها إليه بقصائدَ أبدَعها، ورسائل استنفدَ فيها جَهْده، فما ألانتَ له قلباً، فأعمل الحيلةَ في فراره من سجنه، وخلَص إلى المعتضد بن عَبّاد ملك إشبيليةَ إذ كان أشدَّ ملوك الطّوائف رغبةً فيه، وأكثرهم تمسّكاً بالأدباء، فألقى إليه مقاليدَ وزارته، وأصبح صاحبَ أمره ونهيه، ولمّا مات المعتضدُ وخلَفه ابنه المعتمدُ كان له كما كان أبوهُ، وأغدق عليه برّه ونعمته .

ومكث ابن زيدون على هذه الحال حتى مات بإشبيلية سنة ٤٦٣ هـ .

القاضي الفاضل

هو أبو علي عبد الرحيم البيْساني اللخْمي،ولد بمدينة عَسْقلان سنة ٥٢٩ هـ، وتعلم على أبيه وغيره، قدم مصرَ وهو شابٌّ، وتولى رئاسة ديوان الإنشاء في أواخر الدولة الفاطميّة .

وتعلّم في ديوان ابن حديد قاضي الاسكندرية ، وظهر فضله فيما كان يرسله إلى القاهرة من الرسائل فاستُقدِم أيامَ الظافر إليها وكان من كتّاب ديوانه ، ولازم خدمة أكابر القضاة والكتّاب في الديوان وأخذ عنهم ، وحاكاهم بل فاقهم فصاحة وبلاغة لسعة إطلاعه ، وغزارة مادته وسرعة بديهته ، وصفاء خاطره .

ولما سقطت الدولة الفاطمية تولى وزارة صلاح الدين بن أيوب ، وكان يتردّد بين مصر والشام في الحروب الصليبية ، ودّبر أحسنَ تدبير — وبقي في الوزارة حتى مات صلاح الدين فوَزرَ لابنه العزيز على مصر ، ثم وزر من بعده لأخيه ، ومات سنة ٥٩٦ هـ. ومن رسائله القصيرة رسالة كتبها على يد خطيب عيذابَ إلى صلاح الدين يتشفع له في توليته خطابة الكرَك وهي :

أدام اللهُ السلطانَ الملكَ الناصرَ وثبّته ، ونقبل عمله بقبول صالحٍ وأثبته ، وأرغم أنفَ عدُوّه بسيفه وكبّته

خِدمة المملوك هذه واردةٌ على يدِ خطيب عيذَاب ، ولما نبا به المنزلُ عنها وقلّ عليه المرفقُ منها وسمع هذه الفتوحاتِ التي طبّق الأرض ذكرُها. ووجب على أهلها شكرُها - هاجر من هجير عيذاب وملحها . سارياً في ليلةِ أملٍ كلها نهارٌ فلا يسأل عن صبحها، وقد رغب في خطابة الكرَك وهو خطيبٌ وتوسّل بالمملوك في هذا الملتمس وهو قريب ، ونزع من مصر إلى الشام، وعن عيذاب إلى الكرَك وهذا عجيب ، والفقر سائق عنيف، والمذكورُ عائل ضعيف ، ولُطف الله بالخلق بوجود مولانا لطيف والسلام .

التدوين والتصنيف

كانت الحاجة إلى التدوين قد اشتدت في مبدأ الدولة العباسية لاتساع ممالك الإسلام ، فهبّ العلماء إلى تهذيب ما كتب في الصحفِ المتفرّقة، وما حفظوه في

الصدور، ورتبوه وبوّبوه وصنفوه كتباً، وكان من أقوى الأسباب لإقبال العلماء على التصنيف حثُّ الخليفة أبي جعفر المنصور عليه، وحَمْله الأئمةَ والفقهاء على جمع الحديث والفقه، ولم يقتصر على مُعاضدة العلوم الإسلامية، بل أوعز إلى العلماء والمترجمين أن ينقلوا إلى العربية من الفارسية واليونانية فنون الطب والسياسة والحكمة والفلك والتنجيم والآداب، وتابعه في ذلك أولاده وأحفاده، حتى زَخرَت بحور العلم، واختُرِعت الفنونُ، وتفرعت المسائل ودوّنت الكتبُ في كلّ فن.

كتابة التصنيف والتدوين

وكانت كتابة التصنيف والتدوين في القرن الأول وبعض الثاني من النهضة عبارة عن سلسلةٍ من الرّوايات المسندةِ إلى رُواتها، وبعضها يُروى بلفظ أصحابها غالباً كما في الشّعر والخطب والرسائل، وبعضُها بلفظ الراوي كما في أخبار الفتوح والتاريخ والقصص، ثم ظهرت بعد ذلك في العلوم الشرعية واللسانية طبقاتُ الاستنباط والتعليل، والتفريع والشرح والاختصار، وجمع الفروع تحت كليات عامة، فلم يكن للمؤلفين بدٌّ من حذفِ أسانيد الروايات، وتركِ المحافظة على نقلها بلفظها إلا في الحديث ونحوه.

أما كتب العلوم المترجمة فكانت عبارتها هي تفسير ألفاظها الأعجمية بالعربية، ولم تكن ترجمتُها جيدةً في (عصر المنصور) ثم صحّحت ترجمتُها في زمن الرشيد والمأمون، ثم لما أتقنَ كثيرٌ من فلاسفة المسلمين هذه العلوم كتبوا فيها بعباراتهم، وكانت أول أمرها بليغةً مفهومة، ثم عمّوْها على بعض الفقهاء المكفرين لهم، والمغْرين الأمراء بقتلهم حتى أصبحت عبارة كتب الفلسفة والتوحيد أصعبَ ما يُقرأ باللسان العربي.

العلوم اللسانية ونشأتها

العلوم اللسانية هي الأدب، والتاريخ، والعروض، والنحو، واللغة، والبلاغة

علم الأدب - كانت ُكتبه في أول هذا العصر رسائلَ يَبحثُ كلٌّ منها في ضرب خاص من ضروبه ، كرسائل ابن المقفّع ، ورسائل سَهل بن هرون : في الأخلاق ، وكتاب النوادر ، وكتاب الأراجيز ، وكتاب الشعر للأصمعي ، وكتاب الشعر والشعراء لأبي عُبيدة ، وإذا تابعنا مَن يقول إن ابن المقفع هو الذي ابتدع كتاب (كليلة ودِمْنة) ونحَله الهند والفرْس ، كان هـذا الكتابُ أول كتاب ظهر في (الأدب العربيّ) الخاص بموضوع واحد ، وأولُ كتاب ظهر فيه جامع لفنون كثيرة : منه كتابُ (البيان والتبيين) وكتاب (الحيوان) للجاحظ ، واقتفى أثرَه أحمدُ بن طَيفور في كتابه العظيم (المنظومِ والمنثورِ) في أربعة عشر جزءاً . ثم أبو العباس محمد الُمبرّد في الكامل ، والروضة) ، ثم أبو حنيفة الدينَوري وأبو بكر محمد الصولي ، وابن قتَيبةَ صاحب (أدب الكاتب) ، وابن عبد ربه صاحب (العقد الفريد) ، وأبو عليّ القالي صاحب (الأمالي) ، وأبو الفرَج الأصبهاني صاحب (الأغاني) ، وغيرهم ، ومن أشهر المؤلفين في الأدب : الجاحظ ، وأحمد بن عبد ربه ، والحريري ، وها هي ترجماتهم .

الجاحظ

هو إمام الأدب أبو عثمان عَمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكِناني البَصْري وُلدَ حواليْ سنة ١٦٠ هـ بمدينة البصرة ونشأ بها فتناول كلَّ فن : ومارس كل علم عُرِف في زمانه مما وُضعَ في الإسلام ، أو ُنقِل عن الأمم الأوائل ، فأصبح له مشاركة في علمِ كل ما يقع عليه الحِسُّ أو يخطرُ بالبال ، فهو راويةٌ متكلمٌ فيلسوفٌ ، كاتبٌ مُصنّفٌ ، مترسلٌ شاعر ، مؤرخٌ عالم بالحيوان والنبات والموات ، وصّافٌ لأحوال الناس ووجوهِ معايشهم واضطرابهم وأخلاقهم وحيَلهم - إلا أنه غلب عليه أمرانِ : الكلام على طريقة المُعتزلة ؛ والأدب الممزوجُ بالفلسفة والفُكاهة ! وكان غاية في الذكاء ، ودِقة الحس ، وحُسن

الفِراسة ،وكان سَمْحاً جواداً كثير المواساةِ لإخوانه ، وكان على دَمامة خَلقِه وتناقض خُلُقِه خفيف الرُّوح فكِهَ المجلس غاية في الظرف وطيب الفكاهة وحلاوة الكلام – وهو على الجملة أحدُ أفذاذِ العالم وإحدى حُجَج اللسان العربي – وأقام الجاحظُ أكثر عُمره بالبَصرة يعيش معيشة الأدباء والعلماء ، محبوباً لوُلاتها وأعيانها ، مَحْبُوّاً منهم بالعطايا والمِنح ، بما يُصنّفه لهم من الكتب المتفقة مع أهوائهم المختلفة – وكان كثير الانتجاعِ للخلفاء (ببغداد – وسُرَّ مَنْ رأى) حتى فُلِجَ بالبصرة وبقي مفلوجاً مدة إلى أن انتقل إلى بغداد فمات بها ودفن بمقبرة الخيزران (أم الرشيد) سنة ٢٥٥ هـ ، وله أكثر من مائتي كتاب .

أحمد بن عبد ربه

هو أديبُ الأندلس وشاعرها أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القُرطبي وُلد سنة ٢٤٦ هـ ونشأ بمدينة قرطبة ، ودرس علوم العربيةِ فنبغ في جميعها وحفظ منها ما لم يحفظه أحد من علماء زمانه ،وقرأ رسائلَ المحدَثين من المشارقة ، وما ترجم من كتاب الأوائل في أكثر العلوم ، وأودَعَ زُبْدة ذلك في كتابه (العِقْد الفريد) . وكان يشتغل في حداثته بالشعر ، ويجري في مضمار اللهو والطرب ، ونظم في ذلك من القصائد والمُقطعاتِ الرقيقة الجميلة ما جعل المتنبي على صَلفِه وكِبرِه حين سَمع شِعرَه يسميه (مليح الاندلس) ثم أقلع في كِبَرِه عن صَبْوته ، وأخلص لله في توْبته . فاعتدَّ أشعارهُ التي قالها في الغَزَل واللهو عملاً باطلاً . وعَمِل على أعاريضها وقوافيها قصائد في الزُّهد يُعارضها بها ، وسمّاها (المُمَحِّصات) ونال من خلفاء بني أمية بالأندلس قبولاً ، وحلَّ عندهم في المكان الأسمى – وبَقي بقرطبة رئيساً مُسَوّداً – حتى فلجَ ، وعاش بعد ذلك عدّة سنين – ثم مات بها سنة ٣٢٨ هـ .

الحريريُّ

هو أبو محمد القاسم بن محمد بن عثمان الحريري البصري ، المولود سنة ٤٤٦ هـ

الكاتب الشاعر اللغوي النحوي صاحب البدائع المأثورة في مقاماته المشهورة التي نسجها على مِنْوال مقامات بديع الزمان الهمذاني وأنشأ خمسين مقامة ،أتى فيها على كثير من مواد اللغة وفنون الادب وأمثال العرب وحكَمها،بعبارة مُسجَّعة مُزينة بأنواع البديع ، ولاسيما الجناس ، ترغيباً للطلاب في حفظ اللغة وأدبها ، وتفكيهاً لهم بمطالعتها ، ونحل وقائعها أبا زيْد السروجي) وهو أع ابيٌّ فصيحٌ من سَروج ، كان قد قدم البصرة وأعجبه بها علماؤها ، وسمّى راويهـا عنه (الحارث بن همّام) ــ يريد نفسَه ــ وأهْداها إلى الوزير جمال الدين بن صَدقة وزير المسترشد العباسي ، وله غير المقامات شعرٌ كثير ورسائل بديعا وكتب في النحو واللغة ؛ منها كتابه (دُرّة الغَوّاص في أوهام الخواص) و (ملحـة الإعراب في النحو) وتوفي بالبصرة سنة ٥٢٢ هـ .

فن التأريخ

أول ما وُضع في التأريخ باللغة العربية الكتاب الذي وضعه عُبيْدُ بن شرية لمعاوية ، وفي صدر الدولة العباسية وضع كثير من العلماء كتباً في التأريخ بأقسامه التي من أشهرها :

(١) فن السِّيَر والمغازي ؛ وأشهر من ألف فيه من الاوائل : محمدبن إسحاق .
(٢) فن الفتوح ؛وأشهر من ألف فيه منهم .الواقدي، والمدائني،وأبو مِخنف
(٣) فن طبقات الرجال؛وأشهر علمائه ابن سعد كاتب الواقدي،والبخاري
(٤) فن النَّسَب ؛ وأشهر قدماء علمائه : الكلبي ، وابنه
(٥) فن أخبار العرب وأيامها ؛ وأشهر علمائه : أبو عُبيدة ، والأصمعي .
(٦) قصص الأنبياء ؛ وكتب فيه كثيرون .
(٧) تاريخ الملوك ؛ ومن أقدم مَنْ كتب فيه : ابن قتيبة الهيثم بن عَديّ ، وابن واضح اليعقوبي ، ثم شيخ المؤرخين وعمدتهم محمد بن جرير الطبري الجامع كتابه هذه الفنون السابقة مُرتباً على حسب السنين الهجرية .

وحاكاه بعده ابنُ الاثير في تاريخه (الكامل) .

العروض والقافية

أوّلُ من اخترع علم العَروض « الخليل بن أحمد » من غير سابقة تعلـُّم على أستاذ أو تدرُّج في وضع، بل ابتدعه'، وحصَرَ فيه أوزانَ العرب في خمسة عشر بحراً، وزاد عليه تلميذُ تلميذِه الأخْفَشُ بحراً آخر، ثم لم يزد عليهما أحداً يُعْتَد به .

أما القافية، فقد كان العلماء قبل الخليل يتكلمون فيها، ولكن الخليـــل هو أول مَنْ فصّل الكلام فيها، وجعلها عِلماً مدوّناً .

النحـــو

جاءت الدولة العباسية والنحو علمٌ يُدْرَسُ في المعاهــد، ولكن البصريين سبقوا الكوفيين في الاشتغال به، كما سبقهم الكوفيون في الاشتغال بالشعر وعلم الصَّرْف .

ومن أكبر الأئمـــة الذين اشتغلوا بالنحو وهذبوه من البصريين أبو عمرو بن العَلاء وتلميذه الخليل، وتلميذ الخليل « سيبويه » الواضع لأول كتــاب جامع في النحو، ثم بعده « الأخفش » شارح كتابه .

ومن الكوفيين : مُعاذ الهرّاء، والرُّؤاسي، وتلميذهما الكسائيُّ، وتلميذه الفَرّاءُ .

علم اللغة

ويسمّى « متنَ اللغة » ونعني به معرفة معاني ألفاظها المفردة، وأوّل ما وضعَ الأئمة فيه رسائل وكتباً صغيرة في موضوعات خاصة، فلما ظهر الخليل أحصى ألفاظ اللغة بطريقة حسابية في كتاب ورتبه على حروف المعجم مُقَدِّماً حروف الحلق، ومُبتدئاً منها بالعين، ولذلك سَمّى مُعجَمه (كتاب العين) ثم ألف أبو بكر بنُ دُرَيد مُعْجمه العظيم الذي سَمّاه (الجَمْهَرةَ) مرتباً على حروف المعجم بترتيبها المعروف الآن. وأدرك عصر الازهَريُّ فألف كتاب (التهذيب) على ترتيب

الخليل، ثم وضع الجوهري كتابه المسمى (بالصحاح) على ترتيب الجمهرة وابن سيده الأندلسي كتابه المحكم) على ترتيب الخيل ، وابن فارس كتابه (المجمل) والصاحب بن عباد كتابه (المحيط وهذه هي أصول كتب اللغة وما بعدها من (العباب ، والتكملة ، ومجمع البحرين) للصغاني ، و(النهاية) لابن الأثير ، و(لسان العرب لابن مكرم و(المصباح) للفيومي ، و(القاموس للفيروزابادي. فهو جمع لها أو اختصار منها .

علوم البلاغة - المعاني والبيان والبديع

أول كتاب دون في علم البيان كتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة تلميذ الخليل ثم تبعه العلماء. ولا يعلم أول من ألف في المعاني بالضبط ، وإنما أثر فيها كلام عن البلغاء وأشهرهم الجاحظ في (إعجاز القرآن) وغيره وأول من دون كتباً في علم البديع ابنُ المعتز وقدامة بن جعفر ، وقبل ذلك كان البديع يستعمل في الشعر عملا ، وبقيت هذه العلومُ تتكاملُ ، ويزيد فيها العلماء حتى جاء فحلُ البلاغة عبد القاهر الجرجاني فألف في المعاني كتابه (دلائل الإعجاز) وفي البيان كتابه (أسرار البلاغة) ، وجاء بعده السكاكي فألف كتابه العظيم (مفتاح العلوم) .

الخليل بن أحمد

هو أبو عبد الرحمن الخليلُ بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري ، مخترع العرُوض ومبتكر المعْجَمات ، وواضع الشكل العربي المستعمل حتى الآن.

ولد سنة مائة هجرية بالبصرة ، ونشأ بها ، وأخذ العربية والحديث والقراءة عن أئمة زمانه ، وأكثر الخروج إلى البوادي ، وسمع الأعراب الفصحاء ، فنبغ في العربية نبوغاً لم يكن لأحد ممن تقدمه أو تأخر عنه ، وكان غاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله ، ولقنَ ذلك تلميذه سيبويه

ومما يشهدُ له بجدة الفكر وبعد النظر ، اختراعه العروض علماً كاملا ، لم يحتج إلى تهذيب بعدهُ ، وابتكاره طريقة تدوينُ المعجمات بتأليف كتاب

«العين» وتدوينه كتاباً دقيقاً في الموسيقى على غير معرفة بلغة أجنبية واشتغاله بلهو ، وزاد في الشطرنج قطعة سماها «جبلا» لعب بها الناس زمناً ، وبقي الخليل مقيماً بالبصرة طول حياته ، زاهداً متعففاً مكبّاً على العلم والتعليم ـ حتى مات في أوائل خلافة الرشيد سنة ١٧٠ هـ بصدمة في دعامة مسجد ارتج منها دماغه .

سيبويه

هو أبو بشر عمرُ بن عثمان بن قنبر ـ إمام البصريين ، وحجة النحويين.

ولد بالبيضاء من سلالة فارسية ونشأ بالبصرة ، وكان يطلب أول أمره الحديث والفقه . فعيبت عليه لحنة لحنها في مجلس شيخه ، فخجل وطلب النحو ولازم الخليلَ ، وأخذ عن غيره أيضاً ، وكان الخليل يؤثره على أصحابه ، فدوّن جميع ما أخذه عنه ونقله عن غيره في كتابه الذي لم يجمع قبله مثله ـ ولولا هذا الكتاب الذي رواه عنه ، وشرحه تلميذه الأخفش ، ما كان لسيبويه خبرٌ يشهر لوفاته كهلا ، ولقلة من أخذ عنه هذا الكتاب ، ولأنه لا يعرف له كتاب غيره ، وبحسبك هو ، ومات ببلدته البيضاء بفارس سنة ١٨٠ هـ ـ وسنه نيف وأربعون سنة .

الكسائي

هو أبو الحسن علي بن حمزة ـ أحدُ القراء السبعة ، وإمام الكوفيين في النحو واللغة ـ نشأ بالكوفة ، وتعلم على الكبر بعد لحنة لحنها أمام جمع من طلبة العلم ، فلازم أئمة الكوفة حتى أنفد ما عندهم ، ثم خرج إلى الخليل بالبصرة وجلس في حلقته ، وأعجبه علمه ، فقال له : من أين علمك هذا ؟ فقال من بوادي الحجاز ونجد وتهامَة ، فخرج إليها ، وأنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب ، سوى ما حفظ عنهم ، ولما رجع من البادية وجه إليه المهدي فخرج إلى بغداد فحظي عنده ، وضمه إلى حاشية ابنه الرشيد ، ثم جعله الرشيد مؤدب ولده الأمين ، وكان يجالسه هو والقاضي محمد بن الحسن الشيباني صاحب الإمام

الأعظم أبي حنيفة على كرسيين مميزين بحضرته ، وما زالا على هذه الكرامة حتى خرج الرشيد إلى الري وهما في صحبته فماتا في يوم واحد فبكاهما ، وقال: دفنت الفقه والعربية بالري – وذلك سنة ١٨٩ هـ . وقد انتهت إليه إمامة القراءة والعربية بالكوفة وبغداد – وكان يروي الشعر ، وليس فيه جيد نظر

العلوم الشرعية

التفسير – لم يُدَوَّنْ في كتب جامعة تجمع سورَ القرآنِ الكريم كلها إلا في عصر الدولة العباسية . وكان التفسيرُ عبارةً عن نقل روايات عن النبي ﷺ وأصحابه تُبين المرادَ من آياته ، وأولُ طبقة من المفسرين أدركت الدولة العباسية أو أنشئت في صدرها طبقة سفيان بن عُيَيْنَةَ ، ووكيع بن الجراح وشُعبة بن الحجاج ، وإسحاق بن راهَوَيه ، ومُقاتل بن سُليمان ، والفراء .

كتب الحديث

أوّلُ كتاب جُمع في الحديث الكتابُ الذي أمر الخليفة الأموي « عمر بن عبد العزيز » بتدوينه ولم يُعرف له خبرٌ بعد ، ثم أخذ العلماءُ يدونون فيه بحض الخليفة أبي جعفر وأولاده ، فدون الامام مالكٌ « موطّأهُ » . ولما اشتدتْ رغبة الناس في طلب الحديث وضع كثيرٌ من الزنادقة واليهود المتظاهرين بالإسلام كثيراً من الأحاديث ، فتجرّد لها الأئمة الأعلامُ ، وبينوا صحيحها من فاسدها ، كإسحاق ابن راهَوَيه وتلميذه محمد بن إسماعيل البخاري الذي دوّن كتابَه في الأحاديث الصحاح فقط ، وتبعه تلميذه مُسْلِم بن الحجاج ، والامامُ أحمد بن حنبل ، وأصحاب الكتب الستةِ الصّحاح ؛ وهم : الترمذيُّ ، وأبو داود ، والنسائي ، وابن ماجه ، والبخاري ، ومُسلم .

هذه هي أصول الكتب الصحيحة في الحديث .

الامام البخاري

هو أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المُغيرة ، إمـام المحدّثين . وصاحب «الجامع الصحيح» أجلّ كتبِ الإسلام وأفضلها بعد كتاب الله العزيز. وُلدَ ببخارَى من سُلالة فارسية سنة ١٩٤ هـ . ونشأ بها يتيماً فحفظ القرآن وألم بالعربية وهو صبيّ وحُبّبَ إليه سماعُ الحديث ، فكان أولُ سماعه من علماء بخارى وهو لم يناهز البلوغ، حتى حفظ عشرات الألوف من الأحاديث ودخل من أجلها أكثر ممالك المشرق، وأخذ عنه علماؤها وأئمتُها ، ومنهم أحمد بن حنبل؛ وتفقه مبدئياً على مذهب الشافعي . واستخرج كتابه « الجامعَ الصحيح » من ستمائة ألف حديث ، في ست عشرةَ سنة، جمعَ فيه تسعة آلاف حديث مُكرَّر بعضها بتكرُّر وجوهها ؛ وقال: إني جعلتُه حُجّةً بيني وبين الله . فأجمع علماء السنة على أنه لم يكن فيها أصح منه ، ومات سنة ٢٥٦ هـ .

علم الفقه

لما كان المرويّ عن رسول الله ﷺ وظاهرُ نصّ القرآن لا يَستَوعِبان كلَّ أحكام الوقائع المختلفة المتجددة بتجدُّد الزمان والمكان ، كان الاجتهـادُ ضرورياً في الدين ؛ وجاءت الدولة العباسية وأهلُ الحجاز يرجحون جانب الأخذ بالحديث لكثرة رُواته بينهم ، وإمامُهم في مذهبهم « مالك بن أنس » وأهلُ العراق يُرَجحون الأخذ بالقياس ، وإمامهم في مذهبهم « أبو حنيفـة » لكثرة ما وضعه متزَندقة العراق في الحديث . ثم لما دخل أهل الحجاز العراق ، وتساوى الفريقان في معرفة الحديث َعملوا بهما ونشأ من ذلك عـدّة مذاهب أشهرها (مذهب أبي حنيفة ، ومذهبُ مالك ، ومذهب الشافعي ، ومـذهب أحمد بن حنبل) وهذه المذاهبُ الأربعة هي التي ارتضاها مُعظم الأمة في أمر دينها ودنياها ثم كان لكل مذهب أئمةٌ مجتهدون فيه .

الامام الأعظم أبو حنيفة النعمان

هو الإمام الأعظمُ أبو حنيفة النعمانُ بن ثابت فقيهُ العراق. وُلد سنة ٨٠هـ من سُلالة فارسية ، ونشأ بالكوفة ، وعاصر بعض الصحابة ، وأخذ كلّ علمه عمّن شافَهَ الصحابة ونَقَلَ عنهم واستنبط فقهه من القرآن الكريم وما صَحّ عنده من الحديث مع استعمال الرأي والقياس ، وكان من أعبدِ الناس وأكثرهم تهجداً وقراءة للقرآن الكريم ،وأكثرهم ورَعاً وتوخّياً للكسب من وجه حِلّ ، رضي أن يعيش تاجر خزّ ، ورغب عن وظائف الملوك والخلفاء ، وعُرِض عليه القضاء من قِبل أمراء بني أُمية ، ثم المنصور فأبى ، فسجنه وآذاه ، حتى قيل إنه مات في سجنه ،وكان يَعتَذِرُ بأنه لا يأمَنُ نفسه أن تَزِلّ ،وقرأ عليه علماء الكوفةِ وبغداد ، تخرّج عليه منها الأئمة من أصحابه كمحمد بن الحسنَ ، وأبي يوسف ، وزُفَر . ومات ببغداد سنة ١٥٠ هـ .

الإمام مالك

هو أبو عبد الله مالك بن أنس ، إمام دارِ الهجرة ، وسيدُ فقهاء الحجاز ، وهو عربيٌّ من سُلالة أقيال حِمْيَرَ . وُلد سنة ٩٥ هـ بالمدينة المنورة ونشأ بهـا ، وأدرك خيار التّابعين من الفقهاء والعبّاد ، ورحل إليهم وأخذ عنهم ، وما زال يَدأبُ في التحصيل وجمع السنة حتى صار حُجّة من حُججِ الله في أرضه ، وضُرب به المثلُ ، فقيل : « لا يفتى ومالكٌ بالمدينة » وعرفَ الخلفاء قَدْرَهُ فأجلوه ، حتى أنّ الرشيد رحل هو وأولاده إليه بالحجاز ليسمَع «مَوطّأه » فسمعه وأغدقَ عليه.

وكان مالكٌ أوّلَ أمره فقيراً ، فلما كثرت مِنَحُ الخلفاء له حَسُنَ حاله ، فأظهر نعمة الله عليه ، ووصل أهلَ العلم وأشركهم في ماله ، ومنهم « الشافعي» وأما أخلاقه من حيثُ الكَرَم والطلاقة والوَقَار والنُّبْل والتواضع والحب

لرسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها تجل عن الوصف حتى أنه كان لا يركبُ دابة في المدينة إجلالا لأرض ضمّت جسَد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وتوفي سنة ١٧٩ هـ بالمدينة – ودُفن بالبَقيع

الامام الشافعي

هو أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع ، عالم قريش وفخرها ، وإمامُ الشريعة وحبرُها ، وهو من ولد المطلب بن عبد مناف ولد بمدينة غزة سنة ١٥٠ هـ، وحُمِلَ إلى مكة وهو ابن سنتين ، ونشأ بها فقيراً تربيه أمه ، ويُواسيه ذوو قرابته من قريش، حفظ القرآن وهو ابن تسع سنين وأُولعَ بالنحو والشعر واللغة ، ورحل إلى البادية في تطلبها ولم يُناهز سن البلوغ حتى حفظ منها شيئاً كثيراً ، ثم تفقه وحفظ (موطأ مالك) وأفتى وهو ابن خمس عشرة سنة ، ثم رحل في هذه السّن إلى مالك. وقرأ عليه الموّطأ من حفظه ، فقال مالك : إن كان أحدٌ يُفلح فهذا الغلامُ ، وأصافهُ وخدَمه بنفسه ، ثم رَجع إلى مكة ، وعلم بها العربية والفقه ، وصَحّح عليه الأصمعي شعرَ الهذليين ، ثم دخل بغداد سنة ١٩٥ هـ، فاجتمعَ عليه علماؤها وأخذوا عنه ، وفي سنة ١٩٩هـ، أو سنة ٢٠٠ هـ خرج إلى مصر وسكن الفسطاط فكانت دارَ هجرته ، وبها أملى مذهبه بجامع عمرو ، وتُوفيّ بها سنة ٢٠٤ هـ.

الامام أحمد بن حنبل

هو الإمام الصابرُ المحتسبُ أبو عبد الله أحمدُ بن حنبل الشيباني. وُلد ببغداد من سُلالة عربية سنة ١٦٤ هـ ، فتعلم وطلب الحديث وسمع من أئمة وقته ، حتى حفِظَ مئات الألوف من الأحاديث ، واختار منها نيّفاً وأربعين ألف حديث ضمنها كتابه (المسندَ) واستنبط مذهبه من السُّنة مشوباً بشيء من القياس والرّأي ، وظهرت في مدته فتنة (خلق القرآن) فامتُحِن بها في

مجلس المعتصم ليجيبهم إلى القول بخَلق القرآن ، فلم يفعل ، فضُرب حتى أغميَ عليه ، وبقي مُدة مريضاً، ثم عُوفيَ واشتَغل بالعلم والتعليم ببغداد — حتى مات سنة ٢٤١ هـ .

علم الكلام

كان السَّلفُ الصالح من الصحابة والتابعين يستَدِلون على عقائدهم بظـــاهر الكتاب والسُّنة ، وما وقع فيها من المتَشابه ، أو أوهم التشبيه المنافيَ لتنزيـه المعبود توقّفوا فيه خوف أن يَحيد بهم فهمُهم في التأويل عن القصد غير أن ذلك لم يُقنع من دَخل في الإسلام فكثر جدَلهم ، واضطر العلماء أن يُعارضوهم، وساعدهم الخلفاء، وأولهم المهدي الذي حرضهم على تدوين علم الكلام «التوحيد» فافترق المرضيُّ عن مذهبهم من عُلماء الكلام فرقتين ، فرقة اعتقدتْ ما يقرب من مذهب السلف وُسمّوا الجماعة) أو أصحاب الحديث ، وفرقة اعتزلتهـــا وخالفتْها في بعض المسائل وُسموا (المعتزِلة) أو أصحاب العدل ، وجرى رجالُ الحكومة العباسية على هذا المذهب ونَصروه ، حتى ظهر أبو الحسن الأشعري فألفَ مذهبه الكلامي الذي سمّي بعدُ بمذهب الأشاعرة، وغلب على كل مذهب سواه إلا بعض مذاهب قليلة كمذاهب الشيعة « وبقي كثير منهـا إلى الآن » ، ومذاهب الخوارج وبَقي منهم إلى عصرنا بقية في الجبل الأخضر من بَرْقة ، وفي جزيرة جربة على ساحل تونس وببلاد البحْرين .

أبو الحسن الأشعري

هو أبو الحسن علي بن إسماعيل شيخ طريقة أهل السُّنة والجماعة وإمـــام المتكلّمين وُلدَ بالبصرة سنة ٢٧٠ هـ ونشأ بها ، وأخذ علم الكلام عن أبي عـليّ الجُبائيّ شيخ المعتزلة ، وتبعهُ في الاعتزال ، واحتجّ له حتى صار لسان المعتزلة أكثر من ثلاثين عاماً ، ثم هَداه البحث أخيراً فرأى أن كلاً الفريقين من هؤلاء

ومن المعتزلة غالٍ في نظره ، فمتوسط ، وتغيّب عن الناس مدة ألف فيها كتبَه في نُصرة أهل السنة ، والرد على أكثر عقائد المعتزلة ، وكان شافعيّ المذهب . تُوفي سنة ٣٢٤ ــ وممن نَصر مذهبه الفخر الرازي ، وقاربه في مذهبه القاضي أبو مَنصور الماتريدي .

الامام الغَزالي

هو أبو حامدٍ محمد بن محمد الغَزالي الطُّوسي الشافعي ، حُجّة الإسلام ، ولدَ سنة ٤٥٠ هـ ونشأ بطُوس وتعلم بها مبادىء العلوم ، ثم رحل إلى نيسابور ، ولازَم إمام الحرَمينِ الجويني ، وهو يؤمئذ عالم الشافعية في الشرق ، فما زال يَتلقى عنه العلم حتى صار من أكابر مُتكلّمي الأشاعرة وفقهاء الشافعية ، ولما مات الجويني ذهب إلى بغداد ولقيَ الوزيرَ نظام الملك صاحب المدرسة النظامية الشهيرة وناظر بحضرته العلماء فظهر عليهم ، وأقر له فحول العراق بالفضل ، فتولى التدريس بالمدرسة النظامية أربع سنوات ــ ثم حجّ وذهب إلى الشام يدْرس ويسيح لزيارة بعض مشاهد أنبيائها ، ثم دخل مصر وأقام بالاسكندرية مدة ثم عاد إلى وطنه طوس ، واشتغل بتأليف الكتب الجليلة وفي مقدّمتها كتاب «إحياء علوم الدين» ثم ألزم التدريس بنَيسابور ، ثم عاد إلى وطنه حيثُ مَضى بقية عمره بين التدريس ووعظ الصوفية وعمل البر ، ثم مات بالطّابَران قصبة طوس سنة ٥٠٥ هـ .

* * *

نشأة العلوم الكونية المنقولة وترجمتها وأشهر المترجمين والمشتغلين بها

وكانت تسمى علوم الفلسفة والحكمة وتشمل أربعة علوم : المنطق ، والطبيعيات ، والرياضيّات ، والإلهيات ، وتشمل الطبيعيات علم الطبيعة ، والكيمياء ، وفن المواليد الثلاثة ، والطب والصيدلة والفِلاحة .

وتشمل الرياضيات : علم الحساب وعلم الجبر وعلم الهندسة وعلم الآلات (الميكانيكا) وعلم الفلك الشامل للهيئة والتنجيم ، ومن مُتعلقاته علم الجغرافيا الرّياضة ، ويلحق بهذه العلوم علم السياسة وتدبير المنزل والمال وعلم الأخلاق وفنون الموسيقى .

وتشمل الإلهيّات علم ما وراء الطبيعة من الرُّوحانيات والمدركات العقلية كالبحث عن صفات الخالق والقُوى النفسية والجنّ والملائكة ، ونحو ذلك .

وهذه العلوم فِطرية في الإنسان من حيث إنه مُتفكر مُتمدين لا تختصّ بها أمة دون أخرى ، فكان الاشتغالُ بها ضرورياً لكل أمة أصبحت ذاتَ حضارة ، ولذا ترجم المسلمون بعضها في عصر بَني أمية ، واستقدم « المنصور العباسي » كثيراً من الأطباء والمترجمين ، فترجموا له كتب اليونان والفرس والهنود في الطبّ والفلك والسياسة .

ولما مات المنصور فتَر أمر الترجمة إلى زمن الرشيد والبرامكة فحثوا العلماء على ترجمة الكتب اليونانية ، وصححوا بعض ما تُرجمَ زمنَ المنصور .

ثم جاء عصرُ « المأمون » فزخرتْ بحور الترجمة ، وبعث إلى بلاد الروم جماعة من المترجمين كابن البطريق وسَلم صاحب بَيت الحكمة والحجاج بن مطر وحُنين ابن إسحاق ، فاختاروا كتباً حملوها إلى بَغداد وتُرجمتْ ، وتعلمها الناس وصححوا أغلاطها ، واستدركوا عليها . ولم يمض قرن من تأسيس الدولة العباسية حتى بَرع المسلمون في هذه العلوم كلها ، وظهر بينهم من الحكماء والفلاسفة مَنْ كاد يلحقُ فلاسفة اليونان ، ومن هؤلاء «فيلسوفُ الإسلام والعرب » أبو يوسف يعقوب بن إسحق ابن الصبّاح الكندي » وتلميذه أحمد بن الطيب السَّرْخسي ، وبنو موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن أشهر رياضيي هذا العصر ، وأول المخترعين من المسلمين في الحيل والهندسة ، ومحمد بن موسى الخوّارزمي مخترع علم الجبر والمقابلة ومُذيع الحساب الهندي بين العرب ، ثم ذهب طوْرُ الترجمة والتصحيح وتلاه طورُ التأليف والتكميل والاختراع فأتي فيه بالعجب العُجاب

أبو نصر محمد بن طرْخـان الفـارابي الحكيم الكبير مخترع آلة الطرب المسماة بالقانون؛ والتي استنبط الأفرنج بمحاكاتها آلة المعزَف (البيانو) المتوفى سنة ٣٣٩ هـ ، وأبو بكر بن محمد زكريّا الرازي الطبيب الكيميائي الشهير المتوفى سنة ١٦٤هـ، والشيخ الرئيس حكيم المشرق أبو علي الحسين بن سينا المتوفى سنة ٤٢٨هـ،وأبو الريحان أحمد بن محمد البيروني الفلكي الرّياضي المقوم المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .

وكان لدولة الفواطم في مصر اشتغـالٌ بهذه العـلوم ، فاشتهر في دولتهم في الفَلك والرياضيّات ابن يونس ، وفي الطب ابن رضوان وغيرهما .

ولم يُعنَ أهل الأندلس بهذه العلوم عناية أهل المشرق،وأشهرُ مَن نبـغ منهم فيها أبو الوليد القاضي أحمد بن رُشد ، وأبو القـاسم الزّهراوي ، ومن كتب هؤلاء الأئمة وأمثالهم اقتبسَ أهلُ أوربا) كثيراً من أصول مدنيتهم الحاضرة.

الشعر والشعراء

قد كان للشعر عند الخلفاء والوزراء والقوّاد سوقٌ نافعة ، حتى عند رؤساء الأعاجم من الديلم والترك ، ودام كذلك إلى انتهاء الدولة العباسية ، وبهذه العناية العظيمة بل وكثرة قائليه تفنّن الناسُ وأدخلوا عليه فنوناً لم تعهد فيه واستعملوه في كل غرض حتى التعبُّدِ به ، وتشكلَ أسلوبهُ ، وتنوعت معانيه بما يُطابق أغراض استعماله .

ولم يقتصَر الشعر على الموالي في صدر الدولة العباسية كالكتابة بل اشتركوا فيه هم وغيرهم من أعراب البادية أحياناً ، ومن سلائل العرب بالأمصار أخرى ، غيرَ أن بضعةً من فحول صدر الدولة كانوا مَوالي مثل بَشار ، وأبي نواس ، ومسلم وأبي العتاهية ، وابن الرومي .

ومن أشهر شعراء الأمصار من العرب أبو تمام،والبحتُري،وابن المعتز،والمتنبي

وأبو فراس وأبو العلاء المعرّي ، وابن هانىء الأندلسي ، والشريف الرضي .

(١) بشارُ بنُ بُرد

هو أبو مُعاذ بشار المرَعّثُ بن برْد ، أشعرُ مخضرمي الدولتين ، ورأس الشعراء المحدثين وممهدطريق الاختراع والبديع للمتفننين،وأحد البلغاء المكفوفين وأصله من فُرس طخارستان من سبي المهلّب بن أبي صُفرة ، فنشأ بشارٌ فيهم ، واختلف إلى الأعراب الضاربين بالبصرة ، حتى خرج نابغةَ زمانه في الفصاحة والشعر ، وكان أكمهَ مجدورَ الوجه ، قبيح المنظر ، مفرطَ الطول ، ضخم الجثة ، مُتوقد الذكاء لا يَسلم من لسانه خليفةٌ ولا سُوقة ، ولا يَألف ولا يُؤْلف .

شعره : قد أجمع رُواة الشعر ونقدته على أن بشاراً هو رأس المحدثين وأسبقهم إلى معاطاةِ البديع ، وطرْق أبواب المجون والخلاعة والغزل والهجاء ، وأنه أولُ مَن جمع في شعره بين جزالة العرب ورقة المحدثين ، وفتقَ عن المعاني الدقيقة والأخيلة اللطيفة ، حتى عُدّ شعره بَرْزخاً بين الشعر القديم والحديث ، ومجازاً يَعبُر عليه الشعر من مرابع البداوة إلى مقاصير الحضارة ومات مقتولاً سنة ١٦٧ هـ ، ومن شعره في المشورة والحكم والنصائح قوله :

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن ... برأي نَصيحٍ أو نصيحةِ حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة ... فإنّ الخوافي قوةٌ للقوادم
وما خير كفٍّ أمسك الغلُّ أختها ... وما خيرُ سَيف لم يؤيد بقائم
وخلّ الهوَينَى للضعيف ولاتكن ... نَؤوماً فإن الحُرّ ليس بنائم

وقوله :

ظِلُّ اليسار على العباس ممدودُ ... وقلبُه أبداً بالبخل معقود
إن الكريم ليُخْفي عنكَ عُسرته ... حتى تراه غنيّاً وهو مجهودُ
وللبخيل على أمواله علَلٌ ... زُرقُ العيون عليها أوْجُهٌ سودُ
إذاتكرهْتَ أن تُعطي القليلولم ... تَقدِر على سَعةٍ لم يظهر الجود

بُث النوالَ ولا تمنعْكَ قلته فكلٌّ ما سدَّ فقراً فهو محمودُ

وقال :

إذا كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
فعش واحداً أو صِل أخاك فإنه مقارفُ ذنب مرّةً ومجانبه
إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأي الناس تصفو مشاربه

وقال :

خليليّ إن المالَ ليسَ بنافع إذا لم ينلْ منه أخٌ وصديقُ
وكنتُ إذا ضاقت عليّ محلّة تيمّمتُ أخرى ما عليّ مضيقُ
وما خابَ بينَ الله والناس عاملٌ له في التقى أو في المحامد سُوقُ
وما ضاق فضلُ الله عن متعفّفٍ ولكن أخلاقَ الرجال تضيقُ

(٢) أبو نواس

هو أبو علي الحسن بن هانىء ، الشاعر المتفنن ، والجادُّ الماجن ، صاحب الصيت الطائر ، والشعر السائر ، ورأس المحدثين بعد بشّار ؛ وهو فارسيُّ الأصل ، ولد بقرية من كورة خوزستان سنة ١٤٥ هـ ، ونشأ يتيماً ، فقدَمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده ، فتعلم العربية ورغبَ في الأدب ، فلم تَعبأ أمه بحاله وأسلمته إلى عطار بالبصرة فمكث عنده لا يفتر عن مُعاناة الشعر ، إلى أن صادفه عند العطار (والبةَ بن الحباب) الشاعر الماجنُ الكوفيُّ ، في إحدى قدَماته إلى البصرة ، فأعجب كل منهما بالآخر ، فأخرجه والبةُ معه إلى الكوفة فبقي معه ومع نُدَمائه من خلعائها ، وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعاً ، وقدِم بغداد فبلغ خبره (الرشيد فأذن له في مدحه فمدحه بقصائد طنّانة ، ثم انقطعَ إلى مدح محمد الأمين الخليفة العباسي ، وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ولم يلبث بعد خروجه من السجن أن مات ببغداد عام ١٩٨ هـ وكان أبو نواس جميلَ الصورة ، فكه المحضر ، كثير الدعابة ، حاضرَ البديهة ، متيناً في اللغة والشعر والأدب .

شعره : أجمع أكثر علماء الشعر ونقَدَته وفحولُ الشعراء على أن (أبا نواس) أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفنناً وأبدعهم خيالاً ، مع دقة لفظ ، وبديع معنى وأنه شاعر مَطبوعٌ برّز في كل فن من فنون الشعر ، وامتاز بقصائده الخمريات ، ومقطعاته المجونيات ، وأراجيزه الطرديات (أقواله في تبكيره إلى الصيد ومُطاردته) وكان شعره لِقاح الفساد ، والقدوه السيئة لنقله الغزل من أوصاف المؤنث إلى المذكر وإبداعه في وصف الخمر، فكان نموذج سوء لمن تأخر، ومن ذلك قوله :

دَعْ عنكَ لوميْ فإنَّ اللومَ إغراءُ ودَاوني بالتي كانت هي الدّاءُ
صفراءُ لا تنزلُ الأحزانُ ساحتها لو مسّها حَجَرٌ مَسته سَرّاء
رَقّتْ عن الماء حتى ما يلائمها لطافةٌ ، وجفا عن شكلها الماءُ
فلو مزَجْتَ بها نوراً لمازَجها حتى تــولد أنوارٌ وأضْواءُ

ومن قوله لما حضرته الوفاة :

يا ربّ إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمتُ بأن عفوَك أعظمُ
إن كان لا يرجوك إلا مُحسنٌ فبمَنْ يَلوذُ ويستجيرُ المجرمُ ؟
أدعوك ربّ كما أمرتَ تضرُّعاً فإذا رددْتَ يدي فمن ذا يرحمُ؟
ما لي إليك وسيلةٌ إلا الرّجا وجميـــل عفوك ثم إني مسلم

(٣) مسلم بن الوليد

هو صريع الغَواني أبو الوليد مُسلم بن الوليـد الأنصاري ، أحـد الشعراء المفلِقين ، قال الشعر في صباه ، ولم يتجاوز به الأمراء والرؤساء ، مكتفياً بما يناله من قليل العطاء ، ثم انقطع إلى يزيد بن مزيد الشيباني قائـد الرشيد ، ثم اتصلَ بالخليفة (هرون الرشيد) ومدحه ومدح البرامكة وحسن رأيهم فيه ، ولما أصبح الحلّ والعقد بيد ذي الرياستين (الفضل بن سهل) وزير المأمون في أول خلافته قرّبه وأدناه وولاه أعمالاً بجرجان، ثم الضياع بأصبهان ، واكتسب

منها مئات الألوف وأنفقها في لذاته وشهواته ، ولمـــا مات الفضلُ لزم منزله ونسكَ ، ولم يمدح أحداً حتى مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ .

شعره : أول من تكلف البديع في شعره ، واستكثر منه في قوله ، ومزَجَ كلام البدويين بكلام الحضَريين ، فضمنَهُ المعاني اللطيفة ، وكساه الألفـــاظ الظريفة ، فله جزالة البدويين ، ورقة الحضريين .

ومن جيد قوله يمدح داود بن يزيد المهلبي :

نفسي فِداؤك يا داودُ إذ علقَتْ أيدي الردى بنَواصي الضمَّرِ القودِ
تجودُ بالنفس إن ضنَّ الجواد بها والجودُ بالنفس أقصى غايةَ الجُودِ

وقوله :

دلت على عَيبها الدنيا وصدَّقها ما استرجعَ الدهرُ مما كان أعطاني
ما كنت أدخِرُ الشكوَى لحادثة حتى ابتلى الدهر أسراري فأشكاني

(٤) أبو العتاهية

هو أبو إسحاق إسماعيل بن القاسم بن سُويدٍ ، أطبعُ أهل زمانه شعراً ، وأكثرهم قولاً ، وأسهلهم لفظاً ، وأسرعهم بديهة وارتجالاً ؛ وأولُ من فتـــح للشعراء باب الوعظ والتزهيد في الدنيا ، والنهي عن الاغترار بها ، وأكثر من الحكمة .

ولِدَ بعين التمر قرب الأنبار سنة ١٣٠ هـ ، ونشأ بالكوفـة في عمل أهـله وكانوا باعة جِرار ، إلا أنه ربَّأ بنفسه عن عملهم ، وقال الشعر في صباه وامتزج بلحمه ودمه ، فذاع صيته وسلك طريق خُلعاء الكوفة ، ثم قدِمَ بغداد ومدح المهديّ ، ثم عرَضتْ له حالٌ امتنع فيها عن قول الشعر ، حتى حبسه الرشيد لعدم تلبيته ما اقترحه عليه من القول فيه ، ثم أطلقه بعد أن أجاب طِلبتَهُ ، وعاد إلى قول الشعر على عادته ، وترَكَ الغزَل والهجاء وبقي على ذلك مدّة الرشيد والأمين وأكثر أيام المأمون ، حتى مات سنة ٢١١ هـ ببغداد .

شعره : يمتاز بالسهولة المتناهية بالنسبة لأهل عصره، ومن قوله يمدح المهدي

أتته الخلافة مُنقادةً إليه تُجَرِّر أذيالها
فلم تك تصلُح إلا له ولم يك يصلحُ إلا لها
ولو رامها أحدٌ غيرُه لزُلزِلَتِ الأرضُ زلزالها
ولو لم تطعه بناتُ القلوب لما قَبِلَ الله أعمالها
وإن الخليفة مِن بغضِ لا إليه ليُبْغِضُ من قالها

وكتب على البديهة في ظهر كتاب :

ألا إننا كلنا بائدٌ وأيُّ بني آدمَ خالدُ
وَبَدؤهمُ كان من ربهم وكلٌّ إلى ربِّه عائدُ
فيا عجباً كيف يُعْصى الإلهُ أم كيف يجحدُه الجاحدُ
ولله في كل تحريكةٍ وفي كل تسكينة شاهدُ
وفي كلِّ شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحدُ

(٥) أبو تمام

هو أبو تمام حبيب بن أوْس الطائي ، أسبق ثلاثة الشعراء الذين سارت بذكرهم الرُّكبان ، وخلد شعرهم الزمان ، ثانيهم البُحتري ، وثالثهم المتنبي .

ولد من سلالة عربية سنة ١٩٠ هـ بقرية جاسم من أعمال دمشق، ونُقِلَ صغيراً إلى مصر ، فنشأ بها فقيراً ، وكان يسقي الماء بالجرَّة في جامع عمرو، وتعلم العربية وحفظ ما لا يحصى من شعر العرب ونبغ في قوله ، ثم خرج إلى مقر الخلافة فمدح المعتصم وحَظِيَ عنده، ومدح وزيره محمد بن الزَّيات، والحسن بن وهْب، الذي ولاَّه بريد الموصل فأقام بها إلى أن مات سنة ٢٣١ هـ .

شعره · يعدُّ أبو تمام رأس الطبقة الثالثة من المحدثين ، انتهت إليه معاني المتقدمين والمتأخرين ، وظهر والدنيا قد مُلئت بترجمة علوم الأوائل وحكمها

من اليونان والفرس والهند، فحصُف عقله ولَطُفَ خياله بالاطلاع عليها، وهو الذي مهد طريق الحكم والأمثال للمتنبي وأبي العلاء وغيرهما، ولذلك كان يقال: إنّ أبا تمام والمتنبي حكيمان، والشاعر هو البحتري

وأجاد أبو تمام في كل فن من فنون الشعر، أما مراثيه فلم يَعلَق بها أحد جاش صدرُه بشعر، وأشهرها القصيدة التي رثى بها محمد بن حُميد الطائي، ومنها:

كذا فليجِلّ الخطبُ وليَفدَح الأمرُ ... فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عذرُ
تُوُفيَتِ الآمالُ بعدَ محمدٍ ... وأصبح في شُغُل عن السفرِ السفْرُ
وما كان إلا مالَ مَنْ قلّ مالُه ... وذخراً لمن أمسى وليس له ذخرُ
وما كان يدري مُجتَدي جُودَ كفه ... إذا ما استهلت أنه خُلِق العُسرُ
ألا في سبيل الله مَنْ عُطّلت له ... فِجاج سبيل الله وانثغرَ الثغرُ
فتى كلما فاضت عيونُ قبيلة ... دماً ضحكت عنه الأحاديث والذكرُ
فتى دهرُه شطران فيما ينوبُه ... ففي بأسه شطرٌ وفي جوده شطرُ
فتى مات بين الطعن والضرب ميتة ... تقوم مقام النصرِ إن فاتهُ النصرُ
وما ماتَ حتى ماتَ مَضْربُ سيفِه ... من الضرب واعتلت عليه القَنا السُّمْرُ
وقد كان فوتُ الموت سهلاً فردّه ... إليه الحِفاظُ المرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ
ونفسٌ تَعافُ العارَ حتى كأنما ... هو الكفرُ يومَ الرَّوْعِ أو دونَه الكفرُ
فأثبت في مُستنقَع الموتِ رِجْلَهُ ... وقال لها من تحت أخمَصِك الحشرُ
غَدا غَدْوةً والحمدُ نسجُ ردائه ... فلم ينصرف إلا وأكفانهُ الأجرُ
تردّى ثيابَ الموت حمراً فما دجا ... لها الليلُ إلا وهي من سُندُسٍ خضرُ

(٦) البُحتري

هو أبو عُبادة الوليدُ بن عبيد الطائي ـ أشعرُ الشعراء بعد أبي نُواس

وُلد سنة ٢٠٦ هـ بناحية مَنْبِج في قبائل طيىء وغيرها من البدو الضّاربين في شواطىء الفرات – ونشأ بينهم فغلبت عليه فصاحةُ العرب ، ولازم وهو فتىّ أبا تمّام وعليه تخرج ثمّ خرَج إلى العراق وأقام في خدمة (المتوكل والفتحَ ابن خاقان) محترَماً عندهما إلى أن قتلا في مجلس كان هو حاضره ، فرجعَ إلى مَنْبِج بين أعراب طيىء ، وبَقي يختلف أحياناً إلى رؤساء بغداد ، وسُرّ من رأى ، حتى مات سنة ٢٨٤ هـ .

وكان على فَضله وفَصاحته من أبخل خلق الله وأقذرهم ثوباً ، وأكثرهم فخراً بشعره – حتى كان يقول إذا أعجبه شعرهُ (أحسنْتُ والله !) ويقول للمستمعين مالكم لا تقولون أحسنتَ . والكثير على أنه لم يأتِ بعد أبي نواس من هو أشعر منه .

شعره – كله بديع المعنى ، حسن الدّيباجة ، صقيل اللفظ سَلِس الأسلوب كأنهُ سيلٌ يَنحدِر إلى الأسماع مُجَوّداً في كل غرض سِوى الهجاء – ولذلك اعتبره كثير من أهل الأدب هو الشاعر الحقيقي واعتبروا امثال أبي تمّام والمتنبي والمعرّي حُكماء ، ولسهولة شعره ورقته كان أكثر الأصوات التي يتغنى بها في زمنه من شعره المطبوع في ديوان حافل . ومن قوله يمدح الخليفة المتوكل ويَصف موكب خروجه لصلاة عيد الفطر :

بالبر صُمتَ وأنت أفضلُ صائمٍ وبسنةِ الله الرضيةِ تُفطرُ
فانعم بيوم الفطر عيداً إنه يومٌ أغرُّ من الزمان مُشَهَّرُ
أظهرْت عِزَّ المُلك فيه بجَحْفل لجبٍ يُحاط الدينُ فيه ويُنصر
خِلنا الجبالَ تسيرُ فيه وقد غَدَت عُدداً يسير بها العديدُ الأكثر
فالخيلُ تَصْهَلُ والفوارس تَدّعي والبيضُ تلمع والأسِنّةُ تزْهَرُ
والأرضُ خاشعَةٌ تميدُ بثقلِها والجوُّ معتكر الجوانبِ أغبرُ

والشمس طالعةٌ توقّدُ في الضحى طوْراً ويُطفئها العجاجُ الأكدَرُ
حتى طلعتَ بضوءِ وجهك فانجلتْ تلك الدُّجى وانجاب ذاك العِثْيَرُ
فافتنَّ فيك الناظرون فإصْبعٌ يوماً إليك بها وعينٌ تنظُر
يجدون رُؤيتَك التي فازوا بها من أنعُم الله التي لا تُكفرُ
ذكروا بطلعتك النبيَّ فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبّروا
حتى انتهيْتَ إلى المصلى لابساً نورَ الهدى يبدو عليك ويظهرُ
ومشيْتَ مِشية خاشعٍ متواضعٍ لله لا يُزْهى ولا يتكبرُ
فلو ان مشتاقاً تكلّفَ فوق ما في وُسعه لسعَى إليك المنبرُ
أبديت من فصلِ الخطاب بحكمة تُنبي عن الحق المبين وتخبرُ
ووقفتَ في بُرْد النبيِّ مُذكراً بالله تُنْذِرُ تارةً وتبشّرُ

(٧) ابن الرومي

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي موْلى بني العباس ، الشاعر المكثر المطبوع ، صاحب النّظم العجيب ، والتوليد الغريب ، والمعاني المخترعة والأهاجي المقذِعة

وُلد ببغداد سنة ٢٢١ هـ ونشأ بها ، وأقام كل حياته بها وكان كثير التطيُّرِ جداً وكان القاسم بن عُبيد الله وزيرُ المعتز يخاف هجوه وفلتاتِ لسانه ، فسلط عليه من دس له السم في الدّسم إلى أن مات سنة ٢٨٣ هـ ببغداد .

شعره – قال الشعر في كل غرض ، ولا سيما الوصف والهجاء ، ونَبَغَ في الشعر نبوغاً لم يقصر به كثيراً عن درجة البُحتري ، وربما فاقه في اختراع المعاني النادرة أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد ، ووضعها في أحسن قالب . ومن جيّد قوله :

وإذا أمرؤٌ مدح آمرأ لنواله وأطال فيهِ فقد أطال هجاءهُ
لو لم يُقدِّر فيه بُعْدَ المستَقى عند الوُرود لما أطال رِشاءهُ

(٨) ابن المعتز

هو أبو العباس عبدالله بن محمد المعتز بالله الخليفة العباسي أشعر بني هاشم وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات .

وُلد سنة ٢٤٩ هـ في بيت الخلافة وتربى تربية الخلفاء وأخذ عن المبرد وثعلب ومهرَ في كل علم يعرفه أئمة عصره ، وفلاسفة دهره ، حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتّابها ، وعملوا على أن لا يقلدوه الخلافة ، خشيَةَ أن يكفّ أيديهم عن الاستبداد بالملك ، وولوا المقتدر صبيّاً ، ثم حدثَت فتنٌ عظيمة ، فتسرع محمد بن داود بن الجراح وجمع العلماء وخلعوا المقتدر ، وبايعوا ابن المعتز بالخلافة ، فلمّا رأى غِلمانُ المقتدر أن الأمر سيخرج من أيديهم تآمروا على قتله ، وخُنق من ليلته سنة ٢٩٦ هـ وشعره – سهل العبارة مع رشاقة وقلة تكلف وتصنع – يعرفُ فيه نضرةُ النعيم .

(٩) أبو الطيب المتنبي

هو أبو الطيبِ أحمدُ بن الحسين الجُعفي الكندي الكوفي المتنبي الشاعر الحكيم ، صاحب الأمثال السائرة ، وخاتم الثلاثة الشعراء ، وآخر من بلغ شعرهُ غايةَ الارتقاء ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ في محلةِ كِنْدة ، ونشأ بها ، وأولع بتعلم الشعر من صباه وخرج إلى بادية بني كلب فأقام بينهم مدّة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة فعظمَ شأنه بينهم ، حتى وشى بعضهم إلى لؤلؤ أمير حمص من قِبل الأخشيديَّة بأن أبا الطيب ادّعى النبوة في بني كلب ، وتبعه منهم خلق كثير ، ويخشى على ملك الشام منه ، فخرج لؤلؤ إلى بني كلب وحاربهم ، وقبض على المتنبي وسجنه طويلاً ثم استتابه وأطلقه .

فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبي مع كراهته له ، ثم تكسّب بالشعر مدّة انتهت بلحاقه بسيف الدولة ابن حمدان ، فمدحه بما خلد اسمه أبد الدهر .

ثم قصد كافوراً الأخشيدي أمير مصر ومدحه ، ووعده كافورٌ أن يقلده إمارة أو ولاية — ولكنه لما رأى تغاليه في شعره وفخره بنفسه عدل عن أن يوليه ، وعاتبه بعضهم في ذلك فقال : يا قومُ من ادّعى النبوة بعد محمد ﷺ أما يدعي المملكة بعد كافور ؟ فحسبُكم — فعاتبه أبو الطيب واستأذن في الخروج من مصر فأبى ، فتغفله ليلة عيد النحر سنة ٣٥٠ هـ — وخرج منها يريد الكوفة — ومنها قصد عضُدَ الدولة ابن بُويه بفارس ماراً ببغداد فمدحه ومدح وزيره ابن العميد فأجزل صلته وعاد إلى بغداد ، وخرج إلى الكوفة فخرج عليه أعراب بني ضبة وفيهم فاتك بن أسد وكان المتنبي قد هجاه هجاء مقذعاً ، فقاتلهم قتالاً شديداً حتى قتل المتنبي وابنه وغلامه سنة ٣٥٤ هـ .

شعره — لا خلاف عند أهل الأدب في أنه لم يبلغ بعد المتنبي في الشعر من بلغ شأوهُ أو داناه ، والمعري على بعد غَوْره ، وفرط ذكائه ، وتوقدخاطره ، وشدّة تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية يعترف بأبي الطيب ويقدّمه على نفسه وغيره ، ويؤخذ هذا من قوله :

إذا رأيتَ نُيوبَ الليثِ بارزةً ... فلا تَظُنَّنّ أن الليثَ يَبتَسمُ
أعيذُها نظراتٍ منك صادقةً ... أن تحسبَ الشحم فيمَن شحمهُ ورَم
أنا الذي نظر الأعمى إلى أدَبي ... وأسمعتْ كلماتي من بهِ صمَمُ
وما انتفاعُ أخي الدّنيا بناظرهِ ... إذا استوت عندَهُ الأنوارُ والظلم
يا من يعزُّ علينا أن نُفارقهمْ ... وِجدانُنا كلُّ شيء بعدكم عدمُ
إن كان سرَّكم ما قال حاسدُنا ... فما لجرحٍ إذا أرضاكم ألمُ

وبيننا لو رَعَيْتم ذاك معرفة ... إن المعارف في أهلِ النُّهى ذِمَمُ
كم تطلبون لنا عيباً فيعجزُكم ... ويَكرَه الله ما تأتونَ والكرَمُ
إذا ترَحَّلت عن قوم وقد قَدَروا ... ألا تُفارقهم فالرّاحلونَ هُمُ

وقوله :

ذو العَقْلِ يَشقى في النعيم بعَقْله ... وأخو الجهالةِ في الشقاوة ينعمُ
لا يخدعنك مِنْ عَدُوٍّ دمعُه ... وارحم شَبابَكَ من عَدُوٍّ تَرحَمُ
لا يسلم الشرف الرّفيع من الأذى ... حتى يُراق على جوانبه الدّمُ
والظلمُ مِنْ شيم النفوس فإن تجد ... ذا عِفّةٍ فلعلّةٍ لا يَظْلمُ
ومِنَ البليّةِ عذل من لا يرعَوي ... عن غيّه وخطابُ من لا يَفهَمُ
ومِنَ العَداوةِ ما ينالُكَ نَفعُهُ ... ومِنَ الصَّداقة ما يَضُرُّ ويؤْلِمُ

وقوله :

ما كنت أحسبُ قبل دَفنِكَ في الثرى ... أن الكواكبَ في التّرابِ تغورُ
ما كنت آمل قبل نعشِك أن أرى ... رضْوى على أيدي الرّجال يسيرُ
خرَجوا بهِ والكلُّ باكٍ حولَه ... صعقات موسى يَوْمَ دُكَّ الطورُ
حتى أتوا جدثاً كأنَّ ضريحه ... في كلِّ قَلْبِ مُوَحِّدٍ محفورُ
كفل الثناءُ له بردِّ حياتِه ... لما انطوى فكأنّهُ منشورُ

(١٠) ابن هانىء الأندلسي

هو القاسم محمدُ بن هانىء الأزْديُّ الأندلسي ، شاعرُ الغرب ومتنبّيه . وُلِدَ بأشبيلية سنة ٣٢٦ هـ ولما نبه شأنه اتصل بعامل إشبيلية زمن المستنصر الأموي ، ومدحه بغرر القصائد ، فأحله منزلة سنية ، وأغدق عليه العطايا ، فأكبّ على اللّهو والطرب والاستهتار ، واتّهم بالزّندقة والكُفر لاشتغاله بالفلسفة .

ولما شاع ذلك عنه نقم عليه أهل إشبيلية ، وأشركوا عاملها في التهمة ،

وكادوا يهمون به ، فأشار عليه بالهجرة من إشبيلية ، فاجتاز البحر إلى عدْوَة المغرب ، ومدح ولاته من قِبل المعز الفاطمي، ثم نُمي خبرُه إلى المعز فوجَّه في طلبه ، فوفد عليه بإفريقية ، ومدحه فاصطفاه واتخذ شاعرَ دولته .

ولما فتح جوهر مصر ، وبَنى القاهرة ، ورحل إليها المُعِزُّ ليتخذها دار مُلكه شَيَّعَه ابن هانيء ، ورجع لأخذ عياله والالتحاق به فتجهَّزَ وتبعه ، ولما وصل إلى بَرْقة مات بها سنة ٣٦٢ ، وعمره ٣٦ سنة .

شعره : لَمْ يَنْبُغ في شُعراء جزيرة الأندلس ولا بَرِّ المغرب جميعه من يفوق « ابن هانيء » في صناعة الشعر أو يُساويه ، فقد كان عندهم في الشهرة والإجادة وشرف الشعر بمنزلة المتنبي عند المشارقة ، ومن قوله في وصف الخيل :

وصَواهِلٍ لا الهَضْبُ يَوْمَ مُغارها هَضْبٌ ولا البِيدُ الحُزونُ حزونُ
عُرِفَتْ بساعة سَبْقِها لا أنها عَلِقَتْ بها يَوْمَ الرهان عُيونُ
وأَجَلُّ عِلمِ البَرْقِ فيها أنها مَرَّت بجانحتيه وهيَ ظنونُ

ومن قوله الموهم الكُفْر في مطلع قصيدة يمدحُ بها المعزَّ :

ما شِئْتَ لا ما شاءَتِ الأقْدارُ فاحْكُم فأنتَ الواحِد القَهَّار

(١١) أبو العلاء المعري

هو أبو العَلاء أحمدُ بن عبدالله بن سُليمان المعري التنوخي ، الشاعر الفيلسوف وُلد بمعَرَّة النعمان سنة ٣٦٣ ، وجُدِرَ في الثالثة من عمره فكُفَّ بصره وتعلمُ على أبيه وغيره من أئمة زمانه ، وكان يحفظ كل ما يسمعه من مرة واحدة ، وقال الشعر وعمره إحدى عشرة سنة ، ودخل بَغْداد ، وأقبلَ عليه السيد المرتضى المتوفى سنة ٤٣٦ هـ إقبالاً عظيماً ثم جفاه ، ولما رجع إلى المعرة أقام ولم يبرح منزله ، ونَسَكَ وسمى نفسه رَهين المحبِسَين : (مَحْبِس العمى ، ومَحْبِس المنزل) وبقي فيه مُكِبّاً على التدريس والتأليف ، ونَظْم الشعر مُقتنعاً بعشرات من الدنانير في العام يستغلها من عقار لهُ مُجْتَنِباً أكلَ الحيوان وما

يخرجُ منه مدة ٤٥ سنة مُكتفياً بالنبات والفاكهة والدّبس ، مُتعللاً بأنه فقير ، وأنه يرحم الحيوان . وعاش عَزَباً . وعمّر إلى أن مات سنة ٤٤٩ من الهجرة بالمعرّة وأوصى أن يُكتب على قبره :

هذا جَناهُ أبي عليَّ وما جَنَيْتُ على أحــــد

شعره : وله كثيرٌ من الشعر يُناقضُ بعضه بعضاً في حقيقة العالم والشرائع والمعبود ، وللناس في اعتقاده أقوالٌ كثيرة ، والظاهر أنه كان شاكاً متحيّراً ، وهو أحكم الشعراء بعد المتنبي ويُفضل عليــه في الغريب والأخيلةِ الدقيقة والطبيعيات والاجتماعيات والأخلاق ، والقوانين ونظام الحكومات ، والفلسفة والشرائع والأديان ، ولذلك يفضله الإفرنج عليه ، وهو في هذه الأمور معدوم النظير ، ومن مراثيه الجيدة قوله :

غيرُ مُجْدٍ في مِلّتي واعتقادي نَوْحُ باكٍ ولا ترنّم شــادِ
وشَبيهٌ صوتُ النَّعيِّ إذا قيــسَ بصوت البشـير في كل نادِ
أبَكَتْ تِلكُمُ الحمامة أم غَنَّتْ على فرْعِ غُصْنِها الميــادِ
صاحِ هذي قبورُنا تملأ الرّحْـــبَ فأين القبور من عهد عـــادِ
خفّف الوَطءَ ما أظنّ أديمَ الأرضِ إلا مِنْ هذه الأجْسادِ
وقبيحٌ بنَا وإنْ قَدُمَ العَهْـــدُ هَوانُ الآباءِ والأجْدادِ
سِرْ إن اسطعْتَ في الهواء رويداً لا اختيالاً على رُفاتِ العبادِ
ربّ لحدٍ قد صار لحداً مراراً ضاحكٍ من تزاحُم الأضـدادِ
ودفــين على بقـــايا دفـــين في طويلِ الأزمانِ والآبادِ
فاسأل الفرْقَدَيْن عمّن أحَسّا من قبيـــل وآنَسا من بلادِ
كم أقاما على زَوال نَهـــار وأنارا لمدلِــج في سَـــوادِ
تَعَبٌ كلها الحياةُ فما أعْـــجَبُ إلا من راغِــبٍ في ازديادِ
إنّ حُزْناً في ساعةِ الموت أضعا فُ سُرورٍ في ساعةِ الميلادِ
خُلِق الناسُ للبقاءِ فضَلّتْ أمةٌ يحْسَبونهـــم للنفـــادِ

إنما يُنْقلون من دار أعمـا ل إلى دار شِقْوةٍ أو رشادِ
ضجعةُ الموت رَقْدةٌ يستريحُ الـجسمُ فيها والعيشُ مِثلَ السُّهادِ

ومنها :

بانَ أمْرُ الإلهِ واختلف النـا س فداعٍ إلى ضلالٍ وهـادِ
والذي حـارت البريةُ فيـه حَيَوان مُسْتَحْدَثٌ مِنْ جمادِ
فاللبيبُ اللبيبُ مَنْ ليس يَغتَرُّ بكَـونٍ مَصيره للفَسادِ

وله :

ضحكنا وكان الضحك منّا سَفاهَةً وحق لسُكان البسيطة أن يبكوا
تُحَطّمُنا الأيام حتى كأننـا زجاجٌ ولكن لا يُعاد لنا سَبْكُ

(١٢) ابن خفاجة الأندلسي

هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبـد الله بن خفاجة (شاعر شرقي الأندلس) وأشهرُ وُصّاف الطبيعة . وُلد بجزيرة شُقْر من أعمال بلنسية شرقي الأندلس سنة ٤٥٠ هـ ، فتعلم ونظَم الشعر ، وكتب الرسائل الإخوانية البليغة ، ومـا زالت شمسُ أدبه في صعود حتى صار واحدَ زمانـه في الأندلس ، وغلبَ على شعْرِه وصفُ الحوادث الجوية ، ومناظر الطبيعة بأخيلة جميلة وتشبيهاتٍ بديعة . وله غَزَلٌ رقيقٌ ، ومدحٌ بارعٌ ، ورثاء بليغٌ .

شعره : يمتاز بالجزالة وكثرة المعاني وازدحامها في اللفظ ، حتى يحتـاج في فهمها إلى التأمل على خلاف مذهب الأندلسيين . وتوفي سنة ٥٣٣ هـ .

ومن قوله يصف زهرة :

ومائِسة تَزْهى وقد خلع الحيا عليها حلىً حُمراً وأديةً خُضُرا
يذوبُ لها رِيق الغمائم فِضّةً ويَجْمُدُ في أعطافها ذهباً نضرا

وقوله :

يا أهـلَ أندلُس لِلهِ دَرُّكم ماءٌ وظـلٌ وأنهـارٌ وأشْجارُ

ما جَنّةُ الخُلدِ إلا في دِيارِكم ولو تخيّرتُ، هذي كنتُ أختارُ
لا تختَشوا بعد ذا أن تدخلوا سقَراً فليس تُدخَلُ بعد الجنة النارُ

وقال في ذم علماء السوء من المسلمين والنصارى :

دَرَسُوا العلوم ليَمْلِكوا بجدالهم فيها صُدورَ مراتب ومجالِسِ
وتزَهّدوا حتى أصابوا فرصةً في أخذ مالِ مَساجِدٍ وكَنائِسِ

(١٣) الطغرائي [١]

هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتّاب أبو إسماعيل الحسين بن محمد الطغرائي ، صاحب (لاميّة العَجَم) وهو أصبهانيّ الأصل ، برعَ في الكتابة والشعر حتى كان أوحدَ زمانه ،ولم ينبُغ بعده في الشرق مَنْ يُضاهيه ،وترقّت به الحالُ في خدمة سلاطين آل سَلجوق إلى أن صار وزيراً للسلطان مسعود بن محمد السلجوقي صاحب الموصل ، ولما قهره أخوه السلطان محمودٌ كانَ أول مَنْ اعتقل الوزير أبو إسماعيل الطغرائي ، فدسَّ بعض حَسدته من رُؤساء الكتّاب إلى السلطان محمود أنه مُلحِد ، فقتله ظلماً سنة ٥١٣ .

ومن شعره لاميّة العَجَم المعتبرة من عُيون الشعر ، وقد كان قالها ببغداد سنة ٥٠٥ هـ .

(١٤) البهاء زُهير

هو الوزير الشاعر الكاتبُ أبو الفضل بهاء الدين زُهَير بن محمد بن علي المهلبي الأزْدي المصري ، صاحب السهل الممتنع ، والغزل الرّقيق والعِتاب الرّفيق .

وُلد بوادي نخلة قرب مكة سنة ٥٨١هـ . ونشأ بمصر ببلدة قوص ، ثم اتصل بخدمة الملك الصالح نجم الدين أيوب ، وخرج معه في خدمته إلى بلاد الشام والجزيرة ، فلما نُكب الملك الصالح بخيانة عسكره وانضوائهم إلى ابن عمه

---

(١) الطغرائي من يكتب الطغراء (وهي الطرة) وكانت تكتب في الدولة السلجوقية فوق البسملة بخط معلق فيها نعوت السلطان وألقابه .

الملك الناصر ، صاحب الكرك وقبضَ على الصالح واعتقله ، حفظ البهاء عهدَ صاحبه ، ولم يخدم غيره ، وأقام بنابلس حتى استردَّ الصالح مُلك الديار المصرية فقدمَ إليها في خدمته واتخذه وزيراً – حتى مات بوباء في شوال سنة ٦٥٦ هـ .

شعره - كانت سهولة طباع زهير تفوق سهولة شعره الذي هو أسهل نظماً ولفظاً.

الرّواية والرُّواة

جاءت الدولةُ العباسية وقد اتسع نطاق الرواية ، واختصّ كلُّ فريق من الناس برواية شيء فلما دُوِّنت الكتبُ في عصر الدولة العباسية أفرغ الرواة ما حفظوه فيها ، وأخذ أمر الرّواية يضمحل شيئاً فشيئاً في أكثر العلوم، ولا سيما الأدب ثم اقتصرَ في الرواية على تصحيح النطق والأداء – ولكل علم رُواةٌ مشهورون .

وأما رُواةُ الأدب والشعر خاصة فأشهرُهم «حماد» الراوية الكوفيُّ و(خلفٌ الأحمرُ البصري) وأبو عمرو الشيباني الكوفيُّ ، والسكريُّ البغدادي .

ومن رُواة الأدب بجميع فنونه لغة وشعراً وأخباراً – أبو عمر بن العلاء وأبو عبيدة معمر بن المثنى، والأصمعي، وأبو زيد الأنصاري، وأبو عبيد القاسم بن سلام ، ومحمد بن سلام الجُمحي ، وغيرهم ؛ وهاك ترجمة اشهرهم في الرواية.

الأصمعي

هو شيخ رُواة الأدب ، الإمام الثبتُ الحجة الثقة التقيُّ ، أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن عليّ بن أصمع الباهلي البصري .

ولد سنة ١٢٣ هـ – ونشأ بالبصرة ، فأخذ العربيةَ والحديث والقراءة عن أئمة البصرة ، وأخذ عن فصحاء الأعراب ، وأكثر الخروج إلى البادية ، وشافه الأعراب وساكنهم ، وتعلم من (خلف الأحمر) نقدَ الشعر ومعانيه ؛ وكان أحفظ أهل زمانه حتى قال مرةً: إني أحفظ اثني عشر ألف أرجوزة ، فقال له رجلٌ : منها البيتُ والبيتان، فقال: ومنها المائة والمائتان . وعمّر حتى أدركَ زمن « المأمون » وأراد وزيره أن يقدمه إليه فاعتذر بكبر السن ، ومات سنة ٢١٦ هـ ، وله مؤلفات كثيرة .

العصر الرابع عصر المماليك التركية : ٦٥٦ – ١٢٢٠ هـ
حالة اللغة العربية وآدابها في ذلك العصر

لما اكتَسَح التتّارُ ممالك الدولة العباسية افترقوا إلى ممالك متعدّدة بآسيا وشرقي أوربا ، ولم يلبثوا أكثر من نصف قرن حتى أسلموا ، وشَرَعوا يخدمون الإسلام بتقريب العلماء إليهم ، وترغيبهم في التأليف ، فأفاد ذلك في إدامة الحركة العلمية في الجملة ، وإن لم يفد اللغة العربية فائدة تذكر لمكان العُجْمة منهم ،أما علوم العربية وآدابُها فلم يكن لها مَباءةٌ ترجع إليه إلا البلاد العربية كالشام ومصر، غيرَ أن اللغة التركية العثمانية أصبحت هي اللغة الرسمية للأعمال الديوانية والسياسية في جميع الممالك العثمانية ، فزاحمت اللغة العربية ودخل في اللغة أثناء دولتي المماليك والعثمانينَ كثير من الالفاظ التركية والفارسية .

النثر – لغة التخاطب

كادت تحلُّ محلَّ اللغة العامية العربية (في أعالي الجزيرة وشرقي العراق) اللغه الفارسية والتركية والكرْدية ممزوجة بشيء من الالفاظ العربية .

أما في بقية الجزيرة والعراق ومصر والشام فقد بقيت العامية العربية لسان الجميع لغلبة العناصر العربية فيها ، ثم أخذت العناية بها في الانحطاط .

الخطـــابة

لم تتغير الخطابة عما كانت عليه أواخر الدولة العباسية من حيث قصورها على خطب الجُمَع والاعياد ، وتلاوة بعض المرسومات والمنشورات ، وبقيت لغة الخطابة العربية وحدها ، أو مع الترجمة إلى الاعجمية .

الكتابة ، الكتابة الخطية

دَرَجَ الخط في هذا العصر في الطريق التي مهدها ابن مُقلة، وابن البواب

وياقوت المَلَكي ، وياقوت المستعصمي ، واستعملت فيه أكثر أنواعه ، وما زال الخط يجري في مضماره ، حتى قَبَضَ على عِنانه مُكتّبو الترك العثمانيين ، فأبدعوا في تحسينه بما جعل جميع العالم يعترف لهم بالسبق ، ومن أشهرهم الشيخ حمد الله الاماسي إمام الخطاطين العثمانيين ، وجــلال الدين ، ودرويش علي ، والحافظ عثمان المتوفى سنة ١١١٠ هـ .

الكتابة الانشائية - كتابة الرسائل

اتبعت في كتابة الرسائل أثناء العصر طريقة القاضي الفاضل التي أساسها المعاني الخيالية ، والتزام السّجْع والمحسنات البديعية ، وعضد هذه الطريقة من كتاب هذا العصر - شهاب الدين محمودٌ الحلبي المتوفى سنة ٧٥٥هـ - ومحيي الدين ابن عبد الظاهر وابن فضل الله العمري وأولاده ، وبقيتْ هذه الطريقة مَرْعية في مصر والشام حتى نهاية دولة المماليك ، وصَدْر حكومة العثمانيين ، ولمـــا غلبت التركية العثمانية على كتابة الدواوين وأصبحت رسميـــة في الحواضر والأمصار أخذ شأن الكتابة العربية في الاضمحلال

الكُتّاب

(١) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

هو الكاتب الشاعر عبدالله بن عبدالله الطاهر الجُذامي المصري ، ولد سنة ٦٢٠ هـ ، ورَبّاه والده ، وبرع في كتابة الرسائـــل ، سالكاً طريقة القاضي الفاضل ، وخدم في ديوان الإنشاء مدة الملك الظاهر بيبرس وولديه ، وبعض أيام المنصور قلاوون ، ويعتبر محيي الدين وابنه محمد فتح الله من واضعي اصطلاح الإنشاء ونظام ديوانه الذي ظلّ مرْعياً في مصر والشام حتى نسخه النظام التركي العثماني ، وتوفي سنة ٦٩٢ ، وله من رسالة كتبها على لسان الملك المنصور قلاوون يرد على صاحب اليمن في تعزيته على موت ابنه ، ويظهر التجلد على فقده :

ولنا (والشكر لله) صبرٌ جميلٌ ، ولا نأسفُ معه على فـائت ، ولا نأسى على مفقود ، وإذ علم الله (سبحانه وتعالى) حسنَ الاستنابة إلى قضائه ، والاستكانة إلى عطائه ، عوّض كلّ يوم ما يقول المبشرُ به : هذا مولى مولود ، وليست الإبل بأغلظ أكباداً ممن له قلب ، لا يُبالي بالصدَمات كثرت أو قلت ، ولا بالتباريح حقرَت أو جلت ، ولا بالأزمات إن هي توالت أو تولّت ، ولا بالجفون إن ألقت ما فيها من الدموع والهجوع وتخلت ، ويخاف من الدهر من لا حلَبَ أشطرَه ، ويأسفُ على الفائت من لا بات بنبأ الخطوب الخطرة ؛ على أن الفادح بموت الملك الصالح (رضي الله عنه) وإن كان مُنكياً ، والنافحَ بشجْوٍ وإن كان مُبكياً ، والنائحَ بذلك الأسف وإن كان لنار الأسف مذكياً ، فإن وراء ذلك من تثبيت الله عز وجل ما يَنسفهُ نسفاً ، ومن إلهامه الصبرَ ما يجَدّدُ لتمزيق القلوب أحق ما به ترْفـأ ، وبكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ عندنا حسن اقتداء يضرب عن كل رثاء صفحاً .

(٢) شهاب الدين بن فضل الله العمري

هو الشاعر الكاتب المصنّف أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محيي الدين يحيى بن فضل الله العمَري ، سليل عمر بن الخطاب ، وصاحب كتاب « مسالك الأبصار » ولد بمدينة دمشق سنة ٧٠٠ ؛ وتفقهَ وتأدّب على أبيه وغيره وتوفي سنة ٧٤٩ هـ ومن إنشائه في وصف (قِطّ زَبّاد من رسالة طويلة : « (وقط الزباد) الذي لا تحكيه الأسود في صورها ، ولا تَسمح غزلان المسك بما يخزُنه من عرفه الطيب في سرَرها ؛ كم تنقل في بيوت طـابتْ موْطناً ، ومشى من دار أصحابه فقالوا : (ربّنا عجل لنا قطنا) ».

(٣) لسَان الدين بن الخطيب

هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن سعيد الغرناطي الأندلسي المعروف بلسان

الدين بن الخطيب وزير بني الأحمر ملوك غرناطة ، وكان وزيراً لأبي الحجاج يوسف وُلدَ سنه ٧١٣ هـ بمدينة غرناطة ، وتأدب وتفقه واجتمع له من الحكمة والأدب مَلِكة يبذ بها أدباء الأندلس كتابة وشعراً وتصنيفاً وسياسة ومات مقتولاً سنة ٧٧٦ هـ .

ومن قِصَار رسائله رسالة في الشوق ، كتبها إلى ابن خلدون ، وهي بعد الدِّيباجة . « أما الشوق فحدث عن البحر ولا حرجَ ، وأما الصبر فصلْ به أيةَ دَرَج ، بعد أن تجاوزَ اللوى والمنعرجَ ، لكن الشِّدةَ تعشق الفرج ، والمؤمن ينشق من رَوْح الله الأرج ، وأنَّى بالصبر على إبر الدَّبر ؟ ومُطاوَلة اليوم والشهر ، حتى حكم القهر ، وهل للعين أن تسْلو سلو المقصر ، عن إنسانها المبصر ؟ أو تذهل ذهول الزاهد عن سرها الرائي والمشاهد . وفي الجسد مُضغة يصلحُ إذا صلحت ، فكيف حاله إن رحلت عنه ونزَحت ؟ وإذا كان الفراق هو الحمامَ الأول ، فعلام المعول ؟ أعيتْ مراوضةُ الفراق على الراق ، وكادت لوعة الاشتياق أن تفضي إلى السياق :

تركتموني بعدَ تشييعكم أُوسِعُ أمرَ الصبر عصياناَ
أقرَعُ سِنِّي ندَماً تارة وَأستميح الدمع أحياناَ

التدوين

ألف علماء هذا العصر تآليف جمة أخلفت على العربية بعض ما أباده التتار والصليبيون من الكتب النفيسة . ويرجع أكثر الفضل في ذلك إلى علماء مصر والشام وجالية الأندلس . أما أعاجمُ المشرق وإن ألفوا في العلوم الإسلامية والفلسفية فإن تأثير بيئتهم الأعجمية جعل كتبهم صعبة التناول ، ضعيفة الأثر .

الأدب

قد كان لأدباء القاهرة من الكتاب السبقُ في وضع الكتب الجامعة التي

تبحث في عدة علوم أدبية أو ملحقة بها ، ومن هؤلاء : شهاب الدين النوَيري صاحب نهاية الأرب ، وابن فضل الله العُمَري صاحب مسالك الأبصار ، وشهاب الدين القَلقشَنْدي صاحب صبح الأعشى . وممن ألف في الأدب بمناح مختلفة : جمال الدين الوطواط صاحب الغرَر والعرَر ، وشهاب الدين الحلبي صاحب منازل الأحباب ، وحسن التوَسل إلى صناعة الترَسل ، وشهاب الدين الأبشيهي صاحب المستطرف ، والنوَاجي صاحب حَلبَة الكميت .

بقية العلوم الاسلامية

لما أباد التتار بقية العلماء والنحاة في الشرق ، كاد أفق المشرق والشام ومصر يصفر من النحاة وأهل اللغة ، لولا أن تدَاركها الله بدخول التتار في الإسلام ومعاضدتهم هم والدول التي خَلفتهم للعلم والعلماء ، وبجلاء بعض كبار النحاة واللغويين من الأندلس والغرب قبَيْلَ حادث تتار وبعده كابن مالك والشاطبي وأبي حيان وابن مَنظور الإفريقي ، فجددوا النحو واللغة بمصر والشام ، وتخرج عليهم تلاميذ أفاضل كانوا كواكبَ العصور المتأخرة فدَوّنوا العلم وحفظوه لمن أتى بعدهم ممن نشأوا في العصور المظلمة .

كتابة التدوين والتصنيف

أما كتابة التدوين فكانت في المتون ونحوها موجزة جداً ، وكانت في الشروح والمطولات مبسوطة . ومن أشهر المؤلفين في هذا العصر : ابن خلكان ، وابن خلدُون والسيوطي ، وابن مكرم ، والفيرُوزَابادي ، وعزالدين بن عبد السلام المتوفى سنة ٦٦٠هـ وابن حجر العسْقَلاني المتوفى سنة ٨٥٢ هـ . وابن هشام النحوي المتوفى سنة ٧٦١ هـ ولسان الدين بن الخطيب المتوفى سنة ٧٧٦هـ وسعد الدين التفتازاني المتوفى سنة ٧٩١هـ والسيد الجرجاني المتوفى ٨١٦هـ والشهاب الخفاجي .

(١) ابن خلكان

هو قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر خلكان الإربلي ، ولد سنة ٦٠٠ هـ بمدينة إربل : وأقام بها إلى سنة ٦٢١ هـ ، ثم رَحل إلى حلب ومكث بها سنتين ، ثم عاد إلى دمشق ، وأقام بها مدة ، ثم أقام بمصر ، وتولى القضاء بها وفيها ألف أكثر تاريخه (وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان) ثم تقلبت به الأحوال بين مصر والشام ـ إلى أن مات سنة ٦٨١ هـ . ثم تمم عليه محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ كتابه (فوات الوفيات) .

(٢) ابن خلدُون

هو عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون ، ولد بتونس سنة ٧٣٢ هـ ، وتلقى العلم والأدب من أبيه ومن أكابر العلماء ، وقرأ الكتب العقلية والفلسفية على بعض حكماء المغرب ، واحترف بصناعة الكتابة وهو شاب لم يطر شاربه ، ثم وصل بعد ذلك إلى ملوك بني الأحمر ؛ فحظي عندهم .

وألف تاريخه في خلال أربعة أعوام ، ومقدمته التي لم ينسج أحد على منوالها ثم عزم على الحج ، فدخل مصر سنة ٧٨٤ هـ ، زمن سلطانها برقوق ، ثم استقدم أهله وولده من المغرب ، فغرقت بهم السفينة ، فأقام بمصر حزيناً ، وجلس للتدريس بالجامع الأزهر ، وتولى قضاء المالكية سنة ٧٨٦ هـ إلى أن مات سنة ٨٠٨ هـ

(٣) جَلال الدين السيوطي

هو عبد الرحمن جلال الدين بن الإمام كمال الدين الخُضيري السيوطي ، ولد سنة ٨٤٩ ، ونشأ يتيماً وحفظ القرآن وعمره دون الثمان ، وأخذ العلم عن مشايخ وقته ، وابتدأ في التصنيف وسنه ١٧ سنة ، ثم لازم الأشياخَ وطلب العلم في بقاع الأرض ، ونبغ في كثير من العلوم ، وتولى التدريس والإفتاء ، ولم يكن أشهر منه في زمنه ، وقد ترك للناس أكثر من ثلثمائة مصنف وتوفي سنة ٩١١ هـ بالقاهرة .

الشعر

لما كان أكثر الملوك والأمراء في هذا العصر أعاجم بالفطرة كان ميلهم إلى الشعر العربي غير طبيعي ، ولذلك انقرضَ الشعرُ العربي من أواسط آسيا ، وبقيتْ صبابةٌ منه بالعراق والجزيرة ، وبقيَ على شيء من الرونق في الشام ومصر والأندلس والمغرب ، غير أنه قل التكسبُ به فيها ، فمال أكثرُ الشعراء إلى انتحال الكتابة في الدّواوين صناعة ، واستعملوا الشعر في تملق الملوك والرُّؤساء وفي إظهار التفصح والتسلية ، فهجر قوله في الأغراض الهامة ،وعُدِل به إلى أغراض أخرى .

الشعراء

ظهر في هذا العصر شعراء كثيرون ، من أشهرهم ، شرف الدين الأنصاري المتوفى سنة ٦٦٢ هـ ، وجمال الدين بن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨هـ،وشهاب الدين التلعفري المتوفى سنة ٦٧٥ هـ ، والشاب الظريف المتوفى سنة ٦٩٥ هـ ، والإمام البوصيري المتوفى سنة ٦٩٥ هـ ، وابن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ ، وأبو بكر بن حجة الله المتوفى سنة ٨٣٧ هـ ، وصفيّ الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ ، وفخر الدين بن مكانس المتوفى سنة ٨٦٤ هـ ، وابن معتوق الموسوي المتوفى سنة ١١١١ هـ .

١ – البوصيري

هو شرفُ الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري ، صاحب البردة والهمزية ، ولد بدلاص ، ونشأ ببوصير . ثم انتقل إلى القاهرة ، وتعلم علوم العربية والأدب ، فقال الشعر البليغ في جده وهزله ، ومن شعره الجيد قوله في بردته :

أمِنْ تذكرِ جيرانٍ بذي سلمِ مزَجْتَ دمعاً جرى في مقلة بدمِ

أم هبت الريحُ من تلقاء كاظمة وأومضَ البرقُ في الظلماء من إضم
فما لعينيكَ إنْ قلت اكففا همتا وما لقلبك إنْ قلت استفق يهم
أيحْسَبُ الصب أنَّ الحبَّ منكتمٌ ما بين منسجم منــه ومُضطرم

ومنها :

والنفس كالطفل إن تهمله شبَّ على حب الرَّضاع وإنْ تفطمه ينفطم
فاصرف هَواها وحاذرْ أن توليه إن الهوى ما تولى يُصْم أو يَصِم
ورَاعِها وهي في الأعمال سائمة وإن هي استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قاتــلة من حيث لم يَدْرِ أن السم في الدسم
واخش الدسائس من جوع ومن شبع فرب مخمصة شر من التخــم
واستفرغ الدمع من عين قد امتلأت من المحارم والزم حميــة الندم

ومن قصيدته الهمزية في مدح النبي عليه الصلاة والسلام التي أولها :

كيف ترقى رُقيّك الأنبيــاءُ ياسماء مـــا طاولتهـــا سماءُ
لم يُساوُوك في عُلاكَ وقد حا ل سناً منـــك دونهم وسناءُ

وتُوفي البوصيري سنة ٦٩٥ هـ بالاسكندرية ، وقبره بها مشهورٌ يزار .

٢ - صفي الدين الحِلّي

هو عبد العزيز بن علي الشهير بابن سرايا الطـّائي الحلـّي شاعر الجزيرة .

ولد سنة ٦٧٧ هـ ونشأ بمدينة الحلة من مدن الفرات ، فتأدب ونظم الشعر وتوفي سنة ٧٥٠ هـ ؛ ويعتبر صفي الدين من أئمة البديع المبتدعـين في أنواعـه المغالين في استعماله من شعرهم بـلا كثير تكلف ، وهو أول من نظم القصائد النبوية الجامعة لأنواع البديع المسماة بالبديعيات ، مثال بردة البوصيري ومن قوله في الأدب :

إسمع مخاطبة الجليس ولا تكن عجـــلا بنطقك قبلما تتفهم
لم تعط مع أذنيك نطقاً واحداً إلا لتسمع ضعف مـــا تتكلم

وله :

بقدر لغاتِ المرءِ يكثرُ نَفْعهُ فتلك له عِندَ الشدائد أعْوانُ
تَهافَتْ على حِفظ اللغات مجاهداً فكلّ لِسانٍ في الحقيقة إنْسانُ

٣ – ابن نُباتة المصري

هو جمالُ الدين محمد بن محمد المعروف بابن نُباتة ، أشعر شعراء المصريين زمن المماليك. ولد سنة ٦٨٦ هـ. ونشأ بالقاهرة ومات سنة ٧٦٧ هـ ، ومن شعره قوله :

يامشتكي الهمّ دعْهُ وانتظرْ فَرَجاً ودارِ وَقْتكَ من حينٍ إلى حينِ
ولا تُعانِدْ إذا أصبحتَ في كَدَرٍ فإنما أنت من ماءٍ ومن طينِ

٤ – ابن معتوق الموسويّ

هو شهاب الدين بن معتوق الموسوي ، شاعر العراق في عصره ، وسابقُ حلبته في رقة شعره . وُلد سنة ١٠٢٥ هـ ، ونشأ بالبصرة .

وابن معتوق من كبار شعراء الشيعة يَمدح عليّاً والشهيدين بما يخرج عن حدّ الشرع والعقل . ومات سنة ١١١١ هـ

ويمتاز شعره بالرّقة وكثرة المجازات ، حتى لتكادُ الحقيقةُ تُهمل فيه جُمْلةً .

العصر الخامس : عصر النهضة الأخيرة

محمد علي – سنة ١٢٢٠ هـ

قَدِم « محمد علي » إلى مصر ضابطاً في الحملة التي وَجَّهَتها تركيا لإخراج الفرنسيين من مصر ، وكان راجح العقل ، استطاع أن يجمع حولهُ أعيان المصريين وكبار عُلمائهم بلطف مُعاملتهم وحُسْن معاشرتهم ، فأحبُّوه وآثروه ، وأعانوه على الحكومة التركية حتى قلدته ولايةَ مصر وهي لذلك كارهةٌ .

وكان أول هَمٍّ لمحمد علي في ولاية الحكم أن يتخلص من المماليك ، فأوقع بجمهورتهم في القلعة سنة ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) .

بعد ذلك وَجَّهَ هِمّته إلى أن يُنشىء جيشاً له كلُّ ما للجيوش الحديثة ، فأنشأ

في قصر ابن العيني مدرسة حربية إعدادية سنة ١٨٢٥ م وجمع فيها التلاميذ من طوائف مختلفة إلا المصريين ، غير أن هذه التجربة أخفقت فاضطر إلى أن يجعل أكثر التلاميذ بعد من المصريين، وكانت لغة التعليم الأساسية هي التركية ، وكانت تدرس إلى جانبها العربية وغيرها ، وكان قد سبق فأرسل طائفة من المماليك إلى بعض البلاد الأوربية لدراسة الفنون الجندية .

ثم أنشأ مدرسة أركان الحرب في جهة أبي زعبل من ضواحي القاهرة ، ودعا لها بأساتذة من الفرنسيين .

مدرسة الطب

علمت أن همة محمد علي اتجهت بادىء الأمر إلى إنشاء جيش منظم مجهز بجميع الوسائل الحديثة، ولم يكن في مصر إلى ذلك الوقت أطباء اللهم إلا نفراً قليلاً من الإفرنج لتطبيب مرضى الجاليات الأجنبية ، وكانت إذا نشبت المعارك الحربية يدعى بالحلاقين ليأسوا الكلوم ويضمدوا الجروح، لهذا عمد محمد علي إلى إنشاء مدرسة طبية بجهة أبي زعبل في سنة ١٣٤٢ هـ (١٨٢٦ م) يقوم بإزائها مستشفى كبير ، ودعا لها بأساتذة من الإفرنج ، وكان التعليم في هذه المدرسة شاقاً مجهداً ، فإن أساتيذها لم يكونوا يعرفون العربية ، وطلابها لا علم لهم باللغات الأفرنجية ، فدعت هذه الضرورة إلى أن يقوم بين الأساتذة وتلاميذهم مترجمون .

إيقاظ محمد علي الشرق بحسن بلائه في السياسة والحرب

استمكن سلطان محمد علي بما أعد من جيش قوي في البر ، وأسطول عظيم في البحر ، وعلم عال يأخذ به أبناء البلاد ، ومعامل ومصانع أغنته عن كثير مما يرد من الغرب ، ومشروعات للري ضاعف بها استثمار الأرض ، وغير ذلك من وسائل الإصلاح، ولقد استعانت به تركيا في إخماد الفتن في أطراف بلادها، كما استعانت به في حروبها مع الدول الأخرى ، كما تمكن بجيشه من فتح السودان

كما اقتطع شطراً من أملاك تركيا بعد أن شجر الخُلف بينه وبينها ، وكاد يظفر بحاضرة مُلكها لولا أن تألّبت عليه الدول الأوربية وحُلْنَ بينهُ وبين غايته.

أما الأسطول الضخم الذي بناه محمد علي ، فقد أحرقته تلك الدول غيلةً في واقعة « نافارين » ولقد أتى بالعلماء والأساتذة وأهل الفنون من أوربا ، وبعث البعوث إلى بلادها ، وأقام المدارس في مصر على نهج مدارسها ، وتقدم بترجمة ما يُحتاج إليه في وسائل الحياة المختلفة ، وبهذا وغيره انتظمت العلاقات بين الشرق والغرب .

إسماعيل وإتمامه بناء جدّه

قُبض محمد علي باشا في سنة ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) بعد أن حكم مصر أكثر من أربعين سنة بعثها فيها من الموت بعثاً ، وأنهضها نهضة قوية تَلَفَّتَتْ لها وجوهُ التاريخ ، وما كاد الملك يصيرُ إلى حفيده عباس الأول حتى خَبَتْ تلك النهضة فأغلقت المدارس، وعُطلت المصانع وفترت تلك الحركة العظيمة التي تناولت جميع مرافق الحياة في البلاد ، وكذلك كان شأنُ خلفه سعيد بن محمد علي طول أيام حُكمه ، حتى إذا انتهت ولايةُ مصر في سنة ١٢٧٩هـ (١٨٦٣ م) إلى إسماعيل ابن إبراهيم بن محمد علي تأثرَ في سبيل الإصلاح بخطى جدّه العظيم وراحَ يُتِم ما بُنيَ لمجدِ مصر ، ونهضَ بوجوه الإصلاح التي تقوم عليها الثروة والقوّة والعلم والعظمة في كل البلاد .

مظاهر النهضة الحديثة في العلم والأدب

لم يكن للبُعوث العلمية التي أوفدها محمد علي في مُبْتدأ الأمر إلى أوروبا شأن جليل . وأولها كان في سنة (١٨١٣ م) على أنه ما برح يُوالي إرسال البُعوث حتى كانت سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) إذ أوفد إلى أوربا بعثة عظيمة يزيدُ عددُ

طلابها على الأربعين ، أحرزوا قبل سفرهم قدراً صالحاً من التعليم والتثقيف . وظل بعد هذا يوفد البعوث العلمية إلى مختلف البلاد الأوربية للتبحر في العلوم والفنون ، ولم يَقْنَع بهذا بل أقام في باريس نفسها «مدرسة» جمعت نحو الأربعين طالباً ، فيهم بعض الأمراء من أولاده وأحفاده .

الترجمة والتأليف

كان أوّل عهد مصر بالترجمة في هذا العصر ، مـا قام به أولئك المترجمون الذين جاء بهم محمد علي ليؤدّوا بالعربية إلى طلبة مدرسة الطب ما كان يُلقيه عليهم أساتذتهم من الدروس باللغة الأجنبية . فلما أخرج بعض هؤلاء الأساتذة بلغاتهم كتباً ورسائل في فنون الطب ، وأُريد ترجمتُها إلى العربية جاء محمد علي بطائفة ممن تفقهوا في العربية لمعاونة أولئك المترجمين على تحرير العبارة وضبط المصطلحات العلمية ، بقدر ما اتسع له علمهم بالعربية ، ومـا عثروا عليه من مصطلحاتهم ، وكان هذا عملاً شاقاً مضنياً .

وكانت جَمْهرة المترجمين أوّل الأمر من الأطباء ، لأن الطب أوّلُ العلوم الحديثة التي عُنيَ بدراستها في مصر بعد العلوم الحربية ، ثم توالت الترجمة في العلوم والفنون الأخرى على يد من تخرّجوا فيها من الطلاب .

أما التأليف في العلوم الحديثة فكان في مبتدأ الأمر ضئيلاً ، وكان أكثره من وضع الأجانب الذين جاء بهم محمد علي ليبتغي بهم وسائل الإصلاح المنشود .

على أن المصريين قد جعلوا يُقْبِلون على مُعالجته ، وخاصة من عهد إسماعيل حتى بلغ اليوم غاية محمودة ، ما زالت البلاد تتطلع منها إلى المزيد [1] .

---

(١) ومن أبرع من برعوا (في أثناء هذه النهضة) في التأليف والترجمة في فنون الطب والصيدلة مرتبين على حسب تاريخ وفياتهم : إبراهيم بك النبراوي ١٢٧٩ هـ (١٨٩٢م) وأحمد بك حسن الرشيدي ١٢٧٢ هـ (١٨٦٥م) ، ومحمد علي باشا البقلي ١٢٩٣ هـ (١٨٧٦ م) وأحمد بك ندى ١٢٩٤ هـ , ١٨٧٧ م) وسالم باشا سالم =

حالة اللغة العربية وآدابها في هذا العصر

كانت حالة البلاد العربية في أوائل القرن الثالث عشر غايةً ما وصلت إليه من الفساد والاضمحلال، فلما استولى محمد علي باشا على مصر رأى - كما علمت سابقاً - أن يربّي من يكون خيرَ واسطة لنقل المعارف الأوربية إليها، فبعث إلى أوربا بثلاثة بعوث علمية في أزمنة مختلفة، كوّنت بعد ذلك ثلاث طبقات من العلماء والأطباء والمهندسين والضباط، فنقلوا إلى اللغة العربية عشرات الكتب الجليلة

= ١٣١١ هـ (١٨٩٣م) ، ومحمد الدري باشا ١٣١٨ هـ (١٩٠٠م) ، وحسن محمود باشا ١٣٢١ هـ (١٩٠٣م) . وممن برعوا كذلك في العلوم الرياضية ترجمة وتأليفاً : محمد بك بيومي ١٢٦٨هـ ١٨٥١م) ، وبهجت باشا ١٢٨٤هـ (١٨٦٧م) ، ومحمود باشا الفلكي ١٣٠٣ هـ(١٨٨٥م) ، وشفيق بك منصور ١٣٠٨هـ (١٨٩٠) ، ومختار باشا المصري ١٣١٥هـ (١٨٩٧م) ، وإسماعيل باشا الفلكي ١٣١٩هـ (١٩٠١) .

ومن خير من ألفوا أو ترجموا في العلوم المختلفة في صدر هذه النهضة : الشيخ عبد الرحمن الجبرتي ١٢٤٠هـ (١٨٢٥م) ، والشيخ شهاب الدين المصري ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧م) ، ورفاعة بك رافع الطهطاوي ١٢٩٠ هـ (١٨٧٣م) ، ومحمد قدري باشا ٣ ١٣هـ (١٨٨٥م) ، وأحمد فارس الشدياق ١٣٠٥هـ (١٨٧٨م) ، والشيخ عبد الهادي نجا الأبياري ١٣٠٦هـ(١٨٨٨م) ، والشيخ حسين المرصفي ١٣٠٧هـ ٨٨٩ م ، والشيخ محمد بيرم ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) ، وعلي مبارك باشا ١٣١١ هـ ١٨٩٣) ، والشيخ محمد العباسي المهدي ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) ، وعثمان بك جلال ١٣١٦ هـ (١٨٩٨م) ، وأمين فكري باشا ١٣١٧ هـ (١٨٩٩م) ، والشيخ إبراهيم اليازجي ١٣٢٣هـ(١٩٠٦م) ، وقاسم بك أمين ١٣٢٦هـ(١٩٠٨م) ، وعمر بك لطفي (١٩١٤م) وعلي أبو الفتوح المتوفى سنة ١٩١٣م ، ومحمد بك النجاري ١٣٣٢هـ (١٩١٤م) ، وأحمد فتحي زغلول باشا ١٣٣٢ هـ (١٩١٤م) وجرجي زيدان (١٩١٤ م) واسماعيل سرهنك باشا (١٩٢٤ م) ، والشيخ محمد بك الخضري ١٩٢٦ م)

ولا شك في أن هذه النهضة الحديثة مدينة في مستهلها للشيخ المترجمين على الإطلاق رافع بك كما أنها مدينة لأكبر السابقين من المؤلفين المصلح العظيم علي مبارك باشا.

في العلوم المختلفة ، فأحدث ذلك في اللغة العربية انقلابا عظيما واكتسبت من سَعة الأغراض والمعاني والألفاظ العلمية والأساليب الأجنبية وطرق البرْهَنة والاستنباط وترتيبْ الفكر ثروة طائلة ، ورأى العلماء والأدباء أنه صارت لهم دولة منظمة متحضرة تتقبل منهم بقبول حَسَن كل ما يحسبونه من نتيجة كدهم ، وثمرة أفكارهم ، فالتفوا حولها ؛ وصار أيضاً للدولة كتَّاب وشعراء ومنشئون ، ومن الأسف أن هذه النهضة لم يستمر سيرها في مصر كما استمر في الشام بل ركدت ريحها في زمن عباس باشا الأول ، وزمن سعيد باشا ، ثم تَنَسَّمت في عصر أسماعيل وما لبثت أن صارت رُخاءً طيبة فأعاد سيرة جدّه في نشر العلم ، وظهرت ثمرة أعماله في حياته ، وكادت مصر توشك أن تكون قطعة من أوربا .

النثر – الحادثة – أو لُغة التخاطب

كانت العاميّة في أوائل هذه العصور غاية في الانحطاط ، ثم لما انتشر التعليم بين طبقات المصريين ، دخل في عباراتهم كثير من الفصيح ، وانتقل ذلك لمعاشريهم من الأميين ، وبعض النساء ؛ ومما ساعَدَ على ذلك جَعْلُ التقاضي باللغة الفصيحة وكثرة الصحف والمجلات والرّوَايات .

الخطابة

كان المصريون والسوريون في أوائل هذا العصر لا يستمعون الخطابة في غير الأغراض الدينية ، ثم اتسعت دائرة الأفكار في عصر إسماعيل باشا ، وصادف ذلك مجيء السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر ، والتفّ لفيفٌ حوله من أدباء المصريين والسوريين ، فأدخلهم في عداد جمعيته ، وألّفَ منهم أندية كانوا يتناوبون الخطابة فيها في الأمور الدينية والسياسية والاجتماعية ، وانتشرت الخطابة بين شبان مصر ، وفَشَت بعد عصر أسماعيل في زمن توفيق باشا وعباس حلمي باشا ، ومن أشهر خطبائهم السيد عبد الله النديم المتوفى عام ١٣١٤هـ (١٨٩٦م) والشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) ومصطفى باشا كامل المتوفى عام ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨م) وسعد باشا زغلول المتوفى عام ١٣٤٧ هـ (١٩٢٧م) والشيخ

عبد العزيز جاويش بك المتوفى عام ١٩٢٧ م وغيرهم ، حتى بلغت الخطابة في عصرنا هذا مبلغاً عظيماً

الكتابة الخطيّة

وقف الخط في سبيل تقدمه على الحد الذي رسمته له الطبقة الناشئة في القرن العاشر ، والحادي عشر ، والثاني عشر من خطّاطي الترك ، وكل من نشأ بعدهم فإنما هو متّبع طريقتهم . وأشهرهم : عبد الله زهدي ، وهو الذي خط بالقلم الجليل جدران المسجد النبوي ، وجدران سبيل والدة عباس باشا الأول بالصليبية بالقاهرة ، ومحمد مُؤنس أفندي ، وتخرّج عليه وعلى تلميذه محمد جعفر بك جميع خطّاطي قطرنا المصري .

الكتابة الانشائية

مضى العصر المتقدّم وليس لكتّاب الدواوين في أواخره شأن يُذكر ، لجعل التركية هي اللغة الرسمية ، وأقبل العصر الحاضر والحال لم تتغير في الممالك العثمانية إلا قليلا ، وشرعت تتغير في مصر ، ثم لما أُنشئت المدارس النظامية ، نشأت طبقة من كُتّاب الدواوين رَقّوا كتابتها ، وقد هُجِر السّجع الذي أكثر منه الأقدمون إلا أن (عبد الله باشا فكري) أشهرَ المصلحين للكتابة الديوانية الفصيحة ألَمّ به في كثير من مُكاتباته الرسمية ، وقد سبق كثير من رسائله في فن المكاتبات ، وأما كتابة التأليف والصحف فأخذت تَنحُو منحُى كتابة ابن خلدون في مقدّمته ، ولما وَلّت الحكومة الشيخ محمد عبده تحرير « الوقائع الرسمية » والإشراف على تحرير الجرائد ترقّتْ كتابتُها كثيراً ، ودَرجت في سبيل التقدم إلى الآن

كتابة التدوين

كان أكثر الكتب التي ألفت أو تُرْجمت في مصر علمية ، لشدة احتياجها لها ، أما سوريا فكانت حالة الأدب فيها في النصف الأول من العصر الحاضر خيراً منها في مصر ولكن مصر نهضت في النصف الثاني ، واسترجعت حياتها الأدبية ،

وأدخلت دراسة أدب اللغة في مدارسها، وألف فيه عدة كتب . وانحط شأن سوريا في العربية فلم يَنبغ في اللغة من السوريين في السنوات الأخيرة مَن يضارع سابقيهم. ومن أشهر علماء الأزهريين في هذا العصر : الشيخ عبد الرحمن الجَبرْتي المتوفى في ١٢٤٠هـ (٨٢٥ م) والشيخ حسن العطار المتوفى في ١٢٥٠هـ (١٨٣٤م) ومن غير الأزهريين من أهل النهضة الحديثة : رفاعة بك شيخ المترجمين والمؤلفين ، وعلي مبارك باشا المتوفى في ١٣١١ هـ (١٨٩٣م) وجمال الدين الأفغاني المتوفى في ١٣١٤ هـ (١٨٩٧م) وجورجي بك زيدان المتوفى في ١٣٣٢ هـ (١٩١٤م) وأحمد فارس الشدياق اللبناني المتوفى ١٣٠٥ هـ (١٨٨٧م) والدكتور يعقوب صَرُّوف صاحب مجلة المقتطف المتوفى في ١٣٤٦ هـ (١٩٢٧م) وَوَلي الدين بك يكن المتوفى في ١٣٣٩هـ والشيخ محمد عبد المطلب المتوفى في ١٣٥٠ هـ (١٩٣١م) والشيخ محمد بك الخضري المتوفى في (١٩٢٧م) والشيخ أحمد مفتاح المتوفى في ١٣٢٩هـ . وفتحي باشا زغلول المتوفى في (١٩١٤م) والشيخ نجيب الحداد المتوفى في (١٨٩٩م) وعبد الله باشا فكري، والشيخ حسين المرصفي المتوفى في ١٣٠٧هـ (١٨٨٩م) والشيخ ناصيف اليازجي المتوفى في ١٢٨٧ هـ ، وإبراهيم بك المويلحي المتوفى في ١٣٢٣ هـ ، ومحمد بك المويلحي المتوفى في (١٩٣٠ م) وقاسم بك أمين المتوفى في ١٣٢٦ هـ والسيد لطفي المنفلوطي المتوفى في (١٩٢٤م) والشيخ إبراهيم اليازجي المتوفى في ١٣٢٣ هـ (١٩٠٦م) وحفني بك ناصف المتوفى في ١٣٣٧ هـ والشيخ علي يوسف صاحب جريدة المؤيد المتوفى في ١٣٣١ هـ (١٩١٣م) وأديب إسحاق المتوفى في ١٣٠٣ هـ (١٨٩٢م) ومصطفى بك نجيب المتوفى في ١٣٣٠هـ وإسماعيل باشا صبري، وبطرس البستاني المتوفى في ١٣٠١ هـ (١٨٨٣م) وسليم باشا تَقْلا المتوفى في ١٣١٠ هـ (١٨٩٢) .

وهاك ترجمة بعض زعماء النهضة الحديثة :

(١) رفاعة بك الطهطاوي المتوفى سنة ١٢٩٠ هـ

هو الكاتب الشاعر السيد رفاعة بك الحسيني الطهطاوي ، شيخ المترجمين ، وإمام النهضة الحديثة ، ولد بطهطا من أسرة شريفة ، وتأدّب وتعلم في الجامع الأزهر ثم انتخب إماماً لبعض فرق الجيش؛ ولم يلبث أن اختاره المرحوم محمد علي باشا إماماً ومعلماً لأول بعث علمي أُرسلَ إلى فرنسا سنة ١٢٤١ هـ فسَرَّا فتنه علوم أوربا وعظمتها فأكبّ بنفسه على تعلم اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر سنة ١٢٤٧ هـ اختاره محمد علي باشا رئيساً للترجمة بمدرسة أبي زعبل . واشترك هو وأستاذه الشيخ حسن العطار في إنشاء جريدة « الوقائع المصرية » وتحريرها ثم نُقلَ إلى مدرسة المدفعية (الطبجية) ثم صار مديراً لمدرسة الألسن والترجمة ، ثم انتخب عضواً بلجنة المدارس ، وتولى إدارة مجلة (روضة المدارس المصرية) وعكف على الترجمة والتأليف حتى تُوفّيَ عام ١٢٩٠ هـ تاركاً لمصر كتباً ورجالاً هم أركان النهضة الحديثة ، وآخر ما ألفه كتاب « نهاية الإيجاز ، في سيرة ساكن الحجاز » .

(٢) عبدالله فكري باشا المتوفى عام ١٣٠٧ هـ ١٨٨٩ م

عبد الله فكري بن محمد بليغ الضابط ابن الشيخ عبد الله العالم الأزهري ، وهو من أركان النهضة الأدبية في الديار المصرية ولد عام ١٢٥٠ هـ ، وأكبّ على تعلم علومه بالأزهر ، مُشتغلا أيضاً باللغة التركية ، واستخدم من أجلها مترجماً للعربية والتركية في عدة مناصب ، آلت إلى نقله إلى حاشية سعيد ثم إسماعيل باشا ، فعُهد إليه بتأديب بنيه الكرام وغيرهم من أمراء بيت الملك . ثم تقلبَ في جملة مناصب آخرها نظارة المعارف عام ١٢٩٩ هـ وبقي بها حتى زمن الثورة العرابية ، فسقط مع الوزارة ، واتهمَ في الثورة فقبض عليه ، ثم اتّضَحت براءته فأطلق ورُدّ إليه معاشه؛ بعد أن استعطف الخديوي توفيق باشا بقصيدة طويلة وتوفي عام ١٣٠٧ هـ (١٨٨٩ م) .

وكان فكري باشا كاتباً بليغاً ، سلك في كتابته طريقة كتّاب القرن الرابع

كالبديع الهمذاني ، والخوارزمي من التزام السجع القصير ، القليل التكلف ولذلك يقول فيه المرحوم الشيخ حسين المرصفي مدرس دار العلوم «ولو تقدم به الزمان ، لكان فيه بديعان ، ولم ينفرد بهذا اللقب علامة همذان» .

(٣) علي مبارك باشا المتوفى عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٣ م

هو أبو المعارف المصرية ، العالم المؤرخ المؤلف المترجم ، المربي العظيم علي بن مبارك بن سليمان بن إبراهيم مؤسس دار العلوم ، ودار الكتب العربية .

وُلد عام ١٢٣٩ هـ ، وكان والده يُرسله إلى معلم قاس يتعلم عليه القرآن الكريم فحفظه ، وهرب من العلم لقسوته وضربه ، وأخذ يتعلم الكتابة على بعض الكتّاب حتى عثر في بعض خرجاته بتلاميذ ذاهبين إلى مدرسة أبي زعبل فصحبهم ودخل المدرسة ثم اختير في جملة من تلاميذها إلى مدرسة قصر العيني ، وعمره ١٢ عام ، ودرس الرياضة فبرع فيها ، فاختير طالباً بمدرسة الهندسة ، فأكمل في خمسة أعوام درس فن الهندسة ، وأرسل إلى أوربا عام ١٢٦٠هـ ليتمم علومه بها ، فمكث نحو أربعة أعوام درس فيها فن الهندسة والحرب ، ثم عاد إلى مصر ضابطاً بالجيش ، ثم قدم لعباس باشا الأول مشروعاً بنظام المدارس المصرية فأعجبه وعهد إليه رياسة ديوانها ، فقام به خير قيام ، وألف بعض الكتب الدراسية ، فكان أول من نظم المدارس المصرية ، وتزاحمت عليه المناصب فكان مديراً للسكك الحديدية وناظراً للمعارف وللأشغال وللأوقاف والقناطر الخيرية ، فقام بذلك جميعاً في آن واحد خير قيام ؛ ومن أعماله العظيمة إنشاء دار الكتب وإنشاء مدرسة دار العلوم ليُوفّق بين طلبة العلم القديم وطلبة العلم الحديث ، ومات عام ١٣١١ هـ - ١٨٩٢م .

(٤) الشيخ محمد عبده المتوفى عام ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥م

هو المصلح الكبير المجتهد الكاتب الخطيب الإمام الشيخ محمد عبده ، أحد أركان النهضة العربية ومؤسسي الحركة الفكرية ، وُلد عام ١٢٦٦ هـ بإحدى

قرى مديرية الغربية ، ونشأ بين أسرته بمحلة نصر من مديرية البحيرة وترك بلا تعليم حتى ناهزت سنه العاشرة ، ثم رغب في التعلم فحفظ القرآن الكريم وطلب العلم بالجامع الأحمدي ، ثم انتقل إلى الأزهر ونبغ في علومه - ولما قدم مصر السيد جمال الدين الأفغاني سنة ١٢٨٦ هـ ، وأعاد إلى مصر دراسة الفلسفة وعلوم الحكمة لزمه الشيخ محمد عبده ، وكان أنبغ تلاميذه ، وأحرصهم على ملازمته ، والاستفادة منه ، ونال درجة العالمية سنة ١٢٩٤ هـ ، واختير سنة ١٢٩٥ هـ مدرساً للأدب والتاريخ العربي بدار العلوم ، ومدرسة الألسن ، ثم اختير لإصلاح لغة (الوقائع المصرية) ثم صار رئيس تحريرها - وفي هذه المدة جعله رياض باشا مراقباً على كتابة الجرائد وتحريرها - وحدثت عقب ذلك الثورة العرابية ، ونفي من مصر إلى سورية ، وتولى التدريس بمدارسها ، ثم انتقل إلى أوربا فالتقى بالسيد جمال الدين بباريس ، فأنشآ معاً جريدة (العروة الوثقى) ثم عفا عنه الخديوي وعاد إلى مصر قاضياً بالمحاكم الأهلية ، ثم مفتياً للديار المصرية ، وتولى التدريس بالأزهر وإليه يرجع الفضل في إصلاحه ، وما زال كذلك حتى توفي سنة ١٣٢٣ هـ .

(٥) الشيخ حمزة فتح الله المتوفى سنة ١٣٣٦ هـ ١٩١٨ م

هو الشيخ الوقور ، اللغوي ، الحجة ، التقي ، الشيخ حمزة فتح الله .

ولد رحمه الله بثغر الإسكندرية سنة ١٢٦٦ هـ ، ١٨٤٩ م ونشأ بها وبعد أن حفظ القرآن الكريم انتظم في سلك طلبة العلم مع الشيخ إبراهيم باشا - ثم أكمل دراسته بالأزهر الشريف ، وأمعن في قراءة الأدب واللغة ، وقرض الشعر وحرر الرسائل ، وحفظ الغريب ، ثم عاد إلى الإسكندرية ، واختير في منتصف العقد الثالث من عمره محرراً في إحدى الصحف التونسية فمكث هناك حوالي ثماني سنوات اكتسب فيها الدربة على كتابة الصحف السياسية ، ثم عاد إلى مصر فوجد نار الثورة العرابية مستعرة ، فانضم إلى حزب الخديوي توفيق ، وكتب

وخطب في تأييده، وبعد أن انتهت الثورة العرابية استخدم في وزارة المعارف ومكث بها زهاء ثلاثين سنة ، متنقلا بين التفتيش والتدريس حتى مات سنة ١٩١٨ م

علمه وأعماله كان الشيخ كثير القراءة في كتب اللغة، والأدب، والحديث شديد الحفظ والذكر ، قلما تحدث أمامه حادثة أو تذكر إلا رَوى فيها شعراً، أو مثلا أو قصة وكان فكه المحاضرة ، صحيح العبارة يحوكها على سنن العربية الفصيحة وهو أعلم من شاهدناه باللغة والأدب والصرف

عهد إليه بالتدريس في دار العلوم فأحيا بتدريسه وتأليفه ما دثر من آثار السالفين كالجاحظ والمبرّد والقالي والمُرْتضى ، وأظهر ما كان ذلك في (مواهبه الفتحية) .

أسند إليه تفتيش اللغة العربية في مدارس الحكومة على اختلاف أنواعها فرأى المجال فسيحاً لتخليصها من أدران العامية ، وأوضار الدّخيل ، وفساد التراكيب وعجمة الأساليب، فأخذ يرشد المعلمين إلى ما يعثر عليه من ذلك في كتابة التلاميذ ويتحفهم بمرادفه تارة، ويرشدهم إلى المظانّ أخرى ، فيتنبه بذلك الغافل .

أخلاقه : كان الشيخ حليماً رحيماً ، تقيّاً ورعاً، لا تأخذه في الله لومة لائم .

كان يحب العرب والعربية ، ويرى أن الله خصهما بكل مزية .

مؤلفاته : ممـا عُرف من مؤلفاته ، كتاب المواهب الفتحية في علوم اللغة العربية وباكورة السلام في حقوق النساء في الإسلام ، ورسالة في التوحيد ، وكتيب في المفردات الأعجمية التي في القرآن الكريم ، وغير ذلك .

شعره و كتابته : كان بدوي الشعر من حيث ألفاظه ومعانيه، وتراكيبه وأساليبه وتشبيهاته واستعاراته على طريقة شعر العلماء فمنه قوله :

كم جامحٍ بالثرَيّا راضـه سفر فوق الثرى بين أكوار وأقتابِ

إن الشَّواء ثواءٌ والقصور قبو ... ر العاجزين ولا إبراءَ للخابي
ومن بَغى نَيل مجدٍ وهو في دَعةٍ ... فقد بغَى من صَفاةٍ دَر أحلاب
والمرءُ في مَوطن كالدُّر في صدَفٍ ... والتِّبرِ في معدنٍ والنبع في غاب
والسيفُ مثلُ العصا لمن كان مُغتمداً ... وزَامرُ الحيِّ لا يحظى باطراب
وأزهدُ الناس في علم وصاحبه ... أدنى الأحبة من أهلٍ وأصحاب

(٦) باحثة البادية السيدة ملك حفني ناصف المتوفاة سنة ٣٣٧ ه

هي المفكرة ، الكاتبة ، الشاعرة ، السيدة ملك حفني ناصف .

ميلادها ونشأتها : ولدت بالقاهرة سنة ١٨٨٦ م ؛ ولما ميزت أرسلها والدها إلى إحدى المدارس الأولية ، ثم إلى المدرسةِ السنية فحصلت منها على شهادة الدراسة الإبتدائية سنة ١٩٠٠ م (وهي أول سنة تقدمت فيها الفتيات لنيل هذه الشهادة) ثم أتمت دراستها في قسمها العالي ، واختيرت مُدرّسة في مدارس البنات بالقاهرة ، وفي سنة ١٩٠٧ تركت التعليم العلمي واشتغلت بالتعليم العملي في بيت زوجها .

أخلاقها وأعمالها : كانت مُدة دراستها خير نموذَج لقريناتها ، من أخلاق سامية وسَريرة صافية ، ونفس أبيّة ، ومثابرة على العمل .

وكانت بعد زواجها تباشر أكثر أعمال بيتها بنفسها ، لا لسبب ، سوى أن تكون قدوة لغيرها من السيدات اللاتي يَتركن بُيوتهنّ إلى من لا يحسِن القيام عليها والتدبير فيها ، فيوقعن أزواجهن في الفقر المدقع ، والبلاء الشديد ، وكانت إذا فرغت من شئون منزلها ، عكفت على قراءة الكتب النافعةِ ، وتعرّف أحوال السيدات ، وزيارة مدارس البنات ، وفحص مناهج التعليم .

كل أولئك لتكوّن لها رأياً صحيحاً ، وفكراً ناضجاً في تربية البنات وإصلاح حال الامهات ، وظلت تستسهل في ذلك الصعب ، وتستحلي المرّ .

وكان من رأيها في تربية المرأة أن تباشر من أعمال الرجال ما لا ينافي الشرع الشريف ، وألا تكون زينتها مشغلة لها ولا عبئاً ثقيلاً ينوء به بعلها ، ولها في ذلك خُطب في محافل نسويّة ، كان لها تأثير في عدول الكثيرات منهن عن جمودهن وأفكارهن القديمة ، وكان بيتُها مقصداً لزيارة كثير من السيدات الغربيات والشرقيات يَستنِرْنَ به في الوقوف على مَبلغ رُقي المرأة المسلمة ، وما ينتظرن من شئونها المستقبلة ، ولم يكن شيء من ذلك كله لينسيها ما يجب لزوجها ، والبرّ بذوي قرباها ومن يقع تحت نظرها من أجهدهم الفقر ، وأشد ما كان برّها لوالدها .

آثارها العلمية :

(١) كتابها الذي أسمتهُ (النسائيّات) وهو مجموع ما خطبته وكتبته في (الجريدة خاصاً بالمرأة . (٢) حقوق النساء ، وهو كتاب لم يطبع بعدُ : أنجزت منه ثلاث مقالات ، الاولى في الموازنة بين المرأة المسلمة الشرقية والمرأة المتدينة الغربية في الحقوق المالية ، والثانية في حقوق المرأة المسلمة من جهة إدارة الاعمال العامة ، والثالثة في المرأة المسلمة من جهة الانتخاب (٣) رسالة ضافية قدمتها للمؤتمر المنعقد في مايو عام ١٩١١ بمصر الجديدة ضمنتها آراءها السديدة في وسائل ترقية المرأة المصرية .

ثم عاجلتها الحمى الاسبانية عام ١٣٣٨ ﻫ فاحتضرت وهي في ريعان شبابها ويانع عمرها ، فتركت بفقدها في العالم النسوي المصري فراغاً لم يُشغل بعد .

كتابتها : إن الناظر في كتاباتها المختلفة يرى عبارة سهلة ، صحيحة الالفاظ عربية الاسلوب ، خالية من تصنع السجع ، وترى ذلك واضحاً في كتابها « النسائيات » .

شعرها : قالت الشعر وهي في الحادية عشرة من عمرها وكان بدء أمرها فيه أن تقوله معارضة لما تحفظه في المدرسة دونه حداً ، وتارة هزلاً ، وشعرها

حسن الديباجة ، جميل الأسلوب يعد في الدرجة الوسطى من شعر هذا العصر .

وهاك نموذجاً من نثرها وشعرها — رسالة كتبتها من رمل الإسكندرية لصديقة لها — وهي :

« عزيزتي السيدة بلسم »

أحييك ، ولولا برودة البحر لالتهبتُ إليكِ شوقاً ، ولولا تصبّري لطِرتُ إليك حباً ، وإني لم ينسني صفاء السماء صفاء ودك ، ولا رقة النسيم رقة حديثك إنما شجاني وذكرني ، ولم أكن ناسية .

حبيبتي : ليتك معي ترين الطبيعة بجمالها ، ترين البحر يزخر كالرعد والأمواج تتلاطم زرافات ، ووحداناً ، صفاء في البحر ، وصفاء في السماء ، كأنهما قلبانا ، وتسمعين تغريد الطيور ، وحفيف الأشجار ، إنها لعمرك مناظر تلهي المرء ، ولكن هيهات لمثلي أن تلهو ، وهي تعلم ما يُكِنُّه الدهر ، وما يخبئه الليل والنهار ، تقبلي مني أحرّ قبلاتي ، وأوفر أشواقي » . ومن شعرها تخاطب المرأة المصرية :

سيري كسير السُّحب لا تأنَّي ولا تتعجَّلي
لا تَكْلَفي أرضَ الشوا رع بالإزار المسبَل
أمّا السفور فحكمه في الشرع ليس بمُعضِل
ذهب الأئمة فيه بين مُحرِّم ومُحلِّل
ويجوز بالإجماع منهم عند قصد تأمّل
ليس النقاب هو الحجا ب فقصّري أو طوّلي
فإذا جهلت الفرق بينهما فدونك فاسألي
من بعد أقوال الأئمة لا مجال لقولي
لا أبتغي غير الفضيلة للنساء فأجملي

الشعر

كانت حالة الشعر في النصف الأول من هذا العصر لا تزيد شيئاً مذكوراً على

ما كانت عليه في العصر الماضي ، إذ كانت حكومة (محمد علي باشا) في أوّل أمرها تركية الصّبغة ، وكان هو أميّاً لا يحلُّ عنده الأدب محلَّ العلم الذي عليه مدارُ تأسيس المملكة ، ولكن الشعر أخذ بعد ذلك في الترقي .

وسارت مصر في طريقه ، وانتشرت بينها العربية حتى زمن (إسماعيل باشا) وكان هو متأدباً ، وعصره غاصاً بالأدباء ، فتقدم الشعر في عصره خطوات تمثّلت في شعر السيد علي أبي النصر ، والشيخ علي الليثي ، ثم طفر طفرة إلى عظيم الشعراء (البارودي) .

ولم يزل للعلم والعلماء مع ذلك المقام الأوّل في مصر ، حتى كان العصر الحاضر ، ونالت مصر بعض حاجاتها من العلم وكتبه ، فهبّ أهله يتفكهون بالأدب وكتابته والتأليف فيه ويستمعون الشعر ، ويحضرون المجامع العظيمة لإنشاده ، فأقبل الشعراء على نظمه في كل أغراضه القديمة والحديثة ، ونحوا به نحو الشعر الإفرنجي من وصف المناظر الطبيعية ، وأحوال الوِجْدان ، والعواطف النفسية ، وكثير من الشعراء بعد البارودي ، لم يحاكِ القدماء في نَدْب الديار ، ووصف الظعائن ، وحث المطايا مستغنياً عن ذلك بوصف القِطار ، والكهرباء ، والمسرّة ، والبرق ، ويقول الآن الشعر على هذه الطريقة مئات من الشعراء في مصر والشام والعراق ، إلا أن المصريين سبقوا السوريين بمراحل في هذا العصر .

وممّا يمتاز به شعرُ هذا الوقت ، خلوُّه من تكلف البديع والجناس ، والرجوع به إلى حالته القديمة الطبيعية حتى صار شعر فحوله يشبه شعر أهل القرن الرابع والخامس .

نماذج من النظم

قال المرحوم السيد علي أبو النصر المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ – ١٨٨٠ م :

كَلِفْتُ فيا نفسي الأبيّة خاطري بصادر آمالي ووارد خاطري

ولا تجزعي إن هال خطب فربما تدين الأماني لامرىء غير قادر
وكوني على حمل الأذى مستعدة فكم عادل أرخى العنان لجائر
ولا تشتكي الأيام إلا لمنصف فلا خير في الشكوى إلى غير ناصر
ومن لم يكن ذا همّةٍ هاشمية أخافته في الهيجا بروق البواتر

وقال محمود صفوت الساعاتي المتوفى سنة ١٢٩٨ هـ يمدح شريف مكة ويعاتبه :

ترنو النجوم بلحظها البرّاقِ والجوّ في الإرعاد والإبراق
فإذا تبسّمت البروق لغبطة بكت السماءُ بدمعها المهراق
عاملتموني بالجفاء رُويدكم الورد ذو أرَج بلا إحراق
مالي أراكم تنكرون مكانتي الشمس لا تخفى مع الإشراق
قلدتم غيري الجميل وقلتم حسبُ المغرّدِ زينةُ الأطواق
أسديتم الجدوى له وسددتم طرق الرّجاء عليّ بالإطراق
إن لم يكن مثلي يُسيء ومثلكم يُغضي فأين مكارم الأخلاق

وفي الحكم للمرحوم الشيخ علي الليثي المتوفى سنة ١٣١٣ هـ - ١٨٩٦ م :

كل حال لضدّه يتحوّلْ فالزم الصبر إذ عليه المعوّلْ
يا فؤادي استرح فما الأمر إلا ما به محكم القضاء تنزّلْ
قدرٌ غالب وسرٌ الخفايا فوق عقل الأريب مهما تكمّل
رب ساعٍ لحتفه وهو ممن ظنّ بالسعي للعلا يتوصّل

وقال المرحوم الشيخ شهاب الدين المتوفى في سنة ١٢٧٥ هـ يرثي إبراهيم باشا :

صَبراً على ما قد مضى إذ لا مخلّصَ من قضا
كيف التّصبُّر والمنا يا ذات عضب مُنْتضى
أرْدَت بإبراهيم منذ بلغ المقامَ المُرْتَضى
وإليه آلَ الأمر في حكم (الإيالة) وانقضى

فمضى وقلت مؤرّخاً (الله يرحم من مضى)
٦٦ ٢٥٨ ٩٠ ٨٥٠ = ١٢٦٤ هـ

حفني ناصف بك المتوفى ١٣٣٧ هـ — ١٩١٩ م

هو القاضي الفاضل الشاعر الكاتب ، محمد حفني ابن الشيخ إسماعيل ابن الشيخ خليل ابن ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية سنة ١٢٧٢ هـ يتيماً فقيراً ، فكفلته جدته أم أبيه .

ولما ترعرع تعلم القرآن على معلم كان يُفرط في ضربه ، ففرّ ماشياً على قدميه إلى الأزهر وجوّد فيه القرآن ، وحفِظَ فيه المتون ، ودرس فقه الشافعي ، وعلوم اللسان العربي واشتغل بالأدب والشّعر فبرع فيهما حتى أصبح من شعراء الأزهر المعدودين ، وكان أول الناجحين من الطلبة المقبولين في دار العلوم ، وبقي أولهم حتى خرج من المدرسة ثم اختير مدرّساً وضابطاً لمدرسة الخرس والعميان ، ثم نقل إلى النيابة كاتب سر المرحوم شفيق بك منصور يكن ، ثم نقل مدرساً بمدرسة الحقوق ، وفي أثناء ذلك كلفته نظارة المعارف مع آخرين تأليف سلسلة كتب سهلة ، لتعليم النحو والصرف والبلاغة فألف خمسة كتب لم يزل العمل في التعليم جارياً عليها ثم نقل إلى القضاء الأهلي ، فمكث يترقى في درجاته مدة عشرين سنة ، كان في خلالها مثال العدل والنزاهة ، ونقل من وكالة محكمة طنطا الأهلية مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف .

وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء ٢٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ، ودفن يوم الأربعاء بمقبرة الإمام ، وكان رحمه الله من أطيب خلق الله حديثاً ، وأرقهم فكاهة ، وأملحهم نادرة وأحضرهم جواباً ، مع دعابة فيه .

شعره : لم ينكر الأدباء عليه أنه أبو الطبقة التي نشأت بعد طبقة البارودي ، وعبد الله باشا فكري ، وكل من نبغ بعدُ ممن انتهت إليهم الرياسة في الشعر فعليه تعلم ، وله قلّد ، حتى أصبحوا شعراء هذا الزمان .

وأكثر شعره من نوع السهل الممتنع ، الكثير الملح المطربة والنكت الأدبية المعجبة ، حتى في المراثي ، لتمثيلها في صورة جديدة بديعة ، فمن ذلك قوله :

أتقضي معي إن حان حيني تجاربي ... وما نلتها إلا بطول عنائي
وأبذل جُهدي في اكتساب معارفٍ ... ويَفنى الذي حصّلتُه بفنائي
ويُحزنني ألا أرى ليَ حيلة ... لإعطائها مَنْ يستحق عطائي
إذا ورّث الجُهال أبناءهم غنىً ... وجاهاً فما أشقى بني الحكماءِ

ومن شعره أيضاً يخاطب أحد الرؤساء :

أحييتَ آمالي وكنت أمتّها ... من طول ما لقيتُ من إخواني
أدلي بإخلاصي لهم وأذود عن ... أعراضهم بجوارحي ولساني
محّضْتُهم ودّي فلمّا أيسروا ... كانت بداية أمرهم نسياني

مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م

هو مصطفى بن علي أفندي محمد المهندس ، المولود بالقاهرة في ١٤ أغسطس سنة ١٨٧٤ م ولما بلغ السادسة من عمره أدخله والده المكاتب الأولية ، ثم انتقل إلى مدرسة والدة عباس باشا الأول ، وفي أثناء وجوده في هذه المدرسة تُوفّيَ والده فانتقل إلى مدرسة القربية ، فأتمّ فيها الدراسة الابتدائية سنة ١٨٨٧ م ثم تحوّل إلى المدارس الثانوية ، ونال في نهايتها شهادة البكالوريا بتفوّق باهر ، وذكاء نادر ، مما لفت إليه نظر المرحوم علي باشا ناظر المعارف ، فاختصه بمرتب شهري يُصرف إليه مساعدة له ، وكان منظوراً إليه بعين الإجلال والاحترام من إخوته ومعلميه ورؤسائه لما امتاز به من حسن الإلقاء ، وفصاحة اللسان ، وصراحة القول واستقلال الفكر ومناقشته في المسائل العلمية والاجتماعية ، والكل يعجبون به ، ويتوقعون له مستقبلاً مجيداً ، ثم دخل مدرسة الحقوق الخديوية نهاراً ، ومدرسة الحقوق الفرنسية ليلا فكان يتلقى دروسها حتى نال الكفاية

منهما، ثم ذهب إلى (طولوز بفرنسا) وأدى فيها الامتحان ونال الشهادةالنهائية، وفي أثناء دراسته للحقوق تنبه خاطره إلى المسائل السياسية، وأصبح همه إنقاذ مصر من الاحتلال، وكان يتردد على الجرائد الوطنية، فيكتب فيها آيات الوطنية، وأنشأ المجلة المدرسية، وألّف كتاب المسألة الشرقية، ورواية فتح الأندلس، وكتاباً في حياة الأمم والرق عند الرومان، وكلها ترمي إلى تحبيب الاستقلال، وإحياء الشعور الوطني في أفكار المصريين، واجتمع مصطفى بالمرحوم « عبد الله النديم » الخطيب المفوّه والكاتب البليغ ومشعل نار الوطنية من قبل، فاقتبس مصطفى منه الأساليب والتعليمات العظيمة، وأضاف ذلك إلى معلوماته الماضية، ونهض نهضة الأسد إلى فريسته، وأذكى أوار الوطنية في عقول الشباب الناهض، وتطوّرت مصر الفتاة إلى يومنا هذا في مراقي التقدم والنجاح، وقد طار صيته في الآفاق، وأنشأ جرائد اللواء العربي والفرنسي والإنكليزي لهذا الغرض، وتوفي يوم الأربعاء ١٠ فبراير سنة ١٩٠٨ م وخطبه الطنانة كثيرة لا نطيل بذكرها

محمد بك فريد المتوفى سنة ١٩١٩ م

هو المخلص الأمين، محمد بن أحمد باشا فريد، والدته أميرة من فضليات سيدات الخلفاء العباسيين، وكان ميلاده في ٢٧ رمضان سنة ١٢٨٤ هـ، وعاش ٥٢ سنة، ولما كان عمره ٧ سنوات أدخله المرحوم والده مدرسة خليل أغا، ثم دخل المدارس الثانوية وفاز بشهادة البكالوريا، ثم دخل مدرسة الحقوق حتى نال الشهادة النهائية في شهر مايو سنة ١٨٨٧ م، وعقب ذلك عيّنته الحكومة المصرية بقلم قضايا الخديوي عباس باشا بالرتبة الثانوية، ثم تدرّج في وظائف القضاء إلى أن صار أحد رؤساء النيابة العمومية؛ وفي خلال ذلك كان يكاتب أمهات الصحف العربية والإفرنجية، حتى استقال من خدمة الحكومه في ٢١

نوفمبر عام ١٨٩٦ ، واشتغل بالمحاماة ، وانضم بكل قواه إلى الحزب الوطني لتحرير مصر والسودان، ولازم صاحبه المرحوم مصطفى باشا كامل ، وقد ألَّف كتاب البهجة التوفيقية في تاريخ العائلة الخديوية ، وتاريخ الدولة العثمانية ، وتاريخ الرومان ؛ وأنشأ مجلة « الموسوعات » وكتب آلاف المقالات في المؤيد واللواء والصحف الأوربية ، وألقى مئات من الخطب في بلاد الشرق والغرب ، وتعرَّف بكثير من ساسة العالم .

ولما شعر المرحوم مصطفى كامل باشا بدنوّ الأجل، جمع رجال الحزب الوطني وأوصاهم بانتخاب « فريد » بعده رئيساً ، فقام برياسته خير قيام ، وقد ضحَّى بنفسه وأولاده وأهله وماله ومناصبه حباً في الوطن ، حتى مات غريباً في يوم الاثنين ١٥ نوفمبر عام ١٩١٩ م ، ونُقِلَتْ جثته من بلاد ألمانيا لدفنها بالقاهرة ، فوصلت صباح يوم الثلاثاء ٨ يونيه عام ١٩٢٠ م ، وشُيِّعَت باحتفال مهيب ، ورَثَتْهُ صحافة العالم شرقاً وغرباً ..

فمن رثاء المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى عام ١٣٥٩ هـ ، قال من قصيدة طويلة :

من لِيَوم نحنُ فيهِ ، منْ لغَدْ ... مات ذو العَزْمة والرَّأي الأسَدّ
أيها النيلُ لقد جلَّ الأسى ... كنْ مِداداً لي إذا الدَّمعُ نفَدْ
فلَقَدْ ولى فريدٌ وانطَوى ... رُكْنُ مصر وفتاها والسنَدْ
خالِدَ الآثارِ لا تخشَ البلى ... ليس يَبلى من له ذكرٌ خَلَدْ
قل لِصبٌ النيلِ إن لاقيتَهُ ... في جوار الدائم الفرد الصمدْ
إن مصراً لا تني عنْ قصدِها ... رغم ما تلقى ، وإن طال الأمدْ
فاسترحْ واهْنأ في غِبْطَةٍ ... فلقدْ بذرت الحبَّ والشعب حصَدْ

(٧) سعد باشا زغلول

هو الزعيم الأكبر سعد ابن الشيخ إبراهيم زغلول المولود ببلدة إبْيانه بمديرية الغربية عام ١٢٧٧ هـ ، قرأ القرآن الكريم ودخل الأزهر الشريف، وحضر علوم اللغة والأدب والنحو والمنطق والتوحيد وعلوم التشريع ، وغيرها على فطاحل العلماء ثم تعين محرراً لجريدة « الوقائع المصرية » الرسمية بالداخليـة ، ثم انتقـل معاوناً بنظارة الداخلية في مدة وزارة « محمود سامي باشا البارودي » ثم تعين مديراً لقلم قضايا مديرية الجيزة ، وذلك مدّة اشتداد الثورة العرابية ، ثم استقال واشتغل بالمحاماة وقد انتخبته الجمعية عضواً في لجنة تنقيح قانون الجنايات بالاستئناف ، ثم اختاره اللورد « كرومر » أن يكون وزيراً للمعارف، ثم وكيلاً للجمعية التشريعية لى أن تطورت الحالة الوطنية في القطر المصري ، فانتخبته الأمة وكيلاً عنها في مطالبة انجلترا بالجلاء عن مصر والسودان .

ومن كلماته المأثورة في الوطنية :

١ ـ لا استعبادَ ، لا استعمارَ ، لا حمايةَ ، لا رَقابةَ ، لا تَداخلَ لاحد في شأن من شؤوننا ، هذا ما نريدُ ، وهذا ما لا بدّ أن نحصل عليه .

٢ ـ أُقسم بالوطنية وعزتها : لو كنت أعرف أني أقودُ أُمّةً بلهـاء تنقاد لكل زعيم بدون تصوُّر ولا إدراك ، كما يصفها أعداؤها ، ما رضيت أن أكون قائداً لها .

٣ - إن قوّتنا ليست مُستمَدّة من الخارج ، بل هي في نفوسنا ، فلتكن نفوسنا قوية نصل إلى غايتنا .

٤ ـ الإرادة متى تمكنت من النفوس وأصبحت ميراثاً يتوارثه الأبنـاء عن الآباء ذللت كل صعب ، ومحت كل عقبة ، وقهرت كل مانع مهما كان قوياً ، ووصلت عاجـلاً أو آجلا إلى الغاية المطلوبة .

٥ — لا يمكن أن نعتبر للكحوميين مذهباً، لأن المذهب يقتضي مبادىء وقواعد، أمَّا هم فقاعدتهم القوّة، ومـا يعتمد على القوة لا يصح أن يسمى مذهبـاً.

ومن كلماته المأثورة في الحرية وحدودها

١ — كل أمر يقف في طريق حريتنـا لا يصح أن نقبـله مطلقـاً، مهما كان مصدره عالياً، ومهما كان الآمر به.

٢ — كل تقييد للحرية لا بد أن يكون له مبرر من قواعد الحرية نفسها وإلا كان ظلماً.

٣ — الصحافة حُرَّة، تقول في حدود القانون ما تشاء، وتنتقد من تريد، فليس من الرأي أن نسألها لم تنتقدنا، بل الواجب أن نسأل أنفسنا لم نفعل ما تنتقدنا عليه.

٤ — نحن نحب الحرية، ولكننا نحب أكثر منهـا أن تستعمل في موضعها.

٥ — جميل جداً أن يقال: لا تحجروا على الناس، ولا تقيدُوا حريتهم، وإنها لنغمة لذيذة يحسن وقعها في الأسماع والقلوب، ولكنا لا نريد الحجر على الناس ولا تقييد حريتهم، نريد حماية الحق وصيانته من أن يتمتّع به غير صاحبه من حيث يُحرم منه صاحبه.

ومن آرائه في التشريع

١ — كل شريعة تؤسَّس على فساد الأخلاق فهي شريعة باطلة.

٢ — لا تصدّقوا أن هناك قاعدة يرجع إليها القاضي في تقدير العقوبة، أو أن هناك ميزاناً توزَنُ به الجزاءات، وإنما هي أمور اجتهادية يُلهم بها القاضي إلهاماً.

٣ — الحقُّ فوق القوّة، والأمّة فوق الحكومة.

٤ — إننـــا إذا احترمنا أمراً للحكومة، نحترمه لأنه نافع للأمة، لا لأنه صادر من تلك القوة المسيطرة.

٥ — يجب أن ننقاد للقانون، وألا نعتبر الانقياد إليه مهانة ومذلّة، بل عزّاً وشرفاً.

٦ — إن كانت الحكومة تريد أن نكون في صفها، مُدافعين عنها فما عليها إلا أن تتبع الحق والعدل، وتحترم القانون.

٧ — يُعجبني الصدق في القول والإخلاص في العمل، وأن تقوم المحبة بين الناس مقام القانون.

٨ — الذي يلزمنا أن نفاخر به هو أعمالنا في الحياة، لا الشهادة التي في أيدينا.

٩ — أعاهدكم عهداً لا أحيد عنه على أن أموت في السعي إلى استقلالكم فإن فزتُ فذاك، وإلا تركت لكم تتميم ما بدأت به.

هذا قليل من كثير لا نحيط به جمعاً، خصوصاً خطبه المطولة الممتعة التي تكاد أن تكون في درجة الإعجاز، ولا غرابة في ذلك فقد كان معروفاً بالشجاعة والصراحة يمتلك في يده أعنة الألفاظ ويتصرف فيها كيف يشاء حتى إنه ليعبر عن أقسى المعاني وأخشنها بأرقّ الألفاظ وأعذبها وأخفها وقعاً على النفوس والأسماع خصوصاً وأنه قدير على التأثير على نفس السامع، وامتلاكه أزمة الأهواء وتلاعبه بالعواطف والقلوب، واقتداره على إسناد كل جزئية من جزئيات المسائل الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية أو السياسية إلى قاعدتها العامة التي توضّح طريقها وتكشف الغامض منها.

ولقد كان مُتشرعاً يبحث النظامات ويدققها، وسياسياً يبارز خصمه مبارزة الرجل الذي يحسن تقليب الحسام بين يديه، فلا كلماته تخرق حجب الآداب، ولا تتجاوز حدّ اللياقة، لقد كان كلامه ينزل على السامعين نزول الندى على آكام الزهر فلا يرتفع صوت، ولا تبدو حركة مع طول خطابته نحو ساعتين وأكثر، حتى وافاه القدر المحتوم في أواخر أغسطس سنة ١٩٢٧ م، وعمره نحو ٦٧ سنة وقد خلفه في زعامة «الوفد المصري» حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

(٨) مصطفى النحاس

هو « مصطفى » ابن الشيخ محمد النحاس من أعيان بندر سمنود .

وُلد « مُصطفى النحاس » من أبوين كريمين عريقين في الحسب والنسب ، في يونيه سنة ١٨٧٩ م

وتَرَبى تربية منزلية قوية طبعَتْه على الأمانة والاستقامة والنزاهة وأنشأته على الخير والعدل والصلاح والتقوى ، فشبّ على مكارم الأخلاق من الصّغر :

رَضَع الأخلاق من ألبانِها   إنّ لِلأخلاق وَقعاً في الصّغر

وما بلغ السادسة من عمره إلا وهو يزاول مبادىء التعليم في أحد مكاتب البلدة وما تجاوز العاشرة من عمره إلا وكان حافظاً لجميع القرآن الكريم حفظاً جيداً ، ثم ارتحل به والده إلى القاهرة وأدخله مدرسة الناصرية الابتدائية بنظارة أمين سامي في ذاك الوقت ، فأمر بامتحانه للقبول فاجتازه بتفوق باهر وعكف على دروسه حتى كان في كل امتحاناته أول فرقته ، وبعد إتمام الدراسة الابتدائية التحق بالمدرسة الخديوية الثانوية بالقسم الداخلي ، وأظهر جداً واجتهاداً وتفوّقا ونُبوغا مُنقطع النظير ، حتى المرحلة الأخيرة التي كللت بنجاح عظيم ، لفت نظر رؤسائه إليه حتى وصل خبره إلى اللورد « كتشنر » الذي رغِب في رُؤيته ، ثم التحق بمدرسة الحقوق وتخرج منها في يونيه سنة ١٩٠٠ م ، واشتغل بالمحاماة إلى أوائل سنة ١٩٠٤ م ثم عُين قاضيـاً بالمحاكم الاهلية وظلّ يخدم العدالة نيفاً وخمسة عشر عاماً ، حتى نادى المغفور له « سعد زغلول » بوجوب المطالبة بحق مصر في الاستقلال فانضم إليه ، وانضوى تحت لوائه ، وأخذ يسعى في تحرير وطنه بكل إخلاص وتضحية عظيمة .

وقد تقلد رياسة الحكومة المصرية ست مرات .

الاولى سنة ١٩٢٨ ، والثانية سنة ١٩٣٠ ، والثالثة سنة ١٩٣٦ ، والرابعة سنة ١٩٣٧ بعد جهاده الذي نالت فيه مصر استقلالها التام ، وإلغاء الامتيازات الاجنبية .

هذه لمحة وجيزة من تاريخ حياة مصطفى النحاس (محامياً ، وقاضياً ، وخطيباً ، وخصماً سياسياً ، ووزيراً ، ورئيساً للوزارة) .

ومن خطبه :

« لا شك أنّ من يتولى الدفاع عن حقوق الافراد وحريتهم مدفوعا بواجب مهنته وشعور التقديس لطائفته إنما هو مسوق حتما للاشتراك في الدفاع عن حقوق المجموع وحريات المجموع ، لأن حقوق المجموع وحريات المجموع إنما هي مجموع حريات الافراد وحقوق الافراد »

ومن قوله :

(١) ليس مثلُ الصراحة سياسةٌ ناجعةٌ في وقت الخطر .

(٢) إن القلوبَ اذا اتصلت لا تقوى على فصلها قوةٌ مهما فتكت أو بطشت .

(٣) ما كان لقوة في الوجود أن تمحق آمالَ شعب ، ولا أن تبدد وحدةَ أمة .

(٤) إنما الموتُ في سبيل الاوطان حياةٌ

(٥) ليس مصير الامم لعبة في أيدي اللاعبين ولا هو تجربة في أيدي المجربين .

(٦) إن للحق قوةً معنويةً هي من روح الله يقذفها على الباطل فتدمغه فإذا هو زاهق .

(٧) مصرُ أمة جديرة حقاً بأن تكون مصدر السلطات .

(٨) إن الامرَ في قضية الامة أمر الامة وحدها لا كلمة لسواها ولا معوّل على غير رضاها .

(٩) الأمم الحية لا تغلَب وقد تعودت مصر أن تقهرَ قاهريها ، والدّهرُ قُلـَّبٌ إن صفا اليوم لشخص ففي غـَدٍ يَتقلبُ

(١٠) اضطهادُ الأحرار يزيدهم تمسكا بالحرية أضعافاً مضاعفة .

(١١) إذا كان اعتنـاق المبدأ القويم فضيلة فإن الثبـات على هذا المبدأ هو فضيلة الفضائل

(١٢) إن الأمـة هي الأول والآخر ، وهي الأصل الذي يجب أن ترجعَ إليه كل الأمور .

(٩) الغازي مصطفى كمال

أشهرُ حماة الشرق، وداهية أقطاب السياسة الغازي «مصطفى كمال» المولود في سلانيك سنة ١٢٩٨ هـ — ١٨٨٠ م ، ولما بلغ السنة السـادسة من عمره أدخله والده مدرسة ابتدائية ، وما لبث أن تركها على أثر وفاة والده ، ثم انتقل إلى قرية أخرى مع والدته بها خـاله الذي كفله ، وعهد إليه القيـام بحراسة الحقول والاشتغال بالزراعة مدة فأوجست والدته خيفة من ضياع إبان شبابه بدون جُدوى ، وصحت عزيمتها على إرساله إلى دار جدته في (سلانيك) ودخـل في (المدرسة الملكية الإعدادية) غير أنه لم يوفق للتعلم بهـا — وذلك لشغفه بحب (المدرسة الرشدية العسكرية) الابتدائية ، فدخلها وأخذ يتبحّر في الرياضيات ويُناقِش أستاذه المدعو مصطفى بك القائل له إنّ بين اسمي واسمك اشتباها ، فيجدرُ أن أضيف إلى اسمك لفظة « كمال » للتمييز بيننا ، وقد أتم الدراسة في هذه المدرسة العسكرية الابتدائية ، وفاق زملاءه في العلوم الرياضية بحيث لم يصادف أية صعوبة في امتحان المدرسة الإعدادية العسكرية الثانوية في (مَناستر) وتزوّد بقِسط وافر في اللغة الفرنساوية — وفي خلال ذلك كان يجتمع بالمرحوم الشاعر التركي المشهور (عمر ناجي بك) فارتشف من مَنهله العذب ، وتأدب بأدبه ودرس عليه آداب اللغـة التركية ، وضرب بسهم فيهـا حتى صار الشعر هو المـادة

التي تنجذب نفسه إليها وترتاح بها، رغم النصائح التي كان يلقيها عليه بعض معلميه العسكريين بقولهم: « إذا أردت أن تكون جُندياً حقيقياً فاترك الأدب وخيال الشعراء »، وبعد إتمامه الدراسة في تلك المدرسة سافر إلى الآستانة سنة ١٣١٣ هـ، والتحق بالمدرسة الحربية، وكان شغفه عظيماً بالعلوم والأدب، ومزاولة الخطابة وأساليبها فتولد من ذلك توقه إلى حُب الاشتغال بالسياسة، خصوصا وقد وقعت في يده كتب الوطني العظيم « نامق بك كمال » فطالعها مراراً، ووقف على ما فيها وأدرك مراميها فرسخت في عقيدته « الوطنية » وكان ذلك في عهد المرحوم « السلطان عبد الحميد » الداهية العظيم، ومع ذلك تخرج من هذه المدرسة برُتبة « مُلازم ثان »، ولما انتقل إلى مدرسة أركان حرب بَدأ يتعرف مع بعض إخوانه من الطلبة ما يكتنف إدارة البلاد وسياستها من السُّوء والفساد، فكان أول ما فكر فيه أن يُفْهم زملاءه البالغ عددهم ٥٠٠٠ طالب، موقف البلاد الإداري والسياسي.

وقد فكروا جميعاً في تأسيس جريدة تكون لسان حالهم، وقد أخذ على عاتقه تحرير الكثير من مقالاتها وأبحاثها. غير أن « إسماعيل » مفتش المدارس وقف على حركتهم ثم وشى بهم إلى السلطان، وقال له: إن ناظر المدرسة « رضا » هو المسئول عن حركة الطلبة فاستدعاه السلطان فأقنعه بعدم وجود حركة سياسية. واستمر مع رفاقه على إصدار جريدتهم حتى آخر سني مدرسة أركان حرب.

وبعد أن خرج من المدرسة برتبة « يوزباشي » في أركان الحرب العامة واستأجر لنفسه مكاناً خاصاً في « بك أوغلي » رَغبة في استئناف العمل وعقد الاجتماعات، وأصدر القرارات لصالح الوطن، ولكن لم تمض مدة وجيزة حتى اعتقل بضعة أشهر، ثم أطلق سَرَاحُهُ وأصَرّ على اشتغاله بالسياسة حتى نَفَتْه الحكومة إلى ولاية الشام للخدمة في الجيش – وقد أسس هناك « جمعية الحرية » وأسس لها فروعاً في بيروت ويافا والقدس، وفي كل مدينة حَلّ فيها ونزل بها، ولما

كان انتشار مبادىء الجمعية غير ممكن في تلك المدن عزم على السفر إلى « مقدونيا » حيث هناك الأرض صالحة لبذر تلك المبادىء ، والعمل على إنمائها وإنباتها نباتاً حسناً ، وأطلع جمعيته على رأيه ، وعلى ذلك سعى أفرادها وتمكن من إصدار إذن يستطيع به السفر في بادىء الأمر إلى « أزمير » وعلى إثر ذلك أرسل رسالة خاصة إلى (شكري باشا) المعروف بوطنيته الحارة ، وطلب منه مساعدته ، ولما شد الرحال إلى مقدونيا ، وركب البحر غير وجهته إلى مصر ، ومنها إلى بلاد اليونان، ثم إلى سلانيك رغبة في إخفاء أغراضه عن أعين الجواسيس وقد أسس في مدينة سلانيك فرعاً عاماً للجمعية ، وما كادت حكومة الآستانة تتلقى تقرير الجواسيس عن أعماله حتى فر إلى (يافا) وعلى أثر ذلك ظهرت مسألة العقبة ، فاستصدرت جمعية الحرية أمراً بتعيينه على الحدود المصرية .

وقد مكث في سوريا ثلاثة أعوام ، طلب من الحكومة نقله إلى مقدونيا ، فقوبل طلبه بالقبول ، وعلم بعد وصوله إلى سلانيك أن جمعية الحرية غيرت اسمها باسم جمعية « الاتحاد والترقي » وما وافى إعلان الدستور حتى برز إلى ميادين السياسة بفضل إعلانه جميع الأسرار .

ولما نشبت الثورة الرجعية في الآستانة سنة ١٩٠٩م أخمدها واستتب الأمن، ثم تعين بمهمة الإصلاح على ولاية طرابلس .

وكان كثيراً ما يكتب لإصلاح شأن الجيش، فكان ذلك من الأسباب الجوهرية التي بعثت بعض القواد القدماء على حقدهم عليه ، وكان جزاؤه تعيينه قائداً للآلاي الثلاثين، فجاء هذا التعيين على عكس غرضهم الأساسي ؛ إذ أفسح له مجالا واسعاً لإلقاء بعض المحاضرات الفنية وشرح أساليب الخطط الحربية للضباط والقواد . ثم بعد ذلك دعته حكومة الآستانة ، ضمن أركان الحرب العامة فيها، وقام بصحبة المرحوم (شوكت باشا) بالحركات الحربية لإخماد الثورة في بلاد ألبانيا .

وقد ذهب متنكراً إلى مصر على أثر إعلان الحرب الإيطالية سنة ١٩١١م ، وسافر منها إلى بنغازي ، ثم عاد إلى الآستانة بعد نشوب الحرب بين الترك والبلغار ، وتعين رئيساً لأركان الحرب ، بعدها عاد إلى الآستانة ، وتعين مُلحقاً عسكرياً في سفارة « صوفيا » عاصمة بلغاريا ، ومكث هناك مدة سنة كاملة.

ولما نشبت الحرب العامّة سنة ١٩١٤ م تعين قائداً للفرقة السادسة عشرة في (تكفور طاغ) ثم تعين قائداً لفيلق ديار بكر ، وبعدهما تولى قيادة الجيوش ، وعُين بعد ذلك قائداً للقوات الحجازيّة ، ثم عاد إلى ديار بكر ، ومنها عاد إلى الآستانة وأخذ القيادة على عاتقه ، وحصل بينه وبين كبار القواد الألمانيين مناقشات أدّت إلى استقالته ، وسافر من الآستانة مع « وليّ العهد » إلى ألمانيا ، وفيها تقابل مع القائدَين (هندنبورج ، ولوندرف) .

وقد صحت عزيمته على ترك الآستانة والتوغّل في داخلية البلاد ، وقد بذل جهده في العمل على إنقاذ الوطن خاصة والشرق عامة ، وبينما كان مشتغلا بتهيئة الأسباب لذلك ، إذ تلقى أمراً بتعيينه قائداً ومفتشاً لجيش (الصاعقة) مع ضرورة ذهابه إلى الأناضول ، فتَقَبّلَ ذلك بالسرور العظيم ، وقامَ إلى الأناضول ، وهو حاصل على رتبة القائد والمفتش معاً لذلك الجيش ، وكان ذلك من أهم العوامل الفعّالة للوصول إلى تحقيق إنقاذ الوطن ، ولما شعرت الحكومة بخطتها استدعته في الحال إلى الآستانة ، فرفض واستقال ، وسعى في جمع نوّاب الأمة في الأناضول وقد افتتح المجلس الوطني الكبير يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٢٠ م ، وأخذ في مباشرة الأعمال والقيام بواجب البلاد ، وكان شغله الشاغل كيف تُمثل إرادة الأمة أحسن تمثيل ؟؟).

وقد تمّ له ما أراد ، ففاز بالنصر والسّداد ، وفق الله أمثاله إلى ما فيه صلاح العباد ، وقد اجتمع بين يديه إمارة السّيف والقلم ، وخطبه أشهر من أن تُذكر .

ومن أقواله في حُبّ الوطن العزيز : إنّ وطننا العز يزلا يموتُ ولنْ يموت ،

وإذا فرَضْنا المُحال وسَلمنا بموته (لاقدَّر الله) فكاهِلُ الكرَة الأرْضية لن يستطيعَ حَمْلَ تابوته الجسيم . نعَمْ لا يسقُط مُهشماً ، مقطَّع الأوصال ، ما دام فرْد منا يتنسم نسيم الحياة.

ومن آرائه في تعليم المرأة : تعليم المرأة (أم الوطن) وتثقيفُ عقلها بالعلوم الدّينية والمعارف الأهلية من أهمّ ما ترمي إليه نهضتُنا العلمية الوطنية .

ومن وصفه للفَلاّح : سيد تركيا ، بل سَيد العالم الحقيقي (الفَلاّح) لأنه هو العنصر الأول في تكوين عناصر الأمة وكيانها ، والوطَنَ بدونه لا شيء ، بل الوطَنُ هُو ، فيتعين أن نعْتني به عِنـاية خـاصّة ، وأن نضع قبل كل شيء سعادته نَصب أعيُنِنا .

شعراء العصر الحاضر

(١) محمود سامي باشا البارودي

هو ربُّ السيف والقلم ، أميرُ الشعراء ، وشاعرُ الأمراء ، محمود سامي باشا ابن حسن حُسني بك البارودي أحد زعماء الثوْرة العربية ، وأشعر الشعراء المتأخرين بالديار المصرية – وُلد سنة ١٢٥٥ هـ ، وتأدّب ، وأُدْخِلَ المدرسة الحربية وما زال يترقى حتى ولاّهُ المرحوم الخديوي توفيق باشانظارتي الحربية والأوقاف ، ثم وُلّي رياسة مجلس النّظار قُبيل الثورة العرابية ، فلما اضطرمت نيران الثورة أرغمه زعماؤها على اصطلاء نارها فخبّ فيها ووضعَ ، وحُكم عليه بعد انقضائها بالنفي إلى جزيرة (سيلان) حتى عَمِيَ ، وشفع فيه فأذِن له بالقُدُوم إلى مصر بعد مُضي ١٧ سنه من منفاه ، وبقي في منزله يشتغلُ بالأدب إلى أن مات سنة ١٣٢٢ هـ – ١٩٠٤ م ومن قوله :

والدّهرُ كالبحر لا ينفك ذا كدر ... وإنما صفوُه بَين الورى لُمَعُ
لو كان المرء فكر في عَوَاقبه ... ما شانأخلاقَه حِرْصٌ ولا طمعُ

وكيف يُدْرِكُ ما في الغيب من حدث ... مَنْ لم يزَل بغرور العيش يَنخَدِعُ
دَهْرٌ يَغُرُّ وآمالٌ تَسُرُّ وأعْـ ... ـمارٌ تمرّ وأيام لها خِدَعُ
يَسْعَى الفتى لأمور قد تَضُرُّ به ... وليس يعلم ما وما يأتي يَدَعُ
يا أيها السَّادرُ المزورُّ من صَلَفٍ ... مهلاً فإنكَ بالأيام مُنْخدعُ
دَعْ ما يُريب وخُذْ فيما خُلِقت لهُ ... لعلَّ قلبَكَ بالإيمان يَنتفعُ
إنّ الحياة لَثوبٌ سوف تَخلَعُهُ ... وكلُّ ثوبٍ إذا ما رثّ يَنْخلِعُ

ومن قوله في الحماسة والفَخْر (وهو آخر ما قاله) :

أنا مَصدرُ الكَلِم البوادي ... بينَ المحاضِر والنَّوادي
أنا فارسٌ أنا شاعرٌ ... في كلّ مَلْحَمةٍ ونادي
فإذا ركبتُ فإنني ... زَيْدُ الفَوارس في الجِلادِ
وإذا نَطَقْتُ فإنني ... قسُّ بن ساعِدةَ الإيادي

وقال يَصِفُ هرَمي الجيزةِ وأبا الهوْل :

سَل الجيزةَ الفيْحاءَ عن هَرَميْ مِصْرِ ... لعلكَ تَدْري غيْبَ ما لم تكنْ تدري
بناءانِ رَدّا صَوْلةَ الدَّهْر عنهما ... ومَن عجبٍ أن يَغلبا صولةَ الدهر
أقاما على رَغْم الخطوبِ ليشهَدا ... لبانيهما بينَ البرية بالفَخْرِ
فكَم أممٍ في الدَّهر بادتْ وأعْصرٍ ... خلتْ وهما أعجوبةُ العين والفكرِ
تلوحُ لآثارِ العقولِ عليهما ... أساطيرُ لا تنفكّ تُتلى إلى الحشْرِ
رُموزٌ لو اسْتَطلَعْتَ مَكنونَ سِرّها ... لأبصرتَ مجموعَ الخلائق في سَطرِ
فما مِن بناءٍ كان أو هو كائن ... يُدانيهما عِنْدَ التأمُّلِ والخُبْرِ
يُقصِّرُ حُسْناً عنهما صَرْحُ بابل ... ويعترفُ الإيوانُ (١) بالعجز والبهْرِ
كأنهما ثَدْيانِ فاضا بدرّةٍ ... منَ النيل تروي غلة الأرض إذ تجري

---

(١) هو إيوان كسرى، كان بهواً عظيماً في قصره بالمدائن وسقفه أزج معقود وبه سمي قصره الأبيض .

وبينَهُما بلهيبٍ[١] في زِيّ رابيض أكب على الكفّين منه إلى الصدرِ
يُقَلِّبُ نحوَ الشّرقِ نظرةَ وامقٍ كأنّ له شَوْقاً إلى مَطْلَعِ الفَجْرِ
مَصانِعُ فيها لِلعُلوم غَوامض تَدُل على أنّ ابن آدمَ ذو قَدْرِ
رسا أصلُها، وامتَدّ في الجوّ فَرْعُها فأصْبَح وكراً للسَّمَا كَين[٢] والنَّسْرِ[٣]

(٢) أحمد شوقي بك المتوفى سنة – ١٣٥١ – ١٩٣٢م

أشهر شعراء العربية في العصر الحاضر، وأقدرهم على التّصورات البديعية شاعر النيل المرحوم أحمد شوقي بك ابن أحمد شوقي بك، المولود بمصر سنة ١٢٨٥ هـ – ١٨٦٨ م.

شعره - ينظم بين أصحابه، فيكون معهم وليس معهم، وينظم حين يشاء، وحيث يشاء، لا يُجهد فكره، ولا يكدّه في معنى أو في مبنى. فأما المعنى فيجيئه على مرامه أو على أبعد من مرامه، ولا ينصب عنده، لأنه يَسْتخلصه من عقلٍ فَوّار الذّكاء ومعَارف جامعة إلى أفانين الآداب، في لغات الإفرنج والأعراب، فلسفة الحقوق وحقائق التاريخ، وغرائب السير التي يحفظ منها غير يسير، إلى مُشاركات علميّة، وتنبيهات فنية، استفادها من مطالعته في صنوف الكتب واتخذها عن ملاحظاته ومسموعاته في جولاته بين بلاد الشرق والغرب. وأما المبنى فله فيه أذواق متعددة بتعدُّد مقامات القول، ترى فيه من نسج (البُحتري) ومن صياغة (أبي تمام) ومن وثبات المتنبي) ومن مفاجآت (الشريف) ومن مُسلسَلات (مِهيار). ومن قوله (يصف هَيْكل أنس الوجود):

أيها المُنْتَحِي (بأسوانَ) داراً كالثُرَيّا تُريدُ أنْ تَنْقَضّا

---

(١) اسم لأبي الهول عرف به صدر الإسلام. ولعل أبا الهول محرف عنه.
(٢) السما كان نجمان نيران في السماء أحدهما السماك الرامح والثاني السماك الاعزل.
(٣) النسر كوكبان: الواقع والطائر. وفي النسر تورية.

إخلع النَّعْلَ واخْفِض الطرف واخشع لا تُحاوِلْ من آيةِ الدهر غَمْضَا
قف بتلك (القصور) في اليَمِّ غَرْقَى مُمْسِكاً بعضُها من الدهر بعضا
كعذارى أخْفَيْنَ في الماءِ بَضّاً ١ سابحاتٍ به وأبدينَ بَعضا
مُشرفاتٍ على الزَّوالِ وكانت مُشرقاتٍ على الكواكب نَهْضا
شابَ من حولها الزمان وشابَتْ وشبابُ الفنونِ ما زال غَضّا
رُبَّ (نَقْشٍ) كأنما نَفَضَ الصَّا نعُ منه اليدين بالأمسِ نَفْضا
و (دهان) كلامعِ الزَّيْتِ مَرَّتْ أعْصُرٌ بالسِّراج والزَّيْت وضّا ٢
و (خُطوطٍ) كأنها هُدْبُ رِيمٍ ٣ حَسُنَتْ صنعة وطولاً وعَرْضا
و (ضَحايا) تكاد تمشي وترعى لو أصابت من قدرةِ الله نَبْضا
و (مَحاريبَ) كالبُروج بَنَتْها عَزَماتٌ من عَزْمةِ الجنِّ أمْضَى ٤
شَيَّدَتْ بعضها الفراعينُ زُلْفَى ٥ وبَنى البعضَ أجنَبٌ يَترضَى ٦
و (مَقاصيرَ) أُبْدِلَتْ بفُتات المسكِ تُرباً وباليواقيت قَضّا ٧
حَظُّها اليومَ هَدَّهٌ وقديماً صرّفَتْ في الحظوظِ رَفْعاً وخَفْضا
سَقَت العالَمين بالسَّعد والنَّحْس إلى أن تَعاطت النَّحْس مَحْضا ٨
صَنعةٌ تُدهِش العُقول وفَنٌّ كان إتقانُهُ على القومِ فَرْضا
يا قُصوراً نَظرتُها وهي تَقْضي ٩ فَسَكبتُ الدموع والحق يُقضى
أنتِ سطرٌ ومجدُ مصر كتابٌ كيفَ سامَ البِلى كتابكِ فَضّا
وأنا المُحْتَفي بتاريخ مصر مَنْ يَصُنْ مجدَ قومه صانَ عِرْضا
رُبَّ سِرٍّ بجانبيكِ مُزالٍ كان حق على (الفَراعين) غَمْضا

(١) بضا : البض، الرخص الجسد. (٢) وضا : وضاء . (٣) ريم : غزال .
(٤) أمضى : أحد . (٥ زلفى : تقرباً . ٦) يترضى : يطلب الرضا.
(٧) قضا : حصا . (٨) محضا : خالصاً . (٩) تقضي : تفنى .

قلْ لها في الدعاء لو كان يجدي ... يا سماء الجلال لا صرتِ أرضا

حار (فيك) المهندسون عقولاً ... وتولت عزائم العلم مرضى

أين ملكٌ حيالها وفريدٌ ... من نظام النعيم أصبح فضّا [1]

أين (فرعونُ) في المواكب تترى ... يركض المالكين كالخيل ركضا

ساق للفتح في الممالك عرضاً ... وجَلا للفخار في السِّلم عرضا

أين (إيزيسُ) تحتها النيل يجري ... حكمت فيه شاطئَيْن وعرضا

أسدلَ الطرف كاهنٌ ومليكٌ ... في ثراها وأرسَل الرأس خفضا

يُعرَض المالكون أسرى عليها ... في قيودِ الهوان عانين جرضَى [2]

مالها أصبحتْ بغير مُجيرٍ ... تَشتكي من نوائب الدهر عضّا

هي في الأسر بين صخر وبحر ... ملكةٌ في السجون فوق حضَوْضى [3]

أين (هوروس) بين سَيف ونطع ... أبهذا في شرعهم كان يُقضى؟

ليت شعري قضى شهيد غرام ... أم رماه الوشاة حقداً وبُغضا

رُبَّ ضربٍ من سَوط فرعون مَضٍّ [4] ... دون فعل الفراق بالنفس مضّا

وهلاك بسيفه وهو فانٍ ... دون سَيف من اللواحظ يُنضى [5]

قتلوه فهل لذاك حديث ... أين راوي الحديث نثراً وقرضا؟

يا إمام الشعوب بالأمس واليو ... م ستُعطى من الثناء فتَرْضى

(مصرُ) بالنازلين من ساح معنٍ [6] ... وحمى الجود حاتم الجود أفضى

كنْ ظهيراً [7] لأهلها ونصيراً ... وابذل النصح بعد ذلك محضا

قل لقوم على (الولايات) أيقا ... ظٍ إذا ذاقت البريّة غمضا

شيمة النيل أن يَفي وعجيبٌ ... أحرجوه فضيّع العهد نقضا

---

(١) فضا : مفضوض . (٢) جرضى : مغمومين .

(٣) حضوضى : جبل في البحر . (٤) مض : مرجع . (٥) ينضى : يسل

(٦) معن : هو معن بن زائدة أحد كرماء العرب . (٧) ظهيراً : نصيراً

حاشَهُ [١] الماء فهو صيد كريم   ليت بالنيل يوم يسقط غيْضا [٢]
شيّدوا المال ، والعلوم قليلٌ   أنقذوه بالمال والعلم نقضا [٣]

وقال أيضاً في استنهاض هِمَم العمال من قصيدة :

أيها العمالُ أفنوا العمـ   ـرَ كدّاً واكتسابا
واعمُروا الأرضَ فلولا   سعيُكم أمست يبابا [٤]
أتقنوا الصنعة حتى   أخذوا الخلد اغتصابا
إنّ للمتقين عند اللـ   ـه والناس ثوابا
أتقنوا يحببْكم اللـ   ـهُ ويرفعكم جنابا
أرضيتم أن تُرى مصـ   ـر من الفنّ خرابا
بعد ما كانت سماءً   للصّناعات وغابا
أيها الغادون كالنـ   ـحل ارتياداً وطِلابا
في بكور الطير للرز   ق مجيئاً وذهابا
اطلبوا الحقّ برفق   واجعلوا الواجب دابا
واستقيموا يفتح اللـ   ـهُ لكم باباً فبابا
اهجروا الخمر تطيعوا الله   ـهَ أو تُرْضوا الكتابا
إنها رجسٌ فطوبى   لامرىءٍ كفَّ وتابا
تُرْعش الايدي ومن يرْ   عش من الصنّاع خابا
إنما العاقلُ من   يجعَلُ للدهر حسابا

---

(١) حاشه : من حاش الصيد ، أخرجه في كل مكان .
(٢) غيضا : من غاض الماء غيضاً ، نقص أو غار فذهب في الأرض .
(٣) نقضا . النقض ما انتقض من البناء ، أي انتكث .
(٤) الأرض واليباب الخراب .

وقال أيضاً في وصف الصحافة من قصيدة :

لكــل زمان مضى آيةٌ وآية هذا الزمان الصحفْ
لسانُ البلاد ونَبْضُ العبـــا دِ وكهفُ الحقوق وحربُ الجَنفْ ١
تسيرُ مسير الضحى في البــلا دِ، إذا العِلمُ مزّق فيها السدَف ٢
وتمشي تُعَــلمُ في أمــةٍ كثير بها لا يَخُطّ الألِفْ !
فيا فِتية الصحف صـــبراً إذا نبا الرزقُ فيهـــا بكم واختلف
فإن السعادة غــيرُ الظهو ر، وغير الثراء، وغير الترف
ولكنهـــا في نواحي الضمــير إذا هو باللؤم لم يُكْتَنَفْ
خذوا القصدَ واقتنِعوا بالكفا ف وخلوا الفضولَ يغلها السرف ٣
وروموا النبُوغَ فمن ناله تلقّى من الحظ أسنى التُّحف
وما الرزق مجتنبٌ حرفة إذا الحظ لم يهجُــر المحترف
إذا آخت الجوهَريّ الحظو ظُ كفلنَ اليتيمَ له في الصدفْ ٤
وإن أعرضتْ عنه لم يحلُ في عُيونِ الخرائد ٥ غــيرُ الخزف

(٣) المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم المتوفى سنة ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢م

هو الشاعر الكبير المرحوم محمد حافظ بن إبراهيم أفندي فهمي المولود سنة ١٢٨٨ هـ يقول الشعر في كل مكان يتفق له فيه أن يخلو بنفسه، ويتعب في قرض قريضه تعب النحات الماهر في استخراج تمثال جميل من حجره .

يؤثر الجزالة على الرّقة، وله فيها آيات، يطرق الموضوع في الغالب من جوهره وربما نظم أكثر الأبيات قبل المطلع، شأن الصانع القدير الذي يبدأ بأصعب ما

(١) الجنف : الحيف . (٢) السدف الظلام .
(٣) الفضول : فضلات المال الزائدة عن الحاجة . وغالها السرف يغولها أتى عليها .
(٤) اليتيم : اللؤلؤ المنقطع النظير . (٥) الخرائد : العذارى .

بين يديه ، آمناً أن تهن عزيمته دون الإجادة بعد ، عالماً أن الكلام لا بد أن يأتيه في أي مقام طبعاً ولو بعد حين .

حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ، ينسج على منوالها ، ويتخير نفائس مفرداتها ، وأعلاق حلاها . له غرام باللفظ لا يقل عن الغرام بالمعنى ، وفي أقصى ضميره يؤثر البيت المجاد لفظاً على المجاد معنى . فإذا فاته الابتكار حيناً في التصور لم يفته الابتكار حيناً في التصوير ، أولع بالاجتماعات فقال فيها وأجاد ما شاء .

فهو على الجملة أحد الثلاثة الذين هم نجوم الأدب العربي في مصر لهذا العصر ولكل من تلك النجوم منزلته ، وإضاءته وأثره الخالد .

أما شعره فشعر البيان ، وإن من البيان لسحراً — ومن شعره الاجتماعي قوله :

كم ذا يُكابد عاشق ويُلاقي ... في حُبِّ مصر كثيرة العشاقِ
إني لأحملُ في هواكِ صبابة ... يا مصر ، قد خرجت عن الاطواقِ
لهفي عليكِ ، متى أراكِ طليقة ... يحمي كريم حماكِ شعبٌ راقِ
كلِفٌ بمحمود الخِلال متيّمٌ ... بالبذلِ بين يديكِ والإنفاقِ
إني لتُطربني الخلالُ كريمةً ... طربَ الغريب بأوبةٍ وتلاقِ
ويَهزُّني ذكر المروءة والندى ... بين الشمائل هزةَ المشتاقِ
ما البابلية في صفاءِ مزاجها ... والشربُ بين تنافس وسباق
والشمس تبدو في الكئوس وتختفي ... والبدرُ يشرقُ من جبين الساقي
بألذ من خُلُقٍ كريم طاهر ... قد مازجتهُ سلامة الاذواق
فإذا رُزقتَ خليقة محمودة ... فقد اصطفاك مقسّم الارزاقِ
فالناسُ هذا حظهُ مالٌ ، وذا ... علمٌ ، وذاك مكارم الاخلاقِ
والمال إن لم تَدّخِرْهُ محصّنا ... بالعلم كان نهاية الإملاقِ
والعلمُ إن لم تكتنفهُ شمائلٌ ... تُعليه كان مطيّة الإخفاق

لا تحسبنَّ العلمَ ينفعُ وَحدهُ ما لم يُتَوَّجْ ربُّه بخلاقِ
مَنْ لي بتربيةِ النساء فإنها في الشرق علّةُ ذلك الإخفاقِ
الأم مدرسة ، إذ أعْدَدْتَها أعْدَدت شعباً طيِّب الأعراقِ
الأمّ رَوْضٌ إنْ تَعَهّدَهُ الحيا بالرّي ، أوْرَقَ أيّما إيراقِ
الأمّ أستاذ الأساتذة الألى شغلت مآثرهم مَدى الآفاقِ
أنا لا أقولُ : دعوا النساءَ سَوافراً بين الرجال يجُلْنَ في الأسواقِ
يَدْرُجْنَ حيث أردنَ ، لا من وازع يحذرْن رقبته ولا من واقِ
يفعلنَ أفعال الرجال لواهياً عن واجبات نواعس الأحداقِ
في دورهنّ شؤونهنّ كثيرة كشئون ربِّ السيفِ والمِزْراقِ
كلا ، ولا أدعوكُمُ أن تسرفوا في الحَجْبِ والتضييق والإرهاقِ
ليست نساؤكُم حُلِيّ وجواهراً خَوْفَ الضَّياع تُصانُ في الأحقاقِ
ليست نساؤكُم أثاثاً يُقتنَى في الدور بين مخادع وطباقِ
تتشكل الأزمانُ في أدوارها دُوَلاً ، وهنّ على الجمود بواقِ
فتوسَّطوا في الحالتين ، وأنْصِفوا فالشرُّ في التّقييد والإطلاقِ
رَبُّوا البنات على الفضيلة ، إنها في الموقفين لهنّ خير وثاقِ
وعليكمُ أن تستبينَ بناتُكم نورَ الهدى ، وعلى الحياء الباقي

(٤) المرحوم إسماعيل باشا صبري المتوفى سنة ١٩٢٣ م

هو أحد شعراء الطبقة الأولى في هذا العصر ، ويمتاز بجمال مقطعاته وعذوبة أسلوبه إلى ما لا يُجاريه فيه مُجار .

وأكثر ما ينظم فلخطرة تخطر على باله ، من مثل حادثة يشهدها ، أو خبر ذي بال يسمعه ، أو كتاب يطالعه . ينظم المعنى الذي يعرض له في بيتين عادة إلى أربعة إلى ستة ، وقلما يزيد على هذا القدر إلا حيث يقصد قصيدة .

وهو شديد النقد لشعره، كثير التبديل والتحويل فيه حتى إذا استقام على ما يريده ذوقه من رقة اللفظ ، وفصاحة الأسلوب اهمله ثم نسيه ؛ ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٤ م ، وتوفي سنة ١٩٢٣ م .

ومن قوله يصف الأهرام :

لا القوم قومي ولا الأعوانُ أعواني إذا وَنَى يوم تحصيل العُلى وانِ
ولستُ إن لم تُؤيِّدني فراعنةٌ منكم بفرعون عالي العرش والشانِ
ولست جبّارَ ذا الوادي إذ سلمت جبالهُ تلك من غارات أعواني
لا تقربوا النيلَ إن لم تعملوا عملاً فماؤهُ العذبُ لم يُخلَق لكسلانِ
ردوا المجرّة كدّاً دون موردِه أو فاطلبوا غيره ريّاً لظمآنِ
وابنوا كما بنتِ الأجيالُ قبلكم لا تتركوا بعدكم فخراً لإنسانِ
أمرتُكم ، فأطيعوا أمر ربكمُ لا يَثنِ مُستمعاً عن طاعةٍ ثانِ
فالمُلكُ أمرٌ وطاعات تسابقه جنباً إلى جنب إلى غايات إحسانِ
لا تتركوا مُستحيلاً في استحالته حتى يُميطَ لكم عن وجه إمكانِ
مقالة قد هوت عن عرشِ قائلها على مَناكب أبطال وشُجْعانِ
مادت لها الأرضُ من ذُعرٍ ودانَ لها ما في المقطّم من صخر وصَوانِ
لو غير فرعونَ ألقاها على ملإ في غيرِ مصرَ لعُدّت حُلْمَ يقظانِ
لكن فرعونَ إن نادى بها جبلاً لبّتْ حجارتُهُ في قبضة الباني
وآزرته جماهيرٌ تَسيل بها بطاحُ وادٍ بماضي العزم ملآنِ
يَبنون ما تقفُ الأجيال حائرة أمامه بين إعجاب وإذعانِ
من كل ما لم يَلد فكر ولا فتحت على نظائره في الكون عينانِ
ويُشبهون إذا طاروا إلى عمَلٍ جنّاً يطيرُ بأمر من سُليمانِ
برّاً بذي الأمر لا خوفاً ولا طمعاً لكنهم خُلقوا طُلّاب إتقانِ

أهرامُهم تلك، حيّ الفنّ متخذاً من الصخور بروجاً فوق كيوانِ
قد مرّ دهرٌ عليها وهي ساخرة بما يُضَعْضِعُ من صَرحٍ وإيوانِ
لم يأخذِ الليلُ منها والنهارُ سوى ما يأخذُ النملُ من أركان ثهلانِ
كأنها والعوادي في جوانبها صَرعى بناءُ شياطينٍ لشيطانِ
جاءت إليها وفود الأرض قاطبة تسعى اشتياقاً إلى ما خلّدَ الفاني
فصغّرَت كل موجود ضخامتها وغَضٌّ بنيانها من كل بنيانِ
وعاد مُنكرُ فضل القوم مُعترفاً يُثني على القوم في سرٍّ وإعلانِ
تلك الهيا كلُ في الأمصار شاهدةٌ بأنهم أهلُ سبقٍ، أهلُ إمعانِ
وأنّ فِرْعَونَ في حَوْلٍ ومقدرةٍ وقومَ فرعون في الإقدام كفآنِ
إذا أقامَ عليهم شاهداً حَجَرٌ في هيكلٍ قامت الأخرى ببرهانِ
كأنما هيَ والأقوامُ خاشعةٌ أمامَها صُحُفٌ من عالم ثانِ
تَستقبلُ العينَ في أثنائها صُوَرٌ فصيحة الرّمز دارت حول جُدْرانِ
لو أنها أعطيَت صوتاً لكان لهُ صدًى يُروِّعُ صمّ الإنس والجانِ
أين الأُلى سَجّلوا في الصخر سيرتهم وصغّرُوا كل ذي مُلك وسُلطانِ
بادوا، وبادَت على آثارهم دُوَلٌ وأُدرجوا طيّ أخبارٍ وأكفانِ

(٥) خليل بك مطران

هو شاعر الشعور والخيال، وشاعر بعلبك والأهرام، ولد عام ١٨٧١ م ببعلبك وتعلم بها، ثم قَدِم مصر عام ١٨٩٣ م، واشتغل بمكاتبة الصحف، وأنشأ باسمه «المجلة المصرية» عام ١٨٩٩ م، وأنشأ أيضاً (جريدة الجوائب المصرية)، وله ديوانه المسمى (ديوان الخليل).

شعره — مجمع الصور، ومَلعبُ الخيال، ونفسه كالصحيفة الحساسة، ينطبع

عليها كل مـا يمرّ بها . بل الغصن الرطب يميل به كل نسيم ، بـل وجه البحيرة الصافي يحركه كل ريح .

ومن قصيدته يصف ضرب الأسطول الإيطالي لسواحل الشام ويستنهض الهمم :

بلادي لا يزالُ هواك مـني ... كما كان الهوى قبلَ الفِطامِ
أقبّلُ منك حيث رمى الأعادي ... رَغاماً طاهـراً دون الرَّغـامِ
وأفـدي كلّ جُلمُـود فتيتٍ ... وَهَى بقنابـل القومِ اللئـامِ
لحى الله المطامعَ حيثُ حلّتْ ... فتلك أشدُّ آفـاتِ السّلامِ
تشوبُ الماء وهو أغرُّ صافٍ ... وتمشي في المشارب بالسقـامِ
أقول : وقد أفاق الشرق ذعْراً ... من الحـال الشبيهة بالمنـامِ
على صخبِ المدافع في حماةٍ ... ورقصُ الموت بين طلى وهامِ
أقول : بصوته لحُماة دار ... رماهـا منْ بناةِ الغرب رامِ
أباةَ الضيم من عرب وتُرْك ... نُسورَ الشمّ آساد المـوامي
قرومَ العصر فرْساناً ورَجْلاً ... نجومَ الكرّ من خلف اللثامِ
بنـا مرَض النعيم فنسّمونا ... وَغىً يشفي من الصفو العقامِ
بنـا بردُ المكوثِ فأدفئونا ... بحمى الوثْبِ حيث الخطبُ حامِ
بنـا عطلُ السماع فشنّفونا ... بقعقعـة الحديد لدى الصّدامِ
على هذا الرجاءِ ونحنُ فيـه ... نسير مُوَفقـينَ إلى الأمـامِ

وقال أيضاً في « نابليون » وهو يَرقبُ السماء في آخر أيامه

قالوا لنابليون ذات عشية ... إذ يَرقبُ كان في السماء الأنجما
هل بعد فتح الأرض من أُمنيّةٍ ... فأجاب أنظر كيف أفتتحُ السما !

أبواب الشعر العربي – الباب الأول في المديح

قال أمية بن أبي الصلت المتوفى في أول ظهور الإسلام حامداً شاكراً الإله:

لك الحمدُ والنّعماء والملكُ ربّنا فلا شيء أعلى منكَ مجداً وأمجدُ
مليكٌ على عرشِ السماءِ مهيمنٌ لعزّته تعنو الوجوهُ وتَسْجدُ
فسبحانَ من لايعرفُ الخلقُ قدره ومن هوفوق العرش فردٌ موحّدُ
هو الله باري الخلق والخلقُ كلهم إماءٌ له طوعاً جميعاً وأعبُدُ
مليكُ السماوات الشّداد وأرضها يدوم ويبقى ، والخليقة تنفَدُ

وقال أيضاً في الكونيات وذكر الفناء وما يلقاه الناس بعد ذلك :

إلهُ العـالمينَ وكلّ أرض وربُّ الرّاسيات من الجبالِ
بناها وابتنى سَبعاً شدَاداً بلا عمدٍ يرَيْنَ ، ولا رجالِ
وسوّاها وزيّنهـا بنور من الشمسِ المضيئةِ والهلالِ
ومن شُهُب تلألأ في دُجاها مراميهـا أشدّ من النصالِ
وشق الأرض فانبجَستْ عيوناً وأنهـاراً من العَذْب الزلالِ
وبارك في نواحيها وزكّى بها ما كان من حرْث ومالِ
فكل مُعمّرٍ لا بُدّ يوماً وذي دنيـا يصيرُ إلى زوالِ
ويفنى بعد جدّتهِ ويبلى سوى الباقي المقدس ذي الجلالِ
وسيقَ المجرمونَ وهمُ عُراة إلى ذات المقامع والنّكالِ
فنادَوْا ويْلنا ويلاً طويلاً وعجوا في سلاسلهـا الطوالِ
فليسوا ميّتينَ فيستريحـوا وكلّهمُ بحرّ النـار صالي
وحلّ المتقون بدار صدْق وعيش ناعمٍ تحت الظـلالِ
لهم ما يشتهون وما تمنوْا من الأفراح فيها والكمالِ

وقال محمود سامي البارودي باشا مادحاً سيد الأمة ، من قصيدة كشف الغمة :

«محمد» خاتمُ الرسل الذي خضَعتْ له البرية من عُرْب ومن عجم
سميرُ وحْيٍ ومَجنى حكمة ونَدى سماحةٌ وقرى عافٍ وريُّ ظَمٍ

قد أبلغَ الوحيُ عنه قبل بعثته مسامعَ الرسل قولاً غير منكتمِ
فذاك دَعوةُ إبراهيمَ [١] خالقهُ وسر ما قالهُ عيسى [٢] من القدَمِ
أكرمْ به ، وبآباء محجّلةٍ جاءت به غرّةً في الأعصر الدُّهُمِ
قد كان في ملكوت الله مدّخراً لدعوة كان فيها صاحبَ العَلَمِ
نورٌ تنقلَ في الأكوان ساطعهُ تَنقّلَ البَدْر من صُلبٍ إلى رحم

وقال شوقي مادحاً أفضل الخلق على الإطلاق من قصيدة نهج البردة :

« محمدٌ » صفوةُ الباري ورحمتهُ وبُغيةُ اللهِ من خلق ومن نَسَم
وصاحبُ الحوضِ يوم الرسل سائلة : متى الورود؟ وجبريلُ الأمين ظمي
سناؤه وسناء الشمسِ طالعةٌ فالجرْمُ في فَلكٍ والضوء في علَم
قد أخطأ النَّجمَ ما نالَتْ أبوّته من سؤدد باذخ في مَظهرٍ سنِمِ
نموا إليه فزادوا في الورى شرفاً وربَّ أصلٍ لفرْعٍ في الفَخار نمى
حواهُ في سُبحات الطهر قبلهمُ نوران قاما مقام الصلب والرّحمِ
لما رآه بحيْرا قـال نعرفهُ بما حفظنا من الأسماءِ والسيَمَ

وقال أبو تمام مادحاً المعتضد بالله :

إلى قطبِ الدنيا الذي لو بفضله مدَحْت بني الدنيا كفَتهُمْ فضائله
من البأس والمعروف والجود والتقى عيالٌ عليه رزقهنّ شمائـله
هو البحْرُ من أيّ النواحي أتيته فلجته المعروفُ والجودُ ساحله
تعَوّد بَسط الكفّ حتى لو انهُ ثناها لقبضٍ لم تطعه أنامله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجادَ بها فليتقِ الله سائـله

(١) يشير إلى قوله تعالى: (ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم) .

(٢) يشير إلى قوله جل ذكره (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد .

وقال مادحاً المعتصم بالله أبا إسحاق محمد بن هارون الرشيد من قصيدة:

السَّيفُ أصدقُ إنباءً من الكُتُبِ ... في حدِّهِ الحدُّ بين الجدِّ واللعبِ
بيضُ الصَّفائحِ لا سودُ الصَّحائفِ في ... مُتونهنَّ جلاءُ الشكِّ والرِّيبِ
فتحٌ تفتَّحُ أبوابُ السماءِ له ... وتبرزُ الأرضُ في أثوابها القُشُبِ
غادرتَ فيها بهيمَ الليلِ وهو ضُحى ... يَشُلُّهُ وسْطَها صُبحٌ من اللهَبِ
حتى كأنَّ جلابيبَ الدُّجى رَغِبَتْ ... عن لونِها أو كأنَّ الشمسَ لم تغِبِ
أجَبْتَهُ مُعلناً بالسيفِ مُنْصلتاً ... ولو أجبتَ بغيرِ السيفِ لم تُجِبِ
خليفةَ اللهِ جازى اللهُ سَعْيَكَ عن ... جُرثومةِ الدينِ والإسلامِ والحَسَبِ
إن كان بين صروفِ الدهرِ من رحمٍ ... موصولةٍ أو ذِمامٍ غيرِ مُنْقَضِبِ
فبين أيامِكَ اللاتي نُصِرْتَ بها ... وبين أيامِ بدْرٍ أقربُ النَّسَبِ

وقال أبو العلاء المعري :

إليكَ تناهى كلُّ فخْرٍ وسؤدَدِ ... فأبْلِ الليالي والأنامَ وجدِّدِ
لجدِّكَ كان المجدُ ثم حويتَهُ ... ولابنكَ يُبنى منه أشرفُ مقعَدِ
ثلاثةُ أيامٍ هي الدَّهرُ كلُّه ... وما هُنَّ غيرُ الأمسِ واليومِ والغدِ
ما البَدْرُ إلا واحدٌ غيرَ أنه ... يغيبُ ويأتي بالضِّياءِ المُجَدَّدِ
فلا تحسبِ الأقمارَ خلقاً كثيرةً ... فجملتها من نيِّرٍ مُتَرَدِّدِ
وللحسنِ الحُسنى وإن جادَ غيرُهُ ... فذلك جودٌ ليس بالمتعمَّدِ

وقال أبو الطَّيِّب المتنبي مادحاً سيف الدولة :

ضاقَ الزمانُ ووجهُ الأرضِ عن ملكٍ ... مِلْءِ الزمانِ ومِلْءِ السهلِ والجبلِ
فنحنُ في جذَلٍ والرومُ في وجَلٍ ... والبرُّ في شغلٍ والبحرُ في خجَلِ
ليتَ المدائحَ تستوفي مناقبَهُ ... فما كليبٌ وأهلُ الأعصُرِ الأولِ
خُذْ ما تراهُ ودعْ شيئاً سمعتَ به ... في طلعةِ البدرِ ما يغنيكَ عن زُحَلِ

وقد وجدت مكان القول ذا سعةٍ فإن وجدت لساناً قائلاً فَقُل
إنّ الإمام الذي فَخْرُ الأنام به خير السُّيوف بكفي خيرةِ الدول
تمسي الأمانيُّ صَرْعى دون مبلغه فما يقولُ لشيءٍ ليتَ ذلك لي

وقال أيضاً يمدح أبا شجاع :

لا خيلَ عندك تهديها ولا مالُ فليُسْعِدِ النطق إن لم تُسْعِدِ الحالُ
واجْزِ الأميرَ الذي نُعماهُ فاجئةٌ بغير قولٍ ونُعْمى الناس أقوالُ
فربما جزَت الإحسانَ مُوليَه خريدةٌ من عذارى الحي مكسال
وإن تكن محكمات الشكل تمنعُني ظهور جري فلي فيهنّ تصْهال
وما شكرتُ لأن المال فرّحني سيّان عندي إكثارٌ وإقلالُ
لكن رأيتُ قبيحاً أن يجادَلنا وإننا بقضاء الحق بخال
فكنت مُنْبتَ رَوض الحزن باكره غيث بغير سباخ الأرض هطال
غيثٌ يُبَيّنُ للنُّظار موْقعهُ أنّ الغيوث بما تأتيه جُهّالُ
لا يُدْرِك المجدَ إلا سيدٌ فطنٌ لما يَشُق على السادات فعّال
لاوارثٌ جهلتْ يمناهُ ماوهبتْ ولا كسوبٌ بغير السيف سئّال
قال الزمانُ له قولاً فأفهمه أن الزّمان على الإمساك عذالُ
تدري القناةُ إذا اهتزّت براحته أن الشقيّ بها خيلٌ وأبطالُ
كفاتك، ودخول الكاف منقصةٌ كالشمس قلت وما للشمس أمثال
القائدُ الأسْدَ غذتها بَراثنه بمثلها منْ عِداهُ وهي أشبالُ

وقال أيضاً يمدح سيف الدولة ويذكر بناءه قلعة الحدث عام ٣٤٣ ﻫ :

على قدرِ أهل العزم تأتي العزائمُ وتأتي على قَدْرِ الكِرام المكارِمُ
وتعظمُ في عين الصّغير صغارها وتصْغُر في عينِ العظيم العظائم
يُكلف سيفُ الدولة الجيش همه وقد عجزت عنه الجيوش الخضارم

ويطلب عند الناس ما عند نفسه ... وذلك ما لا تدعيه الضراغمُ
يفدّي أتم الطير عمراً سلاحهُ ... نسورُ الفَلا أحداثها والقشاعِمُ
وما ضرها خلقٌ بغير مخالب ... وقد خلقتْ أسيافه والقوائم
هل الحدث الحمراء تعرف لونها ... وتعلم أيّ الساقيين الغمائم
سقتها الغمام الغرُّ قبل نزوله ... فلما دنا منها سقتها الجماجم
بناها وأعلى والقنا تقرع القنا ... ومَوْجُ المنايا حولَها متلاطم
وكان بها مثلُ الجنون فأصبحت ... ومن جثث القتلى عليها تمائم
طريدة دَهر ساقها فردَدتها ... على الدين بالخطّيّ والدهر راغم
تبيدُ الليالي كل شيء أخذتَه ... وهنّ لما يأخذْن منك غوارم
وكيف ترجي الروم والفرس هدْمها ... وذا الطعنُ آساس لها ودعائم

وقال جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

تعزت أم حزرة ثم قالت ... رأيت الواردينَ ذوي امتناح
ثقي بالله ليس له شريكٌ ... ومن عند الخليفة بالنجاح
سأشكرُ إنْ رددت إليَّ ريشي ... وأنبتَّ القوادم في جناحي
ألستم خير منْ ركب المطايا ... وأندى العالمين بطونَ راح

وقال أيضاً يمدح عمر بن عبد العزيز ويستعطفه :

كم باليمامة منْ شعثاء أرملة ... ومن يتيم ضعيف الصوْت والنظرِ
ممنْ يعدكَ تكفي فقد والده ... كالفرْخ في العشّ لم ينهضْ ولم يطر
يدعوك دعوةَ ملهوف كأنّ به ... خبلاً من الجن أو مسّاً من البشر
إنا لنرْجو إذا ما الغيثُ أخلفنا ... من الخليفة ما نرجو من المطر
أتى الخلافة أو كانت له قدَراً ... كما أتى ربهُ موسى على قدَر
هذي الأرامل قد قضيتَ حاجتها ... فمنْ لحاجة هذا الأرمل الذّكر ؟

وقال أيضاً يمدحه :

يعودُ الفضلُ منكَ على قرَيش ... وتُفرجُ عنهم الكرَبَ الشدادا
وقد أمَّنْتَ وحشهُمُ برفـق ... ويعيي الناسَ وحشكَ أن يصادا
وتدعو الله مجتهـــداً ليرْضى ... وتذكر في رَعيتكَ المعـــادا
وماكعْبُ ابنُ مامةوابنسُعدَى ... بأجودَ منـــك يا عمرُ الجوادا

وقال الثعالبي المتوفى سنة ٤٣٩ هـ مادحاً الأمير أبا الفضل الميكالي :

لك في المفاخر معجزاتٌ جمة ... أبداً لغيرك في الورَى لم تجمعِ
بحران بحرٌ في البلاغة شابهُ ... شعرُ الوليدوحُسنُ لفظ الأصمعي
وترسّل الصابي يزين علوَّهُ ... خط ابن مقلةَ ذو المحل الأرفعِ
كالنور أو كالسحر أو كالبدر أو ... كالوَشي في برد عليه موشع
شكراً فكم من فِقرة لك كالغنى ... وافى الكريم بُعَيْدَ فقْرمدقع
وإذا تفتقَ نوْرُ شعرك ناضراً ... فالحسن بين مرصع ومصرَّع
أرجلتَ فرسان الكلام ورضـ ... ـت أفراس البديع وانت أمجدُ مبدع
ونقشتَ في فص الزمان بدائعاً ... تزري بآثار الربيع الممرع

وقال أبو محمد اليمني المتوفى سنة ٥٦٩ يمدح الملك الفائز ووزيره الصالح :

أقسمتُ بالفائز المعصوم معقده ... فوْز النجاة وأجرَ البر في القسم
لقد حَمَى الدين والدنيا وأهلهما ... وزيرُه الصالح الفرَّاج للغمـم
اللابس الجدَ لم تنْسُج غلائلهُ ... إلا يد الصانعيْنِ : السيف والقلم
قـد ملكتهُ العوالي رق مملكة ... تعـــيرُ أنف الثريا عزة الشمم
أرى مقاماً عظيمَ الشأن أوهمني ... في يقظتي أنه من جملة الحـــلم
ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها ... عقود مدح فما أرضى لـكم كلمي
خليفة ووزير مدّ عدلهـــما ... ظـلا على مفرق الإسلام والأمـم
زيادة النيل نقص عند فيضهما ... فما عسى يتعاطى هاطلُ الديم

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم يمدح المرحوم الشيخ محمد عبده ويهنئه :

رأيتكَ والأبصارُ حولك خُشَّع فقلت أبو حفص ببرديكَ أم علي
وخفضتُ من حزني على مجد أمة تداركتها والخطبُ للخطب يعتلي
طلعتَ بها باليمن من خير مطلع وكنت لها في الفوز قدح ابن مقبل
وجردتَ للفتيا حسامَ عزيمة بحديه آياتُ الكتاب المنزل
محوتَ به في الدين كل ضلالة وأثبتَّ ما أثبتَّ غيرَ مضلل
لئن ظفر الإفتاء منك بفاضل لقد ظفر الإسلامُ منك بأفضل

الباب الثاني في الفخر والحماسة

قال السموأل بن عادياء المتوفى سنة ٦٢ قبل الهجرة :

إذا المرءُ لم يَدْنَسْ من اللؤم عرضه فكل رداء يرتديه جميل [١]
وإن هو لم يحمل على النفس ضيمها فليس إلى حسن الثناء سبيل [٢]
تعيِّرُنا أنا قليلٌ عديدنا فقلت لها : إن الكرامَ قليل [٣]
وما قل منْ كانتْ بقاياه مثلنا شباب تسامى للعلا وكهول [٤]
وما ضرَّنا أنا قليلٌ وجارنا عزيزٌ وجارُ الأكثرينَ ذليل [٥]
لنا جبل يحتله منْ نجيرُهُ منيعٌ يردُّ الطرفَ وهو كليل [٦]

(١) اللؤم اسم جامع للخصال المذمومة : والمعنى أن الإنسان إذا لم يتدنس باكتساب اللؤم واعتياده فأي ملبس يلبسه بعد ذلك كان جميلا . ٢) وإن هو لم يحمل إلى آخر البيت : أي من لم يصبر النفس على مكارهها فلا سبيل له إلى اكتساب حسن الثناء وليس معنى الضيم ضيم الغير لهم لأنهم يأنفون من ذلك ويعدونه تذللا (٣) يقال عيرته كذا وعيرته بكذا والاول المختار . (٤) الشباب جمع شاب كالشبان ، وقوله تسامى أراد تتسامى فحذف إحدى التاءين ، والكهول جمع كهل ضد الشبان . ٥) وما ضرنا يجوز في إما أن تكون نافية ، والمعنى لم يضرنا ويجوز أن تكون استفهامية على طريق التقرير (٦) قيل إنه أراد بذكر الجبل العز والسمو : وقيل ان هذا الجبل هو حصن السموأل الذي يقال له الأبلق الفرد بناه أبوه ، وقيل بناه سيدنا سليمان عليه السلام !

رَسا أصلهُ تحت الثرى وسما به إلى النجم فرْعٌ لا ينالُ طويلُ ١
هو الأبلقُ الفرْدُ الذي شاع ذكرُه يعز على منْ رامهُ ويطولُ ٢
وإنا لقومٌ لا نرى القتلَ سُبَّةً إذا ما رأته عامر وسلولُ ٣
يقرِّبُ حب الموت آجالنا لنا وتكرهه آجالهم فتطولُ ٤
وما مات منا سيد حتف أنفه ولا طل منا حيث كان قتيلُ ٥
تسيلُ على حد الظبات نفوسنا وليستْ على غير الظبات تسيلُ ٦
صفونا فلم نكدرْ وأخلص سرنا إناث أطابتْ حملنا وفحولُ ٧
علوْنا إلى خير الظهور وحطنا لوقت إلى خير البطون نزولُ ٨
فنحنُ كماء المزْن ما في نصابنا كهام ولا فينا يعد بخيلُ ٩
وننكرُ إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القوْل حينَ نقولُ ١٠
إذا سيدٌ منا خلا قام سيدٌ قؤولٌ لما قال الكرام فعولُ ١١

(١) رسا أصله إلى آخر البيت يريد به أنه أثبت جبل في الأرض وأعلى طود علما (٢) الأبلق الفرد الذي شاع ذكره هو حصن السموأل بناه أبوه وقيل سليمان عليه السلام بأرض تيماء وقصدته الزباء فعجزت عنه وعن مارد فقالت تمرد مارد وعز الأبلق. (٣) السبة العار، وعامر وسلول قبيلتان: يقول إذا حسب هؤلاء القتل عاراً عدته عشيرتي فخراً. (٤) يقرب إلى آخر البيت يشير به إلى أنهم يغتبطون لاقتحامهم المنايا وأن عامراً وسلولا يعمرون لمجانبتهم الشر كراهة للموت وحبا للحياة. (٥) يقال مات فلان حتف أنفه إذا مات من غير قتل ولا ضرب. قيل إن أول من تكلم بقولهم حتف أنفه النبي صلى الله عليه وسلم.
(٦) الظبات: جمع ظبة وهي حد السيف قيل أراد بالظبات السيوف كلها فأضاف الحد إليها أي أنهم لشجاعتهم وشرفهم لا يقتلون إلا بالسيف ولا يقتلون بالعصي ولا بالحجارة كما يقتل رعاع الناس. (٧) المراد بالسر هنا الأصل الجيد. (٨) علونا إلى آخر البيت يشير به إلى صريح نسبهم وخلوصه مما يحط بشرفهم. (٩) كماء المزن يريد بذلك تشبيه صفاء أنسابهم بصفاء المطر والنصاب: الأصل ومنه نصاب السكين والكهام الكليل الحد يقول نحن كماء المزن وكل منا نافذ ماض ولا فينا بخيل فيعد. (١٠) ولا ينكرون إلى آخر البيت معناه أنهم لشدة بأسهم وحماستهم يخشاهم الناس فلا ينكرون عليهم. (١١) يعني أن السيادة مستقرة فينا حتى إذا خلا منا سيد خلفه سيد يقول ما تقول الكرام ويفعل ما تفعل.

وما أُخمِدَتْ نارٌ لنا دون طارقٍ ولا ذَمَّنا في النازلينَ نزيلُ ١
وأيامُنــــا مشهورة في عدُوِّنا لها غُرَرٌ معلومة وحُجول ٢
وأسيافُنا في كلّ شرقٍ ومغربٍ بها من قِراع الدّارعينَ فُلولُ ٣
مُعوّدةٌ ألا تُسَلَّ نصالُهـــا فتُغمد حتى يُستَباحَ قبيل ٤
سَلي إن جهلتِ الناس عنا وعنهمُ فليسوا سواءً عـالمٌ وجهولُ ٥
فإنّ بني الديّان قطبٌ لقومهم تدورُ رحاهم حولَهم وتجول ٦

وقال عنترة العبسي المتوفى سنة ٧ قبل الهجرة :

لعمرُك إنّ المجد والفخر والعلا ونيلَ الأماني وارتفاعَ المراتبِ
لمن يلتقي أبطالَها وسراتهـــا بقلب صبور عند وقع المضارب
ويبني بحدّ السيف مجداً مشيّداً على فلك العلياء فوق الكواكب
ومَن لم يروّ رُمحَهُ من دم العِدا إذا اشتبكت سُمْرُ القنا بالقواضب
ويُعطي القنا الخطيّ في الحرب حقه ويَبري بحد السيف عرض المناكب
يعيش كما عاش الذليل بغُصّة وإن مات لا يجري دموعُ النوادب
فضائلُ عزمٍ لا تُباعُ لضارع وأسرار عزمٍ لا تذاع لعـائب
برَزتُ بها دهراً على كل حادث ولا كحلَ إلا من غُبار الكتائب

(١) وما أخمدت نار لنا يشير بذلك إلى أنهم لكثرة كرمهم يديمون إيقاد نار الضيافة ولا يطفئونها دون طارق ليل وأنهم يثني عليهم كل نزيل ٢) الحجول : جمع حجل وهو الخلخال يقول وقعاتنا مشهورة في أعدائنا فهي بين الأيام كالأفراس الغر المحجلة بين الخيل . (٣) القراع بكسر القاف المقارعة والمضاربة والدارعين أصحاب الدروع (٤) القبيل الجماعة من آباء شتى وجمعه قبائل يقول عودت أسيافنا أن لا تجرد من اغمادها فتردفيها إلا أن يستباح بها قبيل، وفي رواية قتيل (٥ عنا وعنهم ويروي عما فنخبري معناه إن كنت جاهلة بنا فسلي الناس تخبري بحالنا فالعالم والجاهل مختلفان(٦ القطب الحديد المغروس في الطبق الأسفل من الرحى يدور عليه الطبق الأعلى منها والمعنى أن أمر قبيلتهم لا يستقيم ولا يتم إلا بهم مثل الرحى لا يتم أمرها إلا بالقطب .

إذا كذّب البرقُ اللموعُ لشائم فبرقُ حُسامي صادق غير كاذبُ

وقال في الحماسة والفخر :

سكتُّ فغرَّ أعدائي السكوتُ وظنّوني لأهلي قد نسيتُ
وكيف أنامُ عن سادات قوم أنا في فضل نعمتهم رُبيتُ
وإن دارت بهم خيلُ الأعادي ونادَوْني ، أجبتُ متى دُعيت
بسيف حدُّه موجُ المنايا ورُمحٍ صدْره الحتف المميتُ
خُلقتُ من الحديد أشد قلباً وقد بليَ الحديد وما بليت
وإني قد شربتُ دمَ الأعادي بأقْحاف الرؤوس وما رَويت
وفي الحرب العَوان وُلدت طفلاً ومن لبن المعامع قد سقيتُ
فما للرمح في جسمي نصيبٌ ولا للسيف في أعضايَ قوت
ولي بيتٌ علا فلكَ الثريّا تخِرُّ لعظم هيبتِهِ البيوتُ

وقال أيضاً في الحماسة والفخر يوم المصانع :

إذا كشف الزمان لك القناعا ومدّ إليك صرفُ الدهر باعا
فلا تخش المنيّة والتقيها ودافع ما استطعت لها دفاعا
ولا تختَرْ فراشاً من حرير ولا تَبكِ المنازل والبقاعا
وحوْلك نِسْوة ينْدبنَ حزناً ويهتِكْنَ البراقعَ واللفاعا
يقول لك الطبيب دواك عندي إذا ما جسَّ كفكَ والذراعا
ولو عرف الطبيب دواء داءٍ يرُدُّ الموتَ ما قاسى النزاعا
وفي يوم المصانع قد تركنا لنا بفعالنا خبراً مُشاعا
أقمنا بالذوابل سوق حرْب وصيّرنا النفوس لها مصاعا
حصاني كان دلاّلَ المنايا فخاض غمارها ، وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيْجا طبيباً يُداوي رأس من يشكو الصداعا
أنا العبدُ الذي خُبِّرت عنه ، وقد عاينتني فدَعِ السماعا

ولو أرسلتُ رمحي مَعْ جبان   لكانَ بهيبتي يلقى السِّباعا
ملأتُ الأرض خوفاً من حسامي   وخصمي لم يَجِد فيها اتساعا
إذا الأبطال فرَّت خوف بأسي   ترى الأقطارَ باعاً أو ذراعا

وقال أيضاً في الفخر والحماسة :

أعادي صرف دَهر لا يُعادى   وأحتملُ القطيعة والبِعادا
وأظهرُ نُصحَ قومٍ ضيعوني   وإن خانت قلوبهمُ الوِدادا
أعلّل بالمنى قلباً عليلاً   وبالصبر الجميل وإن تمادى
تُعيّرني العِدا بسوادِ جلدي   وبيضُ خصائلي تمحو السوادا
وردتُ الحربَ والأبطالُ حَوْلي   تهزُّ أكفها السُّمْرَ الصِعادا
وخضتُ بمهجتي بحر المنايا   ونارُ الحرب تتقد اتقادا
وعُدتُ مُخضَّباً بدمِ الأعادي   وكربُ الركض قدخضب الجوادا
وسيفي مُرهَف الحدين ماض   تقدُّ شفاره الصَّخْر الجمادا
ورمحي ما طعنتُ به طعيناً   فعاد بعينه نَظرَ الرَّشادا
ولولا صارمي وسنان رُمحي   لما رفعت بنو عبس عمادا

وقال يتوعَّد النعمان بن المنذر ملك العرب ، ويفتخر بقومه :

لا يحملُ الحقْدَ مَن تعلو به الرتبُ   ولا ينال العُلى مَن طبعه الغضبُ
للهِ دَرُّ بني عبس لقد نسلوا   من الأكارم ما قد تنسلُ العربُ
قد كنتُ فيما مضى أرعى جمالهم   واليوم أحمي حماهم كلما نُكِبوا
لئن يعيبوا سوادي فهو لي نَسَبٌ   يَومَ النزال إذا ما فاتني النسب
ان كنت تعلم يا نُعمان أنَّ يدي   قصيرةٌ عَنكَ فالأيامُ تنقلب
ان الأفاعي وان لانَت ملامسها   عند التقلب في أنيابها العطب
اليومَ تعلم يا نُعمان أيَّ فتىً   يلقى أخاك الذي قد غرَّه العصبُ

فتى يخوض غمارَ الحرب مُبتسِماً وَينثني وسنانُ الرُّمح مختَضِبُ
ان سلَّ صارمَه سالت مضاربُه وأشرق الجوُّ وانشقت له الحُجبُ
والخيلُ تشهدُ لي أني أكـمكمها والطعنُ مثل شرار النار يلتهب
اذا التقيتُ الأعادي يَومَ معركةٍ تركتُ جمعهمُ المغرور يُنتَهَبُ
ليَ النفوس وللطير اللحومُ وللـ وحش العظامُ وللخيالة السلبُ
لا أبعدَ الله عن عَيْني غطارفةً انساً اذا نزلوا جِنّاً ، اذا ركبوا
أُسود غاب ولكن لا نيوبَ لهم الا الأسِنّة والهندية القضب
تعدو بهم أعوَجيات مضمّرةٌ مثل السراحين في أعناقها القبب
مازلتُ ألقى صدور الخيل مندفقاً بالطعن حتى يضج السّرجُ واللبب
فالعُمْي لو كان في أجفانهم نظروا والخُرس لو كان في أفواههم خطبوا
والنقع يوم طرادِ الخيل يشهدُ لي والضرب والطعن والأقلام والكتب

وقال أيضاً في اغارته على بني حُريقة :

حكّم سيوفك في رقاب العذل واذا نزَلتَ بدار ذُلٍّ فارحلِ
واذا الجبانُ نهاكَ يوم كريهة خوفاً عليك من ازدحام الجحفل
فاعص مقالته ولا تحفل بها وأقدم اذا حقّ اللقا في الأول
واختَر لنفسك منزلاً تعلو به أو متّ كريماً تحت ظلّ القسطل
ان كنتُ في عدد العبيد فهمّتي فوق الثريّا والسِّماكِ الأعزَل
أو أنكرت فرسانُ عبسٍ نسبتي فسنان رُمحي والحُسام يقرّ لي
وبذابلي ومهنّدي نلتُ العُلى لا بالقرابة والعديد الأجزَل
ورَميتُ رُمحي في العَجاج فخاضه والنار تقدَح من شفار الأنصُل
خاض العَجاج مُحجّلا حتى اذا شَهِدَ الوقيعةَ عاد غيرَ مُحجل
ولقد نكبتُ بني حُريقة نكبة لما طعنتُ صميم قلبِ الأخيَل
وقتلتُ فارسهم ربيعة عَنوةً والهَيذبانَ وجابر بن مُهَلهل

لا تسقِني ماء الحيـــاة بذلة بل فاسقِني بالعزّ كأسَ الحنظل
مـــاءُ الحيـــاة بذلة كجهنمٍ وجهنمٌ بالعزّ أطيبُ مـــنزل

وقال هبةُ الله بن سناء الملك المتوفى سنة ٢٣٥ ه :

سوايَ يهابُ الموتَ أو يرهب الرّدى وغيريَ يهوى أن يعيشَ مخـلّدا
ولكنني لا أرهبُ الدّهر إن سطا ولا أحذَرُ الموت الزؤامَ إذا عَدا
ولو مدّ نحوي حادثُ الدّهر كفه لحدّثتُ نفسي أن أمُدّ له يدا
توقدُ عزمي يترك الماء جمرة وحلية حلمي تتركُ السيف مبرَدا
وفرطُ احتقاري للأنام لأنـني أرى كلّ عار من حلى سؤددي سُدا
ويأبى إبائي أن يرانيَ قاعـداً وإني أرى كلّ البرية مقعـــدا
وأظمأ إن أبدى لي الماء منة ولو كان لي نهرُ المجرّة موردا
ولو كان إدراكُ الهدى بتذلـل رأيتُ الهدى ألا أميل إلى الهدى
وقدْماً بغيري أصبح الدهرُ أشيباً وبي وبفضلي اصبح الدّهر أمرَدا
وإنكَ عبدي يا زمانُ وإنـني على الرّغم مني أن أرى لك سيدا
وما أنا راض أنني واطىءُ الثرى ولي همة لا ترتضي الأفقَ مقعدا
ولو علمت زهرُ النجوم مكانتي لخرّت جميعاً نحو وجهي سُجّدا
أرى الخلق دوني إذ أراني فوقهم ذكاء وعلـــاً واعتلاء وسؤددا
وبذلُ نوالي زاد حتى لقد غدا من الغيظ منهُ ساكنُ البحر مزبدا
ولي قلمٌ في أنملي إن هززتـه فـــما ضرّني ألا أهُزّ المهندا
إذا صال فوق الطرْس وقع صريره فإن صليل المشرَفي له صدى

وقال حسان بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ٥٤ ه .

لعمر أبيك الخير يا شعثُ ما نبا على لساني في الخطوب ولا يدي
لساني وسيفي صارمان كلاهما ويبلغُ مالا يبلغُ السيفُ مذْودي
وإن أكُ ذا مال كثير أجُــدْ به وإن يُهتصر عودي على الجهد يحمد

فلا المالُ يُنسيني حياتي وعِفتي ولا واقعاتُ الدّهرِ يفلُلْنَ مبرَدي
وإني لمُعطٍ ما وجدت وقائلٌ لموقدِ ناري ليلة الرّيح أوْقد
وإني لقوّالٌ لذي البث مرحباً وأهلاً إذا ما جاء من غير مرْصدِ
وإني ليدعوني الندى فأجيبه وأضربُ بيضَ العارضِ المتوقّد
وإني لحُلوٌ تعتريني مَرارةٌ وإني لتراكٌ لما لمَ أعَوّد
وإني لمزْجٍ للمطيّ على الوَجى وإني لترّاك الفِراش الممَهدِ

وقال الفرزدق :

لنا العِزةُ القعساءُ[1] والعدد الذي عليه إذا عدّ الحصى يتخلف[2]
ومنا الذي لا ينطقُ الناس عِنده ولكن هو المستأذَن المتصرّف[3]
تراهم قُعوداً حوْله وعُيونهم مُكسرة أبصارُها ما تُصرّف[4]
ترى الناس إن سرنا يسيرون خلفنا[5] وإن نحن أومأنا إلى الناس وقّفوا[6]
ولا عِز إلا عزنا قاهر له ويسألنا النصف الذليلُ فنُنصف[7]
وما قام عنا قائم في نَديّنا[8] فينطق إلا بالتي هي أعرَفُ[9]

وقال وقد نزل في بادية وأوقد ناراً فرآها ذئب فأتاه فاطعمه من زاده وأنشد :

وأطلس عَسّالٍ وما كان صاحباً[10] دعوْتُ بناري مَوْهِناً فأتاني[11]

(١) العزة القعساء أي القوة والمنعة الشامخة الثابتة . (٢) يعني عددنا كثير ، وعدد الحصى أقل منه . (٣) يعني منا من لا يتكلم في مجلسه الا بإذنه ولا يفعل الا بأمره (٤) يعني ما تنظر يمنة ولا يسرة من مهابته وجلالته (٥) يعني نحن سادة أشراف نمشي أمام الناس . ٦) يعني إذا أشرنا إلى الناس أن قفوا أوقف بعضهم بعضا طوع إشارتنا . (٧) ويطلب منا الضعيف الـصفة والعدل فنمكنه من ذلك (٨) الندى كغنى والنـادي مجتمع القوم . (٩) يعني لا نطق إلا حيث يحسن الكلام واذا نطق جـاء بالقول الصادق الذي لا يمكن لأحد أن ينكره . (١٠) الأطلس الذئب الخبيث الذي في لونه غبرة مائلة الى السواد، والعسال الذي يضطرب في عدوه ويهز رأسه . (١١) الموهن : الساعة الأولى بعد نصف الليل أي دعوته بسبب إيقاد النيران في الساعة الأولى بعد نصف الليل فجاء الي .

فلمّا أتى قلتُ أدْنُ دونكَ[١] إنني ... وإياكَ في زادي لمشتركانِ
فبتُّ أقدُّ الزاد بيني وبينه[٢] ... على ضَوْءِ نار مرةً ودُخانِ
وقلتُ له لما تكشَّرَ ضاحكاً[٣] ... وقائم سيفي في يدي بمكانِ[٤]
تعشَّ فإن عاهدتني لا تخونُني ... نكن مثل من ياذئب يصطحبانِ[٥]
وأنت امرؤٌ يا ذئبُ والغدر كنتما ... أخيَّينِ كانا أرْضِعا بلبانِ[٦]
ولو غيرَنا نبهت تلتمسُ القرى ... رماكَ بسهم أوْ شباةِ سنانِ[٧]

وقال الشريف الرضي[٨] :

لغير العُلى مني القلى والتجنبُ ... ولولا العلى ماكنت في الحب أرغب
إذا اللهُ لم يعذرْك فيما ترومه ... فما الناسُ إلا عاذلٌ ومؤنبُ
ملكت بحلمي فرْصة ما استرَقّها ... من الدّهرِ مفتوُل الذراعين أغلب
لئن تكُ كفي ما تطاوَلَ باعُها ... فلي من وراء الكف قلبٌ مُدرّب
فحسبي أني في الأعادي مُبَغّض ... وأني إلى عزّ المعالي محبب
وللحلم أوقات وللجهل مثلها ... ولكنّ أوقاتي إلى الحلم أقرب
يصولُ عليَّ الجاهلونَ وأعتلي ... ويُعجم فيَّ القائلون وأعرب

(١) أي لما جاء وقف فقلت له اقترب وخذ: اشارة الى اعطائه لزاد (٢) أقد أي أقطع والزاد الطعام ولعل طعامه كان لحما بدليل القد (٣) لما تكشر لما أبدى ضاحكا أي كأنه يضحك (٤) يعني ومقبض سيفي ثابت في يدي . (٥) يعني اذا لم تظهر عليك علامة الغدر بقيت معك وبقيت معي كالمصطحبين . (٦) يعني مع أني أعرف أنك والغدر متلازمان لا تفترقان ومعناه أن شيمته الغدر . (٧) تلتمس القرى تطلب الضيافة، وشباة السنان حده. (٨) هو أبو الحسن محمد ابن الحسين بن موسى الأبرش الشريف الملقب الرضي ذي الحسبين نقيب الطالبين المولود سنة ٣٦٩ﻫ وتوفي ٤٠٦ ﻫ ثم نقل الى مشهد سيدنا الحسين عليهما السلام بكربلاء، دفن عند أبيه، ومن شعره ما كتبه الى الإمام أبي العباس أحمد المقتدر :

عطفا أمير المؤمنين فإننا ... في دوحة العلياء لا نفترق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ... أبداً كلانا في المعالي معرق
إلا الخلافة ميزتك فإنني ... أنا عاطل منها وأنت مطوق

يرون احتمالي غصة ويزيدهم لواعجَ ضغن أنني لستُ أغضبُ
وأعرضُ عن كأس النديم كأنها وميضُ غمام غائر المزن خلب
وقور فلا الألحانُ تأسر عزمتي ولا تمكر الصهباءُ بي حين أشرب
ولا أعرفُ الفحشاء إلا بوصفها ولا أنطق العوراء والقلب مُغضب
تحلّم عن كرٍّ القوارض شيمتي كأنّ معيد المدح بالذم مطنب
لساني حصاةٌ يقرع الجهل بالحجا اذا نال مني العاضهُ المتوثب
ولست براض أن تمسّ عزائمي فضالاتُ مايعطي الزمان ويسلب
عرائبُ آداب حباني بحفظها زماني وصرفُ الدهر نعم المؤدب
تعلم فإن الجود في الناس فطنة تقوم بها الأحرار والطبع أغلب

وقال العميد مؤيد الدين الطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ ﻫ :

أبى الله إن أسمو بغير فضائلي إذا ما سما بالمال كلُّ مُسوّد
وإن كرُمت قبلي أوائل أسرتي فإني بحمد الله مبدأ سؤددي
وما منصب إلا وقدري فوقه ولو حط رحلي بين نسر وفرقد
إذا شرُفت نفس الفتى زاد قدره على كل أسنى منه ذكراً وأمجد
كذاك حديد السيف إن يصف جوهراً فقيمته أضعافه وزن عسجد
وما المال إلا عارةٌ مستردةٌ فهلا بفضلي كاثروني وتحتدي
إذا لم يكن لي في الولاية بسطة يطول بها باعي وتسطو بها يدي
ولا كان لي حكم مطاع أجيزه فأرغمُ أعدائي وأكبت حُسّدي
فأعذر إن قصرتُ في حق مجتد وآمن أن يعتادني كيد معتد
ولولا تكاليفُ العلى ومغارم ثقال وأعقاب الأحاديث في غد
لأعطيت نفسي في التخلي مُرادها فذاك مرادي مذ نشأت ومقصدي

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب :

مهلاً بني عمنا مهلاً موالينا لا تنبشوا بيننا ما كان مدفونا

لا تطمعوا أن تهينونا ونكرمكم ... وأن نكفّ الأذى عنكم وتؤذونا
مهلاً بني عمّنا من نحتِ أثلتنا ... سيروا رويداً كما كنتم تسيرونا
الله يعلم أنّا لا نحبّكم ... ولا نلومكم إن لم تحبونا
كل له نيةٌ في بغضِ صاحبه ... بنعمة الله نقليكم وتقلونا

وقال محمد بن عبد الله الأزدي :

لا أدافع ابن العم يمشي على شفا ... وإن بلغتني من أذاه الجنادعُ
ولكن أواسيه وأنسى ذنوبَه ... لترجعه يوماً اليّ الرّواجع
وحسبُكَ من ذلٍ وسوء صنيعة ... مَناواةذي القربى وإن قيل قاطع

.وقال حطان بن المعلّي :

أنزلني الدهرُ على حكمه ... من شامخ عال إلى خفضِ
وغالني الدّهرُ بوفر الغنى ... فليس لي مالٌ سوى عرضي
أبكانيَ الدّهر ويا رُبما ... أضحكني الدّهر بما يُرضي
لولا بُنيّاتٌ كزغب القطا ... رُددن من بعض الى بعض
لكان لي مُضطربٌ واسع ... في الأرض ذات الطول والعرضِ
وانما أولادُنا بيننا ... أكبادنا تمشي على الأرضِ
لو هبت الريحُ على بعضهم ... لامتنعت عيني من الغمضِ

.وقال أوسُ بن حبناء :

اذا المرءُ أولاك الهوان فأوله ... هواناً وان كانت قريباً أواصرُهُ
فإن أنت لم تقدر على ان تهينه ... فذَرْهُ الى اليوم الذي أنتَ قادرُه
وقارب اذا ما لم تكن لك حيلة ... وصمّم اذا أيقنت أنك عاقرُه

.وقال سعد بن ناشب :

تفنّدني فيما ترى من شراستي ... وشدّة نفسي أم سعد وما تدري

فقلتُ لها انّ الكريم وان خَلا ليُلفى على حال أمرّ من الصبر
وفي اللين ضعف وفي الشراسة هيبةٌ ومن لم يُهَب يحمل على مركب وعر
وما بي على من لان لي من فظاظة ولكنني فظٌّ أبي على القسر

وقال ابراهيم النبهاني :

تعزّ فإن الصبر بالحر أجملُ وليس على ريب الزمان مُعوّل
فلو كان يغني أن يُرى المرء جازعاً لحادثة او كان يغني التذللُ
لكان التعزّي عند كل مصيبة ونائبة بالحر أولى وأجمل
فكيف وكلّ ليس يعدو حمامه وما لامرىء عما قضى الله مرحل
فإن تكن الأيام فينا تبدّلت ببؤسى ونعمى والحوادث تفعل
فما لينتْ منا قناة صليبة ولا ذللتنا للتي ليس تجمل
ولكن رحلناها نفوساً كريمة تحمل ما لا يستطاع فتحمل
وقينا بحُسن الصبر منا نفوسنا فصحّتْ لنا الأعراض والناس هزّل

وقال آخر :

إن يحسدوني فإني غير لائمهم قبلي من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لي ولهم ما بي وما بهم ومات أكثرنا غيظاً بما يجد
انا الذي يجدوني في صدورهم لا أرتقي صدراً منها ولا أرد

وقال سالم بن وابصة :

عليك بالقصد فيما انت فاعلهُ ان التخلق يأتي دونه الخلقُ
وموقف مثل حد السيف قمت به أحمي الذمار وترميني به الحدَق
فما زلقت ولا ابديت فاحشة اذا الرجال على أمثالها زلقوا

وقال تأبط شرّاً :

اذا المرء لم يحتل وقدّ جدّ جده اضاع وقاسى امره وهو مدْبرٌ

ولكن أخو الحزم الذي ليس نازلا   به الخطبُ إلا وهو للقصدِ مُبصر

وقال حبيب بن أوس أبو تمام الطائي :

أنا ابنُ الذي استرضعَ الجود فيهمُ   وقد ساد فيهم وهو كهلٌ ويافعُ
نجومٌ طواليع جبال فوارع   غيوث هواميع سيول دوافعُ
مضوا وكأن المكرُمات لديهمُ   لكثرة ما أوصَوا بهنَّ شرائع
فأيُّ يد في المحل مدّت فلم يكن   لها راحةٌ من جودهم وأصابع
هُم استودعوا المعروف محفوظ مالنا   فضاعَ وما ضاعت لدينا الودائع
بهاليلُ لو عاينتَ فيضَ أكفهم   لأيقنت أن الرزق في الأرض واسع
إذا خفقت بالبذل أرواحُ جودهم   حداها الندَى واستنشقتها المدامع
رياح كريح العنبر الغضّ في الندى   ولكنها يوم اللقاء زَعازع
هي السمُّ ما تنفك في كل بلدة   تسيلُ به أرماحهم وهو ناقع
أصارت لهم أرض العدُوّ قطائعاً   نفوس لحد المرهفات قطائع
بكل فتى ما شاب من رَوع وقعة   ولكنه قد شبن منه الوقائع
إذا ما أغاروا فاحتووا مال معشر   أغارت عليهم فاحتوته الصنائع
فتعطي الذي تعطيهم الخيل والقنا   أكفٌ لإرث المكرمات موانع

وقال أبو فراس الحمداني [١] المتوفى سنة ٣٥٧ هـ :

ووالله ما قصرت في طلب العلا   ولكن كأن الدهر عني غافل

(١) هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان التغلبي ابن عم سيف الدولة وناصر الدولة توفي سنة ٣٥٧ هجرية عن عمر ٣٧ سنة ، وكان فرد دهره وشمس عصره أدبا وفضلا وكرماً ومجداً وبلاغة وبراعة وفروسية وشجاعة ، فلله دره شاعراً من قبل ومن بعد . وأنشد وهو يحتضر يخاطب ابنته :

ابنيـــتي لا تجزعي   كل الأنام إلى ذهـاب
نوحي عليَّ بحسرة   من خلف سترك والحجاب
قولي إذا كلمتني   فعييت عن رد الجواب
زين الشباب أبو فرا   س لم يمتع بالشباب

مواعيد آمال متى ما انتجعتها حلبت بكيات وهنّ حوافل
تدافعني الأيام عمـــا أريده كما دفع الدين الغريمُ المماطلُ
فمثلي من نال الأعادي بسيفه ويا ربما غالته عنها الغوائلُ
ومالىَ لا تمسي وتصبح في يدي كرائمُ أموالِ الرّجالِ العقائل
أحكم في الأعداء عنها صوارماً أحكمها فيها إذا ضاق نازل
وما زال محميّ الحمائل عنوة سوى ما أقلّت في الجفون الحمائل
ينال اختيار الصفح عن كل مذنب له عندنا ما لا تنال الوسائلُ
لنا عقبُ الأمر الذي في صدره تطاولُ أعناق العدى والكواهل
أصاغرُنا في المكرُمات أكابرٌ وآخرُنا في المأثرات أوائل
إذا صلت صولاً لم أجدْ لي مُصاولاً وإن قلت قولاً لم أجد من يقاول

وقال : إنا إذا اشتد الزّما نُ وناب خطبٌ وادلهمْ
ألفيتَ حوْلَ بيوتنا عُددَ الشجاعة والكرَمْ
للقا العدا بيضُ السيو ف وللندى حمر النعمْ
هـــذا ، وهو دأبنا يودَى دَمٌ ويراقُ دَمْ

وقال :

واني لنزّالٌ بكـــل مخوفة كثيرٌ إلى نُزالها النظرُ الشزرُ
وإني لجرارٌ لكل كتيبة معودة الا يخلّ بها النصر
ولا رَاحَ يطغيني بأثوابه الغنى ولا بات يثنيني عن الكرم الفقر
وما حاجتي في المال أبغي وفوره إذا لم افرْ عرضي فلا وفرَ الوفر
اسرت وما صحبي بعزل لدى الوغى ولا فرَسي مهرٌ ولا ربّه غمرُ
ولكن اذا حم القضاء على امرىء فليس له برٌّ يَقيهِ ولا بحر
وقال اصيحابي الفرار او الرّدى فقلت هما امران احلاهما مرّ
ولكنني أمضي لما لا يعيبني وحسبك من امرين خيرهما الأسرُ

ومنها : يَمُنُّونَ أن خَلَّوا ثيابي وإنما ... عليَّ ثيابٌ من دمائهمُ حمرُ
وقائمُ سيفٍ فيهمُ دقَّ نَصلُهُ ... وأعقابُ رُمحٍ فيهم حطمَ الصدر
سَيَذكرني قومي إذا جدَّ جدُّهم ... وفي الليلة الظلماء يفتقدُ البدر
ولو سدَّ غيري ما سَددت اكتفوا به ... وما كان يُغني التبرُ لو نفَقَ الصفر
ونحن أناسٌ لا توَسُّطَ بيننا ... لنا الصدْر دون العالمينَ او القبر
أعزُّ بني الدنيا وأعلى ذوي العُلا ... وأكرَم من فوق التراب ولا فخر

وقال : غَيري يغيِّره الفعال الجافي ... ويحول عن شيم الكريم الوافي
لا أرتضي ودًّا إذا هو لم يدُمْ ... عند الجفاءِ وقِلة الإنصافِ
إن الغنيَّ هوَ الغنيُّ بنفسه ... ولو أنه عاري المناكب حافِ
ما كلُّ ما فوْقَ البسيطة كافياً ... وإذا قنِعتَ فبعضُ شيء كاف
وتعافُ لي طمعَ الحريص فتوَّتي ... ومُروءتي وقناعتي وعفافي
ومكارمي عدد النجوم ومنزلي ... مأوى الكرام ومنزل الأضيافِ

وقال : أتدعو كريماً من يجود بمالهِ ... ومن جاد بالنفس النفيسةِ أكرمُ
إذا لم يكن يُنجي الفرارُ من الرَّدى ... على حالةٍ فالصبرُ أرْجى وأحزم
لعمري لقد أعذرْتَ لو أن مُسعداً ... وأقدمت لو أن الكتائبَ تُقدِم
وما عابك ابنَ السابقين إلى العُلا ... تأخُّرُ أقوامٍ وأنت مُقدَّم
ومالكَ لا تَلقى بمُهجتكَ القنا ... وأنتَ من القوم الذين هُمُ هُمُ

وقال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٥٤ هـ :

أُطاعنُ خَيلاً من فوارسها الدهر ... وحيداً وما قوْلي كذا ومَعي الصبرُ
وأشجع منِّي كلَّ يوم سَلامتي ... وما ثبتتْ إلا وفي نفسها أمرُ
تمرَّسْت بالآفات حتى تركتُها ... تقول أمات الموتُ أم ذُعِر الذعر
وأقدمْت إقدامَ الأتيِّ كأن لي ... سوى مُهجتي أو كان لي عندها وتر

ذَرِ النفس تأخذْ وُسعها قبل بَينها ... فمفترقٌ جاران دارُهما العُمْرُ
ولا تحسبنَّ المجدَ زِقّاً وقينةً ... فما المجدُ إلا السيفُ والفتكةُ البِكْرُ
وتضريبُ أعناقِ الملوك وأن ترى ... لك الهبواتُ السُّود والعسكرُ المجر
وتركك في الدنيا دَوِيّاً كأنما ... تداول سمعَ المرء أنمُلُه العشْر
إذا الفضل لم يرفعك عن شكرِ ناقص ... على هِبةٍ فالفَضْل فيمن له الشكر
ومن يُنفق الساعاتِ في جمع ماله ... مخافةَ فقر ، فالذي فعلَ الفقر

وقال صفيّ الدين الحِلّيّ المتوفى سنة ٧٤٠ هـ :

سَل الرِّماحَ العوالي عن معالينا ... واستشهد البيضَ هل خاب الرَّجا فينا
لقد سَعينا فلم تضعُف عزائمُنا ... عما نرومُ ولا خابت مساعينا
قوم إذا استُخصموا كانوا فراعنة ... يوماً وإن حَكموا كانوا مَوازينا
إذا ادَّعَوْا جاءت الدنيا مُصدِّقة ... وإنْ دَعَوْا قالت الأيام آمينا
إنا لقومٌ أبت أخلاقنا شرفاً ... أن نبتدي بالأذى من ليس يُؤذينا
بيض صنائعنا سودٌ وقائعُنا ... خضر مَرابعنا حُمر مواضينا
لا يَظهر العجزُ منّا دون نيل منى ... ولو رأينا المنايا في أمانينا

وقال أبو العلاء المعرّي :

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعِل ... عفافٌ وإقدام وحزم ونائل (١)
أعندي وقد مارسْت كل خَفيّةٍ ... يُصدّق واشٍ أو يخيب سائل (٢)
تُعد ذنوبي عند قومٍ كثيرةً ... ولا ذنبَ لي إلا العُلا والفضائل (٣)

---

(١) أي قد جمعت العفة والشجاعة والحزم والجود، وسلوك هذا الطريق هو المجد أي أن أفعالي كلها واقعة في سبيل المجد ثم فصل أفعاله، وعدها وكانت كلها من خلال المجد . (٢) أي بعد أن جربت الأمور التي تخفى وعرفتها لا أصدق الساعي بيني وبين إخواني بالإفساد أو أخيب من يرجو معروفي ويطلب نائلي أي أني لا أفعل ذلك استفهام بمعنى الإنكار (٣) أي ذنوبي كثيرة عند من لا يناسبه حالي لقصوره ونقصه ولا ذنب لي إلا فضائلي وعلو شأني .

كأني إذا طلتُ الزمانَ وأهلَه ... رَجعتُ وعندي للأنام طوائل ١

وقد سار ذكري في البلاد فمن لهم ... بإخفاء شمسٍ ضَوءُها متكامل ٢

يُهِمُّ الليالي بعضُ ما أنا مضمر ... ويُثقِلُ رضوى دونَما أنا حامل ٣

وإني وإن كُنتُ الأخيرَ زمانه ... لآتٍ بما لم تستطعه الأوائل ٤

وأغدو ولو أنَّ الصباح صوارم ... وأسري ولو أنَّ الظلام جحافل ٥

وإني جَواد لم يحَلّ لجامُه ... ونَصْلُ يَمانٍ أغفلته الصياقل ٦

فإن كان في لبْسِ الفتى شرف له ... فما السيف إلاّ غِمْدُه والحمائل ٧

ولي مَنطِقٌ لم يَرضَ لي كنهَ منزلي ... على أنني بينَ السماكين نازل ٨

(١) الطوائل: جمع طائل وهو الثروة، يقول متى فقت أهل العصر بالفضائل أبغضوني وعادوني وصرت كأني وترت الناس وأن عندي لهم ديونا يطالبونني بها (٢) أي يجهد حسادي في ستر حالي وإخفاء أمري وكيف يمكنهم ذلك وقد سار صيتي في البلاد مسير الشمس ومن يضمن للحساد إخفاء شمس قد تكامل ضوؤها وشعاعها أي لا يضمن ذلك أحد لأنه غير ممكن فكذلك إخفاء ذكري غير ممكن. (٣) الليالي في موضع نصب لأنه مفعول به، وسكن لضرورة الشعر أي يهم بعض ما أضمر من الهموم الليالي (٤) أي أني وإن كنت الذي آخر زمانه أفعل من الأمور العجيبة ماعجزت الأولون زماناً عن مثاله أي سبقت الأوائل في المساعي وإن تأخر زماني (٥) لا يصرفني عن همي أمر من الأمور بل أغدو أول النهار لحاجاتي ولو كان الصباح سيوفا لم يثنني عن قصدي والصبح يشبه بالسيف لبياضه وهيئته وأسري في الليل المظلم لما يهمني ولا تمنعني ظلمة الليل عن همي ولو كان جحافل وهي جمع جحفل وهو الجيش العظيم والظلام يشبه بالجيش وبالعكس (٦) يصف اعتزاله الأمور وإيثاره ملازمة الخمول والتنزه عن الأعمال مع استعداده للانهاض إلى معالي الأمور مشبها حاله بحال جواد عطل عن تحلية لجامه وبسيف يمني قد سدىء لطول عهده بالصقل، أي كما لا يزرى بعتق الجواد وجوهر السيف فكذلك إيثاره العزلة والتنزه عن الأعمال لا يذري بمنصبه ومكانه (٧) أي ليس الشرف في ملابسه الأعمال ولبس الفاخر من اللباس ولو كان ذلك لكان قيمة السيف بحسب نفاسة غمده وحمائله، وليس كذلك وإنما قيمة السيف بجوهره وكذلك شرف ذات الفتى بالتحلي بأوصاف الشرف ومعالي المجد (٨) أي منطقي لا يرضى لي بغاية منزلتي هذه مع ارتفاعها وعلوها فإنها قد بلغت السماكين بل يقتضي أعلى وأشرف منها

لدى مَوْطن يشتاقه كلُّ سيد ويقصرُ عن إدراكهِ المتناولِ ١
ولما رأيت الجهلَ في الناس فاشياً تجاهلتُ حتى ظُنَّ أنيَ جاهل ٢
فَواعجباً كم يَدّعي الفضلَ ناقص ووا أسفاً كم يُظهرُ النقصَ فاضل ٣
وكيف تَنامُ الطيرُ في وكناتها وقد نُصِبَتْ للفرْقدينِ الحبائل ٤
ينافس يومي فيَّ أمسي تشرّفاً وتحسُدُ أسحاري عليَّ الأصائل ٥
وطال اعتري في بالزّمان وصرْفهِ فلستُ أبالي مَن تغول الغوائل ٦
فلو بانَ عُنْقي ما تأسّفَ منكبي ولومات زَندي ما بكتْهُ الأنامل ٧
إذا وصف الطائيَّ بالبخل مادر وعيّرَ قُسّاً بالفهاهة باقل ٨
وقال السُّهى للشمس أنت ضئيلة وقال الدجى يا صبحُ لونك حائل ٩

(١) اي منزلي عند محل يتمنى كل سيد ان يبلغه ويرقى إلى حده . ويتقاصر من يريد تناوله عن الوصول إليه (٢) اي لما كثر الجهل في الناس وعز العلم والفضل وجهل قدرها تكلفت الجهل وسترت فضلي تشبها بأهل زماني حتى ظن بي اني جاهل مثلهم (٣) يتعجب من ادعاء الناقص التحلي بالفضل زورا – ويتأسف من إظهاره النقص مع فضله تشبها بالجاهلين في زمانه (٤) الوكنات: جمع وكنة وهي الموضع الذي ينام فيه الطير والحبائل جمع حبالة وهي الشبكة التي ينصبها للصيد ضرب لنفسه مثلا بالفرقدين علواً ولغيره بالطير في اوكارها (٥) ينافس يفاخر أي ان الوقت الذي اكون فيه يتشرف بي ، فسائر الأوقات يحسد الوقت الذي اكون فيه فصار امسي المقتضى يحسد يومي الحاضر لكوني فيه – وكذلك تحسد الأصائل الأسحار التي اكون فيها. ٦) طالما عرفت الزمان واحواله، ونالت مني حوادثه وصرفه ، وتمرنت نفسي على نوائبه فصرت لا اجزع على المصائب ولا ابالي بمن تنزل نوازل الدهر . (٧) يهون على نفسه خطوب الزمان بعد معرفته بصروفه حتى لو اصيب عضده وبان لم يتأسف اي لم يجزع منكبه عليه ، ولو مات زنده لم تبك انامله عليه مع ان الكف لا تبطش إلا بواسطة قوة الزند وما داناه (٨) يعني بالطائي حاتماً الطائي وقد سار به المثل في الجود ، ومادر رجل من بني هلال بن عامر بن صعصعة يضرب به المثل في البخل، وإنما قيل له مادر لأنه سقى إبله من بعض الحياض فلما شربت إبله وصدرت عن الماء سلح في الحوض ومدر الحوض اي لطخه بالطين لئلا يشرب منه غيره فسمي مادراً ، وقيل البخل من مادر (٩) السها كوكب خفي تمتحن به الأبصار، اي وحين ينعكس الأمر بأن يصف السهى الشمس بالخفاء مع بهائها، ويصف الدجى الصبح بأنه حائل اللون اي متغير .

وطاولت الأرضُ السماءَ سفاهةً ... وفاخرت الشهبَ الحصى والجنادل[١]
فيا موت زُرْ إن الحياةَ ذميمةٌ ... ويا نفسُ جِدّي إن دهرَكِ هازل[٢]

وقال المرحوم محمود سامي باشا البارودي :

ولي شيمةٌ تأبى الدنايا وعزمةٌ ... تردُّ لهامَ الجيش وهو يمورُ
إذا سرْتُ فالأرضُ التي نحن فوقها ... مرادٌ لمهري والمعاقلُ دور
فلا عجبٌ إن لم يصرْني منزل ... فليس لعقبان الهواء وكور
همامة نفس ليس ينفي ركابها ... رواح على طول المدى وبكور
مُعوَّدةٌ ألا تكفَّ عنانها ... عن الجدّ إلا ان تتم أمور
لها من وراء الغيب أذنٌ سميعة ... وعينٌ ترى ما لا يراه بصير
وقيتُ بما ظنّ الكرام فراسةً ... بأمري ومثلي بالوفاء جدير
وأصبحتُ محسودَ الخلال كأنني ... على كلّ نفسٍ في الزمان أمير
إذا صُلت كفَّ الدهرُ من غلوائه ... وإن قلت غصَّت بالقلوب صدور
ملكت مقاليد الكلام وحكمةً ... لها كوكبٌ فخمُ الضياء منير
وإني امرؤٌ صعب الشكيمة بالغٌ ... بنفسيَ شأواً ليس فيه نكير

وقال أيضاً :

سوايَ بتحنان الأغاريد يطرب ... وغيريَ باللذات يلهو ويلعبُ
وما انا ممن تأسر الخمرُ لبه ... ويملكُ سمعيه اليراع المثقب
ولكن أخو همٍّ إذا ما ترجّحت ... به سورةٌ نحو العلا راح يدأب
نفى النومَ عن عينيه نفسٌ أبيةٌ ... لها بين اطراف الأسنة مطلب

---

(١) اي إذا كانت الأرض تباهي السماء من جهلها وتفاخر الحصى والحجارة الكواكب في العلو (٢) اي إذا كانت الأمور معكوسة كما وصف لم تبق رغبة في الحياة وصارت مذمومة وكان الموت بحيث يتمنى إلمامه لقطع الحياة الذميمة التي لا يحمدها صاحبها لماترى من الأمر المحال: ويأمر الحازم نفسه بالجد فيما يعنيها غير معرجة على شيمة الدهر في تلونه وعدم ثباته .

لشُبانة نفس أصغرتْ كل مأربٍ فكلّفتِ الأيام ما ليس يوهَبُ
إذا انا لم أعطِ المكارمَ حقها فلا عزّني خالٌ ولا ضمّني أب
ومن تكُنِ العلياءُ همة نفسه فكل الذي يلقاهُ فيهـا محبب

وقالت السيدة عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٢٠ هـ :

بيدِ العفاف أصون عِزّ حجابي وبعصمتي أسمـو على أترابي
وبفكـرة وقـادةٍ وقريحـةٍ نقـادة ، قد كملتْ آدابي
ما ضرّني أدبي وحسنُ تعلمي إلا بكوني زهرةَ الألبـابِ
ما عاقني خجلي عن العَليا، ولا سدلُ الخمـار بلمّتي ونقـابي
عن طيِّ مِضمار الرهان إذا اشتكت صعْبَ السباق مطامح الركّابِ
بلّ صَوْلتي في راحتي، وتفرسي في حُسنِ ما أسعى لخيرِ مآب

وقال المرحوم الشيخ عثمان الزناتي المتوفى سنة ١٩٣٤ م .

أرِقتُ وأصحابي خليُّون نُوَّمُ وما أنا ذو ثـأر ولا انا مُغرَمُ
ولكن همّاً بين جنبيّ هاجَهُ عليّ ذوو القربى ، عفا الله عنهمُ
فإن يكُ حلمي مدّ اعناق جهلهم فلا زلتُ فيهم يجهلون وأحلمُ
وما أنا ممن يغلبُ الجهلُ حلمـه ويغزو على الأعراض او يتهجّمُ
ولكن صفوحٌ حين أُظلم قادراً وإن كنت في بعض الأحايين أظلِم
فإن كان حلمُ القادرين مذلّةً فإني ذليلٌ غيرَ أني مُكرّمُ
هموا ثلموا عِرضي لغيرِ جَريرةٍ سوى أنهم مني وأنيَ منهـم
أوطّئُ أكنافي لهم وأحوطهم من الدهر لا اشكو ولا اتبرّمُ
يطرأ عليّ الليل إن طالَ ليلهم ومهما يَطلْ ليلي فهم عنـه نوّمُ
ويُنكر أدناهم عليّ فضائلي ومـا ضرني إنكاره وهو يعلم

الباب الثالث في شكوى الزمان والحال

قال الشَّنْفري ١ المتوفى سنة ٥١٠ هـ :

أقيموا بَني أمّي صدور مَطيِّكم فإني لقوم سواكُمْ لأمْيَل ٢
فقد حمّت الحاجات والليل مُقْمِر وشُدّتْ لطيّات مَطايا وأرحُل ٣
وفي الأرض مَنْأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خافَ القِلى مُتَعَزَّل ٤
لعَمرك ما في الأرض ضيق على امرىءٍ سَرى راغباً او راهباً وهو يَعْقِل ٥
ولي دونَكُمْ أهلونَ سِيدٌ عَمَلَّسٌ وأرقط زُهلولٌ وعَرْفاءُ جَيْأَل ٦

(١) هو ثابت بن اوس الأردي الشاعر المشهور من اهل اليمن من شعراء الطبقة الثانية ومن جيد شعره هذه القصيدة المشهورة بلامية العرب مات سنة ٥١٠ م والشنفري هو العظيم الشفتين وهو شاعر الأزد من العدائين . وكان في العرب من العدائين من لاتلحقه الخيل، منهم هذا وسليك بن سليكة ، وعمر بن برق ، واسير بن جابر ، وتأبط شرا – وكان الشنفري حلف ليقتلن من بني سلامان مائة رجل فقتل منهم تسعة وتسعين وكان اذا وجد الرجل منهم يقول الشنفري لطرفك ثم يرميه فيصيب عينيه ، فاحتالوا عليه فأمسكوه وكان الذي امسكه اسير بن جابر احد العدائين وقد رصد له حتى نزل في مضيق ليشرب الماء فوقف له فيه فأمسكه ليلا ثم قتلوه فمر رجل منهم بجمجمته فضربها برجله فدخلت فيها شظية من الجمجمة فمات منها فتمت القتلى مائة والله اعلم بذلك . (٢) مطا جد في السير . والمطية الدابة تمطو في سيرها جمعها مطايا ومطى (٣) حم الأمر حماقضى، والطيات جمع طية وهي النية (٤ نأى عنه بعد ، والقلى بكسر القاف شدة الكراهة وتعزل عنه تنجى (٥ (المعنى) وحياتك أن الأرض لا تضيق على الإنسان العاقل الذي يستعمل عقله في إدراك المرغوب وترك المرهوب (٦ السيد بالكسر الأسد والذئب والعملس بفتح العين والميم واللام المشددة القوي على السير السريع والذئب الخبيث والأرقط النمر ، والزهلول كعصفور الأملس والعرفاء الضبع لكثرة شعر رقبتها الذي هو بمنزلة عرف الفرس، وجيألة وجيأل ممنوعتان من الصرف وجيل بلا همزة الضبع .

هم الأهل مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل ١
وكل أبي باسل غير أنني إذا عرضت أولى الطرائد أبسل ٢
وإن مدت الايدي إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل ٣
وما ذاك إلا بسطة عن تفضل عليهم ، وكان الافضل المتفضل ٤
وإني كفاني فقد من ليس جازياً بحسنى ولا في قربه متعلل ٥
ثلاثة اصحاب : فؤاد مشيع ، وأبيض إصليت ، وصفراء عيطل
هتوف من الملس المتون تزينها رصائع قد نيطت إليها ومحمل ٦
إذا زل عنها السهم حنت كأنها مرزأة ثكلى ترن وتعول
ولست بمهياف يعشى سوامه مجدعة سقبانها وهي بهل ٧

(١) جر على نفسه وغيره جريرة اي ذنبا والجريرة الذنب والخيانة (٢) الأبي كعلي من يكره الدنايا ولا يحتمل الضيم والباسل الأسد الشجاع والطريدة ما طردته وابعدته من ناحية وضممته إليك من الصيد والفرسان (٣) الجشع بالتحريك شدة الحرص واسوؤه اخذ الإنسان نصيبه والطمع في غيره (٤) [المعنى] وما دعاني إلى ذلك إلا توسعي بالفواضل عليهم لأن افضل القوم هو المتفضل عليهم (٥) تعلل بالأمر تشاغل وشيع فلان شجعه ويأتي ايضا بمعنى خرج معه ليودعه ، والإصليت السيف الصقيل الماضي والعيطل القوس الطويلة العنق الصلبة المتن (٦) قوس هتوف ذات صوت حنون ، والملس الناعمات والمتون جمع متن بمعنى الصلب والرصائع جمع رصيعة حلية السيف المستديرة او كل حلقة مستديرة في سيف او سرج او غيره ، ونيطت اليها علقت بها وزل السهم عن القوس خرج منها بسرعة والمرزأة المصابة بالرزايا ، والثكلى الفاقدة اولادها ، وأعول رفع صوته بالبكاء والصياح [المعنى] قوس طنانة رنانة من نبات مزينة بالحلى ترن عند خروج السهم منها بحنين كأنها امرأة عاجلها فقد ابنها الغالي فهي تبكي وتعول لفقده. (٧) المهياف : السريع العطش ، والسوام : الإبل الراعية ، وناقة باهل لاصرار عليها ولا خطام ولا سمة لها ، [يقال] بهلت الناقة حل صرارها او مجدعة محبوسة على غير علف وسقبان جمع سقب وهو ولد الناقة .

ولا جُبَّاءٍ أكهى مُربٍّ بعرسِهِ   يطالعها في شأنه كيفَ يفعلُ [١]
ولا خرقٍ هيق كأنَّ فؤاده   يظلُّ به المكاءُ يَعلو ويَسفلُ [٢]
ولا خالفٍ داريّةٍ مُتَعَزّلٍ   يروح ويَغدو داهناً يتكحّل [٣]
ولست بعَلٍّ شرُّهُ دون خَيرِهِ   ألفُّ إذا ما رُعْتَه اهتاج أعزلُ [٤]
ولست بمحيار الظلام إذا انتحت   هدى الهوجل العِسّيف يهماء هوجلُ [٥]
إذا الامعزُ الصوّان لاقى مناسمي   تطايرَ منه قادحٌ ومُفَلَّلُ [٦]
أديمُ مِطال الجوع حتى أميتَه   وأضرب عنه الذكر صفحاً فأذهل [٧]

(١) جبأ كنصر : جبن والأكهى الجبان الضعيف ومرب بعرسه اي زوجته لزمها وقعد معها كأرب [المعنى] ولست بالجبان الضعيف الذي يلازم قرينته ويطلعها على امره ويأخذ رأيها فيه. (٢) الخرق: ككتف الذي يندهش ويبهت لأقل شيء والهيق الواحد من النعام ويسمى بالظليم، والمكاء كرمان: نوع من الطير (٣) يقال فلان خلفه اهل بيته وخالفهم بمعنى انه غير نجيب لا خير فيه إذ انه يقعد بعدهم ويأتي خالف بمعنى احمق والداريّة الملازم لبيته. (٤) العل الصغير الجسم الضعيف والألف الرجل الثقيل اللسان العي بالأمور والأعزل الخالي من السلاح [المعنى] ولست من سقط الرجال الذين يخشى شرهم ولا يرجى خيرهم الذين يرتبكون في الأمور ويرتاعون لكل مروع حيث لا سلاح لهم يقيهم من الخوف. (٥) يقال نحاه وانتحاه بمعنى قصده ، الهوجل المفازة البعيدة لا علم بها ، والناقة بها هوج من سرعتها والرجل الأهوج والدليل والعسيف صيغة مبالغة من عسف في السير خبط فيه خبط عشواء ، واليهماء عند اهل البادية السيل والجمل الهائج الصئول، وعلى ذلك يمكن ان يقال ناقة يهماء. (٦) المعز: الصلابة ، ومكان امعز: صلب وارض معزا : صلبة ، والصوان نوع من الحجارة شديدة الصلابة ، والمنسم كمجلس خف البعير ، والمفلل المكسر والمراد بالقادح هنا الحجر الذي يضرب بغيره فيفتته ويخرج منه الشرر. (٧) صفحاً إما مصدر من صفح عنه أعرض مفعول له على معنى اصرف عنه التذكر إعراضاً عنه وإما ظرف بمعنى الجانب على معنى انحى التذكر عنه جانباً كما تقول ضعه جانباً .

وأستَفُّ تُربَ الارض كي لا يرى له ... عَليَّ من الطَّوْلِ امرؤٌ متطوّلُ ١
ولولا اجتناب الذّام لم يُلفَ مَشربٌ ... يُعاش بهِ إلا لدَيَّ ومأكَلُ ٢
ولكن نفساً حرّةً لا تُقيمُ بي ... على الضيمِ إلا رَيثما أتحوّلُ ٣
وأطوي على الخمص الحوايا كما انطوت ... خُيوطَةُ ماريٍّ تُغار وتُفتلُ ٤
وأغدو على القوتِ الزّهيد كما غدا ... أزَلُّ تهاداه التنائف أطحلُ ٥
غدا طاوياً للرّيح يَعارِضُ هافياً ... يخوت بأذناب الشّعابِ ويَعسِلُ ٦
فلما لواهُ القوت من حيث أمّه ... دَعا، فأجابَتهُ نظائرُ نُحَّلُ ٧
مُهَلّلةٌ شيبُ الوجوه كأنها ... قِداحٌ بكفّي ياسرٍ تَتَقَلقَلُ ٨

(١) الطول: الفضل والإنعام وتطول عليه امتن وانعم ٢) الذام العيب والذم [المعنى] ولولا اني اخشى العار والمذمة التي تلحق الباذلين ماء وجوههم لأجل المأكل والمشرب لكان عندي من اشكالها وألوانها كل ماتشتهيه الأنفس. (٣) الضيم: الذل ؛ وريثما معناها مقدار ما (٤) الخمص: الجوع والحوايا جمع حوية كغنيمة ما تحوي وانطوى بعضه على بعض من الأمعاء والخيوطة جمع خيط ، وماري اسم صانع مشهور يفتل الخيوط واغار شد الفتل [المعنى] واضمر امعائي بالجوع حتى تصير مثل الخيوط يشد فتلها ماري المشهور بفتل الخيوط. (٥ الزهيد : القليل والأزل السريع والموصوف به هنا الذئب بدليل ما بعده، التنوفة المفازة والأرض الواسعة البعيدة الأطراف او الفلاة لا ماء بها ولا انيس، وإن كانت معشبة وجمعها تنائف ، والطحلة لون بين الغبرة والسواد ببياض قليل وذئب اطحل لونه الطحلة (٦ غدا طاويا اي بكر بالضرب في الأرض جائعا ويعارض الريح يسابقه وهافيا مسرعا ، وخات البازي انقض على الصيد وخات الرجل اختطف ، واذناب الشعاب اطراف الأراضي التي بين الجبال ، وعسل الذئب يعسل عسولا وعسلا : اشتد اهتزازه في عدوه . (٧ لواه القوت قتله وضمره ، وأمه قصده ، ونظائر نحل يعني امثاله . ٨) المهللة الضامرة المنقوشة ، والقداح جمع قدح وهو السهم قبل ان يراش ويركب عليه نصله.

أو الخشرمُ المبعوث حثحثَ دَبْرُه محابيض أرساهنّ سامٍ مُعسلُ ١
مُهرّتةٌ فوهٌ كأن شدوقهــا شُقوق العصي كالحاتٌ وبُسّلُ ٢
فضجّ وضجّتْ بالبراح كأنهــا وإياه نوحٌ فوق علياء ثكّلُ ٣
وأغضى وأغضت واتّسى واتسَتْ به مَراميل عزّاها وعَزّته مُرملُ ٤
شكا وشكت ثم ارعوى بعد وارعوت وَللصبْرُ إن لم ينفع الشكوُ أجملُ ٥
وفاء وفاءت بادرات وكلهــا على نكظ ممــا يكاتم مجمل ٦
وتشرب أسآري القطا الكَدَر بعدما سَرتَ قرباً أحشاؤها تتَصلصَلُ ٧

(١) الخشرم كجعفر جماعة النحل وامير النحل ومأواها ، وحثحث كحث حض وحرض والدبر بفتح الدال جماعة النحل ، ومحابيض جمع محبض كمنبر عود يشتار به العسل او يطرد به الدبر ، وهي هنا منصوبة على نزع الخافض والمعنى إلى محابيض ، وارسى وقف وأوقف ، وسام مرتفع ومعسل : طالب العسل . (٢) المهرتة الواسعة ، والفوه جمع الأفوه وهو الواسع الفم او الذي يخرج اسنانه من الشفتين ، والشدوق اطراف الفم من باطن الخدين ، وكالحات شديدة العبوس ، وبسل كريهات المنظر . ٣) البراح كسحاب المتسع من الأرض التي لا زرع بها ولا شجر . (٤) اغضى على الشيء سكت ، واتسى اقتدى والمرمل الذي نفد زاده ، وعزاها سلاها على مصابها [المعنى] ثم سكت فسكتت اقتداء به وسلاهـا على جوعها وسلته على مخمصته . (٥) الارعواء النزوع عن الجهل وحسن الرجوع منه [المعنى] شكوا فلما لم تنفع الشكوى رجعوا عنه وصبروا على الجوع – والصبر احسن من الشكوى التي لا تفيد . (٦) فاء رجع ، وبادرات مسرعات ، والنكظ محركة الجوع الشديد . (٧ اسآر : جمع سؤر وهو بقية الماء بعد الشرب والقطا : نوع من الطير صوته قطا قطا وهو ثلاثة اضرب كدري وجوني وغطاط – فالكدر الغبر الألوان الرقش الظهور والبطون الصفر الحلوق وهو الطف مـن الجوني ، والجوني السود البطون والأجنحة وهو اكبر من الكدري ، والغطاط كسحاب ، =

هَمَمْتُ وهمّت، وابتَدَرْنا وأسدلَت وشمرَ مني فارطٌ مُتَمَهِّلُ ١
فوَليتُ عنها وهي تكبو لعقره يباشره منها ذقونٌ وحَوصلُ ٢
كأنّ وغاها حجرتيه وحوله أضاميمُ من سَفر القبائل نزّل ٣
توافينَ من شتى إليه فضمها كما ضم أذوادَ الأصاريم منهل ٤
فعَبّت غشاشاً ثم مَرّت كأنها مع الصبح ركبٌ من أحاظةَ مجفل ٥
وآلفُ وجه الأرض عند افتراشها بأهدأ تنبيه سناسنُ قحّلُ ٦

=الغبر الظهور والبطون والأبدان سود بطون الأجنحة طوال الأرجل والأعناق لطاف لا تجتمع اسرابا بل اكثر ما يكون ثلاث واثنان الواحدة غطاطة ويقال إن القطا يطلب الماء على مراحل عديدة أبلغها بعضهم إلى عشرين.

(١) سدل ثوبه وشعره واسدله: ارخاه وارسله، وفرط القوم يفرطهم فرطا وفراطة فهو فارط تقدمهم إلى الورد لإصلاح الحوض والدلاء. (٢) تكبو تنكب على وجهها، والعقر بضم العين والمراد به هنا الماء في اقصى الحوض والذقون جمع ذقن وهو مجتمع اللحيين، والحوصلة للطير كالمعدة للانسان[المعنى] وقد انصرفت عنهم بعد مارويت وتركتها تغمس بأذقانها وحواصلها في الماء لترتوي من شدة العطش التي اصابتها من إجهادها نفسها في الطيران (٣) الوغى كالفتى الصوت والجلبة، والحجرة الناحية والأضاميم جمع إضمامة بكسر الهمزة وهي الجماعة والسفر القوم المسافرون (المعنى كان جلبتها بجانب الماء وحوله ضوضاء الجماعات من القبائل المسافرين عند حطهم من السفر . (٤) توافين إليه تلاحقن إلى الماء وشتى اي من جهات متفرقة والأذواد جمع ذود وهو جماعة الإبل والأصاريم جمع صرم بكسر الصاد وهو جماعة الأعراب (٥) العب جرع الماء وابتلاعه كتلة واحدة كما تفعل الحمامة في شربها، وغشاشا اي عبا قليلا عجلا غير مرئي واحاظة بن سعد بن عوف أبو قبيلة من حمير إليه ينسب مخلاف احاظة باليمن والمحدثون يقولون وحاظة واجفل النعام فهو مجفل حركها وطردها . (٦) الأهدأ المنكب المسترخي اللحم وتنبيه ترفعه والسناسن حروف فقار الظهر وقحل مجردة من اللحم .

وأعدلُ مَنحوضاً كأنّ فصوصه   كِعابٌ دحاها لاعب فهي مُثَّلُ ١
فإن تبتئسْ بالشنفرى أمُّ قسطل   لما اغتبطَتْ بالشنفرى قبلُ أطولُ ٢
طريدُ جنايات تَياسَرْنَ لَحْمَهُ   عقيرته لأيّها حُمَّ أوّل ٣
تنامُ إذا ما نامَ يقظى عيونها   حثاثاً إلى مكروهه تَتَغَلْغَلُ ٤
وإلْفُ هموم ما تزال تعوده   عياداً كحمى الرِّبع أو هي أثقلُ ٥
إذا وردَتْ أصدرتها ثم إنها   تؤوب فتأتي من تحيت ومن عَلُ ٦

---

(١) أعدل معناه هنا أسوي او أفرش لرأسي وأجعل لها وسادة . ومنحوضاً يعني ساعداً قليل اللحم : والفصوص المراد بها هنا الأصابع والكعاب لعب على شكل الأقماع ودحاها بمعنى بسطها. ومثل معناها ماثلة وقائمة بين يدي اللاعب.

(٢) تبتئس تحزن وأم قسطل الحرب واغتبطت سرت وقرت عيناً

(٣) كان من عادات العرب غير المحمودة إذا أرادوا أن تحصل لهم ميسرة بدون كبير كد ولا عظيم تعب أن يشتروا ناقة نسيئة وينحروها ويقسموا لحمها جملة أقسام ويجعلوا لها سهاماً بعضها ذوات نصباء وبعضها غفل بلا نصيب ليستوفوا ببيعها بقدر زهيد ثمن الناقة ثم يقترعون السهام فيفوز من تخرج لهم ذوات الأنصباء ويحرم من تخرج لهم الغفل وهذه هي لعبة الميسر (القمار) المشهورة الفساد وحرمها الدين الحنيف والقوم الذين يجتمعون على الميسر يقال لهم: يسر ، والناقة التي تذبح فيه يقال لها جزور. ويقال لها عقيرة لأنها تعقر وتنحر ويقال تياسروا اي أخذوا الأنصباء من اللحم ، ويقال حم بمعنى دنا وقرب .

(٤) تنام أي الجنايات والمراد أصحابها وحثاثاً سراعاً وتتغلغل تدخل بشدة

(٥) الإلف والأليف الحليف المعاود ، والعودة والرجوع مرة بعد أخرى وربعت عليه الحمى جاءت ربعاً يعني ترددت عليه في كل أربعة أيام مرة تتركه في الثلاثة وتأتيه في الرابع وتسمى هذه الحمى حمى الربع .

(٦) تؤوب ترجع ، المعنى كلما ثارت علي جيوش الهموم وأحاطت بي من كل جانب رددتها عني بعزم ماض وصبر جميل .

فإما تراني كابنة الرَّمْل ضاحياً على رقة أحفى ولا أتنعّلُ ١
فإني لمولي الصبر أجتاب بزّه على مثل قلب السمع والحزمَ أفعل
وأُعْدِمُ أحياناً وأغنى ، وإنما ينالُ الغنى ذو البعدة المتبذلُ ٢
فلا جزِعٌ من خلة متكشف ولا مرح تحت الغنى أتخيلُ ٣
ولاتزدهي الأجهال حلمي ولاأرى سئولاً بأعقاب الأقاويل أنملُ ٤
وليلة نحس يصطلي القوسَ ربها وأقطعه اللاتي بها يتنبّلُ ٥
دغشت على غطش وبغش وصحبتي سعار وإرزيزٌ ووجر وأفكل
فأيمتُ نسواناً وأيتَمْتُ ولدة وعدت كما أبدأت والليل ألْيَلُ ٦

(١) فإما تراني ، بإهمال ان حملا على لو ، كقراءة طلحة : فإما ترن بياء ساكنة ونون مفتوحة وابنة الرمل معناها الحية او البقرة الوحشية ، وضاحياً بارزاً للشمس ، وعلى رقة معناها سوء العيش ، ومولي الصبر واليه ، واجتاب القميص لبسه ، والبز الثياب ؛ والسمع بالكسر ولد الذئب من الضبع يزعمون انه لايموت حتف انفه كالحية وانه في عدوه اسرع من الطير ووثبته تزيد على ثلاثين ذراعا. (٢) اعداماً واعداماً بالضم افتقر وذو البعد بالضم اي صاحب الابتعاد في الأرض ، والمتبذل من لا يصون نفسه . (٣) الجزع نقيض الصبر الخلة الحاجة والفقر والمرح البطر والاختيال (المعنى) الفقر لا يظهر علي ترحا والغنى لا يبدي مني مرحا . (٤) تزدهي : تستخف والأجهال جمع جهل شذوذا لأن قياسه اجهل وجهل إلا انه حسنه كون عينه الهاء الشبيهة بحرف اللين ، والباء في «بأعقاب» بمعنى عن ؛ والأنمل : النمام وهو نمل ونامل ومنمل كمجلس ومنبر ، ونمال كشداد نمام ؛ وقد نمل كنصر وعلم ، وانمل نم . (٥) اصطلى استدفأ والأقطع جمع قطع وهو القضيب تبرى منه السهام وتنبل بالأقطع اتخذها نبلا ، ودغش عليه كمنع هجم وفي الظلام دخل ، والغطش الظلمة والبغش المطر الخفيف والسعار بضم السين شدة الجوع والأرزيز برد صغار كالملح : الوجد والحقد والغل والغيظ والأفكل الرعدة . (٦) ايمت نسوانا يعني قتلت رجالهن فتركتهن بلا ازواج ، وايتمت ولدة بكسر الواو جمع ولد يعني قتلت آباءهم : وابدأت بدأت والليل أليل يعني طويل الظلمة .

وأصبحَ عني بالغُميصاء جالساً فريقان مَسئولٌ وآخرُ يسألُ ١
فقالوا : لقد هَرّتْ بليل كلابُنا فقلنا أذئبٌ عسّ ، أم عسّ فُرعُلُ ٢
فلم يكُ إلا نبأةٌ ثم هَوّمتْ فقلنا قطاة ريعَ ، أم ريع أجدل
فإنْ يكُ من جن لأبرحَ طارقاً وإن يكُ إنساً ماكها الإنس يفعل
ويوم من الشّعْرى يَذوبُ لُعابه أفاعيه في رَمْضائه تَتَمَلْمَلُ ٣
نَصَبْتُ له وجهي ولا كِنّ دونه ولا سترَ إلا الأتحمي المرَعبَلُ
وضافٍ إذا هبّت الرّيحُ طيّرت لبائدَ عن أعطافه ما ترَجّلُ
بعيدٌ بمسّ الدهن والفلي عهده له عبس عاف منَ الغَسْلِ محولُ ٤

(١) الغميصاء موضع أوقع فيه خالد بن الوليد رضي الله عنه ببني خذيمة .

(٢) هر الكلب هريراً صوت صوتاً دون النباح وعس طاف بالليل والفرعل بالضم ولد الضبع والنبأة الصوت الخفي وهوم هز رأسه من النعاس ، والقطا جمع قطاة نوع من الطير صوته قطا قطا والأجدل الصقر وريع أخيف ولأ برح معناه لقد أتى بالبرح وهو الشدة وها في كها ضمير القصة دخلت عليه الكاف شذوذاً .

(٣) الشعرى نجم يطلع في شدة القيظ واللعاب معناه هنا ما تراه في شدة الحر كأنه منحدر من السماء اذا قام قائم الظهيرة ويكون على هيئة البخار أو على هيئة نسج العنكبوت ويسمى أيضاً لعاب الشمس ، والرمضاء الأرض الشديدة الحرارة وتململ تقلب والكن الستر والأتحمي برد معروف . والمرعبل الممزق . وضاف صفة الشعر المحذوف ومعناه طويل ولبائد جمع لبدة وهي الشعر المتراكم وأعطافه جوانبه وترجل تمشط (المعنى) وكم يوم من أيام الشعرى التي تتصاعد فيها الأبخرة وتتململ فيها الأفاعي من شدة الحر عرضت له وجهي بغير ستر ومشيت فيه ولا شيء على جلدي إلا ثوب ممزق وشعر مسترسل إذا هبت عليه الريح لم تطير منه إلا لبائد في كل جانب منه لم تمسه الأمشاط . (٤) الفلي تفلية الرأس من القمل . والعبس محركة ما تعلق بأذناب الإبل من أبوالها وأوبارها يجف عليها ، وعاف من الغسل لم يغسل والمحول الذي أتى عليه بالحول .

وخَرق كظَهْر الترس قفر قطعته بعاملِتين ظهره ليس يعمل ١
فألحقت أولاه بأخراه موفيـاً على قنة أقعي مراراً وأمثل ٢
ترود الأراوي الضخم حولي كأنها عذارى عليهن الملاء المذيّل ٣
ويَرْكدن بالآصال حولي كأنني من العصم أدفي ينتحي الكيح أعقل ٤

وقال الطغرائي يواسي معين الملك في نكبته :

فصبراً معينَ الملك إن عنّ حادث فعاقبة الصبر الجميل جميـــلُ
لا تيأسَنْ من صنع ربّكَ إنـه ضمـينٌ بأن الله سوف يديلُ
فإن الليـــالي إذ يزول نعيمهـا تبشر أن النائبات تزول
ألم ترَ أن الليل بعد ظلامـه عليه لإسفار الصباح دليـــل
وأن هلال النضوَ يقمر بعدما بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
فقد يعطف الدهر العسير قياده فيشفي عليـل أو يبـلّ غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما تساقط ريش واستطار نسيـل
ولا غروَ إن أخنَت عليك فإنما يُصادم بالخطب الجليل جليـلُ

(١) الخرق الأرض الواسعة تنخرق فيهـا الرياح وقفر خاليـة من النبات والسكان والعاملتان الرجلان وظهره ليس يعمل أي ليس يسلك .

(٢) أوفى عليه : أشرف ، والقنة بضم القاف قلة الجبـل وأقعى في جلوسه تساند إلى ما وراءه ومثل قام منتصباً .

(٣) الرود الذهاب والمجيء والأراوي جمع روية بالضم والكسر وهي أنثى الوعول والعذارى جمع عذراء وهي البكر ؛ والمـــلاء بضم الميم نوع من الأردية المذيل طويل الذيل .

(٤) الركود السكون والثبات ، والآصال جمع أصيل وهو العشي والعصم جمع أعصم وهو الوعل الذي في موضع المعصم منه ، والأدفى الذي يميـل قرناه ناحيتي ظهره وينتحي يتعمد : والكيح ناحية الجبل ، وأعقل ممتنع في الجبل .

ما أنتَ إلا السيفُ يسكن غِمْدهُ ليشقي به يومَ النزالِ قتيلُ
أما لكَ بالصدّيقِ يوسفَ أسوةٌ فتحملَ وطء الدهرِ وهو ثقيل

وقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي وهو في منفاه :

محا البَيْنُ ما أبقَتْ عيونُ المها مِني فشِبتُ ولم أقضِ اللبانةَ من سِني
عناءٌ ويأسٌ واشتياقٌ وغُربةٌ ألا شدَّ ما ألقاه في الدهر من غَبْنِ
فإن أكُ فارقتُ الديارَ فلي بها فؤادٌ أضلّتهُ عيونُ المها عني
بعثتُ به يومَ النوى إثر لحظةٍ فأوقعه المقدار في شركِ الحُسنِ
فهل من فتى في الدهر يجمع بيننا فليس كلانا عن أخيه بمُستغني
ولما وقفنا للوداع وأسبلَتْ مَدامِعُنا فوقَ الترائب كالمزنِ
أهبتُ بصبري أن يعودَ فخانني وناديتُ حِلمي أن يثوبَ فلم يُغنِ
وما هي إلا خَطرةٌ ثم أقلعت بنا عن شطوط الحيّ أجنحة السفنِ
فكم مُهجةٍ من زفرة الوَجد في لظى وكم مُقلةٍ من غَزرة الدمع في دجنِ
وما كنتُ جرّبتُ النوى قبل هذه فلما دهتني كِدت أقضي من الحزن
ولكنني راجعتُ حلمي ورَدَّني إلى الحزم رأيٌ لا يحومُ على أفن
ولولا بُنيّاتٌ وشيبٌ عواطلٌ لما قرّعت نفسي على فائتٍ سِني

وقال المرحوم محمد حافظ بك إبراهيم :

لم يبق شيء من الدنيا بأيدينا إلا بقيّةُ دمعٍ في مآقينا
كنا قِلادة جيدِ الدهر وانفرَطتْ وفي يمين العلا كنّا رياحينا
كانت منازلُنا في العزّ شامخة لا تشرقُ الشمسُ إلا في مغانينا
وكان أقصى مُنى نهر المجرّة لو من مائه مُزجتْ أقداحُ ساقينا
والشهبُ لو أنها كانت مُسخّرةً لِرجم من كان يبدو من أعادينا
فلم نزل وصُروف الدهر ترمُقنا شزراً وتخدعنا الدنيا وتُلهينا
حتى غدَوْنا ولا جاهٌ ولا نَشبٌ ولا صديقٌ ولا خِلٌّ يُواسينا

وقال أيضاً في شكوى الزمان والحال :

سعيتُ إلى أن كِدتُ أنتعلُ الدّما وعُدْتُ وما أعقبتُ إلا التندّما
سلامٌ على الدنيا سلامَ مودّعٍ رأى في ظلام القبر أنساً ومَغنما
تبَلّغَ بالصبر الجميل وبالأسى زماناً وجادته المنى فتأدّما
أضرّت به الأولى فهام بأختها وإن ساءَت الأخرى فويلاهُ منهما
فهُبي رياحَ الموت نكباءَ واطفئي سراجَ حياتي قبلَ أن يَتحطّما
فما عصَمتني من زماني فضائلي ولكن رأيتُ الموتَ للحرّ أعصَما
فيا قلبُ لاتجزع إذاعضك الأسى فإنك بعد اليَوْمِ لن تتألما
ويا عينُ قد آن الجمودُ لِمدْمعي فلا سيلَ دمعٍ تسكُبين ولا دما
ويا يَدُ ما كلفتكِ البسطَ مرّةً لذي منة أولى الجميلَ وأنعما
فلله ما أحلاكِ في أنمل البِلى وإن كنتِ أحلى في الطروس وأكرما
ويا قدمي ما سِرْتِ بي لِمذلةٍ ولم ترْتقي إلا إلى العز سلما
فلاتبطئي سيراً إلى الموت واعلمي بأنّ كريمَ القوم مَن مات مكرما

وقال السيد أحمد الهاشمي يشكو ما أصاب الشرق :

قضَيْتُ شبيبتي وبذلتُ جُهدي فلم تكن الحياةُ كما أريد
إلى كم أستَحِثُّ النفس عزماً وكم أسعى ، وغيري يَستفيدُ ؟
نَهَضْتُ ، فقيلَ : أيّ فتى ؟ فلما خَبَرْتُ الأمر أعجبني القُعود
وإني بعد مَجهدةٍ وقومي كضاربةٍ وقد بردَ الحديدُ
وحيدٌ بَينهم ولعلّ يوماً عصيباً فيه يُفْتَقَدُ الوحيد
لنا في الشرق أوطانٌ ، ولكن تَضيقُ بنا كما ضاقَتْ لحُودُ
تنازعَ أهلها فلكلّ حزبٍ حِمىً ، ولكلّ مملكة عميدُ
نُقيم بها على ذُلٍّ وفقر ونَظماً لا يَسوغ لنا الوُرود
أكاذيبُ السياسة بيّناتٌ تَكيدُ بها الحكومة ما تكيد

وعود كلها كذبٌ وزور فكم وإلامَ تخدَعُنا الوُعود ؟
إذا ما الملكُ شيدَ على خداعٍ فلا يبقى الخداعُ ولا المشيد
ومَن لم يَتخذْ مُلكاً صحيحاً فلا تُغني الممالك والحدود
وقالوا دولةٌ نشأت حديثاً تؤيدها السياسة والعُهود
كذبتم ما لنا في الأمر شيءٌ فقولوا : إننا شعب عبيد
وقالوا : أمة نهضت تُداعي بحق كاد طالبُه يَبيد
تَفَرَّق أهلها ومضى بنوها ، وفي أرواحهم عزم عتيد
أرى الأملَ الذي نحيا عليه أضاءَ من الصباح له عمود
خذوا بنفوسكم طرُقَ المعالي فدهركُمُ عِصاميٌ عنيد
وجُرْحُ الشرق يُضمِده بَنوه وهل يَتلاءَم الجُرح القصيد؟
نيام أغرقوا في النوْم حتى أشيعَ بأنهم شعب بَليد !
أرى الحرية اختضبت دماءً وقدْ خَفقت لطالبها بنود
وأقسمُ أنَّ عاشقَها زعيم بخطبتها ولو قطع الوَريد
رخيص كلُّ ما بذلوه فيها ولا تَغلو النفوس ولا النقود
إذاجُعلَتْ لها الأرواح مَهراً فإن لمجدها كتبَ الخلود
يسوم المجد طالبه بغالٍ ولا يَطغى به الثمنُ الزهيد
إذا سهل النزول إلى حضيض يشق إذاً إلى القِمم الصُّعود

وقال أحمد شوقي بك يشكو ما أصاب دمشق من ظلم فرنسا بعد الحرب الكبرى :

قم ناج « جِلّقَ » وانشُدْ رسم من بانوا مَشَت على الرسم أحداثٌ وأزْمانُ
هذا الأديم كتاب لا كِفاءَ له رث الصحائف ، باقٍ منه عنوان
الدّين والوحي والأخلاق طائفةٌ منهُ وسائرُهُ دنيا وبُهتان
ما فيه إن قُلبتْ يوماً جَواهرُه إلا قرائح مِن رادٍ وأذهان
بنو أمَيّة للأنباءِ ما فتحوا وللأحاديثِ ما سادوا وما دانوا

كانوا ملوكاً سرير الشرقِ تحتهُمُ فهل سألت سرير الغربِ ما كانوا؟
عالين كالشمس في أطرافِ دولتهم في كل ناحيةٍ مُلكٌ وسلطان
يا ويحَ قلبيَ مهما انتاب أرسمهُم سرى به الهمّ أو عادته أشجان
بالأمس قمت على الزهراء أندبهُم واليومَ دمعي على الفيحاءِ هتّان
في الأرض منهم سماواتٌ وألوية ونيّراتٌ وأنواءٌ وعِقبان
معادن العز قد مال الرغامُ بهم لوْ هانَ في تُربهِ الإبريزُ ما هانوا
لولا دِمشقُ لما كانت طُلَيطلةٌ ولا زَهَتْ ببني العباس بَغْدان ١
مَرَرت بالمسجدِ المحزون أسأله هل في المصلى أو المحراب مروان
تغيَّرَ المسجد المحزون واختلفَتْ على المنابر أحرار وعبدان
فلا الأذان أذانٌ في منارتهِ إذا تعالى ولا الآذان آذان
آمنْت باللهِ واستثنيت جنَّتَه دِمَشق روح وجنّات وريحان
قال الرفاقُ وقد هبّتْ خمائلها الأرضُ دار لها الفيحاء بسْتان ٢
جرى وصفّق يلقانا بها بَرَدى كما تلقّاك دون الخلد رِضوان ٣
دخَلتُها وحواشيها زُمرُّدةٌ والشمسُ فوق لُجَيْنِ الماءِ عِقيان ٤

(١) إحدى لغات كثيرة في بغداد. (٢) الفيحاء: من اسماء دمشق والخمائل جمع خميلة وهي الشجر الكثير الملتف (٣ يقول: إن مكان (بردى) من دمشق كمكان رضوان خازن الجنان من جنة الخلد، فهو دليل ضيوفها إليها، يؤنسهم بما على ضفافه من غياض تأوي إليها السعادة، ومقاصف لاتبلغها الهموم وقوله: (جرى وصفق) من قولهم، صفق فلان الشراب، اي حوله من إناء إلى إناء ليصفيه وقد وصف حسان بن ثابت نهر بردى بذلك يوم نزل على أمراء غسان في البريص، وهي غوطة دمشق، فقال:

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول
أولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم المفضل
يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

(٤) العقيان الذهب الخالص.

والحورُ في (دُمّر) أو حول (هامتها) حورٌ كواشفُ عن ساقٍ وولدان ١
و (ربوةُ) الوادي في جلباب راقصةٍ الساقُ كاسيةٌ والنحرُ عريان ٢
والطيرُ يصدحُ من خلفِ العيون بها وللعيونِ كما للطير ألحان ٣
وأقبلت بالنباتِ الأرض مختلفاً أفوافه ، فهوَ أصباغٌ وألوان ٤
وقد صفى (بَرَدى) للرّيح فابتردت لدى ستورٍ حواشيهنّ أفنان ٥
شيدوا لها المُلكَ وابنوا رُكنَ دولتها فالمُلك غرسٌ وتجديدٌ ، وبنيان

وقال الشاعر المطبوع السيد خير الدين أفندي الزركلي في سورية الشهيدة من قصيدة :

(١) الحور في صدر البيت : شجر باسق معتدل القامات يملأ غياض دمشق ، وقد شبهه بحور الجنان كاشفات عن سوقهن ، لأن اعالي هذه الأشجار مكسوة اوراقها وسائرها عريان ، « دمر » و « الهامة » من متنزهات دمشق في وادي بردى . (٢) يقول ان ربوة هذا الوادي على خلاف ما فيها من اشجار الحور ، فاذا كانت الأشجار كاسية النحور عارية السوق فإن جبال الربوة كاسية الساق بما فيها على سفحها من اشجار ومرج وازهار ، بينما نحرها عريان لتجرد اعالي تلك الجبال من خضرة النبات وافواف الزهور و(الربوة) هي متنزه دمشق الغريب وصفها الله تعالى في القرآن الحكيم بقوله (ربوة ذ ت قرار ومعين) قال ياقوت في معجم البلدان ، هي موضع ليس في الدنيا انزه منه (٣) العيون عيون الماء يسمع خريرها مع الحان البلابل والعصافير في الجبال والأودية (٤) جمع فوف نوع من الثياب والمراد هنا الزهر . (٥) بردى هو نهر دمشق ، وينبع من جبال الزبداني على مسافة اربعين كيلومترا ونيف من دمشق في شمالها الغربي ، وينحدر في وادي بردى حتى إذا بلغ ينبوع (الفيجة) ا ضم هذا إليه ، ثم ينفصل عنه (نهر يزيد بن معاوية) نحو الشرق في لحف الجبل قاسيون وينفصل عنه بعد ذلك نهر ثورا فيجري في جنوب نهر يزيد ، ثم ينفصل عن بردى نهر (بانياس) والقنوات ويدخل بردى مدينة دمشق من مرجتها الشهيرة ، حتى إذا ارتوت منه بساتينها وضواحيها الشرقية انصب في بحيرة المرج ، وكان السريانيون يسمون بردى (نهر أبانا) وسماه اليونان (خريستو ورئه) أي مجرى لذهب .

الأهل أهلي ، والديار دياري وشعار « وادي النيّرَيْن » شعاري
ما كان من ألم « بجلّقَ » نازل واري الزّناد ، فزندُه بي واري
إنّ الدّم المهراقَ في جَنباتها لدمي ، وإن شِفارَها لشفاري
دَمعي لما مُنيَتْ به جارٍ هنا ودمي هناك على ثراها جاري
يا وامضَ البرْق اطمئنّ وناجني إن كُنتَ مُطلعاً على الأسرارِ
ماذا هناكَ فإنّ صَوتاً راعَني والصَّوْتُ فيهِ جَفوة الإذعارِ
النار محدقةٌ « بجلّقَ » بَعدَ ما تركتْ « حماةَ » على شَفيرٍ هار
تنساب في الأحياءِ مُسرعة الخطى تأتي على الأطهارِ والأعمــار
والقومُ مُنغَمسونَ في حَمْئاتها فتكاً بكل مُبرّإٍ صبّــار
الطفل في يَدِ أُمّه غرَض الأذى يُرمى ، وليس بخـائض لغِمار
والشيخ مُتّكِئاً على عُكازِهِ يُرمى ، وما للشيخ من أوْزار

وقال أيضاً سعادة الشاعر الجليل فؤاد الخطيب :

يا ساهرَ الليل ، ما للبرْق يأتلق والمُزنِ ترعد والأنواء تَصْطفق
هَل بالطبيعة ما بي ؟ أم ألـمّ بها ما بالديار فثارَت – كلها حنق
مُربَدَّةً لم يهِم في جوِّها قمرٌ ولا تَنفسَ في أطرافهـا فلَق
قدّتْ منَ الليلِ سرِبالاً يجللهــا وحفّ الذبول فلم يُسْفر لها أفق
مَرأى يمثل هولَ الحزنِ مختبطاً بين الجوانح سُدّتْ دونه الطرق
أبصرت بالعين ما استشعرت من كمد في النفس لج به التبريح والأرق
وَيحَ الهمومِ كم أرْخَت أعنـّتَها شعثاً تَدَفَّقُ أرسالاً وتَسْتَبِقُ
هَوْجاء تسمع منها كلما اقترَبت صوت السلاسل فوق الصّخر تنزلق
تهْوي إليّ وأهوي مُطبقين معاً حتى نصرّع مُلتفينَ نَتمْتَنِقُ
هاجت وهِجْت فكانت ثم مَلحَمة دارت وسال دمي يجري به العَرَقُ

* * *

الباب الرابع في وصف الشعر – آراء الحكماء والشعراء فيه

إنّ من الشعرِ لحكمةً . قال أفضل الخلق على الإطلاق سيدنا محمد ﷺ :
« سمي الشاعر شاعراً لفطنته » . (الأخفش)

وَجِدَ الشعر حيثما وُجِدَ السحر شقيقين ليس يفترقان . (إلياس فياض)

إن المنشىء يولدُ مطبوعاً على الإنشاء ، كما يولد الشاعر مطبوعاً على النظم .
والشعراء لِسان حال الأمة ، وتراجمةُ شعورها ، وعنوان إحساسها .
والشعر العصري أضافَ إلى مَعارفنا مَعاني جديدة يرقى بها الخيال،وتتسع بها التصورات المبنية على الحقائق . (الهلال)

الشعراءُ زينة المجالس . (الأمين بن هارون الرشيد)

الشاعر العربي الذي يمكنُ أن يترجمَ أكثرَ شعره من غير أن تفقدَه الترجمة جماله هو شاعرُ الحقائق . (الدكتور شبلي شميل)

الشعر عاطفة ذائبة ، أو فكرة مُتوقدة ، أو خاطرة عميقة سبكتْ في قالب موزون الكلام والنغمة . (الآنسة مي)

ما الشعر إلا تصوير الخيال والشعر النفسي في شكل الأشعار التي تدنيه من أفهام الناس، فقدر الشعر ورِقّته وبلاغته يكون على قدر تنبّه إحساس الشاعر ورِقّة عواطفه . (وسيلة محمد)
خلق الشاعر سمحاً طروباً ... (شوقي)

الشعر إلهٌ قديمٌ ماتَ ودفنَ في العواطف الرّاقية ، فجعلَ شعورَ النفس كفناً له ، كلما تحركت العواطف ولمسَ الكفن استيقظ ذلك الإله وَملأ الدنيا أنيناً مدهشاً . (توفيق مفرح)

ولولا خلالٌ سنها الشعر ما دَرى بغاة المعالي كيف تبنى المكارمُ
أرى الشعر يحيي الجود والبأس بالذي تبقيه أرْواح لهُ عطراتُ

وما المجدُ لولا الشعر إلا مَعاهدٌ وما الناس إلا أعظمٌ نخرات
(أبو تمام)

أجلّ الشعر ما في البيت منه غَرابة نكتة أو نوع لُطف
وبئسَ الشعر بيت ليسَ فيه أماكن غير حيطان وسقف

للشعر في كل عصر مَركب خشنٌ لا يستقلُ عليه الراكب الوهن
(ناصيف اليازجي)

ليس شعراً إلا الذي كُلّ بَيْتٍ فيهِ معنى يَدعو إلى الأسماع
(خليل اليازجي)

وخَـيرِ الشعر ما أوحاه طبعٌ فكانَ له بأفئـدة دبيبُ
معانيه قـد اتسقت بلفظ يكاد لفرط رِقتّـه يذوبُ
(عيسى المعلوف)

الشعـر كالمـرآةِ يُرْ سم فيـه عقـل النّاظِم
(إبراهيم الحوراني)

وماالشعرإلاالشهد والسحر والطلى يحلي المنى، يرقي العُقول ويسكِرُ
وما الشعر لا أدري وأدري لأنني تصوّرته لكنـه لا يصوَّرُ
(فائز السمعاني)

أنصت فكل لسان شاعرٌ هزجُ حتى الكواكب والأقمار والشهب
(المقتطف)

لا يحسنُ الشعر إلا وهو مبتكرٌ وأي حسن لشعر غير مبتكر
وأجْوَد الشعر ما يكسوه قائله بوَشي ذا العصر لا الخالي من العصر

هـو الشعر لا أعتاضُ عنه بغيره ولا عن قوافيه ولا عن فنونـه
إذا كانَ من مَعنىالشعور اشتقاقه فما بعده للمرء غير جنونـه
(معروف الرصافي)

إنظم الشعر ولازمْ مذهبي في اطّراح الرفد لا تبغ النحلْ
فهو عنوانٌ على الفضل وما أحسنَ الشعرَ إذا لم يبتذَلْ
(ابن الوردي)

الشعر دُرٌّ والخيال بحور والفكر فلكٌ في العباب يمورُ
والشعرُ ما ابتكر الذكاء مولداً معنى له يرتاحُ منك شعور
فإذا أتى نظماً فتلكَ صناعةٌ أخرى جلاها الطبع والتحريرَ
(سليم عنجوري)

وقال دُعبل بن علي الخزاعي يصف الشعر الخالد :

يقول إنْ ذاقَ الردى مات شعرُه وهيهات عمرالشعر طالتْ طوائلهْ
سأقضي ببيت يحمد الناس أمرَه ويكثر من أهل الرواية حاملهْ
يموتُ رديء الشعر من قبل أهله وجيده يبقى ، وإن ماتَ قائلهْ

العناية بلغة الشعر لعدي بن الرقاع :

وقصيدة قد بتُّ أجمعُ بينها حتى أُقَوِّمَ ميلها وسنادها
نظر المثقف في كعوب قناته حتى يقيم ثقافُه منآدَها

سحر البيان لأبي تمام :

كشفت قناعَ الشعرعن حر وجهه وطيرته عن وكره وهو واقعُ
بغُرٍّ يراها مَن يراها بسمعه ويدنو إليها ذو الحجا وهو شاسعُ
يود وداداً أنّ أعضاء جسمه إذا أُنشدت شوقاً إليها مسامع

وصف قصيدة لابن الرومي :

نظم الفكر درّها غير مثقو ب إذا الدر شينَ بالتثقيب
لم يعبها سوى قواف تشاغلـ نَ عن المدح فيك بالتشبيب
يطرب السامعينَ أيسر ما فيـ ها وإن أنشدت بلا تطريب
سودت فيك كل بيضاء تسويـ داً تراه العيون كالتذهيب

لو يناغي بيانها العجمَ يوماً عَرَّب العجم أيما تعريبِ

سير الشعر للمتنبي :

وما الدّهرُ إلا من رُواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر مُنشدَا
فسار به من لا يسير مشمِّراً وغنى بـه من لا يغني مغردا
أجزْني إذا أنشدتُ شعراً فإنما بشعري أتاك المادحون مردَّدا

سهولة الشعر لبشّار بن برْد :

عميتُ جنيناً والذكاء من العمى فجئتُ عجيب الظن للعلم موئلا
وغاضَ ضياء العين للعلم رافداً لقلب إذا ما ضيع الناس حصلا
وشعر كزهر الروض لاءمت بينه بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلا

شعر فيكتور هيجو للمرحوم حافظ بك إبراهيم :

ما ثغورُ الزهر في أكامِها ضاحكاتٍ من بكاء السُّحُبِ
نظمَ الوسميّ فيها لؤلؤاً كثَنَايا الغيد أو كالحببِ
عند مَنْ يَقضي بأبهى منظر من معانيهِ التي تلعب بي
بَسَمَتْ للذّهن فاستهوت نُهى مغرَم الفضل وَصبّ الأدبِ

وقال أيضاً المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف طيارة :

يجري بسابحةٍ تَشُقُّ سَبيلها شَقَّ الإزارْ
وتكاد تقدَحُ في الأثير فيستحيل إلى شرارْ
مِثلَ الشّهاب انقضّ في آثار عِفريت وطارْ
فإذا علتْ فكدعوة المُضطرّ تخترق السّتارْ
وإذا هوَتْ فكما هوت أُنثى العُقاب على الهزارْ
وتُسِف آونَةً وآونَةً يَحيد بها ازْوِرارْ
فيخالها الراؤون قد قرّت وليس بها قرارْ
لعبَ الجواد أقلّ ليثاً من قُضاعة أو نِزارْ

أو كالقلوب من الحما ... ثم فوق ملعبه استطار
وكأنها في الأفق حـ ... ـين يميل ميزان النهار
والشمس تلقي فوقها ... حلل اصفرار واحمرار
ملك تمثله لنا الـ ... ـيا فيأخذنا انبهار

وقال أيضاً المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف زلزال صقلية ١٩٠٩ م :

نبئاني إن كنتما تعلمان ... ما دهى الكون أيها الفرقدان
غضب الله أم تمردت الأر ... ض فأنحت على بني الإنسان
ليس هذا سبحان ربي ولا ذا ... ك ولكن طبيعة الأكوان
غليان في الأرض نفس عنه ... ثوران في البحر والبركان
رب أين المفر والبحر والبر ... على الكيد للورى عاملان ؟
كنت أخشى البحار والموت فيها ... راصد غفلة من الربان
سابح تحتنا مطل علينا ... حائم حولنا مناء مداني ١
فإذا الأرض والبحار سواء ... في خلاق كلاهما غادران ٢

وقال البحتري يصف سيفاً :

يتناول الروح البعيد مناله ... عفواً ويفتح في القضاء المقفل
يغشى الوغى فالترس ليس بجنة ... من حده والدرع ليس بمعقل
ماض وإن لم تمضه يد فارس ... بطل ومصقول ، وإن لم يصقل
مصغ إلى حكم الردى فإذا مضى ... لم يلتفت ، وإذا قضى لم يعدل
متوقد يبري بأول ضربة ... ما أدركت ، ولو انها في يذبل
فإذا أصاب فكل شيء مقتل ... وإذا أصيب فما له من مقتل

وقال فقيد الأدب السيد مصطفى لطفي المنفلوطي يصف القلم :

---

(١) مناء مدان : مقارب . (٢) الخلاق : الحظ أو الدين وإنما يكون ذلك في الخير ولكن الشاعر توسع في استعمال الكلمة .

كم أثارَ اليراعُ خَطباً كميناً وأمات اليراع خَطباً مُثارا
قطراتٌ من بين شقيه سالت فأسالَتْ مِنَ الدِّما أنهارا
كانَ غصناً فصار عُوداً ولكن لم يَزل بعدُ يحملُ الأثمـارا
كانَ يَستمطرُ السحاب فحالَ الـ أمر فاستمطر العقولَ الغزارا

وقال المرحوم أحمد شوقي يصف أبا الهول :

أبا الهَوْل : طالت عليك العصُرْ وبُلّغْتَ في الأرض أقصى العمُرْ [١]
فيالِدةَ الدّهر لا الدهرُ شَبْـ ـبَ ، ولا أنتَ جاوزتَ حدّ الصِّغَر [٢]
إلامَ ركوبكَ مَتن الرِّمـا لِ لِطَيّ الأصيلِ وجَوْبِ السَّحر [٣]
تسافرُ مُتنقـلاً في القُـرو نِ ، فأيّانَ تُلقي غُبارَ السفر؟
أبينـك عهدٌ وبين الجبـا لِ ، تزولانِ في الموعد المنتظَر؟ [٤]
أبا الهولِ ! ماذا وراءَ البقا ءِ – إذا ما تَطاولَ غيرَ الضجَر؟ [٥]
عجبتُ للقمان في حرْصِـه على لبَـدٍ والنسور الأخَر [٦]

(١) العصر : الدهر فالعصر جمع عصر بسكون الصاد . ومعنى طول الدهر على أبي الهول أنه عمر أعماراً طوالاً : والعمر بضم العين والميم لغة في العمر .
(٢) (فيالدة الدهر) فيا أخا الدهر وقرينه فكأنك والدهر توأمان ، خلقتما معا في اوان (ولا انت جاوزت حد الصغر) أي برغم انك بلغت في الأرض اقصى العمر (٣) (إلام ركوبك) إنه تصوير شعري بديع لتصوير أبي الهول راكباً متن الرمال يطوي الليل والنهار ويسافر متنقلا في القرون والأدهار وحوب) في معنى طي . (٤) (في الموعد المنتظر) يوم يزول كل شيء أي اليوم الآخر .
(٥) (ماذا وراء البقاء) يقول ما وراء البقاء المتطاول غير السأم قال زهير بن أبي سلمى :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا ، لا أبا لك ، يسأم

(٦) للقمان) هو لقمان بن عادياء ، وتزعم العرب أنه هو الذي بعثته عاد في وفدها إلى الحرم ليستقي لها ، فلما أهلكوا خير لقمان بين بقاء عمر سبع بقرات سمر من اطيب عفر في جبل وعر لا يمسها القطر ، او بقاء عمر سبعة انسر كلما هلك نسر خلف بعده نسر فاستحقر الأبقار وآثر النسور فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ له ياعم ما بقي من عمرك إلا عمر هذا فقال لقمان هذا لبد ، ولبد بلسانهم الدهر . قالوا وكان يأخذ فرخ النسر فيجعله في جوبة في الجبل الذي هو في اصله فيعيش الفرخ =

وشكوى لبيد لطول الحيـــاةِ ولو لم تَطُلْ لتَشَكّى القِصَرْ ١
فإن الحيـــاةَ تَفُلُّ الحديـ ـدَ إذا لَبَسْتَه ، وتُبلي الحَجَرْ
ولو وُجِدَت فيكَ يا ابنَ الصَّفا ةِ لحقت بصانعِكَ المُقْتَدِرْ ٢
أبا الهَوْلِ ، ما أنتَ في المُعْضِلا تِ إلقدضلتِ السُّبلَ فيكِ الفِكَرْ ٣
تحَيَّرتِ البَدْوُ ماذا تكـــو نُ ، وضلّتْ بوادي الظنونِ الحضرْ ٤
فكنتَ لهـــم صورةَ العُنفُوا نِ ، وكنتَ مِثال الحجى والبصَرْ ٥

= خمسمائة سنة او اكثر فإذا مات اخذ آخر مكانه حتى هلكت كلها إلا السابع فأخذه فوضعه في ذلك الموضع وسماه لبداً وكان اطولها عمراً ، فضربت العرب به المثل : فقالوا طـــال الأبد على لبد فعاش لقمان ، كما زعموا ، ثلاثة آلاف وخمسمائة سنة ، وقال النابغة :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد

هذا ، ولقمان بن عادياء غير لقمان الحكيم وغير اليهودي الذي آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة اولي القوة ، وكلاء الاثنين مذكور في القرآن الكريم .

(١) «وشكوى لبيد» اي وعجبت لشكوى لبيد لطول الحياة إلخ كان لبيد من المعمرين روي انه مات وهو ابن مائة واربعين سنة . وقيل وهو ابن سبع وخمسين ومـــائة اول خلافة معاوية — امـــا شكواه التي ألمع إليهـــا فذلك حيث يقول :

ولقد سئمت من الحياة وطولها وسؤال هذا الناس كيف لبيد ؟ !

يقول إذا لم يكن وراء البقـــاء المتطاول إلا الضجر فإني أعجب للقمان في حرصه على ان تطول حياته وللبيد الذي وان مل الحياة وسئم من طولها فانه لا محالة كان اكثرها شكاة إذا هي لم تطل لأن حب الحياة جبلة وغريزة مركوزة في الطباع .
(٢) « وجدت » أي الحياة « يا ابن الصفاة » الصفاة الحجر الصلد الذي لا ينبت شيئا وفي المثل فلان ما تندى صفاته : وفي الحديث لا تقرع لهم صفاة اي لا ينالهم أحد بسوء وأبو الهول ابن الصفـــاة لأنه من الحجر « لحقت إلخ » أي لأدركك الموت . (٣) ما انت في المعضلات ، خبرني أي معضلة انت في المعضلات . وأي معمى مخفى (٤) تحيرت : يقول حار الناس قاطبة في أمرك حاضرهم والبادي .
(٥) صورة العنفوان لما ينطوي عليه جســمك الذي صور على صورة اسد من معاني القوة ، مثال الحجى والبصر لما ينم عنه وجهك ورأسك المصوران على صورة وجه الإنسان من معاني الفطنة والبصر بالأمور .

وسِرُّكَ في حُجْبِه كلما أطَلَّتْ عليه الظنونُ استَتَرْ ١
وما راعَهُمْ غيرُ رأسِ الرِّجا لِ على هيكلٍ من ذواتِ الظفُرْ
ولو صُوِّروا من نواحي الطبا ع تَوالَوْا عليكَ سِباعَ الصُّوَرْ ٢
فيا رُبَّ وجهٍ كصافي النَّمير تَشابه حامِلَـهُ والنَّمِرْ
أبا الهول ، ويحك لا يُسْتقَلُّ مَعَ الدهرِ شيءٌ ولا يحتَقَرْ ٣
تَهَزّأتَ دهراً بديكِ الصَّبا ح فَنَقّرَ عينيكَ فيما نَقَرْ ٤
أسال البياضَ وسلَّ السَّوا دَ وأوغَلَ مِنقارَهُ في الحُفَرْ
قعدت كأنكَ ذو المَحْبَسَيْـ ـنِ قطيعَ القيامِ سَليبَ البصَرْ ٥
كأن الرِّمـال على جانبيْكَ وبين يديك ، ذنوبُ البَشَرْ
كأنكَ فيها لِواءُ القَضا ءِ على الأرض أو دَيْدَبانُ القَدَرْ ٦
كأنكَ صاحبُ رَمْلٍ يَرى خَبايا الغيوب خِلال السُّطَرْ ٧

(١) يقول ومع ذلك لايزال سرك مكتما ومخفياً في حجبه . والناس من امرك في ظلام . (٢) ولو صوروا أي ما كان ينبغي أن يروع الناس منك أن كان رأسك على هيكل من ذوات الظفر لأن الناس لو صوروا من نواحي شيمهم وطبائعهم لتولوا عليك كأنهم وحوش ، فيارب وجه كصافي النمير الماء الناجع في الري أو النامي أو الكثير والنمر هو ذلك الحيوان المعروف بمكروه وخبثه وشراسته . (٣) لا يستقل لا يعد قليلا وهذا البيت كالتمهيد لما بعده . (٤) بديك الصباح يريد الزمن والعلاقة بين الديكة وبين الصباح من ناحية صياحها فيه معروفة ، ومن حسن التعليل أن جعل سبب عبث الدهر بأبي الهول وتشويه خلقه حتى أسال بياض عينيه وسل سوادهما هو هزء أبي الهول به وسخره منه وعدم اكتراثه له ثم تعبيره عن الدهر بديك الصباح ، هذا ولمناسبة ذكر ديك الصباح نقول إنه ورد في بعض الآثار لاتسبوا الديكة فانها تدعو إلى الصلاة . (٥) « المحبسين » المحبس الموضع الذي يحبس فيه ، وكان يقال عن أبي العلاء المعري رهين المحبسين أي رهين عماه وبيته : فكأنه من عماه في المحبس وكذلك أبو الهول عده شاعرنا بعد أن نقر ديك الصباح عينيه كأنه من عماه وسكوته في محبسين . (٦) «ديدبان» فارسية معربة اصلها ديده بان ومعنى ديده العين وبان أي ذو أي الرقيب والعين ومعناها الخاص الجندي المكلف بالحراسة . (٧) « السطر » السطر الصف من الكتاب والشجر ونحوهما ومعنى البيت ظاهر .

أبا الهول ، أنتَ نديمُ الزّما ... نِ نجيُّ الأوانِ سميرُ العصر ١
بَسطت ذراعيــك من آدم ... ووَليْتَ وجهكَ شَطرَ الزّمر ٢
تُطِــلُّ على عَــالمٍ يَستهلْ ... لُ وتوفي على عــالمٍ يُحتضر ٣
فعينٌ إلى من بــدا للوجو ... دِ ، وأُخرى مُشيعةٌ مَن عبر ٤
فحدِّث فقد يُهتَدى بالحديـ ... ـثِ ، وخبِّر فقد يُؤتَسى بالخبر
ألم تبـلُ فرعونَ في عــزّه ... إلى الشمس مُعتزيا والقَمَر ٥
ظليــل الحضــارة في الأوّلـ ... ـينَ ، رفيعَ البناءِ ، جليلَ الأثر ٦

(١) « نجيّ الأوان » النجيّ بوزن فعيل الذي تساره — وفي الحديث « اللهم بمحمد نبيك وبموسى نجيك » هو المناجي المحدث للانسان . (٢) « من آدم » أي من قديم (الزمر) جمع زمرة الجماعة من الناس ، والمراد هنا الناس جميعاً . (٣) « يستهل » يعني يقدم على الدنيا من استهل الصبي بالبكاء رفع صوته وصاح عند الولادة (يحتضر) حضر فلان واحتضر إذا نزل بـه الموت . (٤) وأخرى مشيعة من عبر ممن مضى (٥ « ألم تبل فرعون » بلاه يبلوه بلوا وابتلاه جربه واختبره وفرعون لقب يطلق على كل من ولي ملك مصر كالنجاشي لملوك الحبشة وقيصر لملوك الرومان وفرعون اصلها في الهيروغليفية مركبة من بي وهي أداة التعريف كأل ، ورع أي الشمس فتكون كلمة واحـدة ورع أو راهوا معبود قوي حاكم جبار يقاتل احتفاظاً بالحياة ، وإبقاء على الكون ومن هنـا كان العتو والجبروت وما في معناهما من مدلولات كلمة فراعنة عند العرب، وإذن لا يقصد بفرعون فرعونا معينـا ولكن جميع فراعنة مصر وقد ابتلاهم أبو الهول (إلى الشمس معتزيا) يقول الم تبل يا أبا الهول فرعون وهو في عزه حتى لكأنه من العزة والمنعة بحيث يناطح الشمس والقمر لأن من اعتزى إلى شيء قاربه وشـاكله وقد كان أكثر الفراعنة يضعون على تيجانهم صور أوزريس «الشمس» وإزيس «القمر» لأنهم من اصنامهم فلعله يشير إلى هذا مع إرادة معنى العز والمنعة . (٦) « ظليل الحضارة » مكان ظليل ذو ظل دائم يستظل به يريد ان حضارة فرعون كانت من الكمال بحيث تظل الناس ويرتعون في ذراها وكنفها والحضارة بكسر الحاء وفتحها الإقامة في الحضر خلاف البدو البادية وهي المدن والقرى والريف سميت بذلك لأن اهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار .

يُؤسسُ في الأرض للغابريـ ـنَ ويَغرِسُ للآخرين الثمرْ[١]
وراعَكَ ما راعَ مِنْ خيلِ قَمْـ ـبِيزَ ترمي سنابكها بالشرَرْ[٢]
جوارفُ بالنار تغزو البلا دَ، وآونةً بالقنا المُشتجَرْ
وأبصرت إسكندراً في المَلا قَشيبَ العُلا في الشباب النضرْ[٣]

(١) «للغابرين» الغابر من الأضداد فيكون بمعنى الباقي ويكون بمعنى الماضي ومن ثم يكون معنى البيت إما أن فرعون يخلد ذكر الماضين بإقامة الآثار لهم والتماثيل ويغرس للآتين ما يجنون ثمره من دور العلم والعرفان وما إليها، وإما أن فرعون يؤسس للآتين ويغرس لهم كل ما يجدي ويثمر. (٢) «قمبيز» هو ابن قورش الأكبر الذي اسس دولة الفرس التي غزت مصر أزمان الأسرة السادسة والعشرين وذلك حين تولى الملك «ابسمتيك الثالث» أحد ملوك هذه الأسرة فأعد الفرس لهذه الغزوة المعدات الكبيرة وجاء ملكهم «قمبيز» بجيش جرار لفتح البلاد التي طالما شرهت نفس أبيه قورش العظيم إلى إخضاعها وكانت مصر إذ ذاك حصينة غاية في المنعة، يقول مؤرخو الإغريق إن أحد الجنود اليونانية هو الذي خان مصر والمصريين ودل الفرس على أسهل الطرق التي يمكنهم بواسطتها أن يدخلوا البلاد فهوجمت مدينة «بلوز»، «الفرما» بحراً وزحفت الجنود الفارسية على مصر براً وبعد مقاومة عنيفة جهتي بلوز ومنف سقطت البلاد وأخذ قمبيز أبسمتيك أسيراً وكان ذلك سنة ٥٢٥ قبل الميلاد، ثم سار قمبيز أول أيامه سيرة حسنة وعامل المصريين معاملة طيبة يحترم ديانتهم وتقاليدهم ولكنه بعد ذلك لبس لهم جلد النمر وحنق على البلاد ومن فيها فكرَّ على المعابد والهيا كل فهدمها وقتل بيده العجل أبيس أثناء أحد الاحتفالات الكبيرة وعند عودته إلى فارس مات في الطريق سنة ٥٢١ ق. م.، ولما ولي ملك الفرس دار الأول زار مصر وأراد أن يصلح ما أفسده قمبيز فأبدى احتراماً كبيراً لديانة المصريين ومعبوداتهم وشيد هيكلا عظيما للمعبود آمون بواحة سيوة الكبرى وعضد التجارة وشيد كثيراً من المدارس وفتح الخليج الموصل بين النيل والبحر الأحمر، ورأى المصريون آخر أيامه ما لحقه من الخسائر في واقعة «مرثون» في حربه مع الإغريق فخرجوا من طاعته وطردوا الفرس من البلاد بقيادة أحد الأمراء الوطنيين سنة ٤٨٦ ق. م.، ثم غزا الفرس مصر ثانية وما زالوا بها حتى طردهم المصريون سنة ٤٠٥ ق.م.
(٣) «اسكندر» هو الإسكندر الأكبر المقدوني الفاتح العظيم قال المؤرخون =

تَبَلَّجَ في مصر إكليلهُ فلم يَعْدُ في الملك عُمر الزَّهَرْ
وشاهدتَ قَيْصر كيف استبد وكيف أذلَّ بمصر القصَر؟
وكيف تجبَّر اعوانه ؟ وساقوا الخلائق سوق الحُمرُ؟
وكيف ابْتُلوا بقليل العديد من الفاتحين كريم النَّفَر
رَمى تاجَ قيصر رَميَ الزجا ج،وفل الجُموعَ وثلَّ السرر[1]
فدعْ كلّ طاغية للزّما ن فإن الزمانَ يُقيم الصَّعَر[2]
رأيتَ الدياناتِ في نظمها وحينَ وهى سلكُها وانتثر[3]

= بعد أن هزم الإسكندر الفرس في واقعة أفسوس زحف على مدينة صور فأخذها عنوة وبذلك تم استلاؤه على الشام ثم قدم إلى مصر وقد كان الفرس استدعوا حاميتها منها بسبب حروبهم مع الاسكندر فلما وصل الاسكندر إلى « بلوز » « الفرما » سنة ٣٣٢ ق م رحب به المصريون لما سمعوه من عدالة حكمه ولما لاقوه من الذل والهوان في حكم الفرس ففتحت أبوابها ودخلها دون عناء حتى إن الوالي الفارسي لم يجرؤ على مقاومته وقابله في منف بترحاب، ومن ثم سار الإسكندر إلى واحة آمون الكبرى ودخل معبد آمون ولقبه الكهنة بابن آمون ، فاحترم ديانة المصريين وقدم القرابين لمعبوداتهم ولم يهمل مع ذلك التقاليد الاغريقية فأدخل منها في مصر الموسيقى والألعاب النظامية ، ولما رأى الإسكندر أن قرية « راقودة » وهي قرية صغيرة كانت بقرب الإسكندرية ذات موقع بحري موفق أنشأ بجوارها حاضرة جديدة له هي الإسكندرية وبعد أن استوثق الأمر للاسكندر في مصر خرج إلى فتوحاته الأخرى في المشرق وكانت وفاته سنة ٣٣٣ وكان عمره إذ ذاك ٣٢ سنة ونيفا ولم يقم بمصر كما ترى إلا قليلا، فذلك حيث يقول في البيت التالي «فلم يعد في الملك عمر الزهر» وخلف الإسكندر على مصر البطالسة ومازالوا بها إلى أن استولى الرومان عليها. « إكليله » تاجه . (١) « رمى » يريد هذا النفر القليل وهم أصحاب عمرو بن العاص وفل الجموع: هزمها وثل السرر كسرها والسرر جمع سرير والمراد بها العروش التي يجلس عليها القياصرة. (٢) « الصعر » ميل في العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشقين، وقد صعر خده أماله من الكبر ، قال المتلمس :

وكنا إذا الجبار صعر خده أقمنا له من ردئه فتقوما

والزمان يقيم الصعر يعدل الطغاة يقال أقمت الشيء فقام أي استقام . (٣) « في نظمها وحين وهى سلكها » في حالتي قوتها وضعفها .

تشادُ البيوتُ لهــا كالبُرو ج إذا أخذ الطرفُ فيها انحسر ١
تَلاقى أساساً وشُمَّ الجبا لِ كما تَتلاقى أصولُ الشجر ٢
وإيزيس خَلف مقاصيرهــا تخطَّى الملوكُ إليها السُّتر ٣
تُضيءُ على صفحات السما ءِ وتشرقُ في الأرض منها الحُجَر
وآبيسُ في نــيره العــالمو نَ، وبعضُ العقائدِ نيرٌ عسر ٤
تساسُ به مُعضلات الأمو رِ ويُرجى النعيمُ وتخشى سَقر
ولا يَشعرُ القومُ إلاّ بهِ ولو أخذتــه المدى ما شعر
يظل أبو المسك عبداً له وإنْ صاغ احمد فيهِ الدرر ٥
وآنستَ موسى وتابوتــه ونور العصا والوَصايا الغرر ٦
وعيسى يَلم رِداءَ الحَيا ءِ ومريمُ تجمعُ ذيلَ الخفر ٧

---

(١) «انحسر» كل والبصر يحسر عند أقصى بلوغ النظر (٢) «تلاقى» تتلاقى بحذف إحدى التائين أي أنها راسخة رسوخ الجبال. (٣) «إيزيس» هي من معبودات قدماء المصريين وهي أخت أوزيريس وزوجته في الوقت نفسه وأم هوربوس وهاربوقراط. (٤) «وآبيس» هو العجل أبيس. رووا أن نيفون إله الشر تغلب أخيراً على أوزيريس إله الخير وقتله فتقمصت روحه جسد عجل، وكان هذا العجل عندهم يمثل الخصب والتوليد الخلقي وكانوا يعتقدون أن العجل الذي تقمصته روحه هو ابن بقرة حملت بواسطة شعاع من القمر وله علامات ظاهرة في جسده فإنه يكون أسود اللون وفي جبهته سمة بيضاء مربعة مثلثة وصورة نسر على ظهره وصورة خنفساء تحت لسانه. (٥) «أبو المسك» كافور الإخشيدي، و «أحمد» أبو الطيب المتنبي. (٦ وتابوته ونور العصا والوصايا الغرر، التابوت الذي وضع فيه موسى وقذف به في النيل وعصا موسى ما كان منها من الآيات والوصايا العشر كل أولئك معروف فلا حاجة بنا إلى الإفاضة فيه. (٧) وعيسى يلم رداء الحياء، يقول وشاهدت عيسى وهو المثل الأعلى للحيــاء ومثله في ذلك العذراء.

وعَمْرُو يسوقُ بمصر الصِّحابَ ... ويُزْجي الكتاب ويَحدو السور[١]
فكيف رَأيتَ الهدى والضـلا ... ل ودنيا الملوكِ وأخرى عُمَـر
ونَبـذ المقَوْقس عهـد الفُجو ... ر وأخذَ المقَوقس عهد الفجر
وتَبديـله ظُلمـاتِ الضّـلا ... لِ بِصُبْـح الهداية لمـا سفر
وتأليفـه القبـط والمسلميـنَ كما أُلِّفَتْ بالولاء الأسر[٢]
أبا الهول ، لو لم تكـن آية ... لكانَ وفاؤُكَ إحـدى العبر[٣]
أطلت على الهرمـينِ الوُقو ... ف كثاكِلةٍ لا تريم الحُفَر[٤]
ترَجّي لبانيهمـا عـودةً ... وكيف يعودُ الرّميم النَّخِر ؟[٥]
تجوس بعـينٍ خِـلال الدّيا ... رِ وترمي بأخرى فضاء النّهر[٦]
ترومُ بمنفيسَ بيضَ الظبـا ... وسُمْر القنـا والخميسَ الدّثر[٧]
ومهد العلوم الخطيرَ الجـلا ... لِ وعهد الفنون الجليلَ الخَطر
فـلا تستبينَ سوى قَرْيةٍ ... أجدّ محاسنهـا مـا اندثر[٨]

---

(١) وعمرو ... يقول وقد رأيت عمرو بن العاص إذ يسوق المسلمين لفتح مصر ويزجي كتاب الله وآياته . (٢) وتأليفه أي المقوقس الأسر)جمع الأسرة وأسرة الرجل عشيرته ورهطه الأدنون . (٣) إحدى العبر إحدى الآيات . (٤) أطلت إلخ بيان لوفاء أبي الهول كثاكلة :يقول إنك في إطالتك الوقوف على الهرمين وفاء منك كثاكلة ولدها لا تبرح قبره ولا تزايله فالثاكلة هي التي فقدت ولدها ، ولا تريم أي لاتبرح . (٥) « لبانيهما » أي لبـاني الهرمين : (٦) « تجوس » تطوف وتتخلل و « للنهر » النهر واحد الأنهار يعني نهر النيل . (٧) « وتروم » تنشد وتطلب « بمنفيس » منف ، وموضعها اليوم البدرشين وميت رهينة وهي عاصمة ملك الفراعنة والذي بناهـا مينا مؤسس الأسرة المالكة الأولى وكانت كما قـال شاعرنا مهد العلوم الخطير الجلال وعهد الفنون الجليل الخطر . (٨) « أجد محاسنها ما اندثر » يقول إن طلولها الدوارس ورسومها المندثرة البوالي أجدت محاسنها .

تكاد لإغراقهــا في الجمو د إذا الأرض دارت بها لم تَدُر
فهل مَنْ يُبلغُ عنا الأصو ل بأن الفروع اقتدت بالسير؟
وأنّا خطبنا حسانَ العـلا وسقنا لها الغاليَ المدّخر ؟
وأنّا ركبنا غمار الأمور وأنّا نزلنــا إلى المؤتمر
بكلِّ مُبين شديد اللدا د وكلّ أريب بعيد النظر
تطالبُ بالحَقّ في أمـة جرى دَمُها دونه وانتشر
ولم تفتخر بأساطيلهـا ولكن بدستورهـا تَفتَخر
فلم يَبْقَ غيرُكَ من لم يخف ولم يبقَ غيرُكَ مَن لم يَطر
تحرّك أبا الهول ، هذا الزّما نُ تحرّك ما فيه، حتى الحجر

وقال أيضاً المرحوم أحمد شوقي بك يصف حياة النحل وحالته ومملكته :

مملكــةٌ مُدَبّره بامــرأة مؤمّره
تحمل في العمال والـصُّناع عبء السيطره
فاعْجَب لعمال يولّــونَ عليهم قيصره
تحكمهُــم راهبةٌ ذكّارةٌ مُغَبّره (١)
عاقدةٌ زنّارَهـا عن ساقها مُشمّره
تلثمت بالأرجُــوانِ وارْتَدته مِئزره
وارتفعتْ كأنّهـا شَرارة مُطَيّرَه
ووقعتْ لم تختلـجْ (٢) كأنهـا مُسمرَه ؟
مخلوقـة ضعيفـة من حُلقٍ مُصَوّرَه
ياما أقلّ مُلكها وما أجلّ خطرهْ

(١) التغبير : ترديد الصوت بالقراءة .
(٢) الاختلاج : الاضطراب .

قِفْ سائلِ النحلَ بأيِّ عَقلٍ دبّره ؟
يُجيبكَ بالأخلاق وهي كالعقول جوهره
تغني قوى الأخلاقِ ما تُغني القوى المفكّرَهْ
ويرفعُ اللهُ بها مَن شاء حتى الحشره

أليس في مملكة النّحل لقوم تَبصرَه ؟
مُلكٌ بناهُ أهلُه بهمّةٍ ومجدَرَه [1]
لو التمستَ فيه بطّال اليدين لم تَرَه
تُقتَلُ أو تنفى الكسالى فيه غيرَ مُنذَرَه
تحكم فيه قيصرهْ في قومها مُوَقّرَه
مِنَ الرّجالِ وقيودِ حُكمهم مُحرّره
لا تورثُ القوم ولو كانوا البنينَ البَررَه
الملكُ للإناثِ في الدّستور لا للذّكَرَه [2]
نيّرة تَنزلُ عن هالتِها لنيّرَه
فهل تُرى تخشى الطّماعَ في الرجال والشّره [3]
فطالما تَلاعَبوا بالمُهَجِ المصبّرَه
وعبروا غفلتَها إلى الظّهور قنطره
وفي الرّجال كرمُ الضعف ولُؤمُ المقدِرَه
وفتنة الرأي وما وراءها من أثره
أنثى ولكن في جنا حيها لباة مُخدره [4]

---

(١) يقال هذا الامر مجدرة ذاك اي جديراً به .
(٢) الذكرة : الذكور .
(٣) الطماع : الطمع . (٤) اللباة : اللبؤة وهي أنثى الأسد .

زائدة عن حوضها طاردة من كدّره
تقلّدت إبرتها وادّرعت بالحبَرَه
كأنها تُركيّةٌ قد رابطت بأنقره
كأنها (جاندارك) في كتيبةٍ مُعسكره
تلقى المُغير بالجنو دِ الخُشُنِ المُدمّرَه
السابغين شِكةً ١ البالغين جسَره ٢
قد نثرتهم جُعْبة ونفضتْها مئبرَة ٣
مَن يبنِ مُلكا او يذُد فبالقنا المجرّره
إن الأمور هِمّةٌ ليس الأمور ثرثره
ما الملك إلا في ذُرا الألويةِ المُنتشرَه
عرينُه مذ كان لا يحميه إلا قسورَه ٤
ربُّ النيوبِ الزرق والمخالِب المُذكّره
مالِكةٌ عاملةٌ مُصلحةٌ مُعمّره
المال في أتباعها لا تستبين أثَره
لا يعرفون بينهم اصلا له من ثمره
لو عرفوه عرفوا من البلاء اكثره
واتخذوا نقابةً لأمرهم مُسيّره
سُبْحانَ مَنْ نزّه عنه ملكهم وطهّره
وساسهُ بحُرّةٍ عاملةٍ مُستخبَره
صاعدة في معمَل من معمل منحدره

---

(١) الشكة : السلاح . (٢) الجسرة : الجسارة .
(٣) المئبرة : بيت الإبر . (٤) القسورة : الاسد .

واردة دَسكـرة صادرة عن دسكره[1]
باكرة تستنهضُ الـعصائبَ المبكرَه [2]
السامعينَ الطائعينَ المحسنينَ المهرَه
من كل من خطَّ البنا ء أو أقامَ أسطرَه
أو شدَّ أصل عقدِه أو سدَّه أو قوَّرَه[3]
أو طاف بالماءِ على جُدرانه المجَدَّره [4]
وتذهبُ النحلُ خفا فاً وتجيء مُوقرَه
جوالبَ الشمع من الخمائل المنوَّره
حوالب الماذيِّ [5] من زهر الرِّياض الشيره[6]
مشدودة جيوبها على الجنى مُزَرَّره
وكلُّ خرطوم أدا ةُ العسل المقطَّره
وكلُّ أنف قانيءٍ فيه من الشَّهْدِ بره [7]
حتى إذا جاءَتْ به جاست خلال الأدوره[8]
وغيبتـهُ كالسلا فـفي الدِّنان المخضره[9]
فهل رأيت النحل عـن أمانة مقصره ؟
ما اقترضت من بقلة أو استعارت زَهره
أدَّت إلى الناس به سكرة بسكـرَه

---

(١) الدسكرة : القرية . (٢) العصائب : جمع عصابة . (٣) قور الشيء قطعه من وسطه خرقا مستديرا (٤) المجدرة أي المشيدة ٥) الماذي : العسل. (٦) الشيرة : الحسان . (٧) البرة : الحلقة في الأنف . (٨) الادورة : الديار يراد بها الخلايا هنا .(٩) السلاف : أفضل الخمر .

وقال أيضاً أحمد شوقي بك يصف مقبرة توت عنخ آمون وما حوته :

قفي يا أخت (يُوشع) خبرينا أحاديث القُرون الغابرينا ١
وقُصّي من مصارعهم علينا ومن دُولاتهم ما تَعْلَمينا ٢
فمثلكِ مَن رَوى الأخبار طُرّاً ومنْ نسبَ القبائلَ أجمَعينا ٣
نرى لكِ في السماءِ خضيبَ قرن ولا نحصي على الأرضِ الطعينا ٤
مشيت على الشبابِ شواظ نار ودُرت على المشيبِ رحى طحونا ٥
تعينين الموالد والمنايا وتبنينَ الحياة وتهدمينا ٦
فيالكِ هرّة أكَلَتْ بَنيها وما وَلدوا وتنتظر الجنينا ٧
أأُم المالكينَ بَني (أمون) ليهنكِ أنهم نزَعوا (أمونا) ٨

(١) الخطاب للشمس ، وقد أشار إلى قصة يوشع بن نون فتى موسى عليهما السلام واستيقافه الشمس ،فقد روي أن وشع قاتل الجبارين يوم الجمعة فلما أدبرت الشمس للغروب خاف أن تغيب قبل فراغه منهم ويدخل السبت ولا يحل له قتالهم فيه فدعا الله تعالى فرد له الشمس حتى فرغ من قتالهم ، وقد لمح ابن مطروح إلى هذه القصة بقوله :

وما أنت لا أنس المليحة إذ بدت دجى فأضاء الأفق من كل موضع
فحدثت نفسي أنها الشمس أشرقت وأني قد أوتيت آية يوشع

القرون الغابرين الأجيال الماضية . ٢) قصي : حدثني ، ومنه : « نحن نقص عليك أحسن القصص » مصارعهم : مهالكهم دولاتهم ، جمع دولة بضم ففتح وهي الداهية يقال : « جاف الدهر بدولاته » أي بدواهيه . ٣ طراً جميعاً دون أن تترك منها شيئاً ، نسب القبائل : ذكر أنسابهم . (٤) الخضاب : الملون بالخضاب ، القرن حاجب الشمس . الطعين المطعون . (٥ الشواظ بالضم والكسر : دخان النار . (٦) المنايا جمع منية وهي الموت . (٧) الهرة : القطة ، ويقال في المثل « أعق من الهرة » لأنها تأكل أولادها ، الجنين : الولد ما دام في الرحم. (٨) نزع أباه أشبهه ، وفيه إشارة إلى أم « أمون » ،واختلف المؤرخون هل كانت أمه زوجة شرعية لأبيه أو إحدى سراريه وكان عادتهم أن لا يتولى الملك بواسطة زواجه بابنة الملك خو أتون .

ولدت له (المآمين) الدواهي ولم تلدي له قط (الأمينا) ١
فكانوا الشهبَ حينَ الأرضُ ليلٌ وحين الناس جدُّ مضللينا
مشت بمنارهم في الأرض (روما) ومن أنوارهم قبست (أثينا) ٢
ملوكُ الدّهر بالوادي أقاموا على (وادي الملوك) محجبينا ٣
فرُبَّ مصفد منهم وكانت تساقُ له الملوكُ مصفدينا ٤
تقيد في التراب بغير قيد وحلَّ على جوانبه رَهينا
تعالى الله كان السحر فيهم أليسوا للحجارة منطقينا ٥
عدَوْا يبنون ما يبقى وراحوا وراء الآبدات مخلدينا
إذا عمدوا لمأثرة أعدوا لها الإتقانَ والخلق المتينا
وليس الخلدُ مرتبةً تُلقّى وتؤخذُ من شفاهِ الجاهلينا
ولكنْ منتهى همم كبار إذا ذهبتْ مصادرُها بقينا
وسر العبقرية حين يسري فينتظمُ الصنائعَ والفنونا
وآثارُ الرجال إذا تناهتْ إلى التاريخ خير الحاكمينا

(١) أشار للخليفتين ، الأمين والمأمون ، وقد اختار المأمون لأنه كان أفضل بني العباس حزماً وعلماً ورأياً ودهاء وهيبة وشجاعة ، أي ولدت له أبناء صاروا ملوكا وكانت صفاتهم في الملك كالصفات التي عرفناها في المأمون . (٢) روما عاصمة إيطاليا ، قبست أخذت ، أثينا عاصمة اليونان ، وفيه إشارة إلى ما اخذته الأمم الغابرة عن المصريين من العلوم والحضارة . (٣) وادي الملوك هو الشاطيء الغربي للنيل بالأقصر على مسيرة نصف ساعة تقريباً وهو هضاب صلبة بها مقابر الملوك فراعنة مصر من الأسرة الثامنة عشر وما بعدها وقد كانوا يبالغون في العناية بها وإبقائها إلى حد يفوق الوصف . (٤) مصفدين مقيدين : يصف فراعنة مصر في مقرهم الأخير ، وهو مقام يتساوى فيه الملوك والسوقة . (٥) منطقين أليسوا هم الذين أنطقوا الحجارة ويريد أنهم أنشأوا من الأبنية ما يدل على عظمة نشأتهم دلالة النطق على معناه وأشهر هذه الابنية الهرمان القائمان بجانب الجيزة وهما من أعجب ما بنى البناة وفيهما دليل على أن المصريين القدماء كانوا أعلم الأمم القاطبة بفن العمارة وهندستها وقد توالى الدهر عليهما فلم ينل منهما مر الحوادث وعصف الرياح وهطل السحاب .

وأخذك من فم الدنيا ثناء ... وتركك في مَسامعها طنينا ١
فتَغالى في بنيك الصيد غالي ... فقد حُبَّ العلوُّ إلى بنينا ٢
فشيبٌ قنعٌ لا خيرَ فيهم ... وبوركَ في الشباب الطامحينا ٣
فناجيهم بعرشٍ كان صنواً ... لعرشِك في شبيبته سَنينا ٤
وكان العز حليته وكانت ... قوائمُهُ الكتائب والسفينـــا
وتاجٌ من فرائده (ابنُ سيتي) ... ومن خَرزاته (خوفو) و (مينا) ٥
علا خداً به صعرٌ وأنفاً ... ترَفع في الحوادث أن يدينا ٦
ولستُ بقائل ظلموا وجاروا ... على الأجراء أو جلدوا القطينا ٧
فإنا لم نـوَقّ النقص حتى ... نطالبُ بالكمـال الأولينـا ٨
وما (الباستيلُ) إلا بنت أمس ... وكم أكلَ الحديدُ بها سجينا ٩

(١) الطنين صوت الذباب والطست والناقوس ونحو ذلك . (٢) الصيد جمع أصيد وهو الرجل يرفع رأسه كبراً وعجباً ولا يلتفت من زهوه يمينا وشمـالا ، فقد حب بضم الحاء أي فقد حبب (٣) شيب: أي قانعون لايطلبون شيئاً وراء ما بلغوا ، الطامحون: المتفانون في طلب المعالي. (٤) الصنو : الأخ الشقيق والابن، السنين بفتح السين من يكون في سنك. (٥) ابن سيتي: هو رمسيس الثاني المعروف بسوزستريس ويلقب بالأعظم لأنه كان أعظم ملوك مصر سلطة وقوة وطالت مدة حكمه وكثرت فيها الآثار المصرية وتزايدت العمارات حتى لا يكاد يوجد بوادي النيل أثر من الآثار القديمة والعمـائر المشهورة إلا وعليه اسمه ورسمه وولي الملك صغيراً في حياة والده ، وقد تربى على الشجـاعة والحماسة واراد ابوه ان يعلمـه اقتحام الأهوال فأرسله في جيش إلى بلاد الشام وكان عمره عشر سنين فغزاهـا حتى ادخلها تحت الطاعة وله حروب عظيمة ثم حارب في جملة فتوح وبخاصة في آسيا الشمالية وكان في ايامه (بنتاءور)الشاعر المصري وله فيه عدة مدائح يصف بها شجاعته واقدامه. (٦) علا خداً أي دلك التاج والصعر ان يميل الرجل بخده عن النظر إلى الناس تهاونا او كبراً . (٧) القطين الخدم اي انه لا يجـاري بعض المؤرخين الذين يزعمون ان الملوك الفراعنة كانوا يظلمون الأجراء ويجلدون الخدم ليسخروهم في إنشاء تلك الأبنية. (٨) لم نوق النقص اي لم نحفظ منه (٩) الباستيل: سجن يرجع تاريخ إنشائه إلى عهد شارل الخامس ملك فرنسا سنة ١٤٦٩ وفي هذا =

وربُةَ بيعةٍ عزّتْ وطالتْ بناها الناسُ أمسِ مُسَخَّرينا ١
مُشيَّدةٍ لشافي العُمْي (عيسى) وكم سَمل القُسوس بها عُيونا ٢
خليليَّ أهبطا الوادي وميلا إلى غُرَف الشموس الغاربينا ٣
وسيرا في محاجرهم رُوَيْداً وطوفا بالمضاجع خاشعينا ٤
وخُصّا بالعمار وبالتحايا رُفات المجدِ من (توتنخمينا) ٥
وقبراً كاد من حُسْنٍ وطيب يُضيءُ حجارةً ويَضوعُ طينا ٦
يُخال لرَوْعة التاريخ قُدّت جنادلهُ العُلا من (طورسينا) ٧
وكان نزيلُه بالمُلك يُدْعَى فصار يُلَقّبُ الكنزَ الثمينا ٨
وقوما هاتفَيْن به ، ولكن كما كان الأوائلُ يَهْتفونا ٩
فثَمّ جلالةٌ قرّت ورامت على مَرّ القرون الأربعينا ١٠
جلالُ المُلْك أيامٌ وتمضي ولا يَمضي جلالُ الخالدينا ١١

= السجن ذاق رجالات العلم والفضل في فرنسا اشد انواع العذاب ايام الاستبداد فكم هلك فيه فيلسوف عظيم وفني بين جدرانه المظلمة مصلح كبير ، وكم من سياسي جني عليه الخير بلاده فدخله حياً وفارقه ميتاً . وقد كره الفرنسيون (البستيل) واسم (البستيل) وعدوه مستقر الظلم ومعهد العسف والقسوة فلم يكادوا يشورون على حكومتهم حتى كان غرضهم (البستيل) فهدموه واقتلعوا اصوله واخذت فتات احجاره فجعلها النسوة عقوداً يتحلون بها في امكنة اللآلىء اشارة إلى غلبة الأمة على الظلم وانتقامها من الظالمين . (١) البيعة بكسر الباء معبد النصارى مسخرين : اي كلفوا عملهم بلا اجرة (٢) سمل العين فقأها بحديدة محماة وقلعها ٣ يريد بالشموس الغاربينا ملوك الفراعنة ، وغرفهم مدافنهم . (٤) المحاجر ما يحميه الملوك حول منازلهم ومنها محاجر اقيال اليمن وهي احماؤهم اي ما كان يحميه كل منهم (٥) العمار التحية وهو ايضا الريحان يزين به مجلس الشراب . (٦) يضوع يتحرك وينتشر اي كادت حجارته تضيء حسنا وكادت تنتشر رائحته الطيبة الزكية (٧) لروعة المسحة من الجمال ، الجنادل جمع جندل وهو الحجارة وطور سينا هو الجبل الذي كلم الله عليه موسى (٨) النزيل الضيف (٩) هاتفين به اي الملك الذي هو نزيل القبر وليكن هتافكما كما كانوا يهتفون له ايام حياته . (١٠) فثم : فهناك الجلالة من عظم القدر ، ورامت اقامت . (١١) اي ان الجلال الصحيح ما خلد به في التاريخ اما جلال الملك فلا بقاء له .

وقُولا للنزيل « قُدوم سَعدٍ » وحيّا الله مَقدَمك اليمينا ١
سلامٌ يوم وارتَكَ المنايا بواديها ويوم ظَهرتَ فينا ٢
خَرَجْتَ من القبور خُروج عيسى عليك جلالةٌ في العالمينا ٣
يَجوبُ البرقُ باسمك كل سَهل ويَخترق البُخارُ به الحزونا ٤
تَعالَ اليومَ خَبّرنا أكانت نواكَ سِنات نَومٍ أم سنينا؟ ٥
وماذا جُبت من ظُلمات ليلٍ بعَيْد الصّبح يُنضي المدلجينا ٦
وهلْ تبقى النفوسُ إذا أقامت هياكلُها وتَبلى إن بَلينا ؟
وما تلك القبابُ وأينَ كانت وكيف أضلّ حافرُها القُرونا ؟ ٧
مُمرَّدةَ البناء تخالُ بُرجاً ببطن الأرض مَحطوطاً دفينا ٨
تَغطّى بالأثاث فكان قصراً وبالصوَرِ العِتاق فكان زُونا ٩
حملتَ العرشَ فيه فهل تُرجّي وتأملُ دولة في الغابرينا ؟ ١٠
وهل تَلقى المُهَيْمنَ فوق عرش ويلقاه الملا مُترَجلينا ؟ ١١
وما بالُ الطّعام يكاد يقدي كما تركته أيدي الصّانعينا ١٢

(١) اليمين المبارك وهو من اليمن . (٢) وارتك اخفتك (٣) خروج عيسى اي كما خرج عيسى من القبر على قول النصارى (٤) يجوب يقطع والبرق اسم منقول من معناه الأصلي (التلغراف) الحزون جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض (٥) تعال اليوم إلخ الخطاب لتوت عنخ آمون ، نواك قصدك ٦) ينضي يهزل ، المدلجون الذين يسيرون من اول الليل (٧) وما تلك القباب جمع قبة وهي ما ظهر من ابنية المقبرة الفخمة (٨) ممردة البناء مملسته (٩) تغطى اي هذا البناء تغطى إلخ والأثاث متاع البيت ، والصور جمع صورة يريد بها الرسوم التي تحاكي صور الأشياء ، الزون الموضع تجمع فيه الأصنام (١٠) في الغابرين في الباقين وفي القرآن الكريم « فأنجيناه واهله إلا امراته كانت من الغابرين » ويكون ايضا بمعنى الماضين فهو من الكلمات التي تستعمل للأضداد (١١) المهيمن من اسماء الله تعالى ، المترجلون الذين ينزلون عن ركائبهم ويمشون على ارجلهم . (١٢) ما بال الطعام ، ما حاله ، يقدي من قدى الطعام اي طاب طعمه ورائحته .

ولم تكُ أمس تصبرُ عنه يوماً فكيف صبرت أحقابا مِئينا؟١
لقد كان الذي حــذر الأوالي وخاف بنو زمانك أن يكونا٢
يحبُّ المرءُ نبش أخيــه حياً وينبشُــهُ ولو في الهالكينـــا
سُلِلتَ من الحفائر قبل يومٍ يسلُّ من التراب الهامدينـــا ٣
فإنْ تكُ عند بعثٍ فيه شكٌّ فإنّ وراءه البعثَ اليقينـــا ٤
ولو لم يعصِموك لكان خيراً كفى بالموت مُعتصماً حصينا ٥
يُضَرُّ أخو الحياةِ وليس شيءٌ بضائره إذا صحب المنـــونا

وقال علي بن محمد القاضي التنوخي واصفاً مكتوباً :

وصحيفة ألفاظُها في النظم كالدرِّ النثيرْ
جاءت إليّ كأنها التــــوفيقُ في كل الأمور
بأرقّ من شكوى وأحـــسَنَ من حياة في سرور
لو قابلتَ أعمى لأصبــــح وهو ذو طرف بصير
وكأنها أملٌ تحقق بعــــد يأس في الصدور
أو كالفقيد إذا أتَت بقدومه بُشرَى البشير
أو كالمنـــام لساهر أو كالغِنى عند الفقير
أو كالشفاء لمدنِفٍ أو كالأمان لمستجير
وكأنما هيَ من وصا لٍ أو شباب أو نشور

(١) الأحقاب جمع حقب بضم القاف وهو الدهر، المئين جمع مائة (٢ لقد كان أي لقد حصل الذي حذر الأوالى، والأوالي جمع أول (٣) سللت أخرجت منها برفق الحفائر جمع حفيرة وهي الحفرة، واليوم الذي يسل الهامدين من التراب هو يوم القيامة (٤) فإن تك عند بعث إلخ أي فإن تكن الآن تشك في هذا البعث الذي خرجت به من قبرك فلا محاله سيأتي البعث الذي لا تشك فيه وهو بعث القيامة (٥) يعصموك يمنعوك من المكروه أي لو أنهم تركوك فلم يتخذوا لك هذه العصمة لما أصابك مكروه لأن الموت يمنع الأذى أن يصل وجلاء هذا المعنى في البيت الثاني .

لفظ كأسر معانـــد أو مِثل إطلاق الأسير
وكأنـــه إذْ لاح من فوق المهارق والسُّطور
وردُ الخُدود إذا انتقلـــتَ به على راح الثغور
غُرَرٌ غــدَت وكأنها من طلعة الظبي الغرير
من كل مَعنى كالسلا مة أو كتيسير العسير

وقال أيضاً واصفاً الخط والكتابة والبلاغة :

خَطٌ وقرطاس كأنهـــما السوالف والشعــــور
وبدائع تَدَعُ القـــلو بَ تكادُ من طرَبٍ تَطير
في كل مَغنى كالغِنى يَحويه مُحتاجٌ فقـــير
أو كالفَـــكاك يَنالهُ من بَعدِ ما يأسٍ أسير
وكأنهـــا الإقبال جا ءَ به الشفاء أو النشور
وكأنهـــا شَرْخ الشبا بَ وعيْشه الخضل النَّضير

وقال البُحتري في الموضوع نفسه :

وإذا دَجتْ أقلامُه ثم انتحت بَرقتْ مصابيح الدُّجى في كتبه
فاللفظ يَقرُب فهمهُ في بُعْدِه مِنّا ويَبعدُ نَيْله في قربه
فكأنها والسمعُ معقودٌ بهـــا شَخْصُ الحبيب بَدا لعين مُحبِّه

وقال الوزير المهلبي في وصف كتاب :

ورَدَ الكِتاب مبشّراً نفسي بأنواع السُّرورْ
وفَضضْته فوَجدْتــه ليلاً على صفحات نورْ
مثل السَّوالف والخُدو د البيض زِينت بالشعور
أنزَلتُـــه مِني بمنـــزلة القلوب من الصُّدور

وقال النجم بن إسرائيل يصف الموز :

أطعمتهُ موزاً شهيّ المنظر مستحكم النضج لذيذَ المخبر
كأن تحتَ جلدهِ المزعفر لفات زبد ، عجنتْ بسكرِ

وقال البهاء زهير يصف الموز أيضاً :

في ريحه ، ولوْنه ، وطعمه كالمسك،أوكالتبرأو كالضرَبِ
وافت به أطباقــه منضداً كأنــه مكاحلٌ من ذهبِ

وقال آخر :

يحــكي إذا قشرْتــه أنيــاب أفيــال صِغار
ذو باطن مثل الأقــا ح ، وظاهر مثل البهارْ [1]

الكمثرى :

وكمــثراء بستــان شهي الطعم والمنظرْ
له طعــمٌ إذا ذيــق كماء الورد والسكــرْ
كأنه في شكله ، ولونه وطعمه قوالبٌ من سكر

التفاح – قال ابن المعتز :

كأنما التفاح لمــا بــدا يرفل في أثوابــه الحمــر
شهدٌ بماء الورد مستودَع في أكر من جامد الخمر [2]
كأننــا حين نحيــا به نستنشقُ الند من الجمر [3]

الخوخ :

كأنما الخوخ على دَوحــه وقد بدا أحمرُه العندمي [4]
بنادق من ذهب أصفــر قد خضبت أنصافهــا بالدم

(١) الأقاح الأقحوان وهو نبت طيب الريح وحواليه ورق أبيض ووسطه أصفر والبهار نبت أصفر طيب الريح (٢) الأكر : جمع كرة وهي لغــة في الكرة . (٣) الندى طيب . (٤) العندم صبغ أحمر .

وخوخةِ بستانٍ ذكي نسيمها من المسك والكافور قد كسبت نشرا[1]
ملبسة ثوباً من التبر نصفه مصوغٌ ، وباقيه كياقوتة حمْرا

المشمش :

ومشمش جاءنا من أعجب العجب أشهى إليّ من اللذاتِ والطربِ
كأنه وهبوبُ الريح ينثرُهُ بنادقٌ خرطتْ من خالص الذهبِ

وقال محيي الدين بن عبد الظاهر :

حبذا مشمش على الدوْح أضحى ذا شعاع يستوقفُ الأبصارا
شجر أخضرُ لنا جعل اللهُ « تعالى » منهُ كما قال نارا[2]

الرمان :

رمانة صبغ الزمان أديمها فتبسمت في ناضر الأغصان
فكأنما هي حُقَّة من عسجد قد أودعت خرزاً من المرجان
غيره – كأنما حقة ، فإن فتحت فصرّة من فصوص ياقوت
غيره – حقاق كأمثال العقيق تضمنت فصوص بلخش في غشاء حرير[3]
غيره – إذا فض عنه قشره فكأنه فصوص عقيق في حقاق من الدر
فدُرٌ ، ولكن لم يدنّسه عارض وماء ولكن في مخازنَ من جمر

النخيل ، والبلح :

كأن النخيل الباسقات وقدبدت لناظرها حسناً قباب زبرجد[4]
وقد علقت من حولها زينة لها قناديل ياقوت بأمراس عسجد

وقال السريُّ الرفاء المتوفى سنة ٣٦٦ هـ :

---

(١) نشر : رائحة طيبة (٢) يشير إلى قوله تعالى : (الذي جعل لكم من الشجر الاخضر ناراً . . (٣) البلخش : حجر معدنه بنواحي بلخشان المتاخمة للتركستان ، أحمره يشبه الياقوت . (٤) بسحق النخل : طال .

فالنخل من باسق فيـــه وباسقةٍ يضاحكُ الطلعُ في قِنْوانه الرُّطبا ١
أضحت شماريخه في النحر مُطلعة إما نُوِيّاً ، وإما مِعصما خضِبا ٢
تريك في الظلّ عِقياناً ، فإن نظرت شمسُ النهار إليهـــا خِلتها لهبا ٣

وقال آخر في البلح الأخضر :

أما ترى النخل قد نثرت بلحاً جـاء بشيراً بـدولة الرُّطب
مكاحِلاً من زُمرّد خرطت ، مقمّمـات الرءوس بالذهبِ ٤

وفي البلح الأحمر :

أنظر إلى البُسْر إذ تبدّى ولونه قد حكى الشقيقا ٥
كأنما خوصُه عليـه زَبَرْجَـدٌ مُمِرٌ عقيقا

البطيخ :

رأيتها في كفّ جلاّبهـا وقد بدت في غاية الحُسن .
كسلة خَضراء مختومـة على الفصوص الحمر في القطن

وقال أبو طالب المأموني :

ومُبيضة فيها طرائق خَضرة كالخضر مجرى السّيل من صيب المزن ٦
كحقة عاجٍ ضُببت بزَبَرجدٍ حَوت قطع الياقوت في عصب القطن ٧

وقال في بطيخة صفراء :

وبطيخـةٍ مِسْكيّة عَسَلية لها ثوبُ ديباج وعَرفُ مُدام ٨

(١) الطلع ما يطلع من النخلة ثم يصير تمراً إن كانت انثى ، فإن كانت ذكراً لم يصر تمراً بل يؤكل طريا ، او يترك على النخل اياما حتى يصير فيه شيء ابيض مثل الدقيق فتلقح به الأنثى والقنوان جمع قنو وهو من التمر كالعنقود من العنب . (٢) المعصم موضع السوار او اليد وهو المراد هنا . (٣) العقيان : الذهب الخالص . (٤) مقممة ذات قمع وهو ما التزق بأعلى التمرة . ٥) البسر : البلح قبل ان يرطب فإذا انتهى نضجه فرطب ، والشقيق نبت احمر فيه بقع سوداء ٦) الصيب المطر ، والمزن السحاب او ابيضه . (٧) الضبيب : شدة القبض على شيء لئلا ينفلت اي كأنها مخاطة بخيوط الزبرجد تمسكها والعصب جمع عصبة ، ما يعصب به اي صرر من القطن (٨) العرف الريح .

إذا فصّلت للأكل كانت أهلّةً وإنْ لم تفصّل فهي بدرُ تمامِ

وقال سبط بن التعاويذي المتوفى سنة ٥٨٤ هـ :

رُبَّ صفراء أتتنا وهي في أحسن حلّهْ
تعتريها صُفرةٌ في لونها من غير علّهْ
حلوةُ الريق، حلال دمها في كلّ ملّهْ
نصفها بدرٌ، وإن قسّمتها فهي أهلّهْ

غيره: ألا فانظروا البطيخ وهو مُشقّق وقد حاز في التشقيق كل أنيق
تراه كبلّور بدا في زمرد مركبة فيه فصوص عقيق

العنب – قال ابن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ :

كأن عناقيدَ الكروم وظلها كواكبُ درٍّ، في سماء زبرجد

وقال السري الرفاء :

والكرمُ مشتبك الأفنان، توسعُنا أجناسه في تساوي شربها عجبا[1]
فكرْمةٌ قطرت أغصانها سبجاً وكرمه قطرت أغصانها ذهبا[2]
كأنما الورق الخضر دونهما غيرانُ يكسوهما من سندس حُجُبا

قصب السكر :

تحكيه سمر القنا ولكن تراه في جسمه طلاوه[3]
وكلما زدته عذاباً زادك من ريقه حلاوه

النبق :

وسدرة كلَّ يوم من حُسنها في فنون[4]
كأنما النّبق فيها وقد بدا للعيون

---

(١) الأفنان الأغصان والشرب الماء ٢) السبج : خرز اسود. (٣) الطلاوة مثلثة الطاء : الحسن . (٤) السدرة شجرة النبق .

جَلاجِلٌ من نُضارٍ قد عُلِّقتْ في الغصون

الجزَر : قال ابن المعتز :

انظر إلى الجزَر الذي يحكي لنا لَهبَ الحريقْ
كمذبة من سندس ولها نصابٌ من عقيق

وقال ابن رافع القيرواني

انظر إلى الجزر البديع كأنه في حُسنه قضُبٌ منا المرجان
أوراقه كزبرجد في لونها وقلوبه صيغت من العِقيان[1]

اللوز الأخضر : قال ظافر الحداد :

كأنما قلوبه من تَوأم ومُفردِ
جَواهرٌ لكنها الأصداف من زَبرجَدِ

التين : قال ابن المعتز :

أنعم بتين طاب طعماً ، واكتسى حُسناً ، وقاربَ منظراً من مَخبر
في بَرد ثلج ، في نقا تبر ، وفي ريح العبير ، وطيب طعم السكر[2]
يَحكي إذا ما صفّ في أطباقه خِيماً ، ضُرِبنَ من الحرير الأحمر

الفستق :

والقلبُ ما بين قشريه يلوح لنا كألسنِ الطير من بين المناقير
غيره : زَبرجَدة خضراء وسط حريرة بحقةِ عاجٍ في غلاف أديم[3]
غيره : زَبرجَدة ملفوفة في حريرة مضمّنة درّاً مُغشى بياقوت

النارنج : قال ابن المعتز :

وكأنما النارنج في أغصانه من خالص الذهب الذي لم يُخلطِ[4]

(١) العقيان: الذهب الخالص . (٢) العبير اخلاط من الطيب، ونقا مقصور نقاء (٣) الأديم الجلد او احمره ، وهو المراد هنا . (٤) النارنج : نوعان احدهما حامض معروف والآخر حلو وهو « البرتقال » .

كرة رماها الصولجانُ إلى الهوا فتعلقت فى جـوّه لم تَسقطِ
غيره : انظر إلى منظر تُلهيك بهجتُه بمثله في البرايا يُضرب المثلُ
نار تلوحُ على الأغصان في شجر لا النار تطفأ، ولا الأغصان تشتعل

وقال أبو الحسن الصقلي :

إذا ميّلتها الريحُ مالت كأكرةٍ بَدت ذهباً في صولجان زَبَرجدِ

الليمون : قال ابن المعتز :

يا حبّذا ليمونةٌ تحدثُ للنفس الطربْ
كأنها كافـــورة لها غِشاء من ذهبْ

القلم – قال « ابن المعتز » : القلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم الإرادة ولا يمل استزادة ، يسكتُ واقفاً ، ويَنطق سائراً ، على أرض بياضُها مُظلم وسوادها مضيء ، وكأنه يُقبّل بساط سلطان ، أو يفتح نوّار [1] بستان .

وقال « علي بن عُبيد » : القلم أصمُّ يسمع النجوى [2] ، أعيا من باقل، وأبلغ من سُحبان وائل ، يجهل الشاهد ، ويُخبر الغائب ، ويجعل الكتب بين الإخوان ألسُناً ناطقة ، وأعيُناً لاحظة ، وربما ضمّنها من ودائع القلوب ما لا تبوح به الألسنُ عند المشاهدة .

ومن كلام « أبي حَفص بن بُرد الأندلسي » : ما أعجب شأن القلم ، يَشرب ظلمة ، ويَلفظ نوراً ، قد يكون قلم الكاتب أمضى من شباة [3] المحارِب ، القلم سهم ينفذ المقاتل ، وشَفرة [4] تطيح بها المفاصل .

وقال « محمود بن أحمد الأصبهاني » :

أخرسُ يُنبيك بإطراقِه عن كل ما شئت من الأمر [5]

---

(١) الزهر او الأبيض منه . (٢) السر . (٣) الشباة حد كل شيء (٤) سكين .
(٥) اطرق ارخى عينيه ينظر إلى الأرض .

يُذري على قرطاسه دمعــة يُبدي بها السر وما يَدري [1]
كعاشق أخفى هواه وقــد نمّت عليه عَــبرةٌ تجري
تُبصره في كلِّ أحــواله عريانَ يكسو الناس أو يعري
يُرى أسيراً في دَواة وقـد أطلـق أقوامــاً من الأسر
أخرقُ لو لم تبره لم يكن يرشق أقوامــاً وما يبري [2]
كالبحر إذ يجري ، وكالليل إذ يغشى ، وكالصارم إذ يفري

وقال « أحمد بن عبد ربه » المتوفى سنة ٢٢٨ ﻫ :

يُخاطب الغائبَ البعيدَ بما يخاطب الشاهدَ الذي حضرا
شَخْتٌ ضئيلٌ لفعله خطرٌ أعظمْ به في مُلمة خطرا [3]
تمجُّ «ـكاهُ ريقة صفرتْ وخطبها في القلوب قد كبرا
يواقع النفسَ منه ما حذرت وربما جنبتْ بـه الحذَرا
مُهفهفٌ تزدهي به صحفٌ كأنمــا حليتْ به دُررا

و « لابن المعتز » في قلم الوزير « القاسم بن عبيد الله » :

قلمٌ ما أراهُ ، أم فلكٌ يجــري بما شاء « قاسمٌ » ويسير ؟
خاشعٌ في يديه يلثم قرْطا ساً كما قبّل البساط شكورُ
ولطيف المعنى ،جليل ،نحيفٌ وكبير الأفعال وهو صغيرُ !
كم منايا ، وكم عطايا ، وكم حتــفٌ وعيشٌ تضم تلك السطور
نقشت بالدجى نهاراً ، فما أد ري أخط فيهن أم تصويرُ ؟

وقال « أبو تمام » في قلم « محمد بن عبد الملك الزيات » :

لك القلمُ الأعلى الذي بشباته تصابُ من الأمر الكلى والمفاصل

---

(١) يذري : يصب . (٢) اخرق : احمق ويبرى يقطع ، وكذا يفري.
(٣) شخت ضامر دقيق وكذا مهفهف .

لعابُ الأفاعي القاتلات لُعابهُ وأرْيُ الجنى اشتارَته أيد عواسلُ ١
له ريقةٌ طلٌ ، ولكنَّ وقعها بآثاره في الشرق والغرب وابلُ ٢
فصيح إذا ما استنطقته وهو راكب وأعجم إن خاطبته وهو راجِلُ ٣
إذا ما امتطى الخمس اللطاف وأُفرغت عليه شعابُ الفكر وهي حوافل ٤
أطاعتهُ أطرافُ القنا وتقوَّضت لنجواه تقويضَ الخيام الجحافلُ
إذا استغزر الذهنُ الجليُّ وأقبلت أعاليه في القرطاس وهي أسافل ٥
رأيت جَليلاً شأنهُ (وهو مُرهف ضناً وسميناً خطبه (وهو ناحل) ٦

وقال ابن الرومي :

إن يخدم القلمَ السيفُ الذي خضعت له الرقابُ ، ودانت خوفه الأمم
فالموتُ – والموتُ لا شيء يغالبه – ما زال يتبعُ ما يجري به القلمُ
كذا قضى الله للأقلام مذْ بريت أن السيوف لها مذ أرْهفت خدمُ

وقال المتنبي :

نحيف الشوَى يعدو على أم رأسه ويحفى فيقوى عدْوه حين يقطعُ ٧
يمجُّ ظلاماً في نهار لسانهُ ويفهمُ عمنْ قال ما ليس يسمع

وقال ابن نباتةَ السعدي ، المتوفى سنة ٤٠٥ هـ :

يرْنو إلى الأفكار غيرَ مُلاحظ ويخاطب القرْطاسَ غير محابي
ويعلم الآداب أفهام الورَى وفؤادهُ صفرٌ من الآداب

وقال مهيار الديلمي المتوفى سنة ٤٢٧ هـ في وصف الدولة والأقلام :

---

(١) الأري : العسل . اشتاره اجتناه ، العوامل جمع عاملة تشتار العسل تجمعه . (٢) الطل اخف المطر . والوابل المطر الشديد الضخم القطر : (٣) اعجم : لا يبين كلامه ، راجل : واقف . (٤) الشعاب جمع شعبة ، وهي ما عظم من حوافي الأودية والميل في الرمل ، وحوافل : ملأى . (٥) استغزر : طلب ما فيه من مادة غزيرة (٦) مرهف دقيق مرفق ، ضني مرض مرضاً يلزمه الفراش حتى أشرف على الموت . (٧) الشوى : الأطراف وجلدة الرأس .

وأم بنين استبطنتهُم فصدرُها غصيصٌ بهم عند الحضان كظيمُ
يعقونها بالضغط ، وهي عليهمُ عطوفٌ بدرّات الرضاع رَءومُ [١]
يخالُ الأفاعي الرقشُ ماضمٌ منهم حشاها ، وهم فيها أخٌ وحميم [٢]
فمنْ ذي لسان مفصح وهو أخرس ومن بائح بالسرّ وهو كتومُ

وقال أبو الفتوح البستي المتوفى سنة ٤٠٠ هـ :

إذا أقسم الأبطالُ يوماً بسيفهم وعدُّوهُ مما يكسبُ المجد والكرم
كفى قلمُ الكتاب عزاً ورفعة مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

وقال أعرابي من بني الحرث بن كعب ، يصف الشمس :

مخبأة ، أما إذا الليلُ جنها فتخفى ، وأما بالنهار فتظهر [٣]
إذا انشق عنها ساطع الفجر وانجلى دُجى الليل وانجاب الحجاب المستر [٤]
وألبسَ عرضُ الأرض لوناً كأنه على الأفق الشرقي ثوْبٌ معصفر
تجلت ، وفيها حين يبدو شعاعها ولم يحل للعين البصيرة منظر
بلون ، كدرع الزعفران يشوبهُ شعاع تلألأ ، فهو أبيض أصفر
إلى أن علت وابيضّ منها اصفرارها وجالت كما جال المهيج المسهر [٥]
وجالت الآفاق ضوءاً ينيرها فخرّ لها صدر الضحى يتسعّر
ترى الظلّ يطوي حين تعلو وتارة تراه إذا مالت إلى الأرض ينشر
وتدنَفُ حتى ما يكاد شعاعها يبينُ إذا غابت لمن يتبصر [٦]
كما بدأت ، إذ أشرقت ، في مغيبها تعود كما عاد الكبير المعمر
فأفنت قروناً ، وهي في ذاك لم تزل تموت وتحيا كل يوم وتنشر [٧]

---

(١) الدر اللبن ، رءوم عطوف . (٢) الرقش جمع رقشاء وهي الحية المنقطة بسواد وبياض والحميم القريب . (٣) جنها : سترها (٤) انجاب : انكشف . (٥) المهيج المفزع . (٦) دنفت الشمس : دنت للغروب واصفرت . (٧) تحيا .

وقال الطغرائي يصف طلوع الشمس وغرُوب البدر :

وكأنما الشمس المنيرة إذ بدت والبدر يجنحُ للغروب وما غَرَبْ
مُتحاربان لذا مجنٌّ صاغــه من فضة ، ولذا مجنٌّ من ذهبْ

وقال ابن خَفاجة الأندلسي المتوفى سنة ٥٢٢ يصف غروبها في نهر :

وقد ولتِ الشمس محتثة إلى الغرب ترنو بطرف كحيل[1]
كأن سناهــا على نهــره بقايا نجيع بسيف صقيل[2]

وقال ابن طاهر الكرخي أيضاً :

أما ترى الأفق كيف قد ضرب الغيْمُ عليه من مزْنه قُببا ؟
وحاجبُ الشمس من رفارفهــا يضرمُ فيهــا بنوره لهبا[3]
كأنــه فضة مطرّقــةٌ أطرافها قد تطوّسَتْ ذهبا[4]

وقال ابن مكي أيضاً :

كأن الشمس إذا غرُبت غريق هوى في البحر أو وافى مغاصا
فأتبعهــا الهلال على غروب بزورقــه ، يريد لهــا خلاصا

وقال عبد العزيز القرطبي أيضاً :

إني أرى شمس الأصيل عليلة ترتادُ من نحو المغارب مغربا
مالَتْ لتحجبَ شخصها فكأنها مدّت على الدنيا بساطاً مُذهبا

وقال ابن الرومي أيضاً :

وقد طفلت شمس الأصيل ونفضت على الجانب الغربي ورْساً مذَعذَعا[5]
ولاحظت النوّار وهي مريضةٌ وقد وضعت خداً على الأرض أضرعا[6]

(١) محتثة مسرعة : ترنو تديم النظر (٢) سناها ضوؤها والنجيع دم يضرب إلى السواد . (٣) رفارفها أطرافها وجوانبها . (٤) مطرقة مضروبة بالمطرقة ، وتطوست : تزينت (٥) طفلت الشمس احمرت عند الغروب ونفضت نثرت . والورس نبات أصفر والمذعذع المبدد والمفرق . (٦) أضرعا : ذليلا .

كما لحظت عُوّادَه عينُ مُدنف ... توجّع من أوصابه ما تَوَجّعا[١]

وقال ابن أفلح من قصيدة طويلة في الموضوع نفسه :

والشمس خافضة الجناحِ مُسِفّةٌ ... في الغرب تنساب انسيابَ الأرقط[٢]
أو كالعروس بدت فأسدِلَ دونها ... جَنبات سِترٍ كالجِساد مُخَطَّط[٣]
وأتى الظلامُ على الضياء كما أتى ... أجلٌ على أمل ، فلم يَتأبطِ

وقال أيضاً شاعر العراق الكبير الأستاذ معروف الرصافي :

نزلت تجر إلى الغروب ذيولا ... صفراء تشبه عاشقاً متبولا[٤]
تهتز بين يد المغيب كأنها ... صبٌّ تَململَ في الفراش عليلا
ضحكت مَشارقها بوجهك بكرة ... وبكت مغاربها الدماء أصيلا
وغدت بأقصى الأفق مثل عرارة ... عطِشَت فأبدت صُفرة وذُبولا[٥]
غرُبت فأبقت كالشواظ عقيبها ... شفقاً بحاشية السماء طويلا[٦]
شفَقٌ يروع القلب شاحبُ لونه ... كالسيف ضمّخ بالدّما مَسلولا
رقتْ أعاليهِ وأسفَله الذي ... في الأفق أشبع عُصفُراً محلولا

وقال ابن المعتز يصف الهلال :

انظر إليه كزورق من فضة ... قد أثقلته حمولة من عَنبر

غيره : وكأن الهلال نصف سِوار ... والثريّا كفٌّ تشير إليه

غيره : فخٌّ بوَسطِ السماء مُلقى ... ينتظر الصيْدَ للنجوم

غيره : انظر إلى حُسن هلالٍ بدا ... يهتك من أنواره الحِنْدِسا[٧]
كمنجل قد صيغَ من فضة ... يحصدُ من دهر الدجى نرجسا

---

(١) الأوصاب الأمراض . (٢) مسفة من أسف الطائر إذا دنا من الارض في طيرانه وحية رقطاء من الرقطة وهي سواد يشوبه بياض أو عكسه .
(٣) الجساد الزعفران . (٤) ذاهب العقل .
(٥) العرار نبت طيب الريح . (٦) الشواظ اللهب لا دخان فيه .
(٧) يهتك يمزق و«من» في كلمة «من أنواره» بمعنى الباء، والحندس: الظلمة .

غيره : يتلو الثريّا كفاغر َشرِهٍ يفتحُ فاه لأكل عُنقودِ [١]

غيره : في ليلةٍ أكل المحاق هلالهــا حتى تبدّى مثل وقف العاج[٢]

غيره : قلت لما هوت لمغربها الشمـــسُ ولاح الهـلال للنظارِ

أقرض الشرق ضده الغرب دينا راً فأعطاه الرهن نصف سوار

وقال ابن طباطبا :

وكأنّ الهلال لما تبـدّى شطرَ طوق المرآة ذي التذهيب

أو كقوس قد أُحنيت أو كنؤْيٍ أو كنونٍ في مُهرق مكتوبِ [٣]

وقال أبو عاصم البصري في الهلال والثريا والزهرة :

رأيت الهلال وقد حلّقَتْ نجـوم الثريا لكي تَلحَقَهْ

فشبّهته وهو في إثرهـا وبينهما الزهرة المشرقـــه

بقوس لرام : رمى طائراً فأرسل في إثرهِ بُندقــه

وقال في اقتران الثريا بالهلال :

فإذا ما تقارنا قلت طوقٌ من لُجَيْنٍ قد عُلّقت فيه دُرّه

وقال الطغرائي :

فكأنه وكأنها في جنبه عُنقودةٌ في زورق من عَسْجَد

وقال أبو الفضل الميكالي :

كأكرة من فضةٍ مجلــوّةٍ أوفى عليها صولجان من ذهبْ

غيره : وكأن الهــلالَ تحت الثريا ملكٌ فوق رأسه إكليل [٤]

غيره : كأنما النجم قرط صيغ من ورِق معلق من هلال الأفق في أُذن[٥]

(١) فاغر : فاتح فاه .

(٢) المحاق ، مثلثة الميم : آخر الشهر والوقف سوار من عاج .

(٣) النؤي الحفير حول الخيمة يمنع السيل ، المهرق : الصحيفة (معرب) .

(٤) التاج . (٥) الورق : بكسر الراء الفضة .

وقال شرف الدين الحسين :

كأن الهلال نزيل السماء وقد قارن الزُّهرة النيّرة
سوارٌ لحسناء من عَسْجَدٍ على قُفلهِ وُضعتْ جوهره

وقال البدر البشتكي في وصف الهلال والنجوم حوله :

ذُبالة شمع عوّج الريحُ ضوءها فطار لها بالقرْب بعضُ شرار ١

وقال علي بن محمد الكاتب :

بدا مُسْتدقٌ الجانبين كأنه على الأفق الغربي مِخلبُ طائر
ولاح لمسرًى ليلتين كأنما تفرّق منه الغيم عن إثر حافر

غيره : وشمّرَ عنه الغيمُ ذيلاً كأنما تكشّفَ منه عن جناح مُحلّق ٢

وقال : البدر كالملك الأعلى وأنجُمه جنودُه ، ومباني قصره الفَلَكُ

ولابن المعتز :

وكأن البدر لما لاح من تحت الثريّا
ملكٌ أقبل في التا ج يُفَدّى ويُحيّا

وله في البدر مع الشمس :

حتى رأيت الشمس تتـ لو البدر في أفق السما
فكأنها وكأنه قدَحانِ من خمر وما

غيره : والبدر في أفق السماء كدرهم ملقى على ديباجةٍ زرقاء

وللسلامي :

والبدر في أفق السما كروضة فيها غدير

وللشريف العقيلي :

والبدر في كبد السماء كوردة بيضاء تضحك في رياض بنفسجِ

---

(١) الذبالة : الفتيلة . (٢) حلّق الطائر : ارتفع في طيرانه .

غيره : وقد برز البدر المنيرُ ووجهه   كجامِ لُجين فيه آثار عنبر[١]

وقال سهل بن المرزبان :

شبهتُ بدرَ سمائها لما دنتْ   منه الثريا في قميصِ سندسي
ملكاً مهيباً قاعداً في روضة   حيّاه بعض الزائرين بنرجس

وقال الوأواء الدمشقي يصف البدر طالعاً من خلال السحاب :

والبدر أول ما بدا متلثماً   يُبدي الضياء لنا بخدٍّ مُسفر[٢]
فكأنما هو خوذة من فضة   قد رُكبت في هامةٍ منْ عنبر[٣]

وقال الشريف الرضي يصف السماء والأرض والليل والبرق :

سَمائي مُذهبَّةٌ بالبروق   وأرضي مُفضضةٌ بالحبابِ
وروضي مطارفهُ غضَّةٌ   تطرّز أطرافها بالذهابِ
وليل ترى الفجرَ في عِطفهِ   كما شاب بعض جناح الغرابِ
يغارُ الظلامُ على شمسهِ   إلى أن يُواريها بالحجابِ
وتصقلُ أنجُمَه العاصفاتُ   إذا صدِئتْ من عمود السحاب

وقال البحتري يصف الغيث :

ذاتُ ارتجازٍ بحنين الرّعدِ   مجرورة الذيل صدُوق الوَعدِ[٤]
مَسفوحة الدمع لغير وجْدِ   لها نسيمٌ كنسيم الوَرْدِ
ورنّةٌ مثل زئير الأسْدِ   ولمعُ برق كسيوف الهندِ
جاءت بها ريح الصّبا من نجد   فانتثرت مثلُ انتثار العِقدِ
فراحتِ الأرضُ بعيش رغدِ   مِنْ وشي أنوار الرُّبى في بُردِ

(١) الجام إناء من فضة . (٢) مضيء : مشرق .
(٣) الخوذة المغفر ، زرد ينسج على قدر الرأس ، والهامة الرأس .
(٤) من ارتجز الرعد إذا دمدم .

كأنما غدْرانها في الوهدِ يلعبن منْ حبابها بالنرْد[1]

ومن قصيدة لصفيّ الدين الحلّي يصف فيها الربيع :

خلع الربيعُ على غصون البان حُللا فواضلُها على الكثبان
ونمت فروع الدّوح حتى صافحت كفلَ الكثيب ذوائبُ الأغصان
وتتوّجتْ هام الغصون وضرجتْ خدّ الرياض شقائق النعمان
وتنوّعتْ بسُط الرياض فزهرُها متباينِ الأشكال والألوان
منْ أبيض يَقِقٍ وأصفر فاقع أو أزرق صافٍ وأحمر قان
والظلُّ يسرعُ في الخمائل خطوه والغصْنُ يخطر خِطرة النشوان
وكأنما الأغصانُ سوق رواقص قد قيّدت بسلاسل الريحان
والشمسَ تنظر من خلال فروعها نحو الحدائق نظرةَ الغيران
والأرض تعجبُ كيف يضحك والحيا يبكي بدمع دائم الهملان
حتى إذا افترّتْ مباسمُ زهرها وبكى السحاب بمدمع هتّان
طفح السرورُ عليّ حتى أنه من عُظم ما قد سرّني أبكاني
فاصرف همومك بالربيع وفصله إن الربيع هو الشبابُ الثاني

وله من قصيدة في وصف واد :

تعانقت الأغصان فيه فأسبلت على الروض أستاراً من الورق الخضر
إذا ما حبال الشمس منها تخلصتْ إلى روْضة ألقت شراكاً من التبر

ومن قول أبي الفتح كشاجم في وصف الجمر يعلوه الرماد :

كأنما الجمرُ والرمادُ وقد كاد يواري من ناره النّورا
وردٌ جنيٌّ القطاف أحمرُ قد ذرّتْ عليه الأكفُّ كافورا

(١) النرد لعبة تعرف عند العامة بلعبة (الطاولة) .

ومن قصيدة لأبي الفرج عبد الواحد الببغا في وصف جيش :

قاد الجيادَ إلى الجيادِ عوابساً شُعْثاً ولولا بأسهُ لم تنقَدِ ١
في جحفلٍ كالسيل أو كالليل أو كالقطْر صافحَ موجَ بحر مُزبدِ
ردّ الظلام على الضحى فاسترجع الـــإظلام من ليل العجاج الأرْبدِ
وكأنما نقشتْ حوافرُ خيله للناظرين أهلّةً في جَلْمَدِ
وكأن طرف الشمس مطروف وقد جُعل الغبار له مكان الإثمدِ

وله من قصيدة في وصف روضة :

مداهنُ يحملْن طل النّدى فهاتيك تبرٌ وهذي عقيقْ ٢
تُنظّمُ أوْراقها دُرّها وتنثر منها التي لا تطيقْ
يميلُ النسيم بأغصانها فبعضٌ نشاوى وبعضٌ مُفيقْ
ويومٍ ستارته غيمه وقد طرّزت رفرفيْها البُرُوقْ
جعلنا البخور دخانا له ومن شررِ الرّاح فيه حريقْ
تظلُّ به الشمسُ محجوبةً كأن اصطباحك فيه غبوقْ
على شجراتٍ رافعاتِ الذيو لِ لماء الجداول منها شهيقْ

ومن قصيدة للحسن بن علي بن وكيع في وصف روض :

أسفر عن بهجته الرّوْض الأغرْ وابتسم الدوْحُ لنا عن الزهرْ
أبْدى لنا فصلُ الربيع منظراً بمثله تفتنُ ألبابُ البشرْ
وشياً ولكن حاكه صانعهُ لا لابتذال اللبس لكنْ للنظرْ
عاينه طرْفُ السماء فانثنى عشْقاً له يبكي بأجفان المطرْ
فالأرضُ في زيّ عروس فوْقها من أدمُع القطر نـثارٌ من دُررْ

(١) الأشعث : الأسود .

(٢) الطل : المطر الضعيف .

وشيٌ طواه في الثرى صوانه ... حتى إذا ملّ من الطيِّ انتشرْ ١

وله من قصيدة في وصف الربيع :

انظر إلى زهر الربيع وما جلت ... فيه عليك طرائفُ الأنوارِ
أبدَتْ لنا الأمطار فيه بدائعاً ... شهدَت بحكمة مُنزلِ الأمطارِ
ما شئتَ للأزهار في صحرائه ... من درهمٍ بهجٍ ومن دينار
وجواهرٌ لوْلا تغيرِ حسنها ... جلّتْ عن الاثمان والاخطار ٢

وله أيضاً في وصف الربيع :

ألستَ ترى وشي الربيع المنمنما ... وما رصع الربعيُّ فيه ونظّما ٣
فقد حكت الارضُ السماء بنورها ... فلم أدر في التشبيه أيها السما
فخضرتها كالجو في حُسن لونه ... وأنوارُها تحكي لعينيكَ أنجما
فمن نرجس لما رأى حسن نقشه ... تداخلهُ عجبٌ به فتبسما
وأبدى على الورد الجني تطاولا ... فأظهرَ غيظ الورد في خدّه دما
وزهر شقيق نازعَ الوردَ فضلهُ ... فزاد عليه الوردُ فضلاً وقدّما
وظلّ لفرط الحزن يلطمُ خدّه ... فأظهر فيه اللطمُ جمراً مضرما
ومن سوسن لما رأى الصبغ كله ... على كل أنوار الرياض تقسما
تجلببَ من زُرق اليواقيت حلة ... فأغرب في الملبوس منه وأحكما ٤
وأنوار منثور تخالفَ شكلها ... فصار بها شكل الربيع متمما
جواهر لو قد طال فينا بقاؤها ... رأيت بهـا كل الملوك مختما

وللقاضي محمد بن النعمان في وصف الهلال :

انظر إلى حسن ذا الهلال وقد ... بدا لستٍّ مضينَ من عمرِه

---

(١) الصوان الوعاء الذي يصان فيه الشيء . (٢) جمع خطر ، وهو المثل والعديل في العلو. (٣)الربعي نسبة إلى الربيع والمراد به هنا المطر في الربيع. (٤) أغرب : أتى بشيء غريب .

وقد أطافت به كواكبه حُسناً فبينته لمعتبره
مثل زِناد قد صيغ من ذهب يقدحُ ناراً وهنّ من شرره[1]
ثمّ تولى يريد مغربــــه في شفق الشمس وهي في أثره[2]
فخلته غائصاً ببحر دم يقذفُ بالرائعاتِ من دُرره
فلم أزل إليلتي أراجعه لحظي وأبكي للوقتِ من قصره
حتى تبدّى الصباحُ منتبهاً قبلَ انتباه الخمور من سكره

ومن قصيدة لسليمان بن حسان الصيبي في وصف شمعة :

ومجدولة مثل صدر القنا ة تعرت وباطنها مُكتسي
لها مُقلة هي رَوحٌ لها وتاجٌ على الرأس كالبرنس
إذا رَنقت لنعاس عرا وقطت من الرأس لم تنعس[3]
إن غازلتها الصبا حركت لساناً من الذهب الأملس
وتنتج في وقت تلقيحها ضياء يجلي دُجَى الحندس
فنحنُ منَ النور في أسعُد وتلك من النار في أنحس
توقدُها نزهة العيـــو ن ورؤيتها منية الأنفس
تكيد الظلام كما كادَها فتفنى وتفنيه في مجلس
فيا حامل العود حث الغنا ويا حامل الكاس لا تحبس
ويا صالح[4] انعَم وعش سالماً على الدهر في عزك الأقعس[5]

ولأبي الحسن العقيلي في وصف الصبح والبرق :

الصبحُ ينشرُ فوق مِسكِ الليلِ كافور الضياء
والبرقُ يذهبُ ما تفضضه الغيومُ من السماء

(١) الزناد جمع زند ما تقدح به النار (٢) الشفق: الحمرة في الافق من الغروب إلى قريب من العتمة . (٣) كدرت . (٤) اسم الممدوح . (٥) الثابت المنيع .

فاشرب على ديباج نبْتٍ قد أحاط بشرب ماء [١]
فالعيشُ في زمن الرّبيـعِ رقيقُ حاشيةِ الرّداء

وقال أيضاً في نارنجة :

ونارنجة بين الرّياض نظرتُها على غصن رطبٍ كقامةِ أغْيَدِ [٢]
إذا ميّلتها الريحُ مالت كأكْرةٍ بدتْ ذهباً في صولجانِ زُمُرُّدِ

لابن أبي عمرو الطراري في وصف نار :

نارٌ جرت في غابـةٍ ترمي العُـلى بالشهبِ
كأنها جيشٌ وَغىً فرسانُه مِن ذهبِ

ولعلي بن لؤلؤة الكاتب في الصبح والليل :

رُبَّ صبحٍ كطلعة الوصل جَلى جُنْح ليـل كطلعة الهجرانِ
زار في حُلةِ البُزاةِ فوَلّى الليـــلُ عنه في حُلة الغربانِ

ولأبي العباس الكندي في الندى على البحر :

كأن الندى في البحر بحران مائعٌ على مائعٍ هذا على ذاك مطبق
فهذا لُجينٌ سابحٌ مُترقْرقٌ وذاك لُجينٌ في السماء مُعلقٌ [٣]
إذا أبصرته الشمسُ بعد احتجابها به ساعةً أبصرْتَه يتمزّقُ

وللسّري بن أحمد الكندي في وصف الفجر من قصيدة :

وركائب يخرُجن من غلس الدُّجى مثل السّهام مَرقْنَ منه مُروقا [٤]
والفجرُ مصقولُ الرداء كأنه جلبابُ خودٍ أشربتهُ خلوقا [٥]

(١) الشراب المورد (٢) النارنجة واحدة النارنج وهو شجرة ورقها أملس أبيض شديد الخضرة يحمل حملاً مدوراً في جوفه حماض كحماض الأترج ووردها أبيض في نهاية من طيب الرائحة (٣) مترقرق متلألىء (٤) خرجن ونفذن من الجانب الآخر (٥) الخود المرأة الحسنة الخلق الشابة ، والخلوق ضرب من الطيب مائع .

وله من أخرى في سحابة :

وبِكرٍ إذا جنَّبتها الجنوبُ حسبت العشار تؤُم العشار ١
ترى البرق يبسِمُ سِرّاً بها إذا انتحب الرعدُ فيها جهارا
يُعارضُها في الهواء النسيم فينثرُ في الأرض دُراً صغارا
فطوراً يشق جُيُوب الحيـا وطوراً يسُحُّ الدموع الغزارا

وله من أخرى :

غيوم تمسّك أُفـق السما ء وبرقٌ يكتّبهُ بالذهب
وخضراءُ ينثرُ فيها الندى ٢ فريداً ندًى ٣ ماله ُثقَب
فأوراقها مثلُ نظم الحلى وأنهارُها مثلُ بيض القُضب
حللتُ بها مع ندامى سَلوا عن الجد واشتهروا باللعِب
وأغنتهُمُ عن بديع السما ع بدائع ما ضمنته الكتب
وأحسنُ شيء ربيعُ الحيا أضيف إليه ربيعُ الأدب

ولأبي بكر الخالدي في وصف الجو وإدبار الليل وإقبال الفجر :

والجوُّ يسحب من عليل هوائـهِ ثوْبـاً يجود بظلّه المترقرِقِ
حتى رأينا الليل قوّس ظهره هرماً وأثّر فيه شيب المفرقِ
وكأن ضوءَ الفجر في باقي الدجى سيف جَلاه من اللجين المحـرق

ولسعيد بن هاشم الخالدي في وصف المطر والصبح والليل والبرق :

أما ترى الطلَّ كيف يلمعُ في عيون نَـوْر تدعو إلى الطربِ
في كل عين للطل ُلؤلؤةٌ كدمْعةٍ في جفُون منتحبِ
والصبحُ قدجرَّدت صوارمُه والليلُ قد همَّ منه بالهرَبِ
والجوُّ في حُلةٍ ُممَسَّكة قد كتّبتها البروقُ بالذهَبِ

---

(١) البكر السحابة الغزيرة ، وجنبتها دفعتها والعشار النوق (٢) النـدى الكلأ (٣) الندى ما سقط في آخر الليل والفريد الجوهر النفيس والدر .

وللمهلبي الوزير في الربيع :

الورد بين مضمَّخٍ ومُضرَّج والزهر بين مُكلل ومتوَّج [١]
والثلج يهبط كالنثار فقم بنا نلتذ بابنة كرْمة لم تمزج
طلع النهار ولاح نورُ شقائق وبدت سطورُ الورد تلو بنفسج
فكأنَّ يومك في غلالة فضة والنبت من ذهب على فيرُوزج [٢]

وللقاضي التنوخي أبي القاسم عليّ في طول الليل والفجر :

وليلة مُشتاق كأن نجومها قد اغتصبتْ عينَ الكرى وهي نوَّمُ
كأن عيون الساهرين لطولها إذا شخصت عين للأنجم الزهر أنجم
كأن سواد الليل والفجر ضاحكٌ يلوح ويخفى اسودٌ يتبسم

وله ايضاً في وحشة الليل والنجوم والسما :

رُبَّ ليل قطعتهُ كصدُودٍ وفراق ما كان فيه وداعُ
مُوحشٌ كالثقيل تقذى به العيــنُ وتأبى حديثه الأسماعُ
وكأن النجوم بين دُجاهُ سننٌ لاح بينهنَّ ابتداعُ
وكأن السماء خيمة وشْيٍ وكأن الجوزاء فيها شراعُ

وله أيضاً في وصف رياض :

رياض حاكت لهنَّ الثريّا حُللاً كان غزلها للرعود
نثر الغيثُ دُرَّ دمعٍ عليها فتحلتْ بمثل دُر العقودِ
أقحُوان معانقٌ لشقيق كثغور تعضُّ ورد الخدود
وعيونٌ من نرجس تتراءى كعيُون موصولة التسهيد
وكأن الشقيق حين تبدى ظلمة الصدغ في خدود الغيد
وكأن الندى عليها دموعٌ في جفون مفجوعة بفقيد

---

(١) ضمخه بالطيب لطخه به حتى كاد يقطر . وضرجه صبغه بالحمرة .
(٢) الغلالة : شعار يلبس تحت الثوب وتحت الدرع أيضاً . الفيروزج : حجر كريم .

وكتب محمد بن عبد الله السامي إلى صديق له يصف النارنج :

أتنشط للصبوح أبا علي ... على حكم المنى ورضا الصديق
بنهر للرياح عليه درع ... تذهب بالغروب وبالشروق
إذا اصفرت عليه الشمس صبت ... على أمواجه ماء الخلوق [1]
وجمر شب في الأغصان حتى ... أضاع الماء في وهج الحريق
فدهم الخيل في ميدان تبر ... يصاغ لها كرات من عقيق

وكتب إليه في وصف نهر حوله أشجار الجلنار [2] :

ونهر تمرح الأمواج فيه ... مراح الخيل في رهج الغبار [3]
إذا اصفرت عليه الشمس خلنا ... نمير الماء يمزج بالعقار [4]
كأن الماء أرض من لجين ... مغشاة صفائح من نضار
وأشجار محملة كؤوساً ... تضاحك في احمرار واخضرار
وإذا أبصرن في نهر سماء ... وهبن له نجوم الجلنار

وله من قصيدة في وصف الرياض والبرق :

نسب الرياض إلى الغمام شريف ... ومحلها عند النسيم لطيف
فاشرب وثقل وزن جامك إنه ... يوم على قلب الزمان خفيف [5]
أو ما ترى طرر البروق توسطت ... أفقاً كأن المزن فيه شفوف [6]
اليوم من خجل الشقيق مضرج ... خجل ومن مرض النسيم ضعيف
والأرض طرس والرياض سطوره ... والزهر شكل بينها وحروف

ولأحمد صفي الدين بن صالح بن أبي الرجال يصف روضة صنعاء :

روضة قد صبا لها السعد شوقاً ... وصفا ليلها وطاب المقيل

---

(١) الخلوق ضرب من الطيب مائع فيه صفرة لأن أعظم أجزائه من الزعفران.
(٢) الجلنار : زهر الرمان (٣) الرهج: ما أثير من الغبار (٤) الخمر (٥) الجام إناء من فضة (٦) الطرر : جمع طرة وهي علم الثوب ، والمزن : السحاب .

جوُّها سجسجٌ وفيها نسيم وكلُّ غصن إلى لقاه يميل
صح سكانها جميعاً من الدا ءِ وجسم النسيم فيها عليل
إيه : يا ماءَ نهرها العذبَ صلصلْ حبّذا يا زُلالُ منك الصليل
إيه : يا وُرْقها المرنّة غنّي فحياةُ النفوس منكِ الهديل
روضَ صنعاءَ فقتِ طبعاً ووصفاً فكثيرُ الثناء فيكِ قليل
نهرٌ دافقٌ وجوٌّ فتيقٌ زهَرٌ فائقٌ وظلٌّ ظليل
لستُ أنسى انتعاش شُحرور غصن طرباً والقضيبُ منهُ يميل
وعلى رأس دوحة خاطب الوُر ق ودمعُ الغصون طلاً يسيل
ولسانُ الرعود يهتفُ بالسُّحبِ فكان الخفيف منها الثقيل
وفمُ السُّحب باسمٌ عن بُروق مُستطير شُعاعُها مُستطيلُ

ولابن سكرة الهاشمي في وصف روضة

أما ترى الرَّوضة قد نوّرت وظاهر الرَّوضةِ قد أعشبا
كأنما الأرضُ سماءٌ لنا نقطفُ منها كوكباً كوكبا

ومن وصف زهرية لابن الرّاجح الحلي :

نثرت عقود سمائها الأنداءُ بيدِ النسيم فللثرى إثراءُ
وبدت تباشير الرّبيع كأنما نشرَت مطارف وشيها صنعاء [1]
والأرض قد زُهيت بحلْي نباتها والجو حُلّةُ سُحبه دكناء [2]
والروض في نشوات سكرته وقد طافت عليه الدّيمة الوطفاء
وثنى الحيا عِطف الغدير فصفقت أطرافه وتغنّت الورقاء
فكأنّ أعطاف الغُصونِ منابرٌ والوُرقُ في أوراقها خُطباءُ

(١) صنعاء : عاصمة بلاد اليمن .
(٢) الدكناء : الضارب لونها إلى السواد .

ومن وصف زهرية لبدر الدين الذهبي :

ترنحَ عطفُ البانِ في الحللِ الخضرِ ... وغنى بألحان على عوده القُمْرى[١]
وراقتْ أزاهيرُ الحدائق بالضحى ... نواظر أحداقٍ بنوّارها النضْرِ[٢]
وأشرق خد الوردِ يُبدي نضارهُ ... وأشرق جيدُ الغصن في لؤلؤ القطرِ
وبات سقيطُ الطل في كل رَوضة ... يُنبّه في أرجائها ناعس الزّهْر
وما ذهبتْ شمس الأصيل عشية ... إلى الغربِ حتى أذهبت فضةَ النهر
وغنّت قيانُ الطير في كلّ أيكة ... وقد راقَ كحلُ الطلّ في مقل الغُدر
أقامت لها دوح الأراك أرائكا ... وأرخت لها أوراق أستارها الخُضر
وأمسى أصيلُ اليوم مُلقى من الضنى ... على فُرشِ الأزهار في آخر العُمر
بكته حماماتُ الأراكِ وشققت ... عليه الصَّبا أثواب روْضاتها النضر
فكم من نحيبٍ للحمائم بالضحى ... عليه وللأنواء من دمعـــة تجري

ولعلي بن أحمد الجوهري من قصيدة في وصف الغيث :

زرّ الصباحُ علينا شملةَ السحبِ ... ومدّت الريح منها واهيَ الطُنُبِ[٣]
صكّ النسيمُ فراخَ الغيث فانزعجت ... ينفضْنَ أجنحةً من عنبر الزّغَبِ[٤]

ولأبي معمر بن أبي سعيد الإسماعيلي من قصيدة في وصف الثلج :

فرحْنا وقد بات السماءُ مع الثرى ... وغاب أديمُ الأرض عنّا فما يُرى
كأن غُيوم الجو صُوغُ فضة ... تواصوْا بردّ الحلي عمداً إلى الورى

ولأبي العلاء السروي في وصف روض :

مررنا على الروض الذي قد تبسّمتْ ... ذراه وأوْداجُ السّحائب تُسْفكُ[٥]

---

(١) القمري ضرب من الحمام (٢) أصله بكسر العين وتسكينها للضرورة .
(٣) زر : بمعنى نفض والشملة كساء يشتمل به ، وزر شملة السحب كناية عن سقوط المطر (٤) الزغب صغار الشعر والريش (٥) الأوداج جمع ودج وهو عرق في العنق .

فلم نرَ شيئاً كان أحسن مَنظراً   من الرّوض يجري دَمعه وهو يَضْحَكُ

وله أيضاً في وصف روض من قصيدة :

أما ترى قُضُبَ الأشجار قد لبِسَتْ   أنوارهــا تتثنّى بين جُــلاس
منظومَة كسُموط الدرّ لابسةً   حُسناً يُبيح دم العنقودِ للحاسي ١
وغرّدَتْ خُطباء الطيّر ساجعة   على منــابر من وَردٍ ومن آس

وقال أبو الفتح كشاجم يصف مِرآةً أهداها :

أُخْتَ شمس الضحاء في الحُسن والإشـــراق غيّر الإعشاءَ للأجفانِ
ذات طوق مُشَرَّفٍ من لجـــينٍ   أُجريَت فيه صُفرةُ العِقيانِ
فهو كالهالة المحيطة بالبــدْ   رِ لِسِتٍّ مَضَيْنَ بعد ثمانِ
وعلى ظهرها فَوارسُ تَلهو   ببُزاةٍ تَعْدو على غِزْلانِ
عدلت عكسَها الشُّعاعَ فَبَدا   هُ إليها ورَجْعُــهُ سِيّانِ
وهي شمسٌ وإنْ مِثالك يوماً   لاحَ فيها فإنهـــا شمسانِ
أينما قابلت مِثالك من أرْ   ض ففيهــا تَمابَل النيّرانِ
فألْقَها منك بالذي ما رآه   خائفٌ فانثنى بغير أمانِ

ولأبي القاسم الدَّيْنَوَري في وصف جَواد :

ومُطَهّمٍ ٢ طرف العِنان ٣ مَعوّدٍ   خَوْض المهالـــكِ كلّ يوم برازِ
وإذا تَوغّلَ في ذُرى مُتَمَنّعٍ   صَعب بعيد العهـــدِ بالمجتازِ
تركت سَنابكه بصُمّ صُخوره   أثراً يلوحُ كنقْش صَدْرِ البازي

وله في وصف سفرجل وتفاح ورمان :

بَعَثْتُ إليكَ ضُحى المِهْرَجا   ن بمعشوقــة العَرْفِ والمنظَرِ

(١) من حسا الشراب إذا شربه شيئاً بعد شيء وفي مهلة .

(٢) شبه حسنه وأظهر بهاءه والموصوف محذوف أي الفرس .

(٣) طرف العنان بمعنى خفيف ، والمطهم البارع الجمال والتام من كل شيء .

مُعَطرةٍ صانها في الحِجـا ل مطارفٌ من سَندُس أخضرِ
وبيضـاء رائقةٍ غضّـةٍ مُنقطـةِ الوَجهِ بالعُصْفُرِ
وحُقّ عقيـقٍ مَـلاهُ الهجيـ رُ من الجوهَر الرّائِقِ الاحمرِ
وأقداحِ تِبرٍ حشتْ قَعرها يـد الشمس بالمسكِ والعنبَر
فكنْ ذا قَبول لهـا إنهـا هداهـا مُقِلٌ إلى مكثرِ

وله في صفة النارنج :

أما ترى شجَرَ النـّارنْج طالعة نجومُها في غُصون لَدْنة مِيلٍ (١)
كأنها بين أوراق تحفُّ بهـا زُهرُ المصابيح في خُضرِ القناديل

ولأبي الفضل الميكالي في صفة الشقائق :

تَصوغ لنا كفُّ الربيع حدائقاً كعقْدِ عقيق بَين سِمْطِ لآلي
وفيهنّ أنوارُ الشقائق قد حكَتْ خدودَ عذارى نقطتْ بغَوالي

وله في اقتران الزهرة والهلال :

أما ترى الزهرة قد لاحت لنا تحت هِلالٍ لونهُ يحكى اللهَبْ
ككُرةٍ من فِضة مجـلوّة أوفى عليها صَولجانٌ من ذَهَبْ (٢)

وله في الفجر :

أهلاً بِفجر قد نضا ثوبَ الدُّجى كالسيف جُرِّد من سوادِ قِرابِ

وقال في صفة الندى الساقط على غصون الشجر :

نثر السَّحابُ على الغُصون ذُرارةً أهدَت لها نَوراً يروقُ ونورا
شابتْ ذوائبُها فعُدنَ كأنها أجْفانُ عيْن تحْمِلُ الكافورا

وقال في الجليد :

رُبَّ جَنين من جَنيٍّ نَمير مُهتِّكُ الاستار والضمير

---

(١) جمع أميل . (٢) أوفى : أشرف .

سللته من رحم الغدير كأنه صحائف البلور
لو أكر تجسمت من نور أو قطع من خالص الكافور
لو بقيت سلكا على الدهور لعطلت قلائد النحور
وأخجلت جواهر البحور وسميت ضرائر الثغور [١]
يا حسنه في زمن الحدور إذ فيضه مثل حشا المهجور
يهدي إلى الأكباد والصدور روحا تحاكي نفثة المصدور [٢]

ولأبي طاهر بن الهاشمي في روضة :

وروضة زارها الندى فغدت لها من الزهر أنجم زهر
تنشر فيها أيدي الربيع لنا ثوباً من الوشي حاكه القطر
كأنما شق من شقائقها على رباها مطارف خضر
ثم تبدت كأنها حدق أجفانها من دمائها حمر

ولأبي نصر سهل بن المرزبان في البدر :

كم ليلة أحييتها ومؤانسي طرف الحديث وطيب حث الأكؤس
شبهت بدر سمائها لما دنت منه الثريا في قميص سندسي
ملكاً مهيباً قاعداً في روضة حياه بعض الزائرين بنرجس

وللحسن بن أحمد البروجردي في حوض لبعض الرؤساء :

حوض يجود بجوهر متسلسل ساد الجواهر كلها بنفاسته
لا زال عذباً جارياً ببقاء من هو مثله في طبعه وسلاسته

ولابن أنيس في حسام عمرو بن معديكرب :

أخضر المتن بين حديه نور من فرند تحار فيه العيون

(١) جمع ضرة وهي إحدى زوجتي الرجل وأراد بضرائر الثغور الأسنان
(٢) النفثة ما ينفثه المصدور من فيه .

أوقِدت فيه للصَّواعِق نارٌ ثمَّ ساطت به الزُّعاف المنون[١]
فإذا ما سَلَلْتَهُ بَهَرَ الشمْسَ ضياء فلم تكد تستبين
فكأنَّ الفِرِندَ والرَّونقَ الجا ري في صَفْحَتَيه ماءٌ معين[٢]
وكأنَّ المنون نيطت إليه فهو من كل جانبيه منون
ما يُبالي مَن انتضاهُ لحربٍ أشِمالٌ سطَت به أم يَمين

وقال ابن عبد ربه في الرُّمح والحسام :

بكلِّ رُدَيْنيٍّ كأنَّ سِنانَهُ شِهابٌ بَدا في ظُلمةِ الليل ساطعُ
تَقاصَرَتِ الآجالُ في طولِ مَتْنِه وعادَت به الآمالُ وهي فَجائع
وساءَت ظنونُ الحرب في حُسنِ ظنِّه فهُنَّ لِحبَّات القلوب قوارع
وذي شطَبٍ تقضي المنايا لحكمه وليس لما تقضي المنيَّةُ دافع[٣]

وقال أيضاً في الحرب :

ومُعترَكٍ تَهزُّ به المنايا ذُكورَ الهند في أيدي ذُكورِ
لوامعُ يُبصرُ الأعمى سَناها ويعمى دونها طَرْفُ البصيرِ
يُحَوِّمُ حولها عِقبانُ موتٍ تَخطَّفتِ القلوبَ من الصُّدورِ

ومن قوله في الحرب وأبطالها :

سُيوفٌ يَقيلُ الموتُ تحت ظُبَاتِها لها في الكُلى وبين الكُلى شِربُ
إذا اصْطَفَّتِ الرّاياتُ حُمراً مُتونها ذَوائبها تَهفو فَيهفو لها القلب[٤]
ولم تَنطِقِ الأبطال إلا بفعلها فألسُنُها عُجْمٌ وأفعالُها عُرْبُ
إذا ما التقوا في مَأزِق وتَمانَقوا فلُقياهُم طعْنٌ وتعنيفهم ضَرْب

---

(١) هطلت. (٢) جار (٣) جمع شطب وهي طريقة السيف أي الواحدة من الخطوط التي في نصله (٤) هفت الراية خفقت وهفا القلب ذهب في أثر الشيء.

ولابن قلاقس في وصف السحاب والبرق والغيث :

سرى وجَبينُ الجو بالطلّ يَرشحُ وثوبُ الفوادي بالبروق موشحُ
وفي طيّ أبراد النسيم خميلةٌ بأعطافها نورُ المنى يتفتّحُ ١
يُضاحك في مثنى المعاطف عارض مدامعه في وجنة الروْض تسفحُ
وتوري به كفُّ الصّبا زند بارق شرارتهُ في فحمةِ الليل تقدحُ

ولأبي القاسم بن بابك في الصاحب يصف له إضرام النار في بعض غياض :

وليلةٍ بتُّ أشكو الهمّ أولها وعُدت آخرها أستنجدُ الطربا
في غيضة من غياض الحزن دانية مدّ الظلامُ على أوراقها طنبا
حتى إذا النارُ طاشتْ في ذوائبها عاد الزُّمردُ من عيدانها ذهبا
مرقتُ منها وثغر الصُّبح مُبتسمٌ إلى أغر يرَى المذْخور ما وهبا
يا أغزَر الناس أنواء ومحتلباً وأشرف الناس أعراقاً ومُنتسبا
أصبت ذا ثقة بالوفر منك وإن قال العوَاذلُ ظنٌ ربما كذَبا
فحُسن ظنّي بك استوفى مدى أملي وحُسن رأيك لي لم يُبْقِ لي أربَا

ومن قصيدة لأبي سعيد الرُّستُمي يصف بها داراً بناها الصاحب بن عباد:

وسامية الأعلام تلحظ دونها سنا النجم في آفاقها مُتضائلاَ
نسخت َبها إيوانَ كِسرى بن هرمُز فأصبح في أرض المدائن عاطلا
تُناطحُ قرْن الشمس من شرفاتها صفوف ظباءٍ فوْقهنّ مواثلا
وأغنى الورَى عن منزلٍ من بنت له معاليه فوْق الشعْريين منازلاَ
ولاغرْ وأن يستحدث الليثُ بالثرَى عريناً وأن يستطرق البحرَ ساحلا
ولم تعتمدْ داراً سوى حوْمة الوغى ولا خدماً إلا القنا والقنابلاَ

(١) الخميلة : الشجر الكثير الملتف والموضع الكثير الشجر .

ووالله ما أرضى لك الدهرَ خادماً ولا البدرَ مُنتاباً ولا البحرَ نائلا
ولا الفلكَ الدوّار إدراراً ولا الورى عبيداً ولا زُهر النجوم قبائلا
فإن الذي يبنيــــه مَلكَ خالدٌ وسائر ما يبني الأنامُ إلى بلى.

ولشاعر القطرين خليل مطران بك في وصف روض :

أيها الرّوض كنْ لقلبي سلاماً وملاذاً من الشقــاء الملازِمْ
زهَرٌ ذابــلٌ كأني أراهُ ثملا من أنفاسه في الكمائمْ
وغديرٌ صافٍ أقام سياجاً حولهُ باسقٌ من الدوح قائم
تتناغى بيض من الطير فيه سابحاتٌ وتحتها النّجم عائم
كيفما سرن فالطريق عقودٌ نُظمت من محاجر ومباسم
حبّذا البدرُ مُؤنساً يتجلى كحبيب بعد التغيُّب قادم
حبذا رسمُه البرايا كــأبهى ما ترى العينُ في صحيفةِ راسم
حبذا الماء والمصابيحُ فيه كبنـــان يزينهــا بخواتم
جنــةٌ بانت المكارهُ عنهــا وهي بكر من الأذى والمحارم
إنما أهلها طيُورٌ حســان إن دعاها الصباحُ قامت تُنادم
وضياء يمــــوجُ في الماءحتى لتراهُ كــأنه مُتــلاطم
ومرُوج مدبّجات كوَشْيٍ أتقنت صنعهُ حسان المعاصم
وغصــــون تهزّها نسمات كمُهودٍ تهزهُنّ رَوائم ١

وقال البحتري واصفاً صناعة الكتابة والإنشاء :

تفننت في الكتــابة حتى عطل الناس فنّ عبد الحميد
في نظام من البلاغة ما شَـــكّ امرؤ أنه نظام فريد

(١) جمع الرائمة وهي الوالدة العاطفة على ولدها الملازمة له.

وبديع كأنه الزهر الضـــا حك في رونق الربيع الجديد
مُشرق في جوانب السمع ما يخــلقه عَوْدُ على المستعيد
ماأعيرت منه بطون القراطيس وما حملت ظهور البريد
حججٌ تخرس الألد بألفــاظ فرادى كالجوهر المعدود
ومعان لو فصّلتها القوافي هجّنت شعرَ جرول ولبيد
حُزنَ مستعمل الكلام اختياراً وتجنّبن ظلمة التعقيد
وركبن اللفظَ الغريبَ فأدركـــنَ به غايةَ المراد البعيد
كالعذارى غدون في الحُلل البيض إذا رُحن في الخطوط السُّود

ووصف أعرابي تزوج امرأتين ما وقع له منهما فقال :

تزوجت اثنتين لفرط جهلي بما يشقى به زوجُ اثنتين
فقلت أصيرُ بينهمــا خروفاً أنعمُ بين أكرم نعجتَين
فصرت كنعجة تُضحي وتمسي تداولُ بين أخبثِ ذئبتين
رضا هذي يهيّج سخط هذي فما أعري من احدى السخطتين
وألقى في المعيشة كل ضر كذاك الضر بين الضّرتينِ
لهذي ليـــلة ولتلك أخرى عتـــاب دائم في الليلتين
فإن أحببتَ أن تبقى كريماً من الخيرات مملوء اليدين
فعِش عزباً فإن لم تستطِعه فضرباً في عراض الجحفلينِ

وقال أبو تمام حبيب بن أوس الطائي في وصف الربيع :

يا صاحبيَّ تقصّيـــا نظريكما تريا وجُوه الأرض كيف تُصَور
ترَيا نهـاراً مشمساً قد زانه زهر الرُّبا فكأنمـا هو مُقمرُ
دنيــا معاش للورَى حتى إذا حل الربيع فإنمـا هي منظرُ

أضحتْ تصوغ بطونها لظهورها ... نوراً تكاد له القلوب تنوّر
من كلّ زاهرة ترقرقُ بالندى ... فكأنها عينٌ لديك تحدّرُ

وقال ابو عُبادة البحتري في قصر المعتز بالله :

لمّا كملت روّية وعزيمةً ... أعملت رأيك في ابتناء الكامل
وغدوت من بين الملوك مُوفقاً ... منه لأيمن حلة ومنازلِ
ذُعر الحمام وقد ترنم فوقه ... من منظر خطر المزلة هائل
رُفعتْ لمخترق الرّياح سُموكهُ ... وزهت عجائب حسنه المتَخايل
وكأن حيطان الزجاج بجوه ... لججٌ يمُجْنَ على جنوب ساحل
وكأن تفويف الرخام إذا التقى ... تأليفه بالمنظر المتقابل
حبُك الغمام رصفن بين منمّر ... ومسيّر ومقارب ومُشاكلِ
لبّست بالذهب الصقيل سقوفه ... نوراً يضيء على الظلام الحافل
فترى العيون يجلن في ذي رونق ... متلهب العالي انيق السافل
وكأنما نشرتْ على بستانه ... سيراء وشي اليمنة المتواصل
اغنته دجلة إذ تلاحق فيضها عن ... صوب منسحب الرّباب الهاطل
وتنفست فيه الصبا فتعطفت ... اشجارُه من حوّل وحوامل

وقال المتنبي في جواده :

ويوم كليل المدْنفين كمنته ... اراقب فيه الشمس ايان تغرب
وعيني إلى اذني اغر كأنه ... من الليل باقٍ بين عينيه كوكب
له فضلة من جسمه في إهابه ... تجيءُ على صدر رحيب وتذهب
شققت به الظلماء أُدني عنانه ... فيطغى وأرخيه مراراً فيلعب
واصرعُ ايّ الوحش قفيته به ... وانزل عنه مثلهُ حين اركب

وما الخيل إلا كالصديق قليلة وإن كثرت في عين مَن لا يجربُ
إذا لم تشاهد غير حسن شيابها وأعضائها فالحسنُ عنك مغيَّبُ

وقال صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٧٥٠ هـ في الربيع :

وَرَدَ الرَّبيع فمرحباً بوُرودِهِ وبنور بهجته ونور ورُودِهِ
وبحسن منظره وطيب نسيمه وأنيق مبسمه ووشي برودِهِ
فصلٌ إذا افتخر الزمانُ فإنه إنسانُ مقلته وبيتُ قصيده
يغني المزاج عن العلاج نسيمه باللطفِ عند هبوبه وركوده
يا حبذا أزهارُه وثمارُه ونباتُ ناجمه وحبُّ حصيده
والغصنُ قد كسيَ الغلائل بعدما أخذتْ يدا (كانونَ) في تجريده
نال الصبا بعد المشيب وقد جرى مـاءُ الشبيبة في مَنابت عودهِ
الوردُ في أعلى الغصون كأنه ملكٌ تحفُّ به سراة جنوده
وانظر لنرجسهِ الجنيّ كأنهُ طرفٌ تنبه بعد طول هجودِهِ
وانظر إلى المنثور في منظومه متنوعاً بفصوله وعقوده

وقال أيضاً في حديقة :

وأطلق الطيرُ فيها سَجع منطقه ما بين مختلف منه ومتفق
والظلُّ يسرقُ بين الدوح خطوته وللمياه دبيبٌ غيرُ مسترق
وقد بدا الوردُ مفتراً مباسمه والنرجس الغض فيها شاخص الحدق
والسحب تبكي وثغر البرق مبتسم والطير تسجع من تيه ومن أنق
فالطير في طرب والسحب في حرب والماء في هرَب والغصن في قلق

وقال المرحوم أحمد شوقي بك في الطبيعة :

تلك الطبيعة قف بنا يا ساري حتى أريكَ بديع صنع الباري

فالأرضُ حولك والسماء اهتزتا لرَوائــع الآيات والآثار
ولقــد تمرُّ على الغدير تخاله والنبت مرآةً زهت بإطار
حلو التسلسل موْجه وخريرُه كأنامــل مرت على أوتار
ينساب في مخضــلة مبتــلةٍ منسوجــة من سندسٍ ونضار
وترى السماء ضحى وفي جنح الدجى منشقــة عن أنهر وبحــار
في كل ناحية سلكتَ ومذهب جبلان من صخر وماء جاري

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف النيل :

نظرت للنيل فاهتزت جوانبه وفاض بالخير في سهل ووديان
يجري على قدر في كل منحدرٍ لم يجفُ أرضاً ولم يعمد لطغيان
كأنه ورجــالُ الرّيّ تحرسه مملّك سار في جند وأعوان
قد كان يشكو ضياعاً مذ جرى طلقاً حــتى أقمتَ له خزان أسوان

وقال أيضاً عن لسان حال اللغة العربية واصفاً لها :

رجعتُ لنفسي فاتهمتُ حصاتي وناديتُ قومي فاحتسبتُ حياتي
رموْني بعقم في الشباب وليتني عقمتُ فلم أجزعُ لقول عداتي
ولدْت ، ولما لم أجد لعرائسي رجــالاً وأكفاء وأدْت بناتي
وسعتُ كتاب الله لفظاً وغاية وما ضقت عن آي بــه وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة وتنسيق أسمــاء لمختــرعات
أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ فهل سألوا الغوّاص عن صدفاتي
فيا ويحكم أبلى وتبــلى محاسني ومنــكم وإن عز الدواء أساتي
فــلا تكلوني للزمان فإنني أخاف عليــكم أن تحين وفاتي
أرى لرجال الغرب عزاً ومنعة وكم عز أقوام بعز لغــات

أتوا أهلهم بالمعجزات تَفَنُّناً فياليتكم تأتون بالكلماتِ
أيُطربكم من جانب الغرب ناعِبٌ يُنادي بوأدي في ربيع حياتي
ولو تزجُرونَ الطير يوماً علمتمُ بما تحته من عثرةٍ وشتات
سقى الله في بطنِ الجزيرة أعظماً يعزُّ عليها أن تلينَ قناتي
حفظن ودادي في البلى وحفظتهُ لهُنَّ بقلب دائم الحسرات
وفاخرت أهلَ الغرب والشرق مُطرق حياءً بتلك الأعظم النَّخِرات
أرى كل يوم بالجرائد مَزلقاً منَ القبرِ يُدْنيني بغير أناة
وأسمع للكُتّاب في مصر ضَجَّةً فأعلمُ أن الصائحينَ نُعاتي
أيهجُرُني قومي عفا الله عنهمُ إلى لغةٍ لم تتصل بِرُواتي
سرَتْ لوثةُ الأعجام فيها كما سرى لعابُ الأفاعي في مَسيلِ فرات
فجاءتْ كثوب ضمَّ سبعين رُقعة مُشكَّلةَ الألوانِ ، مختلفات
إلى مَعشر الكُتّاب والجمع حافل بَسَطتُ رجائي بعد بسط شكاتي
فإمّا حياةٌ تبعث الميْتَ في البلى وتُنبِتُ في تلك الرُّمُوس رُفاتي
وإمّا مماتٌ لا قيامةَ بعده مماتٌ لعمري لم يُقَسْ بممات

وقال شاعر العراق الكبير معروف الرصافي واصفاً قطار البخار :

وقاطرة ترمي الفضا بدُخانها وتملأُ صدرَ الأرض في سَيرها رُعبا
تمشَّتْ بنا ليلاً تجُرُّ وراءها قِطاراً كصف الدَّوح تسحبهُ سحبا
فَطوراً كعصف الريح تجري شديدة وطوراً رُخاءً كالنسيم إذا هبَّا
تساوى لديها السَّهل والصعب في السُّرى فما استسهلت سهلاً ولا استصعبت صعبا
تَدُكُّ مُتون الحزن دكاً وإنها لتَنْهَبُ سهل الأرض في سيرها نهبا
يمرُّ بها العالي فتعلو تَسلُّقاً ويعترض الوادي فتجتازه وثبا
طوت بالمسير الأرضَ كأنها تسابق قرص الشمس أن تدرك الغربا
هو العلمُ يعلو بالحياة سَعادةً ويجعلها كالعلم محمودةَ العُقْبى

وقال المرحوم محمود باشا سامي البارودي يصف حرب سكان جزيرة كريد :

أخذَ الكَرى بمعاقد الأجفان ... وهَفا السُّرى بأعنَّةِ الفرسان
والليلُ منشور الذوائب ضاربٌ ... فوقَ المتالع والرُّبى بجران
لا تستبينُ العينُ في ظلمائه ... إلا اشتعال أسنَّة المران
تسري به ما بَينَ لُجَّة فتنةٍ ... تسمو غواربها على الطوفان
في كل مَرْبَأة وكلّ ثنيَّةٍ ... تهْدار سامِرةٍ وعَزْف قيان
تستنُّ عادية ويَصْهَلُ أجْرَدٌ ... وتصيح أجْراسٌ ويهتفُ عان
قومٌ أبى الشيطانُ إلا خُسرهم ... فتسللوا عن طاعة السلطان
مَلؤوا الفضاءَ فما يَبِينُ لناظرٍ ... غيرُ التِماع البيض والخُرْصان
فالبدرُ أكدرُ والسماء مريضة ... والبحرُ أشكلُ، والرماحُ دَوانِ
والخيلُ واقفة على أرْطانها ... لِطراد يوم كريهة ورِهان
وضعوا السلاح إلى الصباح وأقبلوا ... يتكلمونَ بألسُن النيران
حتى إذاما الصبحُ أسفَرَ وارتمت ... عَيْنايَ بَينَ رُبى وبَينَ مَجانِ
فإن الجبالُ أسِنَّة ، وإذا الوها ... دُ أعِنَّة ، والماء أحمَرُ قانِ
فتَوجَّسَتْ فَرَطاً الركاب ولم تكن ... لِتَهاب، فامْتَنَعت على الارْسانِ
فزَعَتْ فرَجَّعَت الحنينَ وإنما ... تحنانها شَجَنٌ منَ الاشجان
ذكرَت مواردها بمصر وأين مِنْ ... ماءٍ بمصرَ منازلُ الرومان

وقال السيد عبدالله النديم المتوفى سنة ١٣١٤ هـ يصف قطاراً بخارياً :

نَظَر الحكيمُ صِفاتِه فتحيرا ... شكلا كطود بالبُخار مُسَيَّرا
دَوْماً يحنُّ إلى ديار أصوله ... بحديد قلب باللهيب تَسَعَّرا
ويظلُّ يبكي والدموع تزيده ... وجداً فيجري في الفضاء تَستَرا

تلقاه حالَ السير أفعى تَلتَوي أو فارس الهيجا أثارَ العِثيرا
أو أكرةٌ أرسلتها ترْمي بهـا غرضاً فجلتأن ترى حال السّرى
أو سبعَ غاب قد أحسَّ بصائدٍ في غابه فعَدا عليـه وزمجَرا
فكأنه المديون جاء غريمـه فانسلَّ منه وغابَ عن تلك القرى
أو أنه شهبٌ هوَت من أفقهـا أو قبـة المنطاد تنبذُ بالعرا
لا عجبَ للنيران إذ يمشي بها فمن اللظى تجري الورى كي تحشرا

وقال أحمد بك شوقي يصف الجسر الواصل بين ضفتي البسفور في الآستانة :

أميرَ المؤمنين رأيت جسراً أمرُّ على الصراط ولا عليه !
له خشب يجوع السوس فيه وتمضي الفأر لا تأوي إليه
ولا يتكلف المنشار فيـه سوى مرِّ القطيم بساعديه
ويبلى نعلُ من يمشي عليه وقبلَ النعل يدمي أخمصيه
وكم قد جاهدَ الحيوان فيه وخلفَ في الهزيمة حافريه
وأسمجُ منه في عيني جُباة تراهم وسطـهُ وبجانبيـه
إذا لاقيتَ واحدَهم تَصَدّى كعفريت يُشيرُ براحتَيْه
ويمشي (الصدّر) فيه كل يوم بموكبه السنيِّ وحارسَيـه
ولكن لا يمر عليه إلا كما مرّت يـداه بعارضَيْه
ومن عجب هو الجسر المعلّي على (البُسفور) يجمع شاطئيه
يُفيد حكومة السلطان مالاً ويُعطيها الغنى من مَعْدنَيْه
يجود العاملونَ عليه ، هذا بعشْرتِه ، وذاك بعَشْرتَيْه
وغاية أمره أنا سمعنـا لسان الحال يُنشدنا لديـه
(أليس من العجائب أن مثلي يرى ما قلَّ ممتنعاً عليه)
(وتؤخذ باسمه الدنيا جميعاً وما من ذاك شيءٌ في يديه)

وقال المأمون المتوفى سنة ٣٨٣ هـ يصف المقراض :

وصاحبين اتفقا على الهوى واعتنقا
وأقسما بالودّ والإخلاص أن لا يفترقا
ضمّهما أزهرُ كالنجم به قد وثِقا
لم يَشكُ خَصْرَيهما مذ ضمّناه قلقا
من تحته عينان منذ انفتحاما انطبقا
وفوقه نابان ما حلّا فما مُذ خُلِقا
يفرّقان بين كلّ ما عليه اتفقا
فأيُّ شيء لاقيا هُ ألقياه فِرَقا

وقال أبو بكر الأرّجاني المتوفى سنة ٥٢٤ هـ يصف الشمعة :

نمّت بأسرار ليلٍ كان يُخفيها وأطلعت قلبها للناس من فيها
غريقة في دموع وهي تحرقُها أنفاسُها بدوامٍ من تلظّيها
تنفّست نفس المهجور إذ ذكرت عهد الخليط فبات الوجدُ يُذكيها
يخشى عليها الردّى مهما ألمّ بها نسيمُ ريحٍ إذا وافى يُحيّيها
قد أثمرت وردةً حمراءَ طالعة تجني على الكفّ إن أهويت تجنيها[1]
وردٌ تشاكُ به الأيدي إذا قُطِفت وما على غصنها شوكٌ يُوقّيها
صُفرٌ غلائلها ، حُمرٌ عمائمها ، سودٌ ذوائبها ، بيضٌ لياليها

وصف قصر المنصور :

قال ابنُ حمديس[2] الصقلي في صفة قصر شيّده المنصور بن أعلى الناس

(١) تجني الاولى بمعنى تعتدي والثانية بمعنى تقطف . (٢) هو عبد الجبار ابن أبي بكر توفي سنة ٥٢٧ هـ وهو من ابرع الشعراء إن لم يكن ابرعهم في وصف البرك والأنهار والقصور والتماثيل فلقد كان إذا وصف شيئاً من ذلك جعله كالحسناء وخيالها في المرآة .

ببجاية [1] ، وجعل فيه بركة عليها أشجار من ذهب وفضة ، وعلى حافاتها أُسود تَقذِف بالماء :

أعمر بقصر المُلكِ ناديك الذي ... أضحى بمجدك بيتَه معمورا
قصرٌ لو انك قد كحلتَ بنوره ... أعمى لعاد من الضّياءِ بصيرا
واشتقّ من معنى الجنانِ نسيمهُ ... فيكادُ يُحدِثُ بالعظامِ نُشورا
أذكرْتنا الفردوسَ حين أريتنا ... غُرفاً رفعتَ بناءَها وقصورا
فلكٌ من الأفلاكِ ، إلا أنه ... حقَرَ البدور فأطلع « المنصورا »
وإذا الولائدُ فتّحت أبوابه ... جعلت تُرَحب بالعُفاة صريرا [2]
عضّت على حلقاتهنّ ضراغم ... فَغَرَتْ بها أفواهها تكبيرا [3]
فكأنها لَبَدَت لِتهصر عندها ... من لم يكن بدخولها مأمورا [4]
ومُصفحِ الأبوابِ تِبراً نظّروا ... بالنقش فوق شكوله تنظيرا [5]
خَلعت عليه غلائل مَوشيّةً ... شمسٌ تردّ الطرف عنه حسيرا [6]
وإذا نظرتَ إلى غرائب سقفه ... أبصرتَ رَوْضاً في السماء نضيرا
وعجبتَ من أطيار عَسْجَدِه ... حامت لِتبني في ذُراهُ وُكورا
وضعت به صُنّاعها أقلامَها ... فأرَتكَ كلّ طريدة تصويرا [7]
وكأنما للشمس فيـــه لِيقةٌ ... مشَقوا بها التزويق والتشجيرا [8]

---

(١) بجاية كحكاية : بلد بالمغرب (٢) العفاة : جمع عاف وهو طالب الحاجة ، والصرير صوت الباب . (٣) فغر فاه : فتحه (٤) لبد كنصر : أقام والهصر : الدفع (٥) نظر مـ ل ، والشكول : جمع شكل (٦) الغلائل : جمع غلالة وهي شبه القميص يلبس على الجسد والمراد هنا الطلاء ، والموشية المنقوشة . (٧) الطريدة : ما يطارده الصياد ويتبعه . (٨) الليقة ما يكون في الدواة لاصقاً بصوفه أو نحوها والفعل منها كباع ، ومشق الكتابة مد حروفها ، والتشجير : أن تشكل على هيئة الشجر.

وضراغمٍ سكنت عَرينَ رياسة ترکت خريرَ الماء فيه زئيرا
فكأنما غشّى النُّضار جسومها وأذاب في أفواهها البلّورا
أُسدٌ كأن سكونها متحرّك في النفس لو وَجَدَت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما أقْعَت على أدبارها لتثورا [1]
وتخالها والشمس تجلو لونها ناراً ، وألسُنها اللّواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول ذابت بلا نار فَعُدْنَ غديرا
وكأنما نسجَ النسيم لمائِــه درعاً ، فقدّر سردَها تقديرا [2]
وبديعةِ الثمرات تعبره نحوها عيناي بحرَ عجائب مسجورا [3]
شجريّةٍ ، ذهبية ، نزَعتْ إلى سِحْر يؤثر في النهى تأثيرا [4]
قد سُرّجَت أغصانها فكأنما قبضَت بهنّ من الفضاء طيورا [5]
وكأنما تأبى لوُقّعِ طيرها أن تستقلّ بنهضها وتطيرا [6]
من كلّ واقعة ترى منقارها ماءً كسلسال اللجين نميرا [7]
خُرْسٌ تُعدمن الفصاح فإن شدَت جعلت تغرد بالميــاه صفيرا [8]
وكأنما في كل غصن فضــة لانت فأُرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصّهريج موقع قطرها فوق الزَّبرْجد لؤلؤاً منثورا
ضحكت محاسنه إليك كأنما جُعلت لها زهر النجوم ثغورا

(١) أقعى الكلب والسبع : جلس على مؤخره ناصباً يديه . (٢) السرد : نسج الدرع وتقديره : أن تكون ثقوب الدرع مساميرها . (٣) المسجور : المملوء .
(٤) نزع إليه أشبهه ، يقال : فلان ينزع إلى ابيه أو ينزع أباه أي يشبهه .
(٥) سرجه : حسنه وزينه . (٦) الوقع كركع : جمع واقع . (٧) السلسلة : اتصال الشيء بالشيء ، ومن ذلك الماء السلسال أي السهل الجريان واللجين الفضة ، والنمير : الناجع من الماء . (٨) شدا : ترنم .

وصف زلزال صقلية

قال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف زلزال صقلية في سنة ١٩٠٩ م :

نبئاني إن كنتما تعلمان ما دهى الكون أيها الفرقدان[١]
غضب الله أم تمردت الأر ض فأنحت على بني الإنسان[٢]
ليس هذا « سبحان ربي » ولا ذا ك ولكن طبيعة الأكوان
غليان في الأرض نفس عنه ثوران في البحر والبركان[٣]
رب أين المفر والبحر والبر على الكيد للورى عاملان
كنت أخشى البحار والموت فيها راصد غفلة من الربان[٤]
سابح تحتنا مطل علينا حائم حولنا مناء مداني[٥]
فإذا الأرض والبحار سواء في خلاق ، كلاهما غادران[٦]
ما (لمسين) عوجلت في صباها ودعاها من الردى داعيان[٧]
ومحت تلكم المحاسن منها حين تمت آياتها آيتان
خسفت ثم أغرقت ثم بادت قضي الأمر كله في ثواني
وأتى أمرها فأضحت كأن لم تك بالأمس زينة البلدان
ليتها أمهلت فتقضي حقوقاً من وداع اللدات والجيران[٨]
لحة يسعد الصديقان فيها باجتماع ويلتقي العاشقان

---

(١) الفرقدان نجمان في السماء لايغربان وهذا هو السر في قول المعري :

فاسأل الفرقدين عمن أحسا من قبيل وآنسا من بلاد

وفي أثره جرى شاعرنا . (٢) أنحى عليه ضربا : أقبل . (٣) نفس عنه : فرج .

(٤) الربان كرمان : رئيس الملاحين . (٥) مناء مدان مباعد مقارب .

(٦) الخلاق : الحظ او الدين وأنما يكون ذلك في الخير ولكن الشاعر توسع في استعمال الكلمة (٧) مسين : مدينة من مدن صقلية خربها هذا الزلزال وتعرف عند العرب بمسيني ومن شعر ابن قلاقس « يامن يمسيني على مسيني » وداعيا الردى : الإغريق والإحراق . (٨) اللدات : جمع لدة وهو الترب أي النظير في السن .

بغت الأرض والجبال عليها وطغى البحر أيما طغيان
تلك تغلي حقداً عليها فتنشـــقّ انشقاقاً من كثرة الغليان
فتجيب الجبال رجماً وقذفا بشَواظ من مارجٍ ودخان [1]
وتسوق البحار رَدّاً عليها جيش موج نائي الجناحين داني
فهنا الموت أسود اللون جون وهنا الموت أحمر اللون قاني [2]
جنّدَ الماء والثرى لهلاك الـــخلق ثمّ، استعان بالنيران
ودعا السُّحب عاتياً فأمدّتـــه بجيش من الصواعق ثاني [3]
فاستحال النجاء واستحكم اليأ س وخارت عزائم الشجعان
وشفى الموتُ غلةً من نفوس لا تباليه في مجـال الطعان
أين (رجيُو) وأين ما كان فيها من مغانٍ مأهولة وغواني [4]
عوجلت مثل أختها ودهاها ما دهاها من ذلك الثوران
رُبّ طفلٍ قد ساخ في باطن الأر ض ينادي أمي! أبي! أدركاني [5]
وفتاةٍ هيفاء تُشوى على الجمـــر تُعاني من حرّه ما تُعاني
وأبٌ ذاهلٌ إلى النار يمشي مُسْتَميتاً تمتد منه اليدان
باحثاً عن بناته وبنيـــه مُسْرعَ الخطو مُستطير الجنان [6]
تأكل النار منه لا هو ناج من لظاها ولا اللظى عنه واني [7]
غصّت الأرض، أتخم البحر مما طواه من هذه الأبدان [8]
وشكا الحوت للنسور شكاة ردّدتها النسور للحيتان

(١) الشواظ : لهب لادخان فيه، والمارج: النار بلا دخان (٢) الجون الأسود فهو تأكيد والقاني، «بالهمزة»: الشديدة الحمرة وقد يسهل (٣) العاني المجاوز للحد (٤) رجيو : مدينة بايطاليا أمام مسيني وتعرف عند العرب بربو ، والمغاني جمع مغنى وهو المقام (٥) ساخ في الأرض: دخل فيها وغاب. (٦) المستطير : المتفرق المشتت (٧) اللظى اللهب ، وونى تراخى . (٨) غص كفرح اعترض في حلقه شيء، والمراد هنا امتلأ وأتخمه الطعام، أحدث له تخمة وأصل تائه واو من الوخامة.

أسرفا في الجسوم نقراً ونَهشاً ثم باتا مِنْ كِظة يشكوان ١
لا رعى الله ساكن القِمَم الشـم ولا حاط ساكن القيعان ٢
قدِ أغارا على أكفٍ بَراها بارىء الكائنات للاتقان
كيف لم يَرْحما أناملها الغُـر ولم يَرْفقا بتلك البنان
لَهْفَ نفسي وألف لهفٍ عليها من أكُفٍ كانت صناع الزمان ٣
مُولعاتٍ بصيد كل جميل ناصباتٍ حبائل الألوان
حافراتٍ في الصخر او ناقشات شائدات روائع البُنيان
مُنطقعات لسان كل جماد مُفحِماتٍ سواجع الأفنان ٤
مُلهمات من دِقة الصنع ما لا يلهم الشعر من دقيق المعاني
من تماثيلَ كالنجوم الدراري يُهدَم الدهر وهي في عُنفوان
عجبٌ صُنعُها وأعجب منه صمْتُها ، تلك قدرة الرحمن
إيه (مَسِّين) آنسي اليوم بُمْبا يَ فقد أوْحَشَتْ بذاك المكان
آيسي الدرة التي كانت الحلية في تاج دولة الرومان
غالها قبلك الزمان اغتيالا وهي تلهو في غبطة وأمان
جاءها الأمر والسراة عكوف في الملاهي على غِناء القيان ٥
بين صبٍ مُدَلَّه وطروب وخليع في اللهو مُرْخى العنان ٦
فانطوَوْا كانطواء أهلك بالأمس وزالت بشاشة العمران
أنت (مسينُ) لم تزولي كما زا لت ولكن أمسيت رهن الأوان

(١) الكظة : ما يعتري الإنسان من امتلاء الطعام (٢) القيعان : جمع قاع وهو الأرض السهلة المطمئنة انفرجت عنها الجبال ومراد الشاعر بها البحر أو قراره.

(٣) يا لهفي على كذا : عبارة يتحسر بها على فائت وضمير عليها للأكف ومن أكف بيان للضمير وصناع : حاذقة ماهرة في العمل اليدوي . (٤) سواجع الافنان : الحمام يسجع على الغصون . (٥) السراة : الأشراف، والقيان جمع قينة، وهي الجارية المغنية

(٦) الخليع : المستهتر بالشراب واللهو .

إن إيطاليا بنوها بُناةٌ فاطمئني ما دام في الحيّ باني
فسلام عليكِ يوم توليـ ـت بما فيك من مغان حسان
وسلام عليك يوم تعودينَ كما كنتِ جنة الطليان

وقال أبو الطيب المتنبي يصف الأسد :

وردٌ إذا ورد البُحيرة شارباً ورد الفرات زئيره والنّيلا [١]
متخضّبٌ بدم الفوارس لابسٌ في غيله من لبدتيه مغيلا [٢]
ما قوبلت عيناه إلا ظنّتا تحت الدجى نار الفريق حُلولا [٣]
في وحدة الرُّهبان إلا أنه لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترفقاً من تيهه فكأنه آسٍ يجُسّ عليلا [٤]
ويرد عَفرته إلى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا [٥]
وتظنّه مما يزمجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا [٦]

وصف شِعب بوّان [٧] :

قال أبو العباس المبرد : كنت مع الحسن بن رجاء بفارس ، فخرجت إلى شعب بوان ، فنظرت إلى ترْبة كأنها الكافور ، ورياض كأنها الثوب الموشى وماء يتحدّر كأنه سلاسل الفضة ، على حصباء كأنها حصى الدرّ ، فجعلت أطوف في جنباتها ، فإذا في بعض جُدرانها مكتوب :

(١) الورد : الجريء والبحيرة : يريد بها بحيرة طبرية .
(٢) الغيل : الاجمة والشجر الكثير الملتف . ولبدتا الأسد ، ما على كتفيه من الشعر . (٣) الفريق الجماعة ، وحلولا : حال من الفريق .
(٤) الآسي : الطبيب . (٥) عفرة الأسد : الشعر المتجمع على قفاه .
(٦) الكمي : الشجاع المستتر في سلاحه والمشكول : المقيد .
(٧) هو جنان الدنيا الأربع عند أدباء العرب

إذا أشرف المكروب من رأس تلعة ... على شعب بوّان أفاق من الكرب ١
وألهاه مرجٌ كالحرير لطافة ... ومطرد يجري من البارد العذب
وطيب رياضٍ في بلاد مَريعة ... وأغصان أشجار جناها على قرب ٢

وفي شعبِ بوّان يقول المتنبي :

مغاني الشعب طيباً في المغاني ... بمنزلة الربيع من الزمان ٣
طبتْ فرساننا والخيل حتى ... خشيتُ وإن كرُمْن من الحران ٤
عدوْنا تنفض الأغصانُ فيها ... على أعرافها مثل الجمان
فسرتُ وقد حجبن الشمس عني ... وجئن من الضياء بما كفاني
وألقى الشرقُ منها في ثيابي ... دنانيراً تفرُّ من البنان ٥
وأمواهٌ تصلُّ بها حصاها ... صليل الحلي في أيدي الغواني
إذا غنى الحمامُ الوُرقُ فيها ... أجابته أغانيُّ القيان
يقول بشعب بوّانٍ حصاني ... أعنْ هذا يسار إلى الطعانِ !

وقال حافظ بك إبراهيم يصف طيارة :

يجري بسابحةٍ تشُقُّ سبيلها شقّ الإزار
وتكاد تقدح في الأثير فيستحيل إلى شرار ٦
مثل الشهاب انقض في آثار عفريت وطار

(١) التلعة : ما ارتفع من الأرض وما انهبط منها والمراد الأول
(٢) المريعة الخصيبة ،والميم أصلية يقال: مرعت الأرض وأمرعت (٣)المغاني جمع مغني اسم مكان من غنى أي أقام . (٤) طباه وأطباه : استهواه واستماله .
(٥) يقول: إن اشتباك الأغصان يحمل ما يسقط من ضوء الشمس دوائر صغيرة كالدنانير إلا أنها لا يمكن تناولها .
(٦) الشرار والشرر : ما يتطاير من النار واحدتها شرارة وشررة .

فإذا علت فكدَعوة الـمُضطَرِّ تخترق الستار
وإذا هوَتْ فكما هوَت أنثى العُقاب على الهزار [١]

وصف السيف للمرحوم البارودي :

أمضي به الهولُ مقداماً ويصحبني ماضي الغِرار إذا ما استفحل الوهَل [٢]
يمرُّ بالهام مرَّ البرق في عَجل وقت الضراب ولم يعلق به بلَل
ترى الرجال وقوفاً بعد فتكته بهم يُظنَّون أحياءً وقد قُتلوا
كأنه شعلة في الكفِّ قائمةٌ تهفو بها الريح أحياناً وتعتدل
لولا الدماء التي يُسقى بها نهلا لكاد من شدة اللألاء يشتعل
يَفلُّ ما بقيت في الكف قبضته كل الحديدِ ولم يثأر به فَلَل

وصف الأسطول للأيادي

وقال علي بن محمد الأيادي يصف أسطول الفاطمي المتوفى سنة ٤٣٣ هـ :

أعْجِب بأسطول الإمام محمد وبحسنه وزمانه المستغربِ
لبست به الأمواج أحسن منظر يبدو لعين الناظر المستعجبِ
من كل مشْرِفة على ما قابلت إشراف صدر الأجدل المتنصب [٣]
دهماء قد لبست ثياب تصنع تسبي العقول على ثياب ترَهب [٤]
من كل أبيض في الهواء مُنشر منها وأسحم في الخليج مُغيَّب
كمُلاءة في البر يقطع سيرها في البحر أنفاح الرياح الشذَّبِ [٥]

(١) العقاب : طائر جارح وجمعه عقبان ، ولفظه مؤنث . والأنثى منه تسمى اللقوة والذكر يسمى الغرن وهو ضعيف وإنما القوة للأنثى، ومن هذا يتبين السر في قول شاعرنا أنثى العقاب. (٢ الغرار: حد السيف ونحوه، الوهل الفزع

(٣) الأجدل : الصقر جمعه أجادل ، والمتنصب : المنتصب . (٤) يشير إلى لون السفن الذي هو السواد الشبيه بلباس الرهبان وإلى لون أشرعتها الذي هو البياض.

(٥) الشذب : جمع شاذب وهو الذي يطرد ويبعد أي الرياح التي تقذف على وجه الأرض وهذا كناية عن الشدة .

محفوفة بمجادف مصفوفة ... في الجانبين دُوين صُلب صِلّب[1]
كقوادم النسر المرفرف عريت ... من كاسيات رياشه المتهدب[2]
وتحثها أيدي الرجال إذا ونت ... بمصعد منه بعيد مصوب[3]
خرقاء تذهب إن يد لم تهدها ... في كل أوب للرياح ومذهب[4]
جوفاء تحمل كوكباً في جوفها ... يوم الرهان وتستقل بموكب
ولها جناح يستعار يطيرها ... طوع الرياح وراحة المتطرب
يعلو بها حدب العباب مطارة ... في كل لج زاخر مغلولب[5]
تسمو بأجرد في الهواء متوج ... عريان منسوج الذؤابة شوذب[6]
يتركب الملاح منه ذابة ... لو رام يركبها القطا لم يركب[7]
فكأنما رام استراقة مقعد ... للسمع إلا أنه لم يشهب
وكأنما جن ابن داود هم ... ركبوا جوانبها بأعنف مركب
سجروا جواحم نارها فتقاذفوا ... منها بألسن مارج ملتهب[8]
من كل مسجور الحريق إذا انبرى من ... سجنه انصلت انصلات الكوكب[9]
عريان يقدمه الدخان كأنه ... صبح يكر على الظلام الغيهب
ولواحق مثل الأهلة جنح ... لحق المطالب فائتات المهرب[10]
يذهبن فيما بينهن لطافة ... ويجئن فعل الطائر المتغلب

(١) الصلب كسكر مبالغة في الصلب (٢) الرياش : اللباس الفاخر والمراد هنا ريش الطائر ، والمتهدب . ذو الأهداب ونسر اهدب ، أي سابغ الريش (٣) صعد الشيء : رفعه ، وصوبه : خفضه . (٤) الأوب الجهة والطريق والمتطرب الحادي الذي يتغنى في سوق الإبل والمراد هنا الربان . (٥) حدب الماء تراكبه في جريه والمغلولب : الكثير ، يقال : اغلولب القوم إذا اكثروا (٦) الشوذب ، الطويل والبيت يصف فيه القرية كهدية وهي العود الطويل الذي يشبه القلع (٧) ذبابة السيف ، طرف حده والمراد طرف القرية (٨) سجر : ملأ ، الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال . (٩) انصلت : مضى وسبق . (١٠) اللحق جمع لاحق ، كخدم ، جمع خادم .

كنضانض الحيّات رُحْنَ لواعبا حتى يقعن ببرك ماء الميزَب
شرجوا جوانبها بجادف أنعبت شادي الرّياح لها ولمّا تتعب [١]
تنصاع من كثَب كما نفر القطا طوراً وتجتمع اجتماع الرّبرب [٢]
والبحر يجمع بينها فكأنه ليلٌ يقرّب عقرباً من عقرب
وعلى جوانبها أسود خلافة تختال في عُدد السلاح المرهَب
فكأنما البحر استعار بزيّهم ثوب الجمال من الربيع المذهَب

وصف القطار الحديدي

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يصف القطار الحديدي من قصيدة :

صفحة البرق أومضت في الغمام أم شهاب يشق جَوْف الظلام
أم سليلُ البخار طار إلى القصد فأعْيا سوابق الأوهام [٣]
مَرّ كاللمح لم تكد تقف العين على ظل جِرْمه المترامي [٤]
أو كشَرْخ الشباب لم يدر كاسيه تولى في يقظة أو منام [٥]
لا يبالي السُرى إذا اعتكر الليل وخانت مواقع الأقدام [٦]
يقطع البِيدَ والفيافي وحيداً لم تضعضعه وحشة الإظلام [٧]
ليس يَثنيه ما يُذيبُ دماغ الضب يومَ الهجير بين الموامي [٨]
لا ولا يَعتريه ما يخرس النابح في الزمهرير بين الخيام
هائماً كالظليم أزعجه الصيدُ وراعته طائشات السهام [٩]

(١) شرج العيبة ،أدخل بعض عراها في بعض المراد هنا شبكوا في جوانبها المجاذيف والشادي :السائق (٢) انصاع القوم ،ذهبوا سراعا أو انفتلوا والربرب ، القطيع من بقر الوحش (٣) السليل : الولد (٤) المترامي : المتتابع (٥) شرخ الشباب أوله (٦) السرى سير عامة الليل واعتكر الليل ،اشتد سواده (٧) البيد : جمع بيداء وهي الصحراء والفيافي جمع فيفاء وهي المفازة لا ماء فيها (٨) الموامي جمع موماة وهي الفلاة ، والضب حيوان من أخص صفاته احتمال الحر الشديد (٩) الظليم : ذكر النعام.

فهو يشتد في النجاء ويهوي حيث ترمى بجانبيه المرامي [١]
يا حديداً ينساب فوق حديد كانسياب الرَّقطاء فوق الرُّغام [٢]
قد مسحت البلاد شرقاً وغرباً بذراعي مُشمَّر مقــدام

* * *

وقال حفني بك ناصف المتوفى عام ١٩١٩ يهنىء ويصف حريق عابدين:

وافي يُقبِّل راحتيك العامُ وحنتْ إليك رءوسها الأيام
والدهر أقسم لا يجيءُ بغيرما ترضى وكم بَرّت له اقسام
فاقبل معاذير الزمان فطالما قبِلتْ معاذير المنيب كرام
واغفر جنايته على القصر الذي لم تحوِ مصرُ نظيرَهُ والشام
شبّت به النيرانُ فارتاعت لها مُهج الأنام وهالها استعظام
لولا الدخان أحاط حول لهيبها ما شكَّ فردٌ أنها أعلام
أمرٌ به نفذ القضاءُ وليس في أحكامــه نقضٌ ولا إبرام
بل حكمةٌ شــاء الإله بيانها لعباده ليذيعَ الاستسلام
حتى يروا أن الملوك وإن علوا قدراً تسيرُ عليهم الأحــكام
فإذا اقتدى بهم الرعية أحسنوا صبراً وخفّت عنهم الآلام
عينُ السماء لعابدين تطلّعت حسداً عليك والعيون سِهــام
وتشوّق القصرُ الكريم لأهله والشوق في قلب المحب ضرام
لم يستطع صبراً على طول النوى والصبر في شرع الغرام حرام
فتصعدت زفرَاته وتأجّجت جمراته والصب كيف يُلام
لولا الدموع من المطافىء ما انقضى منه الهيام ولم يُبل إوامُ
خرقت طباق الجو إلا إنهــا برد قصارى أمرها وسلام

(١) النجاء : السرعة (٢) الرقطاء : الحية والرغــام : التراب .

وقال حافظ إبراهيم يصف خزان أسوان ويمدح الحضرة الخديوية :

أخزان مصرَ أنت أم هرما مصر ... أجلُّ وأسمى في المكانة والقدر
أعدت لنا مجد القرون التي مضت ... وجددت من عهد الفراعنة الغُرّ
وهيهاتَ ما أهرامُ مصر وإن سمتْ ... بأرفعَ رأساً من حضيضك لو تدري
وليس سَنانُ بن المشلل خالداً ... بأنبهَ من (عبّاس) عصرك في الذكر
وما قطراتُ السحب كالدر تنهمي ... بألطف وقعاً من عقيقك إذ يجري
وما أنت خزان المياه وطميها ... وإبليزها بل خازن الدر والتبر
تدفقت بالخيرات من كل جانب ... وجمّعتَ أقطارَ المنافع في قُطْر
فقل للغوادي والروائح تنجلي ... وفي غير مصر فلتَسُحّ على قفر
إذا ما جرت أمواهُها دون حاجة ... وفاضت جرت منك المياه على قدر
ضَربتَ على آثار مصر ولم يكن ... ليطمِسها لولا جلالك من أثر
ألا فلتَسُد مصر على كل بقعةٍ ... به وليطاول قطْرُها مسقط القَطر
بناءٌ من الدهر استعار بقاءَه ... وأقسم ألا يُستردّ من الدهر

الباب الخامس

في الاستعطاف والمعاتبات والاعتذارات

قال النابغة الذبياني الشاعر الجاهلي المتوفى سنة ٩٠٤ م من قصيدة طويلة :

يا دارَ ميّة بالعَلياءِ فالسندِ ... أقْوَت وطال عليها سالف الأبد[١]
وقفتُ فيها أصيلا لا أسائلها ... عيّت جواباً وما بالربع من أحدِ[٢]

(١) العلياء المكان العالي ، والسند محركة ما قابلك من الجبل وعلا من السفح ، وأقوت الدار خلت من السكان ، والأبد : الزمان الماضي (٢) أصل أصيلاً صيلانا بالنون تصغير أصلان جمع أصيل وهو العشي أبدلت بالنون لاما ، وعيت أي حصرت وعجزت عن الجواب .

إلا الأواريَّ لأياً ما ابينهـــا والنُّؤْيَ كالحوض بالمظلومة الجلد ١
رُدَّت عليه أقاصيه ولبَّدَهُ ضَرْبُ الوليد بالمسحاةِ في الثأدِ ٢
خلت سبيلَ أتيٍّ كان يحبسُه ورفعته إلى السجفين فالنضد ٣
أضحت خلاءً وأضحى أهلها احتملوا أخنى عليها الذي أخنى على لبدِ ٤

وقال أميّة بن أبي الصلت الجاهلي يَعْتِب على ابن له ٥ :

غذَوْتُكَ مولوداً وعُلْتُكَ يافعاً تُعل بمـــا أُدْني إليك وتنهلُ ٦
إذا ليلة نابَتْكَ بالشكْوِ لم أبِتْ لشكواكَ إلا ساهراً أتململ ٧
كأني أنا المطروقُ دونكَ بالذي طُرِقْتَ به دوني ، وعَيْني تهمل ٨
تخافُ الرَّدى نفسي عليكَ، وإنها لتَعلم أن الموت حَتْمٌ مؤجّل ٩
فلما بلغتَ السِّن والغـايةَ التي إليها مدى ما كنتُ فيكَ أُؤمّل

(١) الأواري منصوب على أنه مستثنى منقطع وهو جمع أري بمعنى الآخية والآخية كآنية الوتد الذي في رأسه حلقة يدق في الحائط أو يدفن في الأرض لتربط فيه الدواب ولأياً ما أرى بعد جهد، ما أنظرها، والنؤي الحفير حول الخباء او الخيمة يمنع السيل والمظلومة الأرض التي حفر فيها حوض وليست بموضع حفر الحوض فيها من أنها ليست بموضعه ظلم لها ، والجلد الأرض الصلبة المستوية المتن . (٢) ردت بالبناء للمجهول ولبده ألصق بعضه ببعض، والمسحاة هي آلة يجرف بها الطين والثأد الطين (٣) الأتي الجدول الذي تؤتيه إلى أرضك والسيل الغريب ويحبسه الضمير فيه يعود إلى النؤي . والسجفين الستارتان اللتان تعلقان على الباب ، أو النافذة . (٤) احتملوا ذهبوا من دار إلى اخرى وأخنى عليها اهلكها يقال إن لقمان بن عاد عاش بمقدار عمر سبعة نسور كلها هلك نسر خلفه نسر آخر وكان آخرها لبد على ورن صرد (٥) هو عبدالله بن ابي ربيعة الثقفي نشأ بالطائف جاهلياً يلتمس المعارف الدينية متعبداً راجياً ان يكون نبي العرب، حتى إذا كانت بعثة النبي ﷺ اكبرها عليه . وناضله مع اعدائه حتى مات بالطائف سنة ٩هـ ٦) غذاه قام بمؤنته وعاله : كفله وقام به ، واليافع : من قارب العشرين ، تعل : من العلل وهو الشرب الثاني والنهل : الشرب الأول ، يريد أنه يسبغ عليه من نعمه الكثير والقليل . (٧) أتململ : اتقلب على الملة وهي الجمر (٨) تهمل : اي يسيل منها الدمع . (٩) الردى : الهلاك ، حتم : اي لا مفر منه ، مؤجل : اي له وقت .

جعلتَ جزائي منك جبْهاً وغلظة كأنكَ أنتَ المنْعِمُ المتفضّلُ ١
فليتكَ إذ لم ترع حق أبُوّتي فعلت كما الجارُ المجاور يفعل ٢
وسمّيتني باسم المفنّدِ رأيُهُ وفي رأيك التفنيد لو كنتَ تعقل ٣
تراه مُعِدّاً للخلاف كأنه بردٍّ على أهل الصواب مُوكّل ٤

وقال المغيرة بن حبناء :

خذ من أخيك العفو واغفر ذنوبه ولا تَكُ في كل الأمُور تعاتبُهُ
فإنكَ لنْ تلقى أخاكَ مُهذّباً وأيُّ امرىءٍ ينجو من العيب صاحبه
أخوك الذي لا يَنقُضُ النأيُ عَهْدهُ ولا عند صرف الدهر يَزْوَرُّ جانبُه
وليس الذي يلقاك في البشر والرّضا وإنْ غِبْتَ عنه لسّعَتْكَ عقاربه

وقال سعيد بن حميد المتوفى سنة ٨٨٨ هـ :

أقلِلْ عِتابَكَ فالبقاءُ قليل والدهر يعدلُ مرة ويميلُ
لم أبكِ مِنْ زمن ذممتُ صروفه إلا بكيتُ عليه حين يزول
ولكل نائبةٍ ألمت فُرْجةٌ ولكل حال أقبلتْ تحويل
والمنتمون إلى الصفاءِ جَماعة إن حصّلوا أفناهم التحصيل
وأجلٌ أسبابِ المنيةِ والرّدى يومٌ سيقطع بيننا ويحول
فلئنْ سبقتَ لتفجعنّ بصاحب حبل الصفاءِ بحبله موْصول
ولعل أيامَ البقاءِ قليلة فعلامَ يَكثر عتبنا ويَطول؟

وقال شاعر الحجاز الخضرمي مَعْن بن أوس المزني المتوفى سنة ٢٩ هـ :

لَعمرك ما أدري وإني لأوجَلُ على أينا تعدو المنية أول

(١) الجبه : مقابلة الإنسان بما يكره . (٢) أي ليتك إذ أبيت ان تعاملني معاملة الأب عاملتني كما يعامل الجار جاره . (٣) فنده نسبه إلى سوء العقل اي وصمتني بسوء الرأي والغباوة ولو عقلت لعلمت أن الفند حقيق بأن ينسب إليك لا إلي . (٤) معداً : اي محضراً ومهيئاً، اي تهيىء الخلاف ، ويقابل به كل رأي كأنه كلف ان يفند آراء اهل الصواب .

وإني أخوك الدائم العهد لم أخن ... إن آبزاك خصم أو نبا بك منزلُ
أحاربُ مَن حاربتَ من ذي عداوة ... وأحبس مالي إن غَرِمت فأعقل
وإني على أشيـاء منك تريبُني ... قديماً لذو صفحٍ على ذاك مجمِل
ستَقطع في الدنيا إذا ما قطعْتني ... يمينك فانظرْ أيَّ كيف تبدّل
إذا أنتَ لم تُنصف أخاك وجدته ... على طرَف الهجران إن كان يعقِل
ويَركبُ حدَّ السيف من أن تضيمه ... إذا لم يكن عن شَفرة السيف مزحَل
وكنت إذا ما صاحب رام ظنتي ... وبدّل سوءاً بالذي كنت أفعَل
قلبت له ظهر المجن فلم أدُم ... على ذاك إلا ريثما أتحوّلُ
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد ... إليه بوجـه آخرَ الدهر تقبل

وقال بهاء الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ معتذراً لتأخيره عن لقاء بعض أصحابه :

على الطائر الميمون يا خير قادم ... وأهلاً وسهلاً بالعُلا والمكارم
قدمتَ بحمد الله أكرم مَقدم ... مدى الدهر يبقى ذكره في المواسم
قدوماً به الدنيا أضاءت وأشرقت ... ببشر وُجـوه أو بضوء مباسم
فيا حُسن رَكب جئت فيه مسلماً ... ويا طيبَ ما أهدته أيدي الرواسم
أمولاي سامحني فإنك أهـله ... وإن لم تسامحني فما أنت ظالمي

وقال محمد بن زريق البغدادي نادماً على الإفراط في طلب الدنيا وكان قصد الأندلس في طلب الغنى فلم يرجع لبغداد رحمة الله عليه :

لا تعذليهِ فإن العذلَ يولعُـه ... قد قلت حقّاً ولكن ليس يسمعه
جاوَزْتِ في لوْمه حدّاً أضرَّ به ... من حيث قدرتِ إن اللوْمَ ينفعه
فاستعملي الرفقَ في تأنيبه بدلاً ... من عُنفه فهو مضنى القلب موجَعُه
قد كان مضلعاً بالخطب يحمله ... فضيقتْ بخطوب البَين أضلعه
يكفيه من لوْعة التفنيد أن له ... من النوى كل يوم مـا يروّعه

ما آب مغترب إلا وأزعجه رأي إلى سفر بالعزم يجمعه
كأنما هو من حل ومرتحل موكلٌ بفضاء الأرض يذرعه
إذا الزمانُ أراه في الرحيل غنى ولو إلى السند أضحى وهو يُزمعه
تأبى المطامعُ إلا أن تجشّمه للرزق كدّاً ، وكم ممن يودعه
وما مجاهدة الإنسان توصله رزقاً ، ولا دعة الإنسان تقطعه
والله قسمَ بين الخلق رزقهمُ لم يخلق الله مخلوقاً يضيعه
لكنهم مُلئوا حرصاً فلستَ ترى مُسترزقاً ، وسوى الغايات يقنعه
والسعي في الأرزاق والأرزاق قد قسمت بغيٌ ، ألا إن بغيَ المرء يصرعه
والدهر يعطي الفتى ما ليس يطلبه يوماً ، ويمنعه من حيثُ يطمعهُ
أستودع الله في بغداد لي قمراً بالكرخ من فلك الأزرار مطلعه
ودّعته ، وبودي لو يودعني صفوُ الحياة وأني لا أودّعه
وكم تشفعَ أني لا أفارقه وللضرورات حالٌ لا تشفعه
وكم تشبثَ بي عند الرحيل ضحى وأدمعي مُستهلات وأدمعه
لا أكذب الله ثوب العذر منخرق عني بفرقته لكن أرقعه
إني اوسّعُ عذري في جنايته بالبين عنه ، وقلبي لا يوسعه
أعطيتُ ملكاً فلم أحسن سياسته كذاك من لا يسوس الملك يخلعه
ومن غداً لابساً ثوب النعيم بلا شكر الإله ، فعنه الله ينزعه
اعتضتُ عن وجه خلي بعد فرقته كأساً أجرعُ منها ما أجرعه
كم قائل ليَ ذنب البين قلت له الذنب والله ذنبي لستُ أدفعه
هلا أقمتُ فكان الرُشد أجمعه لو أنني يومَ بانَ الرشد أتبعه
إني لأقطع أيامي وأنفدها بحسرة منه في قلبي تقطعه
بمن إذا هجعَ النوّام بت له بلوعة منه ليلي لست أهجعه

لا يطمئن لجنبي مضجع ، وكذا لا يطمئن له مُذْ بنتُ مضجعه
ما كنتُ أحسب أن الدهرَ يفجعني به ، ولا أن بي الأيامَ تفجعه
حتى جرى الدهر فيما بيننا بيـد عسراء تمنعني حظي وتمنعـه
لله يامنزل القصف الذي دَرَسَت آثاره وعفت مُذْ غبتَ أربعه
هل الزمان مُعيد فيكَ لذتنا ؟ أم الليالي التي أمضته ترجعـه
في ذمة الله من أصبحت منزله وجاد غيثٌ على مغناك يمرعه
من عنده لي عهدٌ لا يضيعه كما له عهـدُ صدْق لا أضيعه
ومن يصدع قلبي ذكره ، وإذا جرى على قلبه ذكري يصدعه
لأصبرَن لدهر لا يمتعني به ، ولا بي في حال يمتعـه
علماً بأن اصطباري معقبٌ فرجاً وأضيقُ الأمر إن فكرت أوسعه
علَّ الليالي التي أضنت بفرقتنا جسمي ستجمعني يوماً وتجمعه
وإن تنلْ أحداً منا منيتـه فما الذي بقضاء الله يصنعـه

وقال محمد حافظ بك إبراهيم (بين اليقظة والمنام) في استعطاف الزمان :

أشرق فدَتكَ مشارق الإصباح وأمِط لثامك عن نهار ضاح
بوركت يا يوم الخلاص ولا ونتْ عنك السعود بغـدْوة ورواح
بالله كن يمنا وكن بشرى لنـا في ردّ مغترب وفـك سراح
أقبلتَ والأيامُ حولك مُثَّلٌ صفين تخطرُ خطرة الميَّـاح
وخرجت من حجب الغيوب محجلا في كل لحظ منك ألف صباح
لو صح في هذا الوجود تناسخٌ لرأيت فيـكَ تناسخَ الأرواح
ولكنتَ يومَ (اللابرنت) بعينه في عزة ، وجـلالة ، وسماح
يوم يريك جـلالهُ ورُواؤه في الحسن قدرة فالق الإصباح
خلعت عليه الشمس حلة عسجد وحباه (آذار) أرق وشاح

الله أثبته لنا في لوحه أبدَ الأبيدَ فما له من ماح
حييهِ عنا يا أزاهرُ واملئي أرجاءه بأريجك الفياح
وانفخهُ عنا يا ربيع بكل ما أطلعتَ من رَند ونوْر أقاح
للنيل مجد في الزمان مؤثل من عهد (آمون) وعهد (فُتاح)
فسَل العُصور به وسل آثاره في مصر كم شهدت من السيّاح
قد قال (عمرو) في ثراها آية مأثورة نقشت على الألواح
بينا نراه لآلئاً وكأنما نثرَت بتربته عقودُ مِلاح
وإذا به للناظرينَ زمردٌ يشفيكَ أخضرُهُ من الأتراح
وإذا به مِسك تشق سوادَه شقّ الأديم محارث الفلاح
قم يا ابن مصر فأنت حر واستعدْ مجد الجدود ولا تعدْ لمزاح
شمرْ وكافح في الحياة فهذه دنياكَ دارُ تناحُر وكفاح
وانهل مع النهال من عذب الحيا فإذا رقا فامتحْ مع المتّاح
وإذا ألح عليك خطب لا تهنْ واضرب على الإلحاح بالإلحاح
وخض الحياة وإن تلاطمَ موجُها خوض البحار رياضة السباح
واجعل عيانك قبل خطوك رائداً لا تحسبنّ الغمر كالضحضاح
وإذا احتوتكَ محلة وتنكرت لك فاغدُها وانزحْ مع النزاح
في البحر لا تثنيكَ نارُ بوارج في البر لا يلويكَ غابُ رماح
وانظر إلى الغربيّ كيف سمتْ به بين الشعوب طبيعة الكدّاح
والله ما بلغت بنو الغرب المنى إلا بنيات هناك صحاح
ركبوا البحارَ وقد تجمدَ ماؤها والجوُّ بين تناوُح الأرواح
والبر مصهورُ الحصى متأججاً يرمي بنزّاع الشوى لوّاح
يلقي فتيهمُ الزمان بهمة عَجب ، ووجه في الخطوب وقاح

ويشق أجواز القفار مغامراً وعرُ الطريق لديهِ كالصحصاح
وابن الكنانةِ في الكنانةِ راكدٌ يرنو بعين غيرِ ذات طماح
لا يستغلّ، كما علمتَ، ذكاءه وذكاؤه كالخاطف اللماح
أمسى كماء النهر ضاعَ فراتهُ في البحر بينَ أجاجهِ المنداح
فانهض ردع شكوى الزمان ولاتنح في فادح البؤسى مع الأنواح
واربح لمصرَ برأس مالك عزّة إن الذكاء حبالة الأرباح
وإذا رُزقتَ رياسة فانسجْ لها بردين من حزم ومن إسجاح
واشرَب من الماء القراح منعماً فلكمْ وردتَ الماءَ غيرَ قراح

***

الباب السادس

في التهاني والتهادي والاغراء

قال أبو الطيب المتنبي المتوفى سنة ٣٤٥ ﻫ :

المجدُ عوفيَ إذ عوفيت والكرمُ وزالَ عنك إلى أعدائك الألمُ
صحت بصحتك الغارات وابتهجت بها المكارم وانهلتْ بها الديم
وراجعَ الشمس نورٌ كان فارقها كأنما فقده في جسمها سقم
ولاحَ برقك لي منْ عارضيْ ملك ما يسقط الغيثُ إلا حين يبتسم
يسمى الحسام) وليست ذي مُشابهة وكيف يشتبه المخدوم والخدمُ
تفرد العربُ في الدنيا بمحتدهِ وشارك العرب في إحسانه العجم
وأخلص الله للاسلام نصرته وإن تقلبَ في آلائه الأمم
وما أخصك في برء بتهنئة إذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال الوزير الصاحب إسماعيل بن عباد المتوفى سنة ٣٨٥ ﻫ :

هذي المكارمُ والعلياء تفتخر بيوم مأثرة ساعاته غرر

يوم تبسمَ عنه الدّهرُ واجتمعت له السعود وأُغضت دونه الغيرُ
حتى كأنا نرى في كل ملتفت رَوضاً تفتحَ في أثنائه الزّهر
لما تجلى عن الآمال مُشرقـة قالَ العلى بك أسْتَملي وأقتدِر
وافى عَلى غير ميعاد يبشرنا بأن ستتبعهُ أمثاله الأخـــر
أهنى المسرّاتِ ما جاءت مفاجأة وما تناجى بها الألفاظ والفكَرُ
لو أن بشرى تلقتها بموردهـا لأقبلت نحوها الأرواحُ تبتَدِر
وما تعنف من يسخو بمهجتـه فإن يومك هذا وحدَهُ عمرُ
فما غدوت وما للعين مُنقلبٌ إلا إلى منظر يبهي ويختـــبر
ثنت مَهابتك الأبصارَ حاسرة حتى تبيّنَ في ألحاظها خزَر [١]
إذا تأملتهم غضوا ، وإن نظروا خلال ذلك فأدنى لفتة نظروا
في مَلبس ما رأته عين مُعترض فشك في أنه أخلاقكَ الزهر
ألبسته منك نوراً يستضاء به كما أضاء ضَواحي مُزْنة القمر [٢]
وقد تقلدت عضباً أنت مضرَبه وعنك يأخذ ما يأتي وما يذَرُ
ما زال يزداد من إشراق غرتهِ زهراً ويشرق فيه التيه والأشر [٣]
والشمس تحسد طرفاً أنت راكبه حتى تكاد من الأفلاك تنحـدر
حتى لقد خلتُ أن الشمس ازعجها شوقاً وقد ظلت على عطفيه تنتشر

وقال ابو أذينة يغري الأسود بن المنذر بقتل آل غسان وكانوا قتلوا أخاه :

ما كل يوم ينال المرء ما طلبا ولا يسوغه المقدار ما وهبـــا
وأحزَمُ الناس من إن فرصة عرضت لم يجعل السببَ الموصول منقضبا
وأنصف الناس في كل المواطن من سقى المعادين بالكاس الذي شربا

---

(١) الخزر : ضيق العين وصغرها (٢) المزن: السحاب الأبيض ويقال للهلال ابن مزنة وهي القطعة من المزن لخروجه منها (٣) الأشر بفتح الشين المرح والاختيال .

وليس يَظلمهم من راح يَضربهم ... بحد سيف به من قبلهم ضربا
والعفو إلا عن الأكفاء مكرمة ... من قال غيرَ الذي قد قلته كذبا
قلتَ عمراً وتستبقي يَزيدَ لقد ... رأيت رأياً يجر الويل والحَربا
لا تقطعنْ ذنب الأفعى وترْسلها ... إن كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا
هم جردوا السيفَ فاجعلهم له جزراً ... وأوقدوا النار فاجعلهم لها حطبا
إن تعف عنهم يقول الناس كلهم ... لم يَعف حلماً ولكن عفوه رَهبا
هُمُ أهِلّة غسان ومجدُهم ... عالٍ، فإن حاولوا مُلكاً فلا عَجبا
وعرّضوا بفداء واصِفينَ لنا ... خيلاً وإبلاً تفوق العجم والعَربا
أيحلبون دماً مِنّا ونحلبهم ... رسلاً، لقد شَرّفونا في الورى حَلَبا

وقال صفي الدين الحلي يحرض السلطان الصالح على الاحتراز من المغول :

لا يمتطي المجدَ من لم يركب الخطرا ... ولا ينال العُلا من قدم الحذرا
ومن أرادَ العُلا عفواً بلا تَعَبٍ ... قضى ولم يَقض من إدراكها وطرا
لا بد للشهْدِ من نحل يمنعه ... لا يجتني النفعَ من لم يحمِل الضرَرا
لا يُبلغُ السؤل إلا بَعدَ مؤلمةٍ ... ولا يتمُّ المنى إلا لمنْ صَبرا
وأحزمُ الناس من لو ماتَ من ظمأٍ ... لا يقرب الوِرْدَ حتى يعرف الصدرا
وأغزَر الناس عقلاً من إذا نظرت ... عيناه بالأمر غَدا بالغير مُعْتبِرا
فقد يُقال عثارُ الرّجل إن عثرَت ... ولا يُقالُ عثار الرّأي إن عثرا
من دَبرَ العيش بالآراء دامَ له ... صفواً وجاء إليه الخطبُ مُعتذرا
يَهون بالرأي ما يجري القضاء به ... من أخطأ الرأيَ لا يَستذنِبُ القَدرا
من فاتَه العزُّ بالأقلام أدركه ... بالبيض يقدَحُ من أطرافها الشررا
لا يحسن الحلم إلا في مَواطنه ... ولا يَليق الوفا إلا لمن شكرا
ولا ينالُ العُلا إلا فتى شرفت ... خِلاله فأطاع الدّهر ما أمَرا

كالصّالح الملكِ المرهوبِ سطوتُه فلو توعد قلب الدهر لانفطرا
لما رأى الشرّ قد أبْدى نواجذه والغدر عن نابه للحرب قد كشرا
رأى القسيّ إناثاً عن حقيقتها فعافها واستشار الصارم الذكرا
فجردَ العزمَ من قبل الصفاح لها ملكٌ عن البيض يستغني بما شهرا
يكاد يقرأ من عنُوان ِ همَّته ما في صحائف ظهر الغيبِ قد سطرا
كالبحر والدّهْر في يَوْمي نَدًى وردى
والليث والغيث في يَوْمَيْ وغىً وقِرى
ما جادَ للناس ِ إلا قَبْل ما سألوا
ولا عفا قط إلا بَعْـــد مـــا قدرا
لامُوهُ في بذلهِ الأمْوال قلتُ لهـــم
هل تقـــدر السحبُ ألا ترْسِل المطرا

وقال السيد احمد الهاشمي مؤلف هذا الكتاب مهنئاً المرحوم علي يوسف بك صاحب جريدة المؤيد سنة ١٣٢٠ هـ بأوبته من اوربا :

(عليٌّ) القدر ذو الشرف المؤيّدُ شديدُ العزم (يوسف) قد تفرّد
وحيد الفضل والعلياء تشهـد رفيعُ المجدَ في عـز وسُؤدد
شريف النفس محمود السجايا عريقُ الأصل في المعروف أوحد
ُهمامٌ مـا لهُ أبـداً مثيـل بليغُ النطقِ في الكُتّاب مفرد
مُحِبُّ العدل مشكور المساعي عليم بالسياسة ، بل (مُؤيّد)
قويٌّ البأس بَسّام الثنـايا سعيد الجد ذو قَـدْرٍ مُمَجّد
فمن يَكُ راقياً شرف المعالي كمثلك في الورى لا شك يُحمد
وكيف وأنت أعظم من تصدى لتأييد الصحافـة (بالمؤيـد)
وكيف وأنت أفوق كل راٍ بسَهْم للكتابة قـد تجرّد

وليس الشمس تخفى عن عيون سوى أن كان صاحبهن أرمد
وإن البدر بالأنوار زاه ويأبى الله إلا أن تؤيد
فسبحان الذي أسرى (عليًّا) إلى التاميز والسين المنضد
تهنيك المناصب كل وقت وتخدمك السعادة ما تجدد
فدم يا سيدي بدراً منيراً وحصناً للمعالي قد تشيد
وهاك من المحب قصيد شعر تشير إلى وفائي ، بل وتشهد
تفاخر مصر أهل الشرق فيها تقول الهاشمي شدا وأنشد

وقال محمد حافظ بك إبراهيم مهنئاً ابناء وطنه بالعام الهجري :

أهلاً بنابغة البلاد ومرحباً جددتم العهد الذي قد أخلقا
لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى
مدت له الآمال في أفلاكها خيط الرجاء إلى العلا فتسلقا
فتجشموا للمجد كل عظيمة إني رأيت المجد صعب المرتقى
من رام وصل الشمس حاك خيوطها سبباً إلى آماله وتعلقا
عار على ابن النيل سباق الورى مهما تقلب دهره أن يسبقا
أو كلما قالوا : تجمع شمله ، لعب الخلاف بجمعنا فتفرقا
فتدفقوا حججاً وخوضوا نيلكم فلكم أفاض عليكم وتدفقا
حملوا علينا بالزمان وصرفه فتأنقوا في سلبنا وتأنقا
فتعلموا فالعلم مفتاح العلا لم يبق باباً للسعادة مغلقا
ثم استمدوا منه كل قواكم إن القوي بكل أرض متقى
وابنوا حوالي حوضكم من يقظة سوراً وخطوا من حذار خندقا

وزِنوا الكلام وسدّدوه فإنهم خبأوا لكم في كل حرفٍ مَزلقا
وامشوا على حذر فإن طريقكم وعرٌ أطاف به الهلاك وحلقا
نصبوا لكم فيه الفخاخ وأرصدوا
للسالكين بكل فجّ موبقا
الموتُ في غشيانه وطروقه والموتُ كل الموت ألا يُطرقا
فتحيَّنوا ، فرَصُ الحياة كثيرةٌ وتعجلوها بالعزائم والرُّقى
او فاخلقوها قادِرين فإنما فرصُ الحياة خليقةٌ أن تخلقا

***

الباب السابع

في المراثي

قال المهلهل التغلبي يرثي أخاه كليباً وهو جاهلي توفي سنة ٥٣١ م :

أهاج قذاء عيني الادّكار ؟ هُدوءاً فالدّموع لها انهمارُ
وصار الليل مُشتمِلا علينا كأن الليل ليس له نهار
وبتُّ أراقبُ الجوزاء حتى تقارب من أوائلها انحدار
أصرّف مُقلتي في إثر قومٍ تباينت البلادُ بهم فغاروا
وأبكي والنجومُ مُطلّعاتٌ كأن لم تحوها عني البحار
على من لو نُعيت وكان حيّاً لقاد الخيل يحجبُها الغُبار
دعوتك يا كليبُ فلم تجبْني وكيف يجيبُني البلدُ القفار ؟
أجبني يا كليب خلاك ذمٌّ لقد فجعت بفارسها نزار
سقاك الغيثُ إنك كنتَ غيثاً ويُسراً حين يلتمسُ اليسار
أبت عيناي بعدك ان تكفا كأن غضا القتاد لها شِفار
وإنك كنت تحلُم عن رجال وتعفو عنهم ولك اقتدار

وتمنعُ أن يمسهمُ لسان   مخافة من يُجير ولا يُجار
وكنت أعدّ قربي منك ربحاً   إذا ما عدّت الربح التجار
فلا تبعُد فكلٌّ سوف يلقى   شعوباً يستدير بها المدار
يعيش المرء عند بني أبيه   ويوشك أن يصير بحيث صاروا
أرى طول الحياة وقد تولى   كما قد يُسلبُ الشيء المعار
كأني إذ نعى الناعي كليباً   تطاير بين جنبيّ الشرار
فدُرت وقد غشي بصري عليه   كما دارت بشاربها العُقار
سألتُ الحيّ : أين دفنتموه؟   فقالوا لي : بأقصى الحي دار
فسرت إليه من بلدي حثيثاً   وطار النوم وامتنع الفرار
وحادت ناقتي عن ظل قبر   ثوى فيه المكارمُ والفخار
أتغدو يا كليب معي إذا ما   جبان القوم أنجاه الفرار ؟
خذ العهد الأكيد عليّ عمري   بتركي كل ما حوت الديار
ولست بخالع درعي وسيفي   إلى أن يخلع الليلَ النهار

* * *

وقال صفي الدين الحلي المتوفى سنة ٥٠ هـ يرثي غريقاً :

أصفيحُ ماءٍ أم أديم سماء   فيه تغور كواكب الجوزاءِ
ما كنت أعلم قبل موتك مُوقنا   أن البدور غروبها في الماءِ
ولقد عجبت وقد هويت بلجة   فجرى على رسلٍ بغير حياء
لو لم يُشقُّ لك العباب وطالما   أشبهت موسى باليد البيضاء
أنفَ العلاء عليكَ مِنْ لمس الثرى
وحلولُ باطن حفرة ظلماء
وأجلّ جسمك أن يغير لطفه   عفن الثرى وتكاثف الأرجاء

فأحَلّه جدثاً طهوراً مُشبِهاً أخلاقه في رقة وصفـــاء
ما ذاك ببِدْعاأن يضمّ صفاؤه نوراً يَضِنُّ به على الغبراء
فالبحرُ أولى في القياس مِنَ الثرى
بجـــوارِ تلكَ الدرّةِ الغـراء

***

وقال أيضاً يرثي الملك ناصر الدين عمر :

بكى عليك الحُسامُ والقلم وانفجع العِلم فيك والعَلَمُ
وضجت الأرضُ،فالعبادُ بها لاطِمَة والبلاد تلتطـــم
تُظهرُ أحزانَها على مَلِك جل ملوك الورى له خـدم
أبلجُ ، غضّ الشباب مقتبل الـــعُمر ، ولكن مجدُه هرم
محكّمٌ في الورَى وآمِله يحكم في الورى ويحتـــكم
يجتمعُ المجـدُ والثناء له ومالهُ في الوفـود يُقتسم
قد سَئِمَتْ جوده الأنام،ولا يلقاه من بذلهِ الندى سأم
ما عُرِفت منه «لا» ولا«نعم» بل دونهنّ الآلاءُ والنعمُ
الواهبُ الألف وهو مبتسم، والقاتل الألفَ وهو مقتحمُ
مبتسمٌ والكُماة عابسة وعابسٌ والسيوفُ تبتسمُ
لم يعلم العالَمون ما فقدوا منه ، ولا الأقربون ما عَدِموا
ما فقدُ فرد من الأيام كمن إن مات ماتت لفقدِه أُممُ
ياطالبَ الجود قدقُضي عُمَر، فكل جُود وجودُه عدَم
فالناسُ كالعينِ إن نقدتهم تفاوتت عند نقـدك القيم
مضى الذي كان للأنام أبا فاليوم كل الأنام قد يتِموا
وحلّ داراً ضاقت بساكنها ودونَ أدنى دياره إرم

وقال أبو الحسن التهامي يرثي صغيراً له ، ويفتخر بفضله ، ويشكو زمانه وحاسديه :

حُكم المنيـة في البرية جـار ما هذه الدنيا بدار قرارِ
بينا يُرَى الإنسـان فيهـا مخبراً حتى يُرَى خبراً من الأخبـار
طبعت على كدَر وأنت تريدُهـا صفواً من الأقـذار والأكدار
ومكلف الأيام ضـدَّ طبـاعهـا متطلبٌ في المـاء جذوَةَ نار
وإذا رجوت المستحيل فإنمـا تبني الرجاء على شفير هـار
فالعيشُ نومٌ والمنية يقظة والمرء بينهما خيـالٌ سـار
فاقضُوا مآربكم عجالا إنما أعماركم سفرٌ من الأسفـار
وتراكضوا خيل الشباب وبادروا أن تستَرَد فإنهـنّ عـوَار
فالدهر يخدع بالمنى ويغص إن هنّا ويهدمُ مـا بُني ببوار
ليس الزمان وإن حرصت مسالماً خُلق الزمان عداوةُ الأحرار
إني وترتُ بصـارم ذي رونقٍ أعددتـه لطـلابة الأوتار
والنفس إن رضيت بذلك أو أبت مُنقادةٌ بأزمّـة المقـدار
أثني عليـه بإثره ولو انه لم يغتبـط أثنيتُ بالآثار
يا كوكباً ، ما كان أقصر عمرَه وكذاك عمر كواكب الأسحـار
وهلال أيامٍ مضى لم يُستـدر بـدراً ولم يمهـل لوقت سرار
عجل الخسوفُ عليه قبـل أوانه فمحاهُ قبـل مظنـة الإبـدار
واستلّ من أترابه ولداته كالمُقـلة استُلت من الأشفـار
فكأن قلبي قبره وكأنـه في طيّـه سِرٌ من الأسرار
إن يُغتَبط صِغراً فرُب مفخّم يَبدو ضئيل الشخص للنُّظار
إن الكواكب في عُلوّ محلهـا لتُرى صغاراً وهي غير صغار

ولدُ المعزّى بعضُه فإذا مضى بعضُ الفتى فالكل في الآثار
أبكيه ثم أقولُ معتذراً له وُفقت حين تركت ألأمَ دار
جاورْتَ أعدائي وجاورَ ربَّه شتّان بين جِواره وجواري
ثوبُ الرِّياء يشف عما تحتَه وإذا التحفْتَ به فإنك عار
قصُرَت جفوني أم تباعد بينُها أم صُوِّرتْ عيني بلا أشفار
جفت الكرى حتى كأن غِراره
عند اغتماض العين وخْز غرار
ولو استزارتْ رقدةً لطحابها ما بين أجفاني من التيار
أُحْيي الليالي التمَّ وهي تميتني ويميتُهن تبلجُ الأسحار
حتى رأيت الصبح تهتِك كفه بالضوء رفرَف خيْمة كالقار
والصبح قد غمرَ النجوم كأنه سَيْلٌ طغى فطفا النُّوّار
والهونُ في ظِل الهوَينا كامِنٌ وجَلالة الأخطار في الإخطار
تندى أسِرّة وجهه ويمينهُ في حالة الإعسار والإيسار
ويمدُ نحو المكرُمات أناملا للرزق في أثنائهــنّ مجــار
يحوي المعالي كاسِباً أو غالباً أبداً يُداري دونها ويُداري
قد لاح في ليل الشباب كواكب إن أُمهلتْ آلت إلى الإسفار
وتلهُّبُ الأحشاء شيّبَ مفرقي هذا الضياء شواظ تلك النار
شاب القذالُ وكل غصن صائر فيننانُه الأحوى إلى الإزهار
والشبْه منجذب فلِمْ بيض الدمى عن بيض مفرَقه ذوات نفار
وتودّلو جعلتْ سوادَ قلوبها وسوادَ أعينُها خضاب عذار
لا تنفِرُ الظبياتُ عنه فقد رأت
كيف اختلاف النبت في الأطوار
شيئان ينقشعان أول وهْلة ظِل الشباب ، وخلة الأشرار

لا حبّذا الشيبُ الوفيّ وحبّذا ظِـــلُّ الشباب الخائن الغدّار
وطري من الدّنيا الشّبابُ وروقه فإذا انقضى فقد انقضت أوطاري
قَصُرَتْ مسافته وما حسناته عنــدي ولا آلاؤه بقِصار
نزداد همّاً كلمــا ازددنا غِنىً والفقر كلُّ الفقـر في الإكثـار
ما زاد فوق الزّاد خُلّف ضائعاً في حادث أو وارثٍ أو عـــار
إني لأرحمُ حاسِديّ لِحرّ ما ضمنت صُدورهمُ من الأوغـار
نظروا صنيع الله بي فعيونُهم في جنـــة وقلوبُهم في نار
لا ذنبَ لي قد رُمْت كتم فضائلي فكأنما برقعت وجهَ نهـار
وسترتهـــا بتواضُعي فتطلعت أعناقُهـــا تعلو على الأستار
ومن الرجالِ معالِمٌ ومجاهِـل ومنَ النُّجومِ غوامض ودراري
والناس مُشتبهونَ في إيرادهم وتفاضلُ الأقوام في الإصدار
عمري لقد أوطأتهم طُرُق العُلا فعموا فـلم يقفوا على آثاري
لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا وعمى البصائر من عمى الأبصار
هلاّ سَعَوْا سَعْيَ الكرام فأدركوا أو سلّموا لمواقِع الأقـدار
ولربما اعتضَدَ الحليم بجاهـل لا خـير في يُمنى بغيرِ يسار

وقال أبو البقاء صالــح بن شريف الرّندي ، المتوفى سنة ٧٩٨ هـ يرثي الأندلس :

لكلِّ شيءٍ إذا ما تم نقصانُ فلا يُغَرُّ بطيب العيش إنسانُ
هي الأمورُ كما شاهدتها دُوَلٌ مَن سرّهُ زَمَنٌ ساءَتهُ أزمان
وهذه الدار لا تُبقي على أحد ولا يدوم على حالٍ لها شان
يُمزّق الدهر حتماً كلّ سابغة إذا نبت مشْرَفيّاتٌ وخُرْصان
وينتضي كلَّ سيف للفناء ولوْ كان ابنَ ذي يزَن والغمدَ غُمدان

أين الملوك ذَوو التيجان من يمن   وأين منهم أكاليلٌ وتيجان ؟
وأين ما شاده شدادُ في إرَمٍ   وأين ما ساسه في الفرس ساسان؟
وأين ما حازه قارون من ذهب   وأين عادٌ وشدّادٌ وقحطان ؟
أتى على الكُلِّ أمر لا مَرَد له   حتى قَضَوْا فكأنَّ القوم ما كانوا
وصار ما كان من مُلْكٍ ومن مَلِكٍ   كما حكى عن خيال الطّيف وَسْنان
دارَ الزّمانُ على «دارا» وقاتِلِه   وأمّ كِسرى فما آواه إيوان
كأنما الصّعْبُ لم يَسْهُل له سبب   يوماً ولا ملكَ الدُّنيا سليمان
فجائعُ الدهر أنواعٌ مُنوّعة   وللزمان مسرّاتٌ وأحزان
وللحوادث سُلوان يُسَهّلها   وما لما حلّ بالإسلام سُلوان
دهى الجزيرة أمر لا عزاءَ له   هوى له أُحُد وانْهَدّ ثهْلان
أصابها العين في الإسلام فارتزأت   حتى خَلَت منه أقطار وبُلدان
فاسأل (بَلَنْسيةً) ما شأن (مُرْسيةً)   وأينَ (شاطبــةٌ) أم أينَ (جَيَّانُ)
وأين (قُرْطبةٌ) دار العلوم فكم   من عالم قد سما فيها له شان ؟
وأين (حِمْصٌ) وما تحويه من نُزَه   ونَهْرُها العَذْبُ فياضٌ ومَلآن
قواعدٌ كُنَّ أركان البلاد فما   عسى البقاءُ إذا لم تَبْقَ أركان
تبكي الحنيفية البيضاءُ من أسفٍ   كما بكى لفراق الإلْفِ هيمان
على ديار من الإسلام خاليــة   قد أقفَرتْ ولها بالكفر عُمران
حيث المساجد قد صارت كنائس ما   فيهن إلا نواقيسٌ وصُلْبان
حتى المحاريب تبكي وهي جامدة   حتى المنابر ترثي وهي عيدان
يا غافلاً وله في الدهر موعظةٌ   إن كنت في سِنة فالدَّهْرُ يقظان
وماشِياً مَرِحاً يُلهيه موطنُهُ   أبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرّ المرءَ أوْطان ؟

تلك المصيبة أنستْ ما تقدمها ... وما لها من طوال الدهر نسيان
يا راكبين عتاق الخيل ضامرة ... كأنها في مجال السبق عقبان
وحاملين سيُوفَ الهند مرهفة ... كأنها في ظلام النقع نيران
وراتعين وراء البحر في دعة ... لهم بأوطانهم عزٌ وسلطان
اعندكم نبأ من اهل اندلس ... فقد سرى بحديث القوم رُكبان ؟
كم يستغيث بنا المستضعفون وهم ... قتلى وأسرى فما يهتز إنسان ؟
ماذا التقاطُع في الإسلام بينكم ... وأنتمُ يا عبادَ الله إخوانُ ؟
ألا نفوس أبيّاتٌ لها هممٌ ... أما على الخير أنصار وأعوانُ
يا من لِذلّةِ قوم بعد عزّهم ... أحال حالهمُ جورٌ وطغيان
بالأمس كانوا ملوكاً في منازلهم ... واليوم هم في بلاد الكفر عبدانُ
لمثل هذا يَذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلامٌ وإيمان

وقال أبو الطيّب المتنبي يرثي أبا شجاع فاتِكا :

الحزن يُقلق والتجمُّلُ يرْدع ... والدّمع بينهما عصيٌ طيّعُ
يتنازعان دُموعَ عين مُسهّد ... هذا يجيء بها وهذا يرجع
النوم بعد أبي شجاع نافرٌ ... والليلُ مُعْيٍ والكواكبُ طلّع
اني لأجبُنُ من فراق أحبتي ... وتحِسُّ نفسي بالحمام فاشجُع
وَيزيدني غضبُ الأعادي قسوة ... ويُلِمُّ بي عتب الصديق فأجزع
تصفو الحياةُ لجاهل أو غافل ... عما مضى منها وما يُتوقع
ولمن يُغالط في الحقائق نفسهُ ... ويسومُها طلب المحال فتطمع
أين الذي الهرمان من بُنيانه ... ماقومُه، ما يومُه، ما المصرع؟
تتخلف الآثار عن أصحابها ... حيناً ويُدْركها الفناءُ فتتْبع

وقال عبد المجيد بن عبدون الفهري المتوفى سنة ٥١٠هـ راثياً ملوك بني الأفطس من قصيدة طويلة ممتعة في التاريخ والأدب ، ومطلعها :

الدهر يفجعُ بعد العين بالأثر فما البكاءُ على الأشباح والصور
أنهاكَ أنهاكَ لا آلوكَ واحدة عن نومة بين ناب الليث والظفر
فالدهر حربٌ وإن أبدى مُسالمة
فالبيضُ والسمرُ مثلُ البيض والسمر
ولا هوادة بين الرأس تأخذه يد الضراب وبين الصارم الذكر
فلا يغرنك من دُنياك نومتها فما صناعة عينيها سوى السهر
فبالليالي وقاك الله عثرتها من الليالي وغالتها يد الغيرَ
في كل حين لها في كل جارحة منا جراح وإن زاغت عن البصر
تسر بالشيء لكن كي تغرّ به كالأيم ثار إلى الجاني من الزهر
كم دولة وُليت بالنصر خدمتها لم تبق منها وسل دُنياك عن خبر

وقال أبو ذؤيب يرثي أولاده :

أمن المنون وريبها تتوجعُ والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أمامة ما لجسمك شاحباً مُنذ ابتذلت ومثل مالك ينفعُ
ولقد حرصتُ بأن أدافع عنهمُ وإذا المنية أقبلت لا تُدفَع
وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفعُ
فالعين بعدهم كأن جفونها كحلت بشوك فهي عورٌ تدمعُ
وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع
حتى كأني للحوادث مروة نصفَ المشقر كل يوم تقرَع
لا بد من تلف مقيم فانتظر أبأرض قومك ام بأخرى المضجع
ولقد أرى أن البكاء سفاهة ولسوف يولع بالبكا من يُفجع

وليأتين عليك يوماً مرّة يبكي عليك معنفاً لا تسمع
فلئن بهم فجع الزمان وريبه إني بأهل مودّتي لمفجّع
والنفس راغبة إذا رغّبتها وإذا تُرَدُّ إلى قليل تقنع

وقال أبو الحسن الأنباري ، المتوفى سنة ٢٣٨ هـ يرثي أبا طاهر بن بقية وزير عزالدولة لما قُتل وصُلب[1] ، وهي من أعظم المراثي ولم يسمع بمثلها في مصلوب حتى أن عضد الدولة الذي صلبه تمنى أن لو كان هو المصلوب ، وقيلت فيه :

عُلوٌّ في الحياةِ وفي المماتِ لحقٌّ تلك إحدى المعجزاتِ
كأن الناس حولك حين قاموا وُفودُ نداك أيام الصلاتِ
كأنك قائمٌ فيهم خطيباً وكلهُمُ قيامٌ للصلاةِ
مددتَ يديك نحوَهُمُ احتفاءً كمدّهما إليهم بالهباتِ
ولما ضاق بطنُ الأرض عن أن يضُمَّ عُلاك من بعدِ الوفاةِ
أصاروا الجوقبرَك واستعاضوا عن الأكفان ثوب السافياتِ
لعُظمك في النفوس تبيت تُرعى بحُرّاس وحفّاظ ثِقاتِ
وتوقدُ حولك النيرانُ ليلا كذلك كنتَ أيامَ الحياةِ
ركبتَ مطية من قبْلُ زيدٌ علاها في السنين الماضياتِ
وتلك قضيةٌ فيها تأسٍّ تُباعدُ عنك تعييرَ العُداةِ
ولم أرَ قبل جذعك قط جذعاً تمكّنَ من عِناق المكرُمات
أسأتَ إلى النوائب فاستثارت فأنتَ قتيلُ ثأرِ النائبات

(١) وذلك لما استمرت الحرب بين عز الدولة وابن عمه عضد الدولة ظفر عضد الدولة بوزير عز الدولة أبي طاهر محمد بن بقية فطرحه للفيلة فقتلته ثم صلبه عند داره بباب الطارق وعمره نيف وخمسون سنة ، ولما صلب رثاه أبو الحسن محمد ابن عمران يعقوب الأنباري أحد العدول ببغداد بهذه القصيدة المذكورة .

وكنتَ مجيرَنا من صرف دهر فعاد مُطالبـاً لك بالترات
وصيّر دهرُك الإحسانَ فيه إلينـا من عظيم السيئات
وكنتَ لمعشرٍ سعْداً فلمّـا مضيت تفرّقوا بالمحسنات
غليلٌ باطنٌ لك في فؤادي يخفّف بالدموع الجـاريات
ولو أني قدَرْتُ على قيام بفرْضك والحُقوق الواجبات
ملأتُ الأرض من نظم القوافي ونُحت بها خِلاف النائحات
ولكني أُصبّرُ عنك نفسي مخافة أن أعدّ من الجناة
ومالكَ تُربةٌ فأقول تُسقى لأنك نُصبَ هطل الهاطلات
عليك تحيّة الرحمن تَترى برحماتٍ غوادٍ رائحات

وقال بهاء الدين زهير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ :

أراك هجرتني هجراً طويلا وما عوّدتني من قبلُ ذاكا
عهدتك لا تُطيق الصبر عني وتعصي في ودادي مَن نهاكا
فكيف تغيرتْ تلك السجايا ومن هذا الذي عني ثناكا
فلا والله ما حاولتَ غدراً فكلُّ الناس يغدُر ما خلاكا
فيا مَن غاب عني وهو رُوحي وكيف أطيق من روحي انفكاكا
وما فارقتني طوعاً ولكن دهاك من المنية ما دهاكا
يَعزُّ عليّ حين أدير عيني أفتّشُ في مكانك لا أراكا
ختمتُ على ودادك في ضميري وليس يزال مختوماً هناكا
فوا أسفي لجسمك كيف يَبلى ويذهبُ بعدَ بهجته سَناكا
فيا قبر الحبيب وددتُ أني حَملت ولو على عيني ثراكا
ولا زال السلام عليك مني يُزَف على النسيم إلى ذُراكا

وقالت السيدة تُماضِرُ الخنساء الشاعرة المخضرمة المتوفاة في خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ هـ – رائية أخاها صخراً :

قَذًى بعينيكِ أم بالعين عُوّارُ أم أقفرتْ إذ خلتْ من أهلها الدار
كأن عيني لذكراهُ إذا خطرت فيضٌ يسيل على الخدّين مِدرار
تبكي خُناسٌ على صخر وحقَّ لها إذ رابها الدهر إن الدهر ضَرّار
لا بد من ميتَةٍ في صرفها عِبرٌ والدهر في صرفه حولٌ وأطوار
يا صخرُ ورّادَ ماء قد تواردهُ أهلُ الموارد ما في ورده عار
وإنّ صخراً لحامينا وسيدنا وإن صخراً إذا نشتو لنحّار
وإنّ صخراً لتأتمُّ الهُداةُ به كأنه علَمٌ في رأسه نار
لم تُلفِه جارةٌ يمشي بطاحتها لريبة حين يُخلي بيتَه الجار
مثل الرديني لم تنفدْ شبيبته كأنه تحت طيِّ البرْد أسوارُ
طلق اليدين بفعل الخير معتمدٌ ضخم الدسيعة بالخيرات أمّار
حمّال ألويةٍ ، هبّاط أوديةٍ شهّادُ أنديةٍ ، للجيش جرّار

وقالت أعرابية ترثي ابنها :

أيا ولدي قد زاد قلبي تلهباً وقد حرقت مني الشؤونَ المدامعُ
وقد أضرمت نارُ المصيبة شعلةً وقد حميت مني الحشا والأضالع
وأسأل عنك الركب هل يخبروني بحالك كيما تستكن المضاجع
فلا بك فيهم مخبرٌ عنك صادقٌ ولا فيهمُ مَن قال إنك راجع
فياولدي مُذغبت كدّرْت عيشتي فقلبيَ مصدوعٌ وطرفيَ دامع
وفكريَ مسقومٌ وعقليَ ذاهبٌ
ودمعيَ مسفوحٌ وداري بلاقع

وقالت ليلى الأخيلية المتوفاة سنة ٨٠ هـ :

لَعمرُك ما بالموت عارٌ على الفتى	إذا لم تُصبه في الحياة المعاير
وما أحدٌ حيٌّ وإن عاش سالما	بأخلدَ ممن غيبَّته المقابر
ومَن كان مما يُحدثِ الدهر جازعاً	فلا بد يوماً أن يُرى وهو صابر
وليس لذي عيش عن الموت مقصر	وليس على الأيام والدهر غابر
ولا الحيّ مما يُحدث الدهر مُعتبٌ	ولا الميت إن لم يصبر الحيُّ ناشر
وكل شبابٍ أو جديد إلى بلىً	وكل امرىء يوماً إلى الله صائر

وقالت عائشة هانم التيمورية المتوفاة سنة ١٣٠٠ هـ ترثي ابنتها :

إن سالَ من غرب العيون بُحورُ	فالدهر باغٍ والزمان غدورُ
فلكل عين حقٌّ مِدرار الدما	ولكل قلبٍ لوعةٌ وثُبور
سُتر السنا وتحجبت شمسُ الضحى	وتغيبت بعد الشروق بدور
ومضى الذي أهوى وجَرَّعني الأسى	وغدَت بقلبي جذوةٌ وسَعيرُ
يا ليته لمّا نوى عهد النوى	وافى العيون من الظلام نذير
ناهيك ما فعلت بماءِ حشاشتي	نارٌ لها بين الضلوع زَفير
لو بُثّ حزني في الورى لم يُلتفت	لمصاب قيس والمصابُ كبير
طافت بشهر الصوم كاسات الردى	سَحراً وأكوابُ الدموع تدور
فتناولتْ منها ابنتي فتغيرت	وجناتُ خدٍّ شانَها التغيير
فذوَت أزاهيرُ الحياة بروضها	وانقَدّ منها مائسٌ ونضير
لبست ثيابَ السُّقم في صِغر وقد	ذاقت شراب الموت وهو مرير
جاء الطبيب ضُحىً وبشر بالشفا	إن الطبيب بطبّه مغرور
وصفَ التجرُّع وهو يَزعُم أنه	بالبُرْءِ من كل السقام بشير

فتنفستْ للحزْن قائـلة له عجّل ببرئي حيث أنتَ خبير
وارحم شبابي إنّ والدتي غدتْ ثكلى يشير لها الجوى وتشير
وارأف بعين حُرمت طيب الكرَى
تشكو السُّهاد وفي الجفون فُتور
لما رأت يأس الطبيب وعجزَه قالت ودَمعُ المقلتين غزير
أمّاه قد كلّ الطبيبُ وفاتني مما أؤمّلُ في الحياة نصير
أماه قد عز اللقاءُ وفي غدٍ سترين نعشي كالعروس يسير
وسينتهي المسعى إلى اللحد الذي هو منزلي وله الجموع تصير
قولي لِرب اللحد رِفقاً بابنتي جاءت عروساً ساقها التقدير
وتجلدي بإزاء لحدي بُرهةً فتراك روحٌ راعها المقدور
أُماه قد سلفتْ لنا أمنيـة يا حسنها لو ساقها التيسير
كانت كأحلام مضتْ وتخلفتْ مُذ بان يومُ البين وهو عسير
عودي إلى ربعٍ خلا ومآثر قد خُلفت عني لها تأثير
صوني جهاز العرس تذكاراً فلي قد كان منه إلى الزّفاف سرورُ
جرّت مصائب فرقتي لك بعد ذا لُبس السواد ونُفّذ المسطور
والقبر صار لغُصن قدّي روضة ريحانها عند المزار زُهور
أماه لا تَنسي بحق بُنوّتي قبري لئلا يحزنَ المقبور
فأجبتُها والدمع يحبس مُنطقي والدهر من بعد الجوار يجور
بِنتاه يا كبدي ولوْعة مُهجتي قد زال صفوٌ شانه التكدير
لا توص ثكلى قد أذاب فؤادها حُزنٌ عليك وحسرةٌ وزَفيرُ
أبكيك حتى نلتقي في جنة برياض خُلد زينتها الحور
إن قيل « عائشة » أقول لقد فنى
عيشي وصبري — والإله خبـير

ولهي على « توحيدة » الحسن التي قد غاب بدرُ جمالها المستور
قلبي وجفني واللسان وخالقي راض وباكٍ شاكرٌ وغفور
مُتّعتِ بالرضوان في خلد الرضا ما ازيّنتْ لك غرْفة وقصور

وقالت المرحومة ملك حفني ناصف ترثي المرحومة عائشة هانم تيمور :

ألا يا موتُ وَيحكَ لم تُراع حقوقاً للطروس ولا اليراع
تركتَ الكتب باكية بكاءً يشيب الطفل في عهد الرّضاع
ولم تهَبِ الفضائلَ والمعالي وطولَ السعي في خير المساعي
ولم يمنعك مما رُمتَ نثرٌ ولا شِعرٌ ولا حُسنُ ابتداع
تَراك تجودُ بالأرزاء حتى عددنا البخل من كرم الطباع
فذُبْ يا قلبُ لاتكُ في جُمود وزِدْ يا دمع لا تكُ في امتناع
ولا تبخل عليّ وكن جموماً فكنز العلم أمسى في ضياع
سنبقى بعد (عائشةٍ) حيارى كسرْبٍ في الفلاة بغير راع
لقد فُقِدَتْ ولم تُفقد عُلاها وهل شمسٌ تغيبُ بلا شعاع
هي الدُّر المصون ببطن أرض وقد كانت كذلك في قناع
هي البحرُ الخضم وما سمعنا بأن البحر يُدفَن في التلاع
وكانت للمكارم خيرَ عون وللخيرات كانت خير داع
لها القَدَحُ المعلى في العَوالي وفي نشر المعارف طول باع
فيا شمسَ المحامد غِبتِ عنّا وخلفتِ البكاءَ لكل ناع
ويا خير النساء بلا خلاف وقدْوتنا بلا أدنى نزاع
لقد أحييتِ ذكر نساء مصر وجدّدْتِ العُلا بعدَ انقطاع
وشِدْتِ صُروح طُهر باذخاتٍ
مُحصّنةً كتَحصين القِلاع

وقال المرحوم حفني بك راثياً لمرحوم عبدالله باشا فكري :

لِيَدَّعِ المدَّعون العــلم والأدبا فقد تَغيَّب (عبدالله) واحتجبا
ولينتسب أدعياء الفضل كيف قضت آراءهم إذ قضى من يحفظ النسَبا
وليفخرِ اليوم قومٌ بالبراع ، ولا خَوف عليهم فمنْ يخشَونه ذهبا
وليرْقَ من شاء أعواد المنابر إذ مات الذي يتقيهِ كلٌّ من خطَبا
لو عاش لم يطرُقِ الأسماعَ ذِكرُهمُ في طلعة الشمس من ذا يصرُع الشهبا
فليسمُ من شاء بالإنشاء لا عجب مضى الذي كان من آياته عجبا

طودٌ من الفضل من بعد الرسوخ هَوى
وكوكب بعدَ أن أبدى الهدى غرَبا

أجلْ فقد ماتَ (عبدالله) وأسفـاً
وأوحشَت مصر من (فكري) فواحَربا

فكل نفس لعليـاه شكت وبكت
وكل فكر (بفكري) ماج واضطربا

قضى الحياة ونَصرُ الحق دَيْدنه لا ينثني رهباً عنه ولا رَغبا
سارت جنازَتُه والعلم في جزَع والفضل يندُبُه في ضمن من نَدَبا

وقال أحمد بك شوقي يرثي المرحوم مصطفى باشا كامل المتوفى سنة ١٣٢٦ هـ :

المشرقانِ عليك ينتحبانِ قاصيهما في مــأتمٍ والدّاني
يا خادمَ الإسلام أجرُ مُجاهدٍ في الله ، من خلد ومن رضوان
الله يشهد أن موتك بالحجـا والجد ، والإقدام ، والعِرفان
إن كان للأخلاق ركن قائم في هذه الدنيا ، فأنت الباني
بالله فتشْ عن فؤادك في الثرى هل فيه آمال وفيه أماني ؟
وجدانك الحيّ المقيم على المدى ولربّ حي ميت الوِجدان
الناسُ : جارٍ في الحياة لغاية ومضللٌ يجري بغير عِنان

والخلد في الدنيا وليسَ بهينٍ عليا المراتب لم تتَحْ لجبان
فلوان رُسلَ الله قد جبنوا لما ماتوا على دين ولا إيمان
المجد والشرف الرفيع صحيفة جُعلت لها الأخلاق كالعنوان
وأحبُّ من طول الحياة بذلةٍ قصرٌ يريكَ تقاصُرَ الأقران
دقاتُ قلب المرء قائلةٌ له : إن الحياةَ دقائق وثَواني
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها فالذكر للإنسان عمرٌ ثاني
للمرء في الدنيا وجمٌّ شؤونها ما شاء من ربح ومن خسران
فهي القضاء لراغبٍ مُتطلّعٍ وهي المضيقُ لمؤثر السلوان
الناس غادٍ في الشقاء ورائح يشقى له الرحماء ، وهو الهاني
ومُنعّم لم يلقَ إلا لذّةً في طيِّها شَجنٌ من الأشجان
فاصبر على نعمَى الحياة وبؤسها نعمَى الحياة وبؤسها سيّان
ياطاهرالغدوات والرّوحات والـخطرات ، والإسرار والإعلان
هل قامَ قبلكَ في المدائن فاتحاً غازٍ بغير مُهنّدٍ وسنان
يدعو إلى العلم الشريف وعنده أن العلومَ دعائمُ العُمران
لفوك في عَلم البلاد مُنكساً جزع الهلالُ على فتى الفتيان
ما احمرّ من خجل ولا من ريبة لكنما يبكي بدمع قاني
يزجونَ نعشكَ في السناء وفي السنا
فكأنما في نعشك القمران
وكأنه نعش الحسين) بكربلا يختالُ بين بُكىً وبين حنان
في ذمة اللهِ الكريمِ وبرّه ما ضم من عُرف ومن إحسان
ومشى جلالُ الموتِ وهو حقيقة وجلالكَ المصدوق يلتقيان
شَقّت لمنظركَ الجيوبَ عقائلٌ وبكتك بالدمع الهتونِ غواني
والخلقُ حولك خاشعون كعهدهم
إذ ينصتون لخطبة وبيان

يتساءلون : بأيّ قلب تُرتقى   بَعدُ المنابر ، أم بأي لسان
فلو ان أوطاناً تصوَّر هيكلا   دفنوكَ بينَ جوانح الأوطان
أو كان يُحمل في الجوارح مَيِّت   حملوكَ في الأسماعِ والأجفان
أو صيغَ من غُرّ الفضائل والعُلى
كفنٌ لبستَ أحاسن الأكفان
أو كان للذكر الحكيمِ بَقيَّة   لم تأتِ بعدُ رُثيت في القرآن
يا صَبَّ مصرَ ويا شهيدَ غرامها   هذا ثرى مصر ، فنَمْ بأمان
اخلع على مصرٍ شبابك عالياً   والبس شباب الحور والوِلدان
فلعلَّ مصر أمن شبابك ترتدي   مجداً تَتيهُ به على البُلدان
فلو ان بالهَرَمين من عزماته   بعض المَضاء تحرَّكَ الهَرمان
علَّمْتَ شبان المدائن والقُرى   كيف الحياة تكون في الشبان
مصرُ الأسيفة ريفها وصعيدها   قبرٌ أبرُّ على عِظامك حاني
أقسمت أنك في التراب طهارة   مَلَكٌ يهاب سؤاله المَلكان

وقال ابن هانىء الأندلسي يرثي إبراهيم بن جعفر بن عليّ :

وهب الدهر نفيساً فاستردْ   رُبما جاد بخيلٌ فحسدْ
خاب من يرجو زماناً دائماً   تعرف البأساء منه والنكد
فلقد أذكر من كان سها   ولقد نبه منْ كان رَقد
قل لمن شاء يقل ما شاءه   إن خصمي في حياتي لألدّ
منتضٍ نصلا إذا شاء مضى   رائشٌ سهماً إذا شاء قصد
ماتَ من لو عاش في سرباله   غلبَ النور عليه فاتقد
إنما كان شهاباً ثاقباً   صعَقَ الليل له ثم خمد
لا رجاء في خلود كلنا   وارد الماء الذي كان ورد

* * *

وقال شاعر النيل أحمد بك شوقي راثياً :

خُلقنا للحياة وللممات ومن هذين كُلّ الحادثاتِ
ومن يولد يعش ويمت كأن لم يمرّ خياله بالكائناتِ
ومَهْدُ المرء في أيدي الرّواقي كنعش المرء بين النائحاتِ
وما سلم الوليد من اشتكاء فهل يخلو المُعَمّرُ من أذاةِ
هي الدُنيا قتالٌ نحن فيه مقاصد للحسام وللقناةِ
وكل الناس مدفوع إليه كما دُفع الجبان إلى الثباتِ
نُرَوّع ما نُرَوّعُ ثم نرمى بسهم من يد المقدور آت

وقال المرحوم محمد بك حافظ إبراهيم راثياً الإمام الحكيم الشيخ محمد عبده :

سَلامٌ على الإسلام بعد محمد سَلامٌ على أيامِهِ النضِرات
على الدّين والدنيا على العلم والحجى على البر والتقوى على الحسنات
لقد كُنت أخشى عاديَ الموت قبله فأصبحت أخشى أن تطول حياتي
فوالهفي والقبر بيني وبينه على نظرةٍ من تِلكم النظراتِ
وقَفت عليه حاسِرَ الرّأس خاشعاً كأني حيال القبر في عرفاتِ
أبَنت لنا التنزيل حُكماً وحِكمةً وفَرّقت بين النور والظلماتِ
ووَفّقتَ بين الدين والعلم والدجى فأطلعت نوراً من ثلاث جهاتِ
وقَفتَ (لهانوتو ، ورينان) وقفة أمَدّك فيها الرُّوح بالنفحات
وخفت مَقام الله في كل موقف فخافك أهل الشك والنزعات
وأرصدت للباغي على دين أحمد شباة يراع ساحر النفثات
مشى نعشه يختال عجباً بربه ويخطرُ بين اللمس والقبلات
بكى الشرق فارتجت له الأرض رجة وضاقت عيونُ الكون بالعبرات.

بكى عالَمُ الإسلام عالِمَ عصره سِراجَ الدَّياجي هادمَ الشبهاتِ
فياوَيْحَ (للشورى إذا جدّ جِدها وطاشت بها الآراء مشتجراتِ
وياويْحَ (للفُتْيا) إذا قيل مَن لها ويا ويْحَ للخيرات والصدقات
بكينا على فَرْد ، وإن بكاءنا على أنفُسٍ لله مُنقطعاتِ
تَعَهَّدَها فضل الإمام وحاطها بإحسانه والدهر غير مؤاتي

وقال جمال الدين بن نباتة ، المتوفى سنة ٧٦٨ هـ ، معزيـاً عن مَلك ، ومهنئاً بملك :

هَناءٌ محا ذاك العَزاءَ المقدّما فما عَبَسَ المحزون حتى تبَسَّما
ثغورُ ابتسامٍ في ثغورِ مدامعٍ شبيهان لا يمتاز ذو السَّبْق منهما
تَرُدُّ مجاري الدَّمْع والبشرُ واضح كوابل غيث في ضحى الشمس قد همى
سقى الغيث عنا تُرْبة المَلِك الذي عَهِدنا سجاياه أعز وأكرما
ودامَت يد النعمى على الملك الذي تدانت به الدنيا وعزّ به الحمى
مليكان : هذا قد هَوى لضَريحه برغمي ، وهذا للأسرَّة قد سَما
ودَوْحةُ فضل شاذَويّ تكافأت فغُصْنٌ ذَوَى منها وآخر قد نما
كأنّ ديار الملك غابٌ إذا انقضى به ضَيْغم أنشأ الدّهر ضَيْغَما
فإنْ تَكُ أوقات المؤيد قد خلت فقد جددت علياك وقتاً ومَوْسما
هو الغيث ولّى بالثَّناء مُشَيَّعاً وأبقاكَ بحراً بالمواهب مُفْعَما
إذا الغيث صلّى خلف جدواك راكعاً ثنت عَزْمَه للاعتراف فسلما
يراعك يوم السلم يَنهلُ ديمةً وسيفك يوم الحرب يَنهَلُ في الدّما
فعِشْ للورَى واسلم سعيداً مُهنَّأً فحظ الورَى في أن تعيش وتَسلما
أعدت زمانَ البِشر والجود والثنا إلى أن مَلأت العين والكف والفما

❁ ❁ ❁

وقال المرحوم حافظ بك إبراهيم يرثي الدكتور يعقوب صروف صاحب مجلة المقتطف المتوفى سنة ١٩٢٧ م (١) :

أبكي وعين الشرق تبكي معي ... على الأريب الكاتب الألمعي
جرى عصيُّ الدمع من أجله ... فزاد في الجود على الطيع
نقصٌ مِنَ الشرق ومن زهوه ... فقْـدُ اليراع المعجز المبدع
ليسَ لمصرَ في رجالاتها ... حظٌ، ولا للشام في أرْوع
مُصاب (صروف) مصاب النهى ... فليبكـه كل فؤاد يعي
(صروف) لاتبعد فلست الذي ... يطويه طاوي ذلك المضجع
أسكتكَ المَوْتُ ولكنه ... لم يسكت الآثار في المجمع
ذِكْراكَ لا تنفك موصولة ... في معهد العلم وفي المصنع

❁ ❁ ❁

الباب الثامن في الحكم والنصائح

قال عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء الجاهلية :

كفى زاجراً للمرء أيامُ دَهرهِ ... تروح له بالواعظات وتغتدي
إذا أنت طالبتَ الرجال نوالهم ... فعِفَّ ولا تطلب بجهد فتنكد
عسى سائل ذو حاجة إن منعته ... من اليوم سؤلا أن يسرك في غد
ولا تقعُدن عن سعي ما قد ورثته ... وما اسطعتَ مِن خير لنفسك فازدَد
إذا ما رأيتَ الشر يبعَث أهله ... وقـام جناة الشر بالشر فاقعد
وبالعدل فانطق إن نطقت ولا تجر ... وذا الذم فاذممه وذا الحمد فاحمد
عن المَرْءِ لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمُقـارن يقتدي

(١) هو الدكتور يعقوب صروف بن نقولا . ولد في بلدة الحدث بقرب بيروت وتعلم بها ونبغ في العلوم والمعارف فنال الإجازات العالية سنة ١٨٧٠م . ثم نزح إلى القاهرة وأسس مع زميله الدكتور فارس نمر باشا مجلة المقتطف وجريدة المقطم ومات سنة ١٩٢٧ م .

ولا تأمُلنْ ودّ أمرىء قلّ خيره   ولا تكُ عن وصل الصديق بأحيد
إذا أنت حمّلت الخؤون أمانة   فإنك قد أسندتها شرّ مسند
ولا تُظهرنْ ودّ امرىء قبل خُبره   وبعد بلاء المرء فاذمُم او احمد

وقال أبو بكر محمد بن الحُسين بن دريد الأزْدي المتوفى سنة ٣٢١ هـ :

يا ظبيةً أشبهَ شيءٍ بالمَها   ترْعى الخُزامى بين أشجارِ النقا[1]
إمّا تريْ رأسيَ حاكى لوْنهُ   طرّة صبحٍ تحت أذيال الدُّجى[2]
واشتعل المبْيضُّ في مُسودْهِ   مثل اشتِعال النارفي جزْل الغضى[3]
فكان كالليل البهيمِ حلّ في   أرجائهِ ضوءُ صباحٍ فانجلى[4]
وغاضَ ماء شِرّتي دهرٌ رَمى   خواطرَ القلب بتبريح الجوى[5]
وآض روْضُ اللهو يَبساً ذاوياً   من بعد ما قد كان مجّاجَ الثرى[6]
وضرّم النأيُ المشِتُّ جَذوةً   ما تأتَلي تسفَعُ أثناء الحشى[7]
واتخذَ التسْهيدُ عيني مألفاً   لما جفا أجفانها طيفُ الكرى[8]

(١) الظبية: الأنثى من الغزلان والمها جمع مهاة، وهي الأنثى من البقر الوحشي. الخزامى نبت معروف طيب الرائحة، النقا اسم موضع. (٢) إما أصلها إن ما فإن شرطية وما زائدة، وتريْ أصلها ترين وتريْ فعل الشرط وجوابه فيما بعد، فكل إلخ. حاكى اشبه طرة صبح يعني وجه صبح وطرة كل شيء حافته وجانبه (٣) اشتعل: فشا وانتشر، جزل ما غلظ من الحطب، الغضى جمع غضاة وهي نوع من الشجر يبقى جمره طويلاً (٤) فكان كالليل البهيم كناية عن المظلم جداً، والبهيم هو الأسود الذي لا ضوء فيه، حل نزل، ارجائه: جمع رجا بالقصر الطرف فانجلى فانكشف وظهر. (٥) غاض نقص او ذهب، الشرة الحدة والنشاط استعيرت هنا للشباب والتبريح البلوغ في المشقة إلى غايتها. (٦) آض رجع، يبسا يابساً، ذاوياً ذابلاً، مجاج من قولهم مج الغصن الماء إذا ألقاه، الثرى بالقصر التراب الندي. (٧) ضرم أشعل وأوقد، النأى البعد. المشت المفرّق، جذوة هي الجمرة العظيمة ما تأتلي ما تقصر، تسفع تحرك وتهلك، أثناء الحشى يعني مارق من البطن وأراد به القلب والجوف. (٨) التسهيد والسهاد: السهر وهو عدم النوم، مألفاً صاحباً. والمألوف هو الموضع الذي تقع فيه الألفة اي الاجتماع والصحبة، جفا هجر، والأجفان أغطية العيون=

فكل ما لاقيتُهُ مُغتفرٌ في جنبِ ما أسأره شحط النوى [١]
لو لابسَ الصخرَ الأصمَّ بعضُ ما يلقاه قلبي فضَّ أصلاد الصفا [٢]
إذا ذوى الغصن الرطيبُ فاعلمنْ أن قصاراه نفادٌ وتوى [٣]
شجيتُ لا بل أجرضتني غصةٌ عنودُها أقتلُ لي من الشجى [٤]
إن يحم عن عيني البكا تجلدي فالقلب موقوف على سبل البكا [٥]
لو كانت الأحلام ناجتني بما ألقاه يقظانَ لأصماني الردى [٦]
منزلةٌ ما خلتُها يرضى بها لنفسه ذو أدب ولا حجا [٧]
ما خلتُ أن الدهر يثنيني على ضراء لا يرضى بها ضبُّ الكدى [٨]
شيمُ سحابٍ خُلب بارقه وموقفٌ بين ارتجاء ومنى
أرمقُ العيش على برْض فإن رمت ارتشافاً رمتُ صعب المنتسى [٩]
أراجعٌ لي الدهر حولاً كاملاً إلى الذي عوَّد أن لا يرتجى
يا دهر إن لم تكُ عتبى فاتئدْ فإن إروادَك والعتبى سوى [١٠]

= واحدها جفن ، الطيف ما يراه الإنسان من خيال المحبوب ، الكرى النوم

(١) مغتفر : متجاوز عنه ، سأره ابقاه شحط ابعد،النوى البعاد (٢ لابس خالط ، الأصم الصلب فض كسر ، وأصل الانفضاض التفرق وأصلاد جمع صلد وهي الحجارة الصلبة الشديدة (٣) ذوى جف وذبل ، الرطيب الناعم الرطب قصاراه آخر أمره وغايته ، نفاد فناء وذهاب،وتوى بالتاء الهلاك (٤) شجيت : حزنت او غصصت،والغص الاختناق باللقمة يقال شجيت بالعظم اي اختنقت به وأجرضتني خنقتني وغصة الموت والجرض هو الاختناق بالريق وعنودها معارضها.

(٥) إن حرف شرط يحم فعل الشرط بمعنى يمنع وتجلدي تصبري فالقلب الشرط وسبل الطرق واحدها سبيل . (٦) الاحلام : جمع حلم وهو ما يراه الإنسان في منامه وناجتني أخبرتني ، لأصماني لقتلني مكاني بلا تأخير ، الردى الهلاك .

(٧) المنزلة : الدرجة ، ما خلتها: ما حسبتها، الحجا: العقل (٨) يثنيني يعطفني: ضراء الصخرة الصماء ، الكدى بالضم جمع كدية وهو ما ارتفع من الصخور.

(٩) أرمق العيش أعطاني منه بقدر ما يسد رمقي ، برض العطاء القليل .

(١٠) العتبى : الرضى ، فاتئد : ارفق ، والإرواد الرفق .

رفــهْ عليّ طالما أنصبتَني ... واستبق بعض ماءغصن مُلتحى ١
لا تحسَبنْ يا دهر أني ضارعٌ ... لنكبة تعرُقني عرْق المُدى ٢
مارستَ من لوْ هوت الأفلاكُ من ... جوانبِ الجو عليه ما شكا ٣
لكنها نفثة مصــدور إذا ... جاشَ لغامٌ من نواحيها غما ٤
رضيتُ قسراً وعلى القسر رضى ... من كان ذا سُخط على صرف القضا ٥
إن الجديدين إذا ما استوْليا ... على جديد أدْنياهُ للبــلى ٦
ما كنت أدري والزّمان مولعٌ ... بشت ملموم وتنكيث قوى ٧
أن القضاء قاذفي في هــوةٍ ... لا تستبل نفسُ من فيها هوى ٨
فإن عثرتُ بعدها إن وألتْ ... نفسي من هاتا فقـولا لا لعا ٩
وإن تكن مدّتهــا موصولةً ... بالحتف سلطت الأُسى على الأسا ١٠
إن امرء القيْسَ جرى إلى مدى ... فاعتاقه حِمامه دون المدى ١١

(١) رفه : وسع أنصبتني اتعبتني، إستبق ابق، ملتحى الذاهب لحاه اي قشره الظاهر (٢) ضارع ذليل خاشع ، لنكبة : المصيبة والشدة ، تعرقني تزيل لحمي عن عظمي ، المدى بالضم جمع مدية وهي السكين (٣) مارست بتاء الخطاب عالجت، هوت سقطت، الأفلاك جمع فلك وهي التي تجري فيها الشمس والقمر والنجوم ، جوانب الأطراف، والجو الفضاء الذي بين السماء والأرض (٤) لكنها الضمير فيها كناية عن هذه القصيدة التي قالها، النفثة ما يلقيه الرجل من فيه إذا بصق، المصدور الذي يشتكي صدره، جاش علا وارتفع اللغام الزبد (٥) القسر القهر، السخط الغضب . (٦) الجديدين الليل والنهار ، استوليا غلبا وملكا وأدنياه قرباه ، للبلى للاخلاق (٧) ما كنت أعلم وجاء بالمعمول في البيت الذي بعده (٨) قاذفي رام بي والهوة الحفرة التي يتسع اسفلها ويضيق اعلاها، لا تستبل، اي لا تبرأ ولا تفيق، هوى سقط (٩) عثرت زللت، وقوله لا لعا اي نجا وهو دعاء للعاثر بعدم السلامة (١٠) ضمير مدتها عائد على النكبة، الحتف الموت، الأسى بضم الهمزة جمع اسوة وهي التعزية (١١) امرؤ القيس معلوم انه كان هو طريد ابيه لقوله الشعر وخلاصة قصته ان بني اسد قتلت اباه وكان ملكاً عليهم فبعد عناء توجه الى قيصر ملك الروم واستنجده على قتلة ابيه فوعده وكان قد تعشق ابنة قيصر فحضر احد اعدائه من=

وخامرتْ نفس ابي الجبرِ الَجوى حتى حواه الحتف فيمن قدحوى[١]
وابنُ الأشج القيل ساقته نفسه إلى الردى حذارَ إشمات العِدى[٢]
واخترم الوضاح من دون التي أمّلها سيفُ الحِمام المنتضى[٣]
فقد سما قبلي يَزيدُ طالباً شأو العُلا فما وهى ولاونى[٤]
فاعترضتْ دون الذي رام وقد جد به الجِدّ اللهيم الأربى[٥]
هل أنا بدْعٌ من عرانين علا جارَ عليهم صرفُ دهر واعتدى[٦]
فإن أنالتني المقادير الذي أكيدُه لم آلُ في رأب الثأى[٧]
وقد سما عمرو إلى أوتاره فاحتطّ منها كلّ عالي المستمى[٨]

= بني اسد وأخبر قيصر بعشقه لها فكره ذلك وكره ان يقتله او يخذله بعد ما وعده فأرسل معه عسكراً أردفه بحلة ملوكية مسمومة فلبسها فمات، المدى الغاية، فاعتاقه وعاقه بمعنى عوقه ، وحمامه بكسر الحاء موته . (١) خامرت خالجت، ابو الجبر من ملوك كندة خلاصة قصته انه تألب قومه عليه فاستعان بكسرى فأعطاه جيشاً من اساورته فرأوا بلاد العرب فاستوحشوها فسموه فمرض وعندها طلبوا الاذن بالرجوع فأذن لهم ثم بعد مدة مات على طريق اليمن بالمرض الذي نشأ من السم . (٢) ابن الأشج هو عبد الرحمن بن الأشعث ، خلاصة قصته انه قد ولاه الحجاج سجستان فخرج ثم هرب الى «ريتقل» ملك الترك فبذل الحجاج الى ريتقل مالاً فسلمه الى اعوان الحجاج وكان في الطريق مقيداً معه رجل من بني تميم على سطح برج فرمى بنفسه من اعلى البرج فمات هو والتميمي وحمل رأسه الى الحجاج (٣) اخترم اي اهلك واقتطع (٤) سما علا. ويزيد هو ابن المهلب وخلاصة قصته انه خرج على بني أمية وخطب له بالبصرة وسلم عليه بالخلافة فدست بنو أمية رجلاً من بني كلب فقتله واستتب الأمر لهم ، الشأو الغاية، العلا الشرف، فما وهى ضعف ولا ونى ولا فتر (٥) فاعترضت عارضت رام طلب، جد بالفتح أسرع الجد بالكسر العزم : اللهيم بالتصغير والأربى اسمان من اسماء الداهية وهما فاعل اعترضت (٦) بدع الذي يكون اول مخترع من كل امر ؛ عرانين الأشراف واحدها عرنين وهو الانف (٧) أنالتني اعطتني، والمقادير جمع مقدار وهو القدر ، اكيده اطلبه واحتال عليه، لم آل لم أقصر، رأب أصلح ، الثأى الفاسد (٨) سما علا واوتار جمع وتر وهو طلب الدم، فاحتط فأنزل والمستمى المكان العالي المرتفع .

فاستنزل الزّباء قسراً وهي من عقاب لوح الجوّ أعلى مُنْتَمى ١
وسيفٌ استعلتْ بـــه همّتُــه حتى رَمى أبعـــد شأو المرتمى ٢
فجرّع الأحبوش سُما ناقِعـــاً واحتل من غمدان محْراب الدُّمى
ثم ابن هندٍ باشرَت نيرانُـــه يوم أوراتٍ تميمـاً بالصلا ٣
ما اعتنّ لي يأس يُناجي هِمتي إلا تحدّاه رجاء فاكتَمى ٤
أليـــهٌ باليَعمُـــلات يرْتمي بها النَّجاء بين أجواز الفَلا ٥
خــوصٌ كأشباح الحنـــايا ضمّرٍ يرْعفن بالأمشاج منجذب البرى ٦

(١) الزباء: اسم امرأة، عقاب طائر معلوم وهو من سباع الطير وجمعه عقبان ولوح الهواء الذي بين السماء والأرض. منتمى، موضع مرتفع إليه وخلاصة قصة الزباء وعمرا ان الزباء لما قتلت جذيمة الأبرش قعد عمرو ابن أخته مكانه وكان قصير وزيره كما كان لخاله وكان وقت قتل خاله نجا على فرس تسمى العصى فطلب قصير ان يجدع له عمرو انفه واذنيه دهاء منه لأخذ ثأر خاله فرحل قصير الى الزباء على هذه الحالة فاستأمنت له ثم بعد مدة وعناء أتى بالرجال مدججة بالسلاح في جوالق على ظهور الجمال فهربت الزباء الى نفق لها لتهرب منه فرأت عمراً على باب النفق فمصت خاتماً مسموماً كان بيدها وقالت: «بيدي لا بيد عمرو» وماتت مكانها فاستولى على ملكها. (٢) سيف يعني به سيف بن ذي يزن ملك اليمن، استعلت علت والشأو الغاية، المرتمى موضع المرمى وهو الذي يقال له الغرض والهدف والقرطاس، فجرع فسقى، الجرع القليل من الماء، والاحبوش ملك الحبش، وناقعاً بالغاً، واحتل نزل بالمكان، غمدان موضع بصنعاء اليمن ومحراب ههنا بصنعاء. (٣) ابن هند هو عمرو عم النعمان بن المنذر وكان له اخ مسترضع من بني تميم فقتل لهم ناقة فقتله صاحبها فنذر عمرو المذكور ان يقتل من بني تميم مائة فأجج ناراً وألقى فيها واحداً منهم إلى تسعة وتسعين فبينما هم كذلك يرجون تمام المائة إذ جاء رجل من البراجم يظن هناك وليمة لقتار اللحم فألقي في النار تمام المائة، وباشرت خالطت يوم أورات يوم معروف من أيام العرب أورات اسم موضع، تميما قبيلة، الصلا بالفتح وهج النار. (٤) ما اعتن ما اعترض تحداه اعتمده وقصده فاكتمى استتر وتغطى (٥) ألية قسماً باليعملات جمع يعملة هي الناقة الصلبة الشديدة، النجاء السرعة، أجواز جمع جوز وجوز كل شيء وسطه والفلا جمع فلاة وهي الصحراء (٦) خوص الإبل الغائرة العيون من الهزال: والأشباح الأشخاص جمع شبح، والحنايا جمع حنية والحنية القوس وضمر جمع ضامر =

يرسبنَ في بحر الدجى وبالضحى يطفون في الآلِ إذا الآل طفا ١
أخفافهُنَّ من حفاً ومن وجىً مرثومةٌ تخضِبُ مُبيضَ الحصا ٢
يحلن كل شاحب محقوقف من طول إتدآب الغدوّ والسُّرى ٣
بارٍ بَرى طولُ الطوى جُثمانَه فهو كقِدْحِ النبع محنيُّ القرا ٤
ينوي التي فضلها ربّ العُلى لما دحا تربتها على البُنى ٥
حتى إذ قابلها استعبرَ لا يملك دمع العين من حيثُ جرى ٦
ثُمّتَ طاف وانثنى مُستلماً ثُمّتَ جاء المروتين فسعى ٧
وأوجبَ الحجَّ وثنى عُمرةً من بعد ما عجّ ولبى ودعا ٨
ثمتْ راح في الملبِّينَ إلى حيث تحجى المأزمان ومِنى ٩

= وهو المهزول ، ويرعفن يسلن مأخوذ من الرعاف وهو سيلان الدم من الأنف والأمشاج الأخلاط جمع مشج وهو ما يسيل من الأنوف ، ومن جذب من سوق والبرى جمع برة وهي الحلقة التيتكون في انف البعير. (١) يرسبن يغبن والرسوب الخوض في الماء والمغيب فيه ، والدجى جمع دجية وهي الظلمة ويطفون يعلون ، والآل سحاب كالماء يرى عندما ترتفع الشمس . (٢) أخفافهن جمع خف للابل بمنزلة الحوافر للخيل وحفا مقصور : وهو رقة أخفاف الإبل من كثرة المشي ؛ ووجى في الرجل يصيبها من الحفا ومرثومة مشقوقة من الحجارة؛وتخضب تصبغ (٣) شاحب متغير اللون من السفر وغيره، ومحقوقف معوج وتدآب مداومة والسرى سير الليل (٤) بار مطيع والجمع أبرار . تعبير للشاحب وبري من برى القلم وهو إضعافه وترقيقه والطوى الجوع وجثمانه جسمه وقدح عود صلب تعمل منه السهام والنبع شجر يعمل منه القسي واحدها نبعة ومحني معوج، والقرا الظهر (٦) ينوي يقصد والتي فضلها رب العلى يعني مكة، ودحا بسط والبنى جمع بنية وهو الشيء المبني (٦) استعبر بكى وهو مأخوذ من العبرة وهي الدمعة . ٧ ثمت هي ثم زيدت عليها تاء التأنيث وانثنى انعطف، ومستلماً لمس الحجر الأسود بيده او بفمه والمروتين المراد بهما الصفا والمروة فسعى فمشى . (٨) أوجب الحج ألزمه نفسه وثنى عمرة ألزم نفسه مع الحج عمرة ، عج رفع صوته بالدعاء والتلبية (٩) راح خرج بالرواح وهو الخروج بالعشي ، والملبين جمع ملب وهو المجيب بالتلبية تحجى أقام .

ثم أتى التعريف يقرُو مخبتاً ... مواقفاً بين ألال فالنقا ١

واستأنف السبعَ وسبعاً بعدها ... والسعي ما بين العقاب والصُّوى ٢

وراحَ للتوديع فيمنْ راحَ قد ... أحرزَ أجراً وقلى هُجْرَ اللغا ٣

بذاك أم بالخيل تعدُو المرطى ... ناشزة أكتادُها قبّ الكلى ٤

شعثاً تعادى كسراحين الغضا ... ميلَ الحماليق يبارينَ الشّبا ٥

يحملنَ كل شمَّري باسل ... شهم الجنان خائض غمر الوغى ٦

يغشى صَلا الحرْبِ بجدّيه إذا ... كان لظى الحرب كريه المصطلى ٧

لو مُثِلَ الحتفُ لهُ قرْناً لما ... صدتهُ عنهُ هيبة ولا انثنى ٨

ولو حمى المقدارُ عنهُ مهجة ... لرامها أو يستبيحَ ما حمى ٩

تغدو المنايا طائعات أمرهُ ... ترضى الذي يرضى وتأبى ما أبى ١٠

---

(١) التعريف وعرفات واحد وهو اسم موضع من مناسك الحج ويقرو: يتتبع المواضع مخبتاً متواضعاً لله تعالى، ألال موضع بعرفات، النقا الرمل. (٢) استأنف ابتدأ السبع رمي الجمار السبع وسبعاً أراد الثانية التي تلي الأولى، والسعي المشي والعقاب جمع عقبة. (٣) وراح للتوديع: لتوديع البيت الحرام كما يفعل الحاج بأن يطوف به سبعاً ويسعى بين الصفا والمروة، أحرز أجراً ملكه وأصابه، وقلى أبغض، وهجر بضم الهاء القبيح من الكلام، واللغا الباطل من الكلام. (٤) أقسم بذاك أم بالخيل، تعدو تجري: المرطى ضرب من العدو وهو السهل منه، وناشزة مرتفعة ومنه قولهم فعدت على نشز من الأرض اي مرتفع، وأكتادها جمع كتد وهو العظم الذي يكون في رأس الكتف وقب ضامرة. (٥) شعثا مغبرين يعني مقربين من الله تعالى، تعادى أصله تتعادى تسابق، سراحين ذئاب الواحد سرحان الغضا شجر غليظ يدوم جمره، ميل الحماليق مائلة العيون يبارين يعارضن، الشبا جمع شباة: وشباة كل شيء حده. (٦) يحملن اي الخيل شمري مأخوذ من التشمير، باسل شجاع، شهم الجنان حديد القلب، خائض داخل غمر الماء الكثير، الوغى الحرب (٧) يغشى يدخل، صلا حر النار كلظى. (٨) مُثل صوّر، الحتف الهلاك، وقرنك الذي يقارنك في بطش او قتال او علم (٩) حمى منع، المقدار القدر، المهجة النفس، لرامها لطلبها وأو بمعنى حتى، ويستبيح: يدرك ذلك الشيء نافذاً أمره فيه وهو منصوب بأن مضمرة بعد أو. (١٠) تغدو تأتي بالغدوة وورد تعدو اي تسرع.

بل قسماً بالشمّ من يعرُبَ هل ‌ ‌ ‌ ‌ لمقسم من بعد هـذا منتهى ١
هم الألى أجرَوْا ينابيعَ الندى ‌ ‌ ‌ ‌ هاميـة لمنْ عرا أو اعتفى ٢
هم الذين دوّخـوا من انتخى ‌ ‌ ‌ ‌ وقوّموا من صعر ومن صغا ٣
همُ الذين جَرّعوا فما حـلوا ‌ ‌ ‌ ‌ أفاوق الضيم ممراة الحسا ٤
أزالُ حشوَ نثرة موْضونـة ‌ ‌ ‌ ‌ حتى أُواري بين أثناء الحشى ٥
وصاحبيٌّ : صـارم في متنـه ‌ ‌ ‌ ‌ مثل مدَب النمل يعلو في الربى ٦
أبيض كالملح إذا انتضيتـه ‌ ‌ ‌ ‌ لم يلق شيئاً حدهُ إلا فرى ٧
كأن بين عيره وغربـه ‌ ‌ ‌ ‌ مفتأداً تأكلت فيه الجُذى ٨
يُري المنون حين تقفو إثرهُ ‌ ‌ ‌ ‌ في ظُلم الأكباد سبلاً لا ترى ٩
ومشرف الأقطار خاظٍ نحضهُ ‌ ‌ ‌ ‌ حابى القصيرى جرْشع عردُ النسى ١٠

(١) قسما يميناً ،بالشم الطوال أو أشرف الناس ،يعرب قبيلة من العرب تنسب إلى يعرب بن يشجب بن قحطان ،لمقسم الحالف منتهى الغاية. (٢) ينابيع جمع ينبوع الندى الجود والكرم وهامية سائلة ،عرا قصد وتعرض للطلب ،او اعتفى او طلب من غير تعرض (٣) دوخوا أذلوا ، انتخى تكبر ،صعر تكبر أيضاً وأصل الصعر الميل وهو أن يميل الإنسان خده من التكبر والصغا الميل (٤) جرعوا سقوا ماحلوا خاصموا ، أفاوق هو شرب مقطع بنفس بعد نفس: الضيم الذل ممراة مدراة الحسا جمع حسوة وهو أخذك الشيء بفمك متجرعاً له قليـلاً (٥) أزال جواب القسم محذوف منه لا .حشو ما أدخل في جوفه فكأنه صار حشواً إذا لبسها ،نثرة درع واسعة موضونة محكمة النسج ،أواري أغطي وأثناء جمع ثنا وهو ما تثنى منها أي تراكب على بعض ،الحشى جمع حشوة وهو الثوب المجتمع . (٦) صاحبيٌّ يعني سيفه وفرسه ،مدب النمل ودبيبه مشيه. (٧) أنضيته جردته من غمده ، وفرى قطع. (٨) العير هنا الموضع الناتىء في وسط السيف ، الغرب الحد يعني حد السيف ، مفتأ موضع النار أكل بعضها بعضاً والجذي جمع جذوة وهي الجمرة العظيمة (٩) المنون المنية وتقفو تتبع ،سبلاً طرقاً (١٠) مشرف مرتفع عال ،والأقطار النواحي ،خاظ غليظ ، والنحض اللحم ،مرتفع ،القصير ضلع في الجنب وهي الضلع السفلى جرشع غليظ الأضلاع او الضخم الصدر وهو محمود في الخيل وعرد الشديد من كل شيء ، النسى عرق مستبطن الفخذ يمر بالساق والعروق حتى ينتهي إلى الرسغ .

قريبُ ما بين القطاةِ والمطا بعيدُ ما بين القذال والصَّلا ١
سامي التليل في دَسيع مفعَمٍ رحب اللبان في أمينات العُجى ٢
رُكِّبْنَ في حواشبٍ مكتَنَّة إلى نسور مثل ملفوظ النوى ٣
يرضخ بالبيد الحصى فإن رَقى إلى الربى أوْرى بها نارَ الحبا ٤
يُديرُ إغليطيْن في ملمومة إلى لموحَين بألحاظ اللأى ٥
مُداخلُ الحلقِ رحيبٌ شجْرهُ مخلَولَقُ الصهوة ممسودٌ وأي ٦
يجري فتكبو الريحُ في غاياته حسْرى تلوذ بجراثيم السحا ٧
لو اعتسفتَ الأرض فوق متنِه يجوبُها ماخفتَ ان يشكو الوجى ٨
تظنه وهو يُرى محتجباً عن العيون إن دأى أو إن ردى ٩
إذا اجتهدْتَ نظراً في إثره قلت سناً أومضَ أو برقٌ خفا ١٠

(١) القطاة مكان الردف والمطا الظهر كله: سمي بذلك لأنه يمطى اي يركب والقذال من رأس الفرس معقد عذاره اي حيث ينعقد عذاره وهو ما بين الأذنين والعذار هو اللجام،الصلا العجز وهو آخر الوركين. (٢) سامي هو العالي المرتفع والتليل هو العنق ودسيع مغرز العنق ودسيع في الظهر ومفعم ممتلىء والرحب: الواسع، اللبان الصدر وأمينات القويات الصحاح السالمات الصلاب والعجى جمع عجاية، وهي عصب مركب به شيء كفص الخاتم. (٣) ركبن يعني العجى،حواشب جمع حوشب،وهو عظم في باطن الحافر. مكتنة مستورة او مكتنزة. (٤) ضخ يكسر،البيد جمع بيداء وهي القفار،رقى: ارتفع الربى جمع ربوة وأورى أوقدبها الحبا دابة تضيء بالليل اسمها الحباحب فرخم لضرورة الشعر. (٥) الإغليط وعاء ثمر المرخ شبه أذني الفرس بذلك وهو شبيه بقشور الباقلا الرطب تشبه آذان الخيل،وملمومة هي الهامة المجتمعة. (٦) مداخل الحلق،مجموعه،شجر هو مجتمع اللحيين (٧) فتكبو فتعثر، غاية هي منتهى جريه، حسرى منكشفة،تلوذ تلجأ، جراثيم جمع جرثومة وهو التراب الذي يجتمع في أصول الشجر، والسحا ضرب من الشجر. (٨) اعتسفت الأرض قطعتها باعتساف منك اي على غير هدى،متنه ظهره،يجوبها يقطعها ويحرقها الوجى أن يبلغ الوجع إلى باطن الرسغ. (٩) دأى جرى وكذا ردى يقال دأى يدأى دأيا وردى يردى ردياً إذا جرى جرياً سريعاً (١٠) سنا الضوء وأومض أضاء اي لمع.

كأنما الجوزاءُ في أرساغه والنجم في جبهته إذا بدا [١]
هما عتادي الكافيان فقدَ من أعددتُه فليَنأ عني من نأى [٢]
فإن سمعتَ برَحى منصوبة للحرب فاعلم أنني قطبُ الرحى [٣]
وإن رأيت نارَ حرب تلتظي فاعلم بأني مُسْعِرٌ ذاك اللظى [٤]
خيرُ النفوس السائلات جهرة على ظبات المرهفات والقنا [٥]
إن العراق لم أفارق أهله عن شنآن صدّني ولا قِلى [٦]
ولا أطَّبَى عيني مذ فارقتُهم شيءٌ يروق العين من هذا الورى [٧]
هم الشناخيبُ المنيفاتُ الذرا والناس أدحالٌ سواهم وهُوى [٨]
هم البحور زاخرٌ آذيُّها والناس ضحضاح ثعاب وأضى [٩]
إن كنت أبصرت لهم من بعدهم مثلاً فأغضيت على وخز السفا [١٠]
حاشا الأميرين اللذين أوفدا عليّ ظلا من نعيم قد ضفا [١١]
هما اللذان أثبتا لي أملا قد وقف اليأسُ به على شفا [١٢]

---

(١) الجوزاء نجم معروف وهو التوأمان، وأرساغ جمع رسغ وهو مفصل بين الحافر والوظيف من كل دابة، والنجم هو الثريا يصف غرة الفرس وتحجيله، وبدا ظهر . (٢) العتاد ما يتخذ عدة للدهر ، فلينأ فليبعد من نأى إذا بعد (٣) برحى منصوبة يريد برحى الحرب وهو موضع استدارة أهلها اذا تعاركوا ، قطب : الحديدة او الخشبة التي تدور عليها . (٤) تلتظي تشتعل ومسعر موقد اللظى اللهب. (٥) جهرة عياناً، وظباة جمع ظبة كثبة: حد السيف والمرهفات السيوف الرقاق (٦) العراق قطر معروف على شاطىء دجلة والفرات وشنآن بغض وصدني منعني وصرفني والقلى البغض. (٧) اطبى استمال، ويروق يعجب. (٨) الشناخيب أطراف الجبال واحدها شنخوب والمنفيات المرتفعات الطوال وهي الشواهق والذرا جمع ذروة وهي أعالي الجبال، وأدحال جمع دحل وهي الحفير الغامض من الأرض يتسع اسفله ويضيق اعلاه وهوى جمع هوة بمعنى الدحل (٩) زاخر الماء الكثير الفائض والآذي الموج وضحضاح الماء القليل. (١٠) أغيضت صبرت على المكروه وخز طعن غير نافذ وقيل الوخز الطعن بسرعة . (١١) أوفدا : ارسلا ، وضفا كثر، من قولهم: ضفا ذيل الفرس إذا كثر وطال (١٢) شفا الشيء طرفه وحرفه.

تلافيا العيشَ الذي رَنَّقَــه صرفُ الزمان فاستساغَ وصفا ١
وأجريا ماء الحيـــا لي رَغداً فاهتز غصني بعد ما كان ذوى ٢
همـــا اللذان سموا بناظري من بعد إغضائي على لذْع القذى ٣
هما اللذان عمرا لي جانبـاً من الرجاء كان قدْماً قد عفا ٤
وقلداني منـــة لوْ قرنت بشكر أهل الأرض عني ما وفى ٥
بالعشر مِن معشارها وكان كالـــحسوة في آذيّ بحر قد طمى ٦
إن ابن ميكال الأمير انتاشني من بعد ما قد كنت كالشيء اللقا ٧
ومد ضبعي أبو العباس من بعد انقباض الذرْع والباع الوزّى ٨
ذاك الذي مـا زال يسمو للعلا بفعله حتى عـلا فوق العلا ٩
لو كان يرقى احد بجوده ومجده إلى السماء لارْتقى ١٠
ما إن أتى بحر نداه معتف على أوارى علم إلا ارتوى ١١
نفسي الفـــداءُ لأميري ومن تحت السماء لأميريّ الفـــدا
لا زال شكري لهما مواصـلا لفظي أو يعتاقني صرْف المنى ١٢

(١) تلافيا تداركا، رنقه كدره والمرنق الماء الكدر، صرف الزمان تقلبه من حال إلى حال واستساغ سلس في الحلق وطاب (٢) الحيا مقصور الغيث والخصب ورغدا السعة في العيش فاهتز غصني وطال وأصل الهز التحريك ، ذوى ذبل .
(٣ سموا بناظري رفعا ناظري والباء للتعدية إغضائي تغافلي . لذع حرق، القذى ما يقع في العين (٤) قدماً قديماً عفا درس (٥) وقلداني منة : اي جعلاهـا في عنقي وهو موضع القلادة، منة . نعمة وجمعها منن وقرنت قيست . ما وفى ما قام ولا عدل شكرهم (٦) الحسوة الجرعة مما يشرب. الآذي الموج وطمى امتلأ وارتفع (٧) ابن ميكال هو عبدالله بن محمد بن ميكال وهو فارسي من أمراء فارس وانتاشني نعشني واللقا الشيء المطروح . (٨) صنبعى عضدي : وأبو العباس هو اسماعيل بن عبدالله المتقدم فمدح الأب والابن والذراع واحدوالباع قدر مد اليدين ويطلق على الشرف والكرم . والوزى القصير . (٩) يسمو يرتفع (١٠) يرقى يرتفع . (١١) الندى الكرم معتف طالب للرفد أو اورى حرارة الشمس والنار . وعلم جبل صغير ، ارتوى اكتفى من الماء وغيره (١٢) او يعتاقني : او يصرفني . وأو بمعنى حتى والصرف التقلب .

إن الألى فارقتُ من غير قلى ... ما زاغ قلبي عنهمُ وما هفا ١
لكن لي عزْماً إذا امتطيته ... لمبهم الخطب فـأه فانفأى ٢
ولو أشاء ضم قطريه الصبا ... عليّ في ظل نعيم وغنى ٣
ولا عبتني غادةٌ وهنانةٌ ... تضني وفي ترشافها برْء الضنى ٤
تفري بسيف لحظها إن نظرتْ ... نظرة غضبي منك أثناء الحشا ٥
في خدها روضٌ من الورد على النسرين بالألحاظ منها يجتنى ٦
لو ناجت الأعصم لانحط لها ... طوْع القياد في شماريخ الذرا ٧
أو صابت القانت في مخلولق ... مستصعب المسلك وعر المرتقى ٨
ألهاه عن تسبيحهِ ودينهِ ... تأنيسها حتى تراه قدْ صبا ٩
كأنما الصهباء مقطوب بها ... ماء جنى ورد إذا الليلُ عسا ١٠
يمتاحهُ راشفُ برد ريقها ... بين بياض الظلم منها واللمى ١١
سقى العقيق فالحزيز فالملا ... إلى النحيت فالقُرَيَّات الدنا ١٢

(١) من غير قلى من غير بغض، مازاغ ما مال، ولا هفا ولا زال (٢) عزما عقد أعلى فعل أمر، المبهم من الأمور المغلق، فـأه شقه (٣) ضم قطريه جمع ناحيتيه نعيم ما امتد عليه منه والنعيم ضد البؤس وهو طيب العيش وسعته (٤) لاعبتني من اللعب ومعناه مازحتني غادة الفتاة الناعمة وهنانة ثقيلة القيام والقعود وقيل الطيبة الحديث وتضني تسقم والضنى الهزال من المرض والترشاف المص في الثغر أو فوقه، برء الضنى ذهاب السقم أي هي تضنى وفي تقبيلها البرء من السقم (٥) تفري تقطع، اللحظ النظر، غضبى مغاضبة. أثناء الحشى ما انثنى منها أي ما انعطف والحشا الكبد وما اتصل بها (٦) النسرين النور الأبيض والألحاظ النظرات جمع لحظة، يجتنى يقتطف (٧) ناجت كلمت، الأعصم الوعل الذي في إحدى يديه بياض وربما كان البياض فيهما وسائر يديه أسود أو أحمر، لانحط لنزل، القياد التذلل (٨) صابت صادفت والقانت القائم بالعبادة ومخلولق الجبل الأملس ومستصعب صعب والوعر الصعب والمرتقى المصعد (٩) ألهاه شغله، تأنيسها أنسها وحديثها؛ صبا مال ولها (١٠) الصهباء الخمرة ومقطب ممزوج، ماء جنى ورد أو ما أخذ من الورد طريا، عسا الليل أظلم (١١) يمتاحه يستقيه، راشف امتناول الشراب بشفتيه اللمى سمرة الشفتين (١٢) العقيق والحزيز والملا والنحيت مواضع بالبصرة ونواحيها .

فالمَرْبد الأعلى الذي تَلْتقي به مَصارعَ الأسْد بألحاظ المَها ١
مَحَلّ كلّ مُقرمٍ سَمتْ به مآثرُ الآباءِ في فَرْعِ العُلا ٢
من الألى جَوْهَرُهمْ إذا اعتزوا من جوهر منه النّبيّ المُصطفى ٣
صلى عليه الله ما جَنّ الدُّجى وماجرت في فَلَكٍ شمسُ الضحى ٤
جَوْنٌ أغارتْه الجنوبُ جانباً منها وَواصَتْ صَوْبَهُ يَدُ الصَّبا ٥
نأى يَمانِيّاً فلما انتشرتْ أحْضانُهُ وامتَدَّ كسراهُ غَطا ٦
فجللَ الأفق فكل جانب منها كأن منْ قُطْرِهِ المزْن حَبا ٧
وَطبّقَ الأرضَ فكل بُقْعةٍ منها تقول الغَيْثُ في هاتا ثَوى ٨
إذا خَبَتْ بُروقه عَنَتْ لها ريحُ الصَّبا تُشبِ منها ما خَبا ٩
وانْ وَنَتْ رُعودهُ حدا بها راعي الجَنوبِ فَتَحَدّتْ كاحدا ١٠

(١) المربد موضع بالبصرة بفتح الميم وكسر الباء . مصارع الأسد مواضع سقوطها عند الموت وأراد بالأسد الرجال وأراد أنهم صرعوا بألحاظ المها أي قتلتهم ألحاظ النساء الحسان البيض المشبهة بالمها وهي البقر الوحشي الواحدة مهاة والألحاظ نظرات (٢) مقرم السيد الكريم وأصله فحل الإبل ومآثره جمع مأثرة الصنيعة الحسنة وفرع كل شيء أعلاه (٣)من الألى من الذين وجوهرهم أصلهم وإذا اعتزوا إذا انتسبوا والمصطفى المختار محمد ﷺ (٤) جن الدجى أظلم وستر . والدجى الظلمة (٥) جون فاعل سقى المقدمة وهي هنا السحاب الأسود وتأتي للأبيض ضده وأغارت أنزلت والجنوب الريح القبلية تجيء بالمطر وواصت واصلت والصوب نزول المطر والصبا الريح الشرقية (٦)نأى يمانياً أي طلع من ناحية اليمن وأصل الحضن ما دون الإبط إلى الكشح وكسراه تثنية كسر وهو طنب الخبا وإنما كني بالكسرين عن أذيال السحاب ويريد أن السحاب جرت على الارض أذيالها .وغطا ارتفع او انبسط (٧) فجلل فغطى والافق الناحية وجمعها آفاق ومن قطره بضم القاف من ناحيته وجمعه أقطار والمزن السحاب والواحدة مزنة وحبا امتلأ ودنا يريد السحاب ٨)طبق الارض،فكل بقعة فكل مكان وفي هاتا اي هنا وثوى أقام (٩)خبت بروقه اي خمدت وسكنت وعنت عرضت وتشب توقد (١٠) وإن ونت ضعفت وفترت ،وحدا بها ساقها بالحداء وهو صوت السائق الذي يسوق الإبل بالغناء .

كأنّ في أحضانهِ وبَرْكِهِ ... بَرْكاً تَداعى بين سَجْرٍ ووحى ١
لم يرَ كالمزْنِ سَواماً بُهَّلاً ... تحْسَبُها مَرْعيّة وهي سُدى ٢
تقولُ للأجْرزِ لما استَوْسقَتْ ... بِسَوْقِه ثِقي بريٍّ وحَيا ٣
فأوْسعَ الأحداب سيْباً محْسَباً ... وطبّق البطنانِ بالماء والرّوى ٤
كأنما البَيْداءُ غِبَ صَوْبِهِ ... بحرٌ طما تَيّارُهُ ثم سَجا ٥
ذاك الجدا لا زال مَخصوصاً به ... قوم هُمُ للأرض غيث وجِدا ٦
لستُ إذا ما بهظَتْني غمْرةٌ ... ممّن يقول (بلغَ السّيل الزُّبى) ٧
وإن ثوَتْ تحْتَ ضُلوعي زفرةٌ ... تملأ ما بين الرّجا إلى الرّجا ٨
نَهْنَهْتُها مكظومة حتى يُرى ... مخْضَوْضِعاً منها الذي كان طَفا ٩
ولا أقول إنْ عرَتْني نكْبةٌ ... قول القنوط انقدّ في البطن السّلا ١٠

(١) كأن في أحضانه في نواحي هذا الافق فالضمير عائد على الافق او على السحاب وهو أحسن ، والبرك الاول الصدر والثاني الابل (٢) المزن السحاب وسواما بلا راعية وبهلا هي التي لم تحلب فتركت ضروعهـا ملأى من ألبانها لفصائلها . وسدى المهملة التي لا راعي لها (٣) الاجراز جمع جرز وهي الارض الصلبة التي لم يصبها المطر واستوثقت حملت ما يكفيها من الماء وثقي بري اي بشبع من الماء وحيا خصب (٤) الاحداب جمع حدب وهو ما ارتفع من الارض وغلظ وسيبا غطاء ، محسبا كافياً وطبق غطى والبطنان جمع بطن وهو الغـامض من الارض والروى الماء الكثير (٥) البيداء القفر وغب صوبه عقب مطره وانتصب غب على الظرف والصوب نزول المطر (٦) الجدا الاول النائل والعطاء والذي في آخر البيت يحتمل ان يكون أراد به الجداء بالمد وهو العناء ثم قصره لضرورة الشعر ويحتمل أن يكون أراد به المعنى الاول (٧) بهظتني شقت علي وغمرة هي الكربة والشدة واحدة الغمرات والزبى جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد في المكان العالي من الارض وليس يبلغها إلا سيل عظيم وهو مثل تضربه العرب إذا اشتد بأحدهم الامر (٨) ثوت أقامت زفرة هي ترجيع الصوت بالبكاء والرجاء الجانب (٩) نهنهتها كففتها وزجرتها مكظومة متجرعة ومخضوضعاً متذللاً وطفا كثر أو تكبر (١٠) عرتني أصابتني ، نكبة مصيبة القنوط اليأس انقد انقطـع والسلا بفتح السين المشيمة التي تتعلق بالولد وتسقط معه .

قد مارستْ مني الخطوبُ مارساً ... يُساورُ الهوْلَ إذا الهولُ علا [١]
ليَ التواءٌ إنْ مُعاديّ التوَى ... وليَ استواءٌ إن مُواليّ استوى [٢]
طعمي شَريٌ للعــدوّ تارة ... والرّاحوالاريُ لمن وُدّي ابتغى [٣]
لدْنٌ إذا لُوينتُ سهلٌ معطفي ... ألوي إذاخُوشنتُ مرهوبالشدا [٤]
وصوْنُ عِرْضالمرء أن يبذُلَ ما ... ضَنّ به ممّا حواه وانتضى [٥]
والحمدُ خيرُ ما اتخذْتَ عُدّةً ... وأنفسُ الاذْخار من بعد التقى [٦]
وكلُّ قرْنٍ ناجمٍ في زمن ... فهو شبيــه زمن فيه بَدا [٧]
والناس كالنبت فمنهمْ رائقٌ ... غضٌ نضيرٌ عوده مُر الجنى [٨]
ومنه ما تقتحمُ العين فإنْ ... ذقت جناه انساغَ عذباً في اللها [٩]
يُقوّم الشارخ من زَيغانــه ... فيستوي ما انعاجَ منه وانحنى [١٠]
والشيخ إن قوّمْته من زَيغـهِ ... لم يُقم التثقيف منهُ ما التوى [١١]
كذلك الغصنُ يسيرٌ عطفـه ... لدْناً شديدٌ غمزه إذا عسا [١٢]
مَنْ ظلم الناس تحاموْا ظلمهُ ... وعزّ عنهم جانباه واحتمى [١٣]

---

(١) مارست عاركت وضاربت ، الخطوب الامور، مارساً شديداً، يساور الهول ويطاوله والحول الشدة: علا ارتفع (٢) التواء انعواج، معادي العدو، الموالي الصديق الذي يوالي، استوى اعتدل (٣) شرى حنظل والأري العسل الابيض ابتغى طلب (٤) لدن لين، لوينت أخذت باللين (٥) انتضى اختار (٦) عدة عمدة والاذخار جمع ذخر وهو المخبوء (٧) وكل قرن أي وكل أمة وناجم مرتفع (٨) رائع معجب والغض الطري الاخضر الناعم وكذلك النضير (٩) تقتحم العين تتركه كرهاً له وتعدوه إلى غيره وجناه ما اجتني منه وانساغ سهل بلعه وعذباً حلواً واللها جمع لهاة وهي اللحمة المعلقة بأصل الحنك (١٠) الشارخ الشاب والحدث المستقبل للشباب وشرخ الشباب أوله (١١) من زيغه من ميله . لم يقم أي يقوم، التثقيف التقويم ، ما التوى ما انعوج (١٢) لدناً ليناً والغمز التقويم عسا صلب.
(١٣) تحاموا ظلمه تباعدوا عنه ، وعز عنهم امتنع والعزة الشدة احتمى امتنع .

عبيدُ ذي المال وإن لم يَطمعوا من غمره في جُرعة تشفي الصدى ١
وهم لمنْ أملق أعداءٌ وإنْ شاركهم فيما أفاد وحوى ٢
عاجمْتُ أيامي وما الغِرُ كمن تأزر الدّهر عليه واعتدى ٣
لا يرْفع اللبُّ بلا جدٍّ ولا يحطُّكَ الجهلُ إذا الجد علا ٤
مَنْ لم يعظه الدّهرُ لم يَنفعه ما راح به الواعظ يوماً أو غدا ٥
مَنْ لم تُفده عِبراً أيامُه كان العمى أولى به من الهدى
مَنْ قاس ما لم يرهُ بما يرى أراهُ ما يدنو إليه ما نأى
مَنْ ملّكَ الحرْص القياد لم يزل يَكرعُ من ماءِ الذّل صرى ٨
مَنْ عارض الاطماعَ باليأس رنتْ إليه عين العز من حيث رنا ٩
مَنْ عطف النفس على مكروهها كان الغنى قرينهُ حيث انتوى ١٠
مَنْ لم يقفْ عند انتهاء قدْرِه تقاصرتْ عنه فسيحاتُ الخُطا ١١
مَن ضيّع الحزمَ جنى لنفسه ندامةً ألذعَ من سَفْع الذّكا ١٢
مَن ناط بالعُجْب عُرى أخلاقه نيطت عُرى المقت إلى هاتيك العُرى ١٣
مَن طال فوق مُنتهى بسطته أعجزَه نيلُ الدنى بَله القُصا ١٤

(١) الغمر الماء الكثير الجرعة القليل من الماء تشفى تبرأ ، والصدى العطش (٢) أملق افتقر (٣) عاجمت أيامي أي امتحنتها واختبرتها الغر الذي لم يجرب الامور وتأزر من الإزار (٤) لا يرفع اللب من الرفعة اي لا تعلو منزلته واللب العقل وجمعه ألباب . والجد بالفتح الحظ والبخت (٥ راح أتى بالعشي . غدا أتى بالغدو (٦) من لم تفده أي تكسبه عبراً جمع عبرة وهي التذكرة . ٧) من قاس من مثل، وأراه ما يدنو أي ما يقرب . ما نأى ما بعد (٨) القياد الطاعة يكرع أي يشرب بفيه بدون آلة ، وصرى الماء الدائم الذي قد طال مكثه جمع صراة (٩) الاطماع جمع طمع ، واليأس انقطاع الرجاء ورنت نظرت .
(١٠) عطف أمال ورد، وقرينه صاحبه، وحيث انتوى أي حيث نوى من النية بمعنى القصد. وقيل من النوى وهو البعد (١١ تقاصرت قصرت، وفسيحات واسعات والخطا جمع خطوة (١٢) الحزم الاحتراس بالافعال، ندامة حسرة، ألذع أشد حرقة، سفع إحراق، الذكا التهاب النار ١٣) ناط علق وألصق، نيطت علقت والمقت أشد الغضب (١٤) من طال من ارتفع، البسطة الفضيلة، أعجزه أضعفه .

والناس ألفٌ منهمُ كواحـــد ... وواحدٌ كالألف إن أمرٌ عنى ١
وللفتى من ماله مـــا قدّمت ... يداه قبل موته لا ما اقتنى ٢
وإنمـــا المرءُ حديثٌ بَعدَه ... فكن حديثاً حسناً لمن وعى ٣
إني حلبْتُ الدهر شطريْه فقد ... أمَرّ لي حيناً وأحياناً حـــلا ٤
وفرّ عن تجربـــةٍ نابي فقلْ ... في بازلٍ راضَ الخطوبَ وامتطى ٥
واللومُ للحُرّ مقـــيمٌ رادعٌ ... والعبد لا يرْدعه إلا العصا ٦
وآفة العقل الهوى فمن عـــلا ... على هواهُ عقله فقد نجـــا ٧
كم من أخٍ مسخوطة أخلاقُه ... أصفيْتُهُ الوُدّ لخلق مُرْتضى ٨
إذا بلوت السيف محموداً فـلا ... تذمّمهُ يوماً أن تراه قد نَبا ٩
والطِرْف يجتاز المَدى وربمـــا ... عنّ لمعـــداهُ عِثار فكبا ١٠
مَنْ لك بالمهذّب الندبِ الذي ... لا يجد العيبُ إليه مختَطى ١١
إذا تصفحْتَ أمور الناس لم ... تلف أمرأً حاز الكمال فاكتفى ١٢
عوّل على الصبر الجميل فإنـه ... أمنعُ ما لاذَ به أولوا الحجا ١٣
وعطـفِ النفس على سُبل الأسى ... إذا استفز القلبَ تبريح الجوى ١٤

(١) عنى : قصد أو لزم . (٢) اقتنى اكتسب . (٣) لمن وعى لمن حفظ.
(٤) حلبت الدهر جربته وشطريه نصفيه وأراد بشطريه اول زمانه وآخره اونعيمه وبؤسه (٥) وفر عن تجرب نابي أي كشف عن أمره وهذا مأخوذ من قولهم فر عن الدابة إذا فتح فاها ليعرف سنها وينظر صغرها من كبرها، البازل من الابل الذي أتت عليه تسعة أعوام وراض الخطوب : أذلها (٦) اللوم بالفتح من الملامة وهي العتاب مقيم مصلح ، رادع كاف (٧) آفة العقل مضرته ومفسدته والهوى الشهوة (٨) مسخوطة من السخط وهو ضد الرضا ، أخلاقه طبائعه أصفيته الود أخلصت له الود (٩) بلوت اختبرت، نبا ارتفع عن المضرب ولم يقطع فيه شيئاً.
(١٠) الطرف بالكسر الكريم من الخيل يجتاز يجوز، لمعداه لجريه وعثار مصدر عثر يعثر عثاراً (١١) المهذب العاقل الظريف والندب الرجل الخفيف في الحاجة.
(١٢) تصفحت نظرت واستيقظت . لم تلف : لم تجد، اكتفى أجتزأ به .
(١٣) عول على الصبر اي ارجع اليه واعتمد عليه (١٤) الأسى : التصبرة .

والدهر يَكبو بالفتى وتارةً يُنهضُهُ من عثرة إذا كبا ١
لا تعجبنْ من هالك كيف هوى بل فاعجبن من سالم كيف نجا
إن نجومَ المجدِ أمسَت أفلًا وظله القالصُ أضحى قد أزى ٢
إلا بقايا من أناس بهمُ إلى سبيل المكرُمات يُقتدى ٣
إذا الأحاديث انتضتْ أنباءهم كانت كنشر الروض غاداه السدى ٤
لا يسمع السامع في مجلسهم هُجراً إذا جالسهم ولا خنا ٥
ما أنعمَ العيشةَ لو أن الفتى يقبلُ منه الموت أسناءَ الرّشا ٦
أو لو تحلّى بالشباب عمرَهُ لم يستلبْهُ الشيبُ هاتيك الحُلى ٧
والليل مُلقٍ بالموامي بركَهُ والعيس يُنبثنَ أفاحيص القطا ٨
بحيث لا تُهدي لسمع نبأة إلا نئيم البوم أو صوتُ الصدى ٩
شايعتهم على السُّرى حتى اذا مالت أداة الرحل بالجبس الدوى ١٠
قلتُ لهم : ان الهوينا غِبها وهْن فجدوا واحمَدوا غِبَ السرى ١١
ومُوحش الأقطار طامٍ ماؤه مدعثر الأعضاد مهزوم الجبا ١٢

(١) يكبو يعثر (٢) أفلا غائبات، القالص المرتفع وفرس قالس طويل القوائم أزى قصر ونقص (٣) يقتدى يتبع فعلهم (٤) إنتضت أظهرت من نضا الشيء اذا ظهر : الأنباء الأخبار ، النشر الرائحة الطيبة (٥) هجرا بضم الهاء القبيح من القول وكذا الخنا أيضاً . (٦) العيشة الحياة، أسناء الرشا أرفعها وأعلاها .
(٧) تحلى بالشباب لبسه وتزيابه لم يستلبه لم يجرده الحلى جمع حلية (٨) الموامي جمع موماة وهي القفر، البرك الصدر، العيس الأبيض من الابل ينبثن يخرجن: أفاحيص القطا أوكارها وواحدها فحوص (٩) نبأة الصوت الخفي ونئيم البوم صوته والبوم الهام، الصدى ذكر الهام (١٠) شايعتهم تابعتهم على رأيهم في سير الليل، أداة الرحل حوائج الرجل، الجبس الرجل الثقيل الجبان، الدوى الأحمق (١١) وهن ضعف فجدوا فاجتهدوا (١٢) موحش الأقطار يعني به بئراً او حوضاً الموحش ضد المونس والأقطار النواحي وطام مرتفع ، مدعثر مهدوم الأعضاد ما حواليه من صفائح الحجارة التي تعضده ، والجبا بفتح الجيم ما حول البئر او الحوض .

كأنما الريشُ على أرجائــهِ زرقُ نصال أرهفت لتُمتهى[١]
وردتهُ والذئبُ يعـوي حوله مُستكُّ سمِّ السمعِ من طول الطوى[٢]
ومنتــجٍ أمّ أبيه أمــهُ لم يتخوّن جسمه مس الضوى[٣]
أفرَشته بنت أخيـه فانثنت عن ولد يُورى به ويشتوى[٤]
ومرقبٍ مُخلولق أرجــاؤهُ مستصعبِ المـلكِ وعر المرتقى[٥]
والشخصُ في الآل يُرى لناظر ترمقه حينـاً وحيناً لا يُرى[٦]
أوفيتُ والشمس تمجُّ ريقهـا والظل من تحت الحذاء محتذى[٧]
وطــارق يُؤنسه الذئب اذا تضوّر الذئب عشاءً وانضوى[٨]
آوى الى ناري وهيَ مألفٌ يدعو العفاة ضوؤها الى القِرى[٩]
لله ما طيفُ خيــالٍ زائر تزُفّهُ للقلب أحلامُ الرؤَى[١٠]
يجوب أجوازَ الفــلا محتقراً هولَ دجى الليل اذا الليلُ انبرى[١١]

(١) أرجاؤه نواحيه زرق نصال بيض نصال، أرهفت رققت، تمتهى تسقي الماء
(٢) وردته يعني وردت هذا الماء والهاء عائدة على الماء في قوله طام ماؤه .
(٣) ومنتج يريد رب وغصن منتج أي مولود، أم أبيه أمه، يريد غصناً قطع من فرع من شجرة فتلك الشجرة أم الفرع والفرع جعله للغصن بمـنزلة الأب على الاستعارة والشجرة أم الفرع وأم الغصن لأنهما منها فصارت أماً لأبيه وأماً له .
(٤) أفرشته بنت أخيه حككت به غصناً آخر (٥) مرقب الموضع العالي الذي ينظر منه الى بعد ومخلولق أملس (٦) الشخص سواد الانسان وغيره تراه من بعد، والآل السراب . (٧) أوفيت أتيت ووصلت أي اليه وتمج تلقى ، وريقها لعابها، ولعاب الشمس انما يكون في وقت الظهيرة (٨) وطارق الذي يجيء بالليل وتضور صاح من الجوع . (٩) أوى الى ناري أي انضم الى ناري ومألف الموضع الذي يجتمع فيه الأحباب والعفاة طلاب المعروف. (١٠) لله ما طيف ؛ اللام في هذا بمعنى التعجب وما زائدة ، والطيف ما يراه النائم في صورة محبوبة ، خيال الشخص الذي يتخيل لك؛ وتزفه تحمله (١) يجوب يقطع أجواز أوساط والفـلا جمع فلاة وهي القفر من الأرض ، والدجى : الظلمة وانبرى اعترض .

سائله إن أفصح عن أنبائه أنى تسدّى الليل أم أنى اهتدى؟ ١
أو كان يدري قبلها ما فارس وما مواميها القفار والقرى ٢
وسائلي بمزعجي في وطني ما ضاق بي جنابه ولا نبا ٣
قلت : القضاء مالك أمر الفتى من حيث لا يدري ومن حيث درى
لا تسألني واسأل المقدار هل يعصم منه وزر ومزدرى
لا غرو إن لح زمان جائر فاعترق العظم المخ وانتقى ٤
فقد ترى الناحل مخضراً وقد تلقى أخا الإقتار يوماً قد نما ٥
يا هؤليّا هل نشدتن لنا ناقبة البرقع عن عيني طلا ٦
ما أنصفت أم الصبيين التي أصبت أخا الحلم ولما يصطبي ٧
استحي بيضا بين أفوادك أن يقتادك البيض اقتياد المهتدى ٨
هيهات ما أسفع (هاتا) زلة أطربا بعد المشيب والجلا ٩
يا رب ليل جمعت قطريه لي بنت ثمانين عروسا تجتلى ١٠

(١) سائله يعني الخيال . وعن أنبائه يعني عن أخباره وإن أفصح اي وان أبان وأنى كيف تسدى قطع الليل بالسير ، وأم أنى اي من أين (٢) او كان يدري قبلها يريد قبل هذه الذروة ، وما فارس يريد بلاد فارس ، والموامي واحدها موماة وهي الارض المقفرة (٣) بمزعجي بمزيلي ومخرجي والباء بمعنى عن فكأنه قال وسائلي عن مزعجي الجناب بفتح الجيم الناحية (٤) لا غرو لا عجب ، لح عرض فاعترق العظم اي ازال عنه اللحم ، المخ الذي فيه المخ ، انتقى استخرج منه النقي وهو المخ (٥) القاحل اليابس ، أخا الاقتار المقل من المال نما زاد واستغنى (٦) ياهؤليا يا هؤلاء ونشدتن طلبتن ناقبة البرقع اي المتقنع به (٧) ما أنصفت ام الصبيين هذا تقوله العرب تمدح به المرأة الكاملة العقل والصبيان ما يتخايل في بؤبؤ العين ، أصبت أخا الحلم أي رددته الى الصبا (٨) استحي فعل أمر من الاستحياء بمعنى الحياء وبيضا شيبا وبين أفوادك جمع فود والفودان جانبا الرأس أي ناحيتاه من يمين وشمال ، والبيض الثانية النساء المهتدى الأسير (٩ هيهات كلمة تبعيد وهـا اشارة للمؤنث ، وزلة خطيئة وسقطة ، الجلا بفتح الجيم انحسار الشعر عن مقدم الرأس (١٠) جمعت قطريه اي جانبيه اول الليل وآخرة بنت ثمانين هنا الخمر وانما سماها بنت ثمانين لانه من شربها أوجبت عليه ثمانين جلدة وتجتلي من جلوت العروس وهو إظهارها .

لم يملك الماءُ عليهـــا أمرها ... ولم يدنسهـــا الضرام المحتضى [١]
حيناً هي الداء ، وأحياناً بها ... من دائهـا إذا يهيـــجُ يُشتفى
قد صانها الخمار لمـــا اختارَها ... ضنا بها على سواها واحتبى [٢]
فهي ترى من طول عهد إن بدت ... في كأسها لأعين الناس كلا عمى [٣]
كأن قرْن الشمس في ذرُورها ... بفعلِها في الصحن والكاس اقتدى [٤]
نازعتها أروَع لا تسطـو على ... نديمِهِ شرتـــهُ إذا انتشى [٥]
كأن نور الروض نظمٌ لفظه ... مُرتجلا أو منشداً أو إن شدا [٦]
من كل ما نال الفتى قد نِلْتـه ... والمرْءُ يبقى بعده حسن الثنا [٧]
فإن أعش صاحبتُ دهري عالما ... بما انطوى من صرفه وما انتشى
وإن أمُتْ فقد تناهت لذتي ... وكل شيء بلغ الحـــد انتهى [٨]

وقال المثقب العبدي الحكيم الجاهلي من قصيدة :

لا تقـولن إذا مـــا لم تردْ ... أن تتم الوعد في شيء « نعم »
حسن قولُ «نعم» من بعد « لا » ... وقبيح قول « لا » بعد « نعم »
إن « لا » بعد « نعم » فاحشةٌ ... فبلا فابدأ إذا خفت النـــدم
وإذا قلت « نعم » فاصبر لهـا ... بنجاز الوعـــد إن الخلف ذمْ

---

(١) لم يملك الماء عليها أمرها يريد لم تمزج بالماء فتكسر حدتها وسورتهـا ولم يغيرها والضرام الحطب الدقيق يوقد به الحطب الغليظ والمحتضى العود تحرك به النار. (٢) صانها حفظها، ضنا بخلا، احتبى ستر (٣) كلا عمى يعني أنه يعمى من نظر إليها فكيف من شربها (٤) قرن الشمس شعاعها ، ذرورها طلوعها يقال ذرت الشمس إذا طلعت والصحن القدح الكبير الواسع، والكاس القدح إذا كان فيه خمر، اقتدى اتبع أثره (٥ نازعتها ناولتها، أروع الحسن المنظر الجميل لا تسطو لا تعدو النديم الصاحب، الشرة الحدة، انتشى سكر ٦) نور الروض زهر الروض مرتجلا الذي يأتي بما يخطر على باله على البديهة بغير استعداد، وشدا غنى ومنه الشادي (٧) الثنا هنا الثناء وهو في الأصل علم للخير والشر (٨) تناهت لذتي بلغت النهاية.

أكرم الجار وراعِ حقه ... إن عِرفان الفتى الحق كرم
لا تراني راتعاً من مجلس ... في لحوم الناس كالسبع الضَرِم
إن شرَّ الناس من يمدحُني ... حين يلقاني وإن غبتُ شتم
وكلامٍ سيىء قد وقرت ... عنه أذنايَ وما بي من صمم
ولبعض الصفحُ والإعراض عن ... ذي الخنا أبقى وإن كان ظلم

وقال الأفوه الأزديّ أحد فحول شعراء الجاهلية وحكمائها :

البيت لا يبنى إلا على عمدٍ ... ولا عماد إذا لم تُرْس أوتادُ
فإن تجمّع أوتادٌ وأعمدة ... يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا
لا يصلحُ الناس فوضى لا سراة لهم ... ولا سُراة اذا جُهّالُهم سادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت ... فإن تولت فبالأشرار تنقاد
إذا تولى سُراة الناس أمرهم ... نما على ذاك أمرُ القوم فازدادوا

وقال الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه المتوفى سنة ٤٠ هـ :

أما والله إن الظلم شؤمٌ ... ولا زال المسيءُ هو الظلومُ
إلى الديان يوم الدين نمضي ... وعند الله تجتمع الخصومُ
ستعلم في الحساب إذا التقينا ... غداً عند المليك — من الملوم؟
ستنقطع اللذاذة عن أناس ... من الدنيا وتنقطعُ الهموم
لأمر ما تصرّمت الليالي ... لأمر ما تحركت النجوم
سل الأيّام عن أمم تقضتْ ... ستنبيك المعالم والرسومُ
تروم الخلد في دار الدنايا ... فكم قد رام غيرك ما تروم
تنام ولم تنم عنك المنايا ... تنبه للمنية يا نؤوم
لهوت عن الفناء وأنت تفنى ... فما شيءٌ من الدنيا يدوم
تموت غداً وأنت قرير عين ... من الشهوات في لُجج تعوم

وقال :

عليكَ ببر الوالدين كليهما وبرٌّ ذَوي القربى وبرٌّ الأباعد
ولا تصحبن إلا تقيا مُهذباً عفيفاً ذكياً مُنجزاً للمواعد
وقارنْ إذا قارنت حراً مؤدباً فتى من بني الأحرار زين المشاهد
وكف الأذى واحفظ لسانك واتق فدَيتكَ في ودّ الخليل المساعد
ونافس ببذل المال في طلب العلى بهمة محمود الخلائق ماجدِ
وكن واثقاً بالله في كل حادث يصنكَ مدى الأيام من شر حاسد
وبالله فاستعصم ، ولا ترْج غيرَه ولاتك في النعماء عنه بجاحد
وغض عن المكروه طرفك واجتنب أذى الجار واستمسكْ بحبل المحامد
ولا تبن في الدنيا بناء مؤمل خلوداً فما حيٌ عليها بخالد

وقال ايضاً :

قدم لنفسك في الحياة تزوداً فلقد تفارقها وأنت مودّعُ
واهتم للسفر القريب فإنه أنأى من السفر البعيدِ وأشنع
واجعل تزَودَك المخافة والتقى فلعلٌ حتفك في مسائك أسرع
واقنع بقوتكَ فالقناع هو الغنى والفقر مقرونٌ بمن لا يقنع
واحذر مصاحبة اللئام فإنهم منعوكَ صفوَ ودادهم وتصنعوا
أهلُ المودة ما أنلتهُمُ الرّضا وإذا منعتَ فسمهم لك منقع
لاتفش سراً ما استطعت إلى امرىء يفشي إليك سرائراً يستودع
فكما تراه بسرٌ غيرك صانعاً فكذا بسرك لا محالة يصنع
لا تبدَأنْ بمنطق في مجلس قبل السؤال فإن ذلك يشنع
فالصمت يحسن كل ظن بالفتى ولعله خرقٌ سفيهٌ أرقع
ودَع المزاح فرُبٌ لفظة مازح جلبت إليك بلابلا لا تدْفع
وحفاظ جار لا تضعه فإنه لا يبلغ الشرف الجسيم مضيع

وإذا استقالك ذو الإساءة عثرة ... فأقلْهُ ، إن ثواب ذلك أوسعُ
وإذا ائتمنت على السرائر فاخفها ... واستر عيوب أخيك حين تطلعُ
وأطع أباك بكل ما أوصى به ... إن المطيع أباه لا يَتضعضعُ

وقال :

صن النفس واحملها على ما يزينها ... تعشْ سالماً والقولُ فيك جميلُ
ولا تُرينّ الناس إلا تجمّلا ... نبا بك دهر أو جفاكَ خليلُ
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غد ... عسى نكباتُ الدهر عنك تزولُ
يعز غنيُّ النفس إن قلّ مالُهُ ... ويفنى غني المال وهو ذليلُ
ولا خيرَ في وُدّ امرىء مُتلون ... إذا الريح مالَتْ مال حيث تميل
جواد إذا استغنيتَ عن أخذ ماله ... وعند احتمال الفقر عنك بخيل
فما أكثر الإخوانَ حينَ تعدهُم ... ولكنهم في النائبات قليل

وقال عبدالله بن جعفر الطالبي المتوفى سنة ٥٨٠ هـ :

إذا كنتَ في حاجة مرْسلا ... فأرْسل حكيما ولا توصهِ
وإن بابُ أمر عليك الْتَوى ... فشاورْ لبيباً ولا تعصهِ
وإن ناصح منكَ يوماً دنا ... فلا تنأ عنه ولا تقصهِ
وذا الحق لا تنتقصْ حقه ... فإن القطيعة في نقصهِ
ولا تذكر الدهر في مجلس ... حديثاً إذا أنتَ لم تحصهِ
ونصّ الحديثَ إلى أهلهِ ... فإن الأمانة في نصهِ
وكم من فتى عازب لبه ... وقد تعجَبُ العينُ من شخصه
وآخرَ تحسبه أنوَكاً ... ويأتيكَ بالأمر من فصه

وقال أبو الأسود الدؤلي التابعي المتوفى سنة ٦٥ هـ :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيهُ ... فالقومُ أعداء له وخصومُ

وترى اللبيب مُحَسَّداً لم يجترم شتمَ الرجال وعِرْضهُ مشتومُ
وكذاك من عظُمت عليه نعمةٌ حُسَّاده سيفٌ عليه ضروم
فاترك مُجاراة السفيه فإنها ندمٌ وغِبٌّ بعد ذاك وخيم
فإذا جريّت مع السفيه كما جرى فكلاكما في جريْهِ مذموم
وإذا عتبت على السفيه ولُمتَهُ في مثل ما تأتي فأنت ظلومُ
يا أيها الرجل المعلم غيره هلاّ لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدّواء لذي السقام وذي الضنى
كيما يَصحُّ به وأنت سقيمُ
وأراكْ تُصلح بالرشاد عقولنا أبداً ، وأنت من الرشادِ عقيم
لا تَنهَ عن خُلق وتأتي مثلَهُ عارٌ عليك إذا فعلت عظيم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يُقبل ما وعظتَ ويُقتدى بالعلم منكَ ، وينفع التعليم

***

وقال العباس بن مرداس المتوفى سنة ١٦ هـ ، وأمه الخنساء الشاعرة :

ترى الرجلَ النحيف فتزْدريه وفي أثوابه أسدٌ مزيرُ
ويعجبك الطريرُ فتبتليهِ فيخلف ظنك الرجل الطريرُ
فما عِظَمُ الرجالِ لهم بفخر ولكن فخرُهم كرمٌ وخير
بغاثُ الطير أكثرها فراخاً وأمُّ الصقرِ مِقلاة نزورُ
ضعافُ الطير أطولها جُسوماً ولم تطل البُزاة ولا الصقور
لقد عظم البعيرُ بغير لُبٍّ فلم يستغن بالعظم البعير
يُصَرّفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير
فإن أكُ في شراركم قليلا فإني في خيارِكم كثير

وقال الإمام الشافعي المتوفى سنة ٢٠٤ هـ رضي الله تبارك وتعالى عنه :

دعِ الأيامَ تفعل ما تشاءُ   وطبْ نفساً إذا حكم القضاءُ
ولا تجزع لحادثة الليالي   فما لحوادث الدنيا بقاء
وكن رجلاً على الأهوال جلداً   وشيمتُك السماحة والسخاء
يُغطى بالسماحة كل عيبٍ   وكم عيب يغطيه السخاء
ولا حُزن يدومُ ولا سرور   ولا عُسرٌ عليك ولا رخاء
ولا تُري الأعاديَ قط ذُلاً   فإن شماتةَ الأعدا بلاء
ولا ترْجُ السماحة من بخيل   فما في النار للظمآن ماءُ
ورزقك ليس ينقصه التأني   وليس يزيد في الرزق العناء
إذا ما كنت ذا قلبٍ قنوع   فأنت ومالكُ الدنيا سواء
ومن نزلَتْ بساحته المنايا   فلا أرضٌ تقيه ولا سماء
وأرضُ الله واسعة ولكن   إذا نزلَ القضا ضاق الفضاء

* * *

وقال عبدة بن الطيب المتوفى سنة ٣٩ هـ يوصي أبناءه :

ابنيَّ، إني قد كبرْتُ ورابني   بصري، وفيَّ لمنظرٌ مُستمتعُ
أوصيكم بتقى الإلهِ فإنه   يعطي الرغائب من يشاء ويمنع
وببرِّ والدكم وطاعة أمره   إن الأبرَّ من البنينَ الأطوعُ
إن الكبيرَ إذا عصاهُ أهله   ضاقتْ يداه بأمره، ما يصنع
ودعوا الضغائن، لا تكن من شأنكم
إن الضغائن للقرابة توضع
يزجي عقاربَهُ ليبعث بينكم   حرباً كابعث العروقَ الأخدع
إن الذين ترونْهم إخوانكم   يشفي غليل صدورهم أن تصرعوا
وإذا مضيتُ إلى سبيلي فابعثوا   رجلاً له قلبٌ حديد أصمع

إن الحوداث تخترمْنَ وإنما عمر الفتى في أهله مُسْتَوْدَعُ
يسعى ويجمعُ جاهداً مستهتراً جداً ، وليس بآكل ما يجمع

وقال قيس بن الخطيم المتوفى سنة ٦١١ م من قصيدة :

وما بعضُ الإقامة في ديار يهانُ بهـا الفتى إلا بلاء
وبعض خلائـق الأقوام داء كداء البطن ليس له دواء
يريد المرء أن يعطى مناهُ ويأبى الله إلا مـا يشاء
وكل شديـدة نزلت بقوم سيأتي بعدَ شدتهـا رَخاء
ولا يعطى الحريصُ غنى لحرص وقدْ ينمي على الجود الثراء
غني النفس مـا عمرَت غني وفقرُ النفس ما عمرَت شقاء
وليس بنافع ذا البخل مال ولا مزْر بصاحبه السخاء
وبعضُ الداء ملتمسٌ شفـاء وداء النوك ليسَ له شفـاء

وقال صالح بن عبد القدوس المتوفى سنة ٨٥٥ ه :

المرء يجمـعُ والزمانُ يفرقُ ويظل يرقـعُ والخطوب تمزقُ
ولأن يعادي عاقـلا خير له من أن يكونَ له صديق أحمق
فاربأ بنفسك أن تصادقَ أحمقاً إن الصديق على "صديق مُصدق
وزن الكلام إذا نطقت فإنمـا يبدي عقول ذوي القول ا نطق
ومن الرجال إذا استوت أخلاقهم منْ يستشارُ إذا استشير فيطرقُ
حتى يحلُّ بكل واد قلبـهُ فيرى ويعرفُ مـا يقول فينطق
ما الناس إلا عاملان فعاملٌ قد مات من عطش وآخرُ يغرق
والنـاس في طلب المعاش وإنمـا
بالجـد يرزق منهـمُ من يرزق

لو يُرْزَقون الناسُ حسب عقولهم ألفيْتَ أكثر من ترى يتصدّق
لكنه فضْلُ المليكِ عليهمُ هذا عليه مُوَسَّعٌ ومُضيّق

وقال أيضاً :

صَرَمتْ حِبالكَ بعد وصْلِكَ زَينبُ
والدهرُ فيه تصَرّمٌ وتقلّبُ
وكذاكَ وصلُ الغانياتِ فإنه آلٌ بِبَلْقعةٍ وبَرْقٌ خُلّبُ
فدع الصِّبا فلقد عداكَ زَمانُه واجْهَدْ، فعُمرُكَ مرَّ منه الأطيب
ذهبَ الشبابُ فما له من عودة وأتى المشيبُ فأينَ منه المهرَب
دعْ عنكَ ما قد فاتَ في زَمَنِ الصِّبا واذكُرْ ذنوبكَ وابكها يا مُذنب
واخْشَ مُناقشة الحساب فإنه لا بُدّ يحصي ما جنيتَ ويكتب
والليلَ، فاعلم، والنهارَ كلاهما أنفاسنا فيه تُعَدُّ وتحسب
لم يَنْسه الملكانِ حينَ نسيته بل أثبتاه، وأنتَ لاهٍ تلعب
والرُّوح فيكَ وديعةٌ أودعتها ستَرُدُّها بالرغم منكَ وتُسْلَب
وغرورُ دنياكَ التي تَسعى لها دارٌ حقيقتها متَاعٌ يذهب
وجميعُ ما حصّلته وجمعتَه حقّاً يقيناً بعدَ موتكَ يُنهب
تبّاً لدارٍ لا يدوم نعيمها ومشيدُها عما قليلٍ يخرب
لا تأمَنِ الدهرَ الخؤونَ لأنه ما زالَ قِدْماً للرجالِ يهذب
وكذلكَ الأيامُ في غصّاتها مَضَضٌ يَذِلُّ له الأعز الأنجب
ويفوزُ بالمال الحقيرُ مكانةً فتراهُ يُرْجى ما لديه ويُرْغَب
ويُسَرّ بالترحيب عند قدومه ويُقامُ عند سَلامِه ويُقرّب
لا تحْرِصنْ فالحرص ليس بزائد في الرزق بل يَشقى الحريص ويتعب
كم عاجز في الناسِ يأتي رزقه رَغَداً ويُحْرَم كيِّس ويخيَّب
فعليكَ تقوى اللهِ فالزمها تَفُز إن التقيَّ هو البهي الأهيب

واعمل بطاعته تنلْ منه الرّضا إنّ المطيعَ لربّه لمقرّب
أدّ الأمانةَ، والخيانةَ فاجتنب واعدل ولا تَظلم يطيب المكسب
واحذر من المظلوم سهماً صائباً واعلم بأن دُعاءَه لا يُحجب
وإذا أصابك في زَمانك شدّة وأصابك الخطب الكريه الأصعب
فادع لرَبك إنــه أدنى لمنْ يدعوه من حَبل الوريد وأقرب
واحذَر مؤاخاة الدّنيّ لأنــه يعدي كما يعدي الصحيح الأجرب
واخترصديقك واصْطَفِيه تفاخراً إن القَرين إلى المقارن يُنسب
ودع الكذوبَ ولا يكنْ لكَ صاحباً
إن الكذوبَ لبئسَ خِلاً يصحب
وذر الحسود وإن تقادم عَهده فالحقد باق في الصدور مغيّب
واحفظ لسانك واحترز من لفظه فالمَرْء يسلم باللسان ويعطَب
وزن الكلام إذا نطقت ولا تكن ثرثارةً في كلّ ناد تخطب
والسّرّ فاكتمه ولا تنطقْ به فهو الأسير لديك إذ لا يَنشب
واحرص على حفظ القلوب من الأذى
فرجُوعها بعــد التنافـر يصعب
إن القلوبَ إذا تنافر ودها شبه الزجاجة كسرها لا يشعب
واحذر عدوك إذ تراه باسماً فالليث يبدو نابـه إذ يغضب
لا خَيرَ في وُدّ امرىء مُتَملق حلو اللسان وقلبه يَتَلَهّب
يعْطيكَ من طرف اللسان حلاوةً ويَروغ منكَ كما يَروغ الثعلب
يلقاكَ يَحلف أنه بكَ واثق وإذا تَوارى عنك فهو العَقرَب
وإذا رأيْتَ الرزق ضاق ببلدة وخشيتَ فيها أن يضيقَ المكسَب
فارْحَل فأرض الله واسعة الفضا
طولاً وعرضاً شَرقها والمغرب

وقال أبو الفتح البُستي المتوفى ببخارى سنة ٤٠٠ هـ :

زيادة المرء في دُنياه نقصانُ ... وربحه غير محضِ الخير خسرانُ
أحسنْ إلى الناسِ تَستَعبِدْ قلوبهم ... فطالما استعبدَ الإنسان إحسان
يا خادمَ الجسم كم تَسْعى لخدمَتِه ... أتطلب الرِّبحَ مما فيه خسران ؟
أقبلْ على النفس واستكمل فضائلها ... فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
وكن على الدهر مِعْواناً لذي أمَلٍ ... يرجو نداك فإن الحرّ مِعْوان
واشدد يديك بحبلِ الله معتصماً ... فإنه الركن إن خانتك أركان
من يَتّقِ الله يُحمد في عواقبهِ ... ويكفهِ شرّ من عَزُّوا ومن هانوا
من استعانَ بغير الله في طلبٍ ... فإن ناصرَه عَجْزٌ وخذلان
من كان للخير مَناعاً فليسَ له ... على الحقيقة خلان وأخدان
من جادَ بالمال جاد الناس قاطبة ... إليه ، والمال للانسان فتّان
مَنْ سالم الناس يَسْلَم من غوائلهم ... وعاشَ وهو قرير العين جذلان
مَن يَزْرَع الشّرّ يحصدْ في عواقبه ... ندامة ، ولحصدِ الزّرع إبّان
من استنامَ إلى الأشرار نام وفي ... رِدائِه منهمُ صِلٌّ وثعبان
كن ريِّق البِشرِ إن الحرّ همته ... صحيفةٌ وعليها البِشرُ عنوان
ورافق الرِّفق في كل الأمور فلم ... يندم رفيق ولم يذممه إنسان
ولا يغرّنك حظ جَرّه خرَق ... فالخُرق هدمٌ ورفقُ المرء بنيان
أحسنْ إذا كان إمكان ومقدرة ... فلن يدومَ على الإحسان إمكان
فالرّوض يزدان بالأنوار فاغمه ... والحر بالعدلِ والإحسانِ يزدان
صنْ حر وجهك لا تهتك غلالتَه ... فكل حر لحر الوجه صوّان
دع التكاسل في الخيرات تطلبُها ... فليس يَسْعد بالخيرات كسلان

لا ظلّ للمرء يعرى من نهى وتقى — وإن أظلّتْهُ أوراقٌ وأفنان
والناس أعوانُ مَن والتْهُ دولته — وهم عليه إذا عادته أعوان
«سَحْبانُ» من غير مال باقلٌ حصر — و«باقلٌ» في ثَراء المال سَحْبان
لا تودِع السر وشّاء بـه مذِلاً — فما رعى غنماً في الدّوّ سرحان
لا تستشر غير نَدْبٍ حازم يَقِظ — قد استوى فيه إسرار وإعلان
فللتّدابير فرْسان إذا ركضوا — فيها أبرُّوا كما للحرْب فرسان
وللأمور مَواقيتٌ مُقدّرةٌ — وكلّ أمر له حدٌّ وميزان
فلا تكن عَجِلاً في الأمر تطلبه — فليس يُحْمَدُ قبل النضج بُحران
كفى من العيش ما قد سدّ من عوَز — ففيه للحُرّ قنيان وغُنيان
وذو القناعةِ راض من معيشته — وصاحِبُ الحرص إن أثرى فغضبان
حسب الفتى عقله خِلّاً يُعاشره — إذا تحاماه إخوان وخُلاّن
إذا نبَا بكريمٍ موطنٌ فله — وراءه في بسيط الأرض أوطان
يا ظالماً فرحاً بالعزّ ساعده — إن كنت في سِنةٍ فالدهر يقظان
يا أيها العالم المرضيُّ سيرته — أبْشِرْ فأنت بغير الماء ريّان
ويا أخا الجهل لو أصبحت في لجج — فأنت ما بينها لا شكّ ظمآن
لا تحْسَبن سروراً دائماً أبداً — من سرّه زمَنٌ ساءته أزمان
وكلّ كسر فإن الدين يجبُرُه — وما لكسر قناةِ الدين جبران

***

وقال ابن أبي بكر المقري المتوفى سنة ٧٨٥ هـ :

زيادة القول تحكي النقْصَ في العمل — ومنطقُ المرء قد يهديه للزّلل
إن اللسان صغيرٌ جِرْمُه وله — جُرْمٌ كبير كما قد قيل في المثل
عقلُ الفتى ليس يغني عن مُشاورة — كحِدّةِ السيف لا تغني عن البطل

إن المشاور إما صائب غرضاً أو مخطىءٌ غيرُ منسوب إلى الخطل
لا تحقر الرأيَ يأتيك الحقير به فالنحل وهو ذبابٌ طائر العسل
ولا يغرنّكَ وُدٌ من أخي أمل حتى تجربهُ في غيبة الأمل
لا تجزعن لخطب ما به حيَل تُغني وإلا فلا تعجز عن الحيل
وقدر شكر الفتى لله نعمتَه كقدر صبر الفتى للحادث الجلل
وإنّ أخوف نهج ما خشيتَ به ذهاب حُرّيّة أو مرتضى عمل
لا تفرحنّ بسقطات الرجال ولا تهزأ بغيرك واحذر صَوْلة الدُّول
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه فاطلب لنفسك ما تعلو به وَصِل
وكلُّ علم جناه ممكن أبـداً إلا إذا اعتصم الإنسانُ بالكسل
والمالَ صُنْهُ وَورّثه العدو ولا تحتج حياتك للاخوان في الأكل
فخير مال الفتى مالٌ يصون به عرضاً ويُنفقه في أشرف السبل
وأفضل البرّ ما لا مَنّ يَتبعه ولا تَقَدّمُهُ شيء من المطل

* * *

وقال الإمام علي الرضا المتوفى سنة ٧٧ هـ :

واعجباً للمرءِ في لذته يَجُرُّ ذيل التيه في خطرته
يزجره الوعظ فلا ينتهي كأنه الميت في سكرته
يبارزُ الله بعصيانه جهراً ولا يخشاه في خلوته
وإن يقع في شدة يبتهل فإن نجا عاد إلى عادته
إرغب لمولاك وكن راشداً واعلم بأنّ العزّ في خدمته
واتل كتاب الله تُهدَ به واتبع الشّرْع على سنته
لا تحرصَنْ فالحرص يزري بالفتى ويُذهبُ الرّوْنق من بهجته
والحظ لا تجلبه حيلة كيف يخاف المرء من فوتته ؟

ما فاتك اليوم سيأتي غداً ما في الذي قدّر من حيلته
والرزقُ مضمون على واحدٍ مفاتح الأشياء في قبضته
قد يُرزق العاجز مع عجزه ويحرمُ الكيسُ مع فطنته
لا تنهر المسكين يوماً أتى فقد نهاك الله عن نهرته
إن عضك الدهر فكن صابراً
على الذي نالك من عضته
أو مسّكَ الضرُّ فلا تشتكي إلا لمن تطمع في رحمته
لسانك احفظه وصن نطقه واحذر على نفسك من عثرته
فالصمت زينٌ ووقارٌ وقد يؤتى على الإنسان من لفظته
من أطلق القول بلا مُهلة لا شك أن يعثر في عجلته
من لزم الصمت نجا سالماً لا يندم المرءُ على سكتته
من أظهر الناس على سره يستوجب الكيّ على مُقلته
من مازح الناسَ استخفوا به وكان مذموماً على مزْحته
من جعل الخمر شفاءً له فلا شفاهُ الله من علته
من نازع الأقيال في أمرهم بات بعيد الرأس عن جثته
من لاعب الثعبان في كفه هيهات أن يسلم من لسعته
من عاشر الأحمق في حاله كان هو الأحمق في عشرته
لا تصحب النذل فتردى به لا خير في النذل ولا صُحبته
من اعتراك الشكُّ في جنسه وحاله فانظُرْ إلى شيمته
من غرس الحنظل لا يرتجى
أن يجتني السكر من غرسته
من جعل الحقّ له ناصراً أيده الله على نُصرته

وقال أبو العتاهية المتوفى سنة ٢١١ هـ :

أنلهو وأيامنا تذهبُ ؟ ونلعبُ والموت لا يلعبُ
عجبتُ لذي لعب قد لها عجبتُ ومالِيَ لا أعجبَ
أيلهو ويلعب مَنْ نفسه تموت ومنزلُه يخرب
نرى كل ما ساءنا دائماً على كل ما سرّنا يَغلب
نرى الليل يطلبنا والنهار ولم ندْرِ أيهما أطلبُ
أحاط الجديدان جميعاً بنا فليس لنا عنهما مهرَب
وكلٌ له مدّةٌ تنقضي وكلٌ له أثر يُكتبُ

وقال صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ :

الجد في الجدّ والحرمان في الكسل فانصَبْ تُصب عن قريب غاية الأمل
واصبرْ على كل ما يأتي الزمان به صبر الحُسام بكفّ الدارع البطل
وجانب الحِرْص والأطماع تحظَ بما ترجو منَ العزّ والتأييد في عجل
ولا تكونَنْ على ما فات ذا حزَن ولا تظل بما أوتيت ذا جذل
واستشعر الحلم في كل الأمور ولا تسرع ببادرة يوماً الى رجل
وإن بُليت بشخص لا خلاقَ له فكن كأنك لم تسمع ولم يقل
ولا تمار سفيهاً في محاورة ولا حليماً لكي تقصى عن الزّلل
ولا يغرك من يُبدي بشاشته إليك خدْعاً فإنّ السمّ في العسل
وإن أردت نجاحاً في كل آونة فاكتُم أمورك عن حاف ومُنتعل
إن الفتى من بماضي الحزم متصفٌ
وما تعود نقص القول والعمل
ولا يُقيم بأرض طاب مسكنها حتى يقدّ أديم السهل والجبل
ولا يضيّع ساعات الزّمان فلن يعود ما فات من أيامه الأول

ولا يُراقب إلا من يُراقبه ولا يُصاحب إلا كل ذي نُبَل
ولا يعد عيوباً للوَرى أبداً بل يعتني بالذي فيه من الخلل
ولا يظنّ بهم سوءاً ولا حسناً بل التجاربُ تهديه على مَهل
ولا يصد عن التقوى بصيرَته لأنها للمعالي أوضحُ السبل
فمن تكن حُلة التقوى ملابسه لم يخش في دهره يوماً من العطل
مَن لم تفده صروف الدهر تجربةً فيما يُحاول فليسكن مع الهمل
من سالمته الليالي فليثقْ عجلاً منها بجرب عدو جاء بالحيل
من ضيع الحزم لم يظفَرْ بحاجته ومن رمى بسهام العُجب لم ينَل
من جاد ساد وأحيا العالمون له بديع حمدٍ بمدح الفعل مُتَّصِل

وقال حسام الدين الواعظي المتوفى سنة ٩٩٠ ﻫ :

من ضَيّع الحزم في أفعاله نَدِما وظل مُكتئباً والقلبُ قد سقِما
ما المرءُ إلا الذي طابتْ فضائلهُ والدين زَيْنٌ يزينُ العاقل الفهما
والعلمُ أنفسُ شيءٍ أنت ذاخرهُ فلا تكن جاهلاً تستورث الندما
تعلم العلم واجلس في مجالسه ما خاب قط لبيبٌ جالس العُلما
والوالدينِ فأكرم تنج من ضرر ولا تكن نكِداً تستوجب النقما
ولازمِ الصمت لا تنطق بفاحشة وأكرم الجار لا تهتك له حُرُماً
واحذر من المزح كم في المزح من خطر كم من صديقين بعد المزح فاختصما
وصبّر النفس وأرشدها إذا جَهلت
وإن حضرْت طعاماً لا تكن نهما

وقال عمر بن الوردي المتوفى سنة ٧٤٩ ﻫ مخاطباً ولده :

إعتزِلْ ذِكر الأغاني والغزَلْ وقلِ الفصلَ وجانِبْ من هزلْ
ودع الذكر لأيام الصبا فلأيام الصبا نجمٌ أفَلْ

واترك الغادة لا تحفل بها تُمْسِ في عزٍّ رفيع وتُجَلّ
وافتكر في منتهى حُسن الذي أنت تهواه تجد أمراً جلل
واهجر الخمرة إن كنت فتى
كيف يسعى في جنونٍ من عقل ؟
واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلبَ امرئٍ إلا وصل
ليس مَنْ يقطعُ طرْقاً بطلا إنما مَن يتّقي الله البطل
كتب الموتُ على الخلق فكم فلّ من جيش وأفنى من دول
أينَ نمرودُ وكنعانُ ومن ملك الأرض وولّى وعزل ؟
أينَ من سادوا وشادوا وبنوا هلك الكلّ ولم تغن القُلل ؟
أينَ أربابُ الحِجى أهل النهى أين أهل العلم والقوم الأول ؟
سيُعيدُ الله كلا منهمُ وسيجزي فاعلاً ما قد فعل
أطلب العلم ولا تكسَلْ فما أبعد الخيرَ على أهل الكسل
واحتفل للفقه في الدين ولا تشتغل عنه بمالٍ وخوَل
واهجُر النّوم وحصّله فمن يعرف المطلوب يحقرْ ما بذل
لا تقل قد ذهبت أربابهُ كلُّ من سار على الدّرْب وصل
في ازدياد العلم إرغامُ العدا وجمال العلم إصلاحُ العمل
جمّل المنطق بالنحو فمن يحرَمَ الإعرابَ بالنطق اختبل
إنظم الشعر ولازِم مذهبي في اطراح الرفدِ لاتبغ النحل
فهو عنوانٌ على الفضل وما
أحسَنَ الشعر إذا لم يبتذل
أنا لا أختارُ تقبيلَ يدٍ قطعُها أجمل من تلك القُبل
مُلك كِسرى عنهُ تغني كِسرةٌ
وعن البحر اجتزاءٌ بالوشَل

إطرح الدُّنيا فمن عاداتها تخفضُ العالي وتُعلي مَن سفل
عيشةُ الرَّاغب في تحصيلها عيشةُ الجاهل فيها او أقل
كم جهول بات فيها مُكثراً وعليمٍ بات منها في علَل
كم شُجاعٍ لم ينل فيها المنى وجبان نال غايات الأمل
فاترك الحيلةَ فيها واتكل إنما الحيلة في ترك الحيَل
لا تقل أصْلي وفصْلي أبداً إنما أصل الفتى ما قد حصل
قد يسود المرءُ من دون أبٍ
وبحسن السبك قد يُنفي الدغل
إنما الوردُ من الشوك وما ينبُتُ النرجسُ إلا من بصل
قيمة الإنسان ما يُحْسِنهُ أكثر الإنسانُ منه أم أقل
بين تبذيرٍ وبخل رُتبةٌ وكلا هذين ان زاد قتل
ليس يخلو المرءُ من ضِدٍّ ولو حاول العزلة في رأس الجبل
دار جارَ السوءِ بالصبر وان لم تجد صبراً فما أحلى النُّقل
جانب السلطان واحذر بطشَهُ
لا تعاند من إذا قال فعل
ان نِصْف الناس أعداءٌ لمن وُلي الأحكام هذا إن عدل
قصّر الآمال في الدنيا تفزْ فدليلُ العقل تقصيرُ الأمل
غب،وزُرْ غِبّاً تزِدْ حبّاً فمن أكثر التردادَ أقصاهُ الملل
لا يضرُّ الفضل إقلالٌ كما لا يضر الشمس أطباقُ الطفل
خُذْ بنصل السيف واترك غِمْدَهُ
واعتبر فَضْلَ الفتى دون الحُلل
حُبُّك الأوطان عجزٌ ظاهر فاغترب تلق عن الأهل بدل
فبمكث الماء يبقى آسِناً وسُرى البدر به البدرُ اكتمل

وقال العميد ابو إسماعيل الطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ [١] :

أصالة الرأي صانتْني عن الخطل ... وحليةُ الفضل زانتني لدى العطَل [٢]
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شَرَعٌ ... والشمس رأد الضُّحى كالشمس في الطفل [٣]
فيمَ الإقامةُ بالزَّوراء؟ لا سكني ... بها ولا ناقتي فيها ولا جملي [٤]
ناءٍ عن الأهل صفرُ الكف مُنفرد ... كالسيف عُرِّيَ متناه عن الخلل
فلا صديقَ اليه مُشتكي حزني ... ولا أنيس اليه مُنتَهى جذلي [٥]
طال اغترابي حتى حن راحلتي ... ورحلها وقرا العسالةِ الذبل [٦]
وضج مِنْ لغب نضوي وعج لما ... ألقى ركابي ولجَّ الركبُ في عذلي [٧]

---

(١) هو العميد ابو إسماعيل الحسين بن علي الملقب بمؤيد الدين المشهور بالطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ (٢) صانتني حفظتني والخطل الخطأ (٣) مجد وشرف وشرع سواء ورأد الوقت الذي بعد العصر وقبل الغروب [المعنى] شرفي وقت تجردي من الإمارة وشرفي وقت تسربلي بها سواء. إن حالي كالشمس في كون ضوئها وقت الضحى مخالفاً لضوئها وقت الطفل ولكنه لم ينقص من ذاتها الواحدة شيئاً، يفتخر بدوام شرفه على اختلاف الأزمان (٤) الزوراء : اسم لبغداد وناء بعيد . وصفر خال وعري جرد والخلل كسوة غمد السيف (٥) الجذل السرور [المعنى] اعتزلني الناس ببغداد فلم يأو إلي بها حبيب أبث إليه كدري من جور الزمان فيفرجه عني ويساعدني على صرفه ولا سمير أوصل اليه فرحي فيزيد سروري ويدفع وحشتي (٦) حن مال . والراحلة ما يرحل عليه من الابل مذكراً كان او مؤنثاً . والرحل العدة التي يركب عليها وقرا ظهره والعسالة الاهتزاز والذبل الخافة (٧) ضج صوت . واللغب التعب ونضوي اي مضوي بمعنى مهزول وعج صوت ولج تمادى . والعذل اللوم [المعنى] امتد بعدي حتى صوت من اجل تعبه ركوبتي وصوت لمثل ما صادف من تعب السفر إلى أصحابي الذين معي فيه وتمادوا في لومي على هذا السفر الذي امتد ولم ينته إلا لكي أطلب بامتداد بعدي عن وطني ثروة أتساعد بسببها على أداء عادة ثابتة ثبوت مروءة جهتي .

أريدُ بَسْطةَ كفٍّ أستعين بها ... على قضاءِ حُقوقٍ للعُلى قِبَلي
والدهر يعكِسُ آمالي ويُقنِعني ... من الغَنيمة بعد الكَدِّ بالقَفَلِ ١
وذي شطاط كصدر الرُّمح مُعتقل ... بمثله غير هيَّاب ولا وكِلِ ٢
حُلو الفكاهةِ مرّ الجدّ قد مُزجت ... بشدّة البأس منه رقةُ الغزل ٣
طردتُ سَرحَ الكرى عن ورد مُقلته ... والليل أغرى سوام النَّوم بالمقل ٤
والركبُ مِيلٌ على الأكوار من طرب ... صاحٍ وآخرَ من خمر الكرى ثمل ٥
فقلتُ : أدعوكَ للجلّى لتَنصُرَني ... وأنت تخذُلني في الحادث الجلل ٦
تَنامُ عني وعينُ النَّجم ساهرةٌ ... وتستحيل وصِبغُ الليل لم يَحُل ٧
فهل تعينُ على غيٍّ هممتُ به ... والغيُّ يَزجُرُ أحياناً عن الفَشَل ٨
إني أريد طرُوقَ الحيِّ من إضمٍ ... وقد حماهُ رُماةٌ من بني ثُعَل ٩

(١) يعكس يرد ويقنعني يرضيني والكد التعب والقفل الرجوع «المعنى» والزمن يرد على ما أرجوه ويحملني بعد التعب في السفر والتغريب راضياً بالرجوع بدل الغنيمة التي هي مطمح نظري في تكبد المصاعب (٢) شطاط اعتدال القامة ومعتقل قابض وهياب خواف ووكل عاجز «المعنى» ورب صاحب اعتدل قامة كاعتدال صدر الرمح معتقل برمح مثله لا يخاف المخاوف ولا يعجز عن شيء من شئونه ، التفت الى وصف صاحب له بهذه الأوصاف وغيرها وهو اقتضاب على عادة البلغاء من الالتفات من فن الى آخر تنشيطاً للسامع (٣) مزجت خلطت والبأس الشجاعة ، ورقة الغزل لطف الكلام (٤) طردت أبعدت وسرح الكرى وثباته والورد الوصول والمقلة شحمة العين الجامعة للسوداء والبيضاء وأغرى أولع ، وسوام ثبات (٥) ميل منحني وطرب نشط وثمل سكران « المعنى » وأصحابي منحنون على رحالهم ، فريق منهم نشط يقظ لم يتغلب عليه النوم وفريق آخر ثمل متثاقل من تغلبه عليه (٦) الجلى الأمر العظيم ، وتخذلني تتركني والحادث الجلل العظيم (٧ تستحيل تتحول وصبغ ظلام ويحل شأني ينتقل (٨) غي ضلال ، ويزجر يمنع « المعنى » قد غفرت ما حصل من تقصيرك في بنومك فهل تساعدني على ضلال أردته ولا تخش عقباه بالذم على فعله . ٩) الطروق المجيء ليلاً والحي القبيلة ، وإضم اسم جبل وحماه منعه ، ورماة كسعاة خفراء ، وثعل قبيلة من طيىء .

يحمُونَ بالبيض والسُّمر اللدان به | سود الغدائر حمرَ الحلي والحلل ١
فسِرْ بنا في ذمام الليل مُعتسِفاً | فنفحةُ الطيب تهدينا إلى الحِلَل ٢
فالحبُّ حيثُ العِدا والأسدُ رابضةٌ | حَولَ الكِناس لها غابٌ من الأسَل ٣
نؤُمُّ ناشئةً بالجزْعِ قد سُقيتْ | نِصالها بمياه الغُنج والكحَل ٤
قد زادَ طيبَ أحاديثِ الكرام بها | ما بالكرائم من جُبنٍ ومن بخَل
تَبيتُ نارُ الهوى منهنّ في كبد | حرّى ونار القِرى منهم على القلل ٥
يقتلنَ أنضاءَ حُبٍ لا حراكَ بهم | وينحرون كرامَ الخيل والإبل ٦
يُشفى لديغُ العوالي في بيوتهمُ | بنهلة من غَدير الخمر والعسَل ٧
لعلَّ لي إلمامة بالجزع ثانية | يَدب منها نسيمُ البُرْءِ في عللي ٨
لا أكرهُ الطعنةَ النجلاءَ قد شفعت | برشفةٍ من نِبال الأعين النجل ٩

(١) البيض : السيوف والسمر الرماح واللدان اللينة ، الغدائر الضفائر من الشعر، والحلى ما تتحلى به المرأة، والحلل الثياب المزركشة (٢) ذمام كفالة ، ومعتسفاً متكلفاً طريقاً غير مألوف ، والحلل بيوت القوم التي يحلونها (٣) الحب: المحبوب ورابضة واقفة ،والكناس بيت الظبي والغاب شجر يسمى بالأسل ملتف على بعضه ويكون مأوى الأسود « المعنى » المحبوب في مكان به الرقباء ورجال الحي مقيمة حول مكانه مستعدة برماح تصول بها على من يقرب منه (٤) نؤم نقصد والجزع منعطف الوادي ،والنصال السيوف والغنج حسن شكل العيون والكحل سواد يعلو جفون العين خلقة « المعنى » نقصد بسيرنا قبيلة تربض في منعطف الوادي قد أعطيت عيونها حسن الشكل والكحل (٥) مقرى : إكرام الضيف ، والقلل : جمع قلة وهي أعلى الجبل. (٦) إن نساء هذه القبيلة يقتلن ببراعة جمالهن عشاقهن حتى أعدم حركتهم عشقهم لهن، ورجالها لفرط كرمهم يذبحون جياد الأفراس والجمال لضيافهم. (٧) اي يبرأ من قتل في حبهن بأول شربة من ريق ثغرهن (٨) إلمامة نزولاً ويدب يسري (٩) أكره أبغض،والطعنة النجلاء الجرح المتسع برمح،وشفعت قرنت ورشفة ونبال السهام المراد بها هنا اللحاظ والنجل الواسعات « المعنى » لا أبغض الوخزة الواحدة من رماح رجال هذه القبيلة مقرونة برمية من لحاظ الأعين الواسعات لنسائها .

ولا أهابُ الصِّفاحَ البيضَ تُسعدني ... باللمح من خَلَلِ الأستارِ والكِلَلِ ١
ولا أخلُّ بغزْلانٍ تُغازلني ... ولو دَهتْني أسودُ الغِيلِ بالغِيَلِ ٢
حُبُّ السلامة يثني عزمَ صاحبه ... عن المعالي ويغري المرء بالكسل ٣
فإن جَنَحْتَ اليه فاتخذ نَفَقاً ... في الأرض أو سُلَّماً في الجو فاعتزلِ ٤
ودَعْ غِمارَ العُلى للمقدمين على ... ركوبها واقتنِعْ منهن بالبللِ ٥
يرضى الذليلُ بخفض العيش مَسكنةً ... والعزُّ عند رَسيمِ الأينُقِ الذُّلُلِ ٦
فادْرأْ بها في نحور البيد جافلةً ... معارضاتٍ مثانيَ اللُّجْم بالجُدُلِ ٧
إن العُلى حدَّثتني وهي صادقةٌ ... فيما تحدِّث أن العزَّ في النُّقَلِ ٨
لو أنَّ في شرف المأوى بلوغَ مُنًى ... لم تبرحِ الشمسُ يوماً دارةَ الحَمَلِ
أهبْتُ بالحظ لو ناديتُ مستمِعاً ... والحظُّ عنيَ بالجهال في شُغُلِ
لعله إن بَدا فضلي ونقصُهمُ ... لعينه نام عنهم أو تنبَّهَ لي
أُعلِّلُ النفسَ بالآمال أرْقُبُها ... ما أضيقَ العيشَ لولا فسحةُ الأملِ
لم أرْتَضِ العيشَ والأيامُ مُقبلةٌ ... فكيف أرضى وقد ولَّتْ على عجلِ
غالى بنفسيَ عرْفاني بقيمتها ... فصنتُها عن رَخيصِ القَدْرِ مُبتذلِ
وعادةُ السيف أن يَزهى بجوهره ... وليس يعملُ إلا في يدَيْ بطلِ

(١) الصفاح : السيوف، وخلل الثقب الخفيف النافذ في الشيء والكلل ستر يخاط به شبه الناموسية «المعنى» ولا أخاف ضرب السيوف من رجال هذه القبيلة مسعدة لي بخفيف نظري لها من ثقوب أستار بيوتهن وحجراتهن (٢) أي لا أترك النظر من خلل الأستار إلى نساء هذه القبيلة التي تحادثني ولو أصابتني شجعانها بالهلاك فجأة (٣) أي الرغبة في النجاة من المشاق تصرف عزم ملازمها عن مكاسب الشرف وتولعه بالتثاقل والفتور عنها (٤) النفق كجبل سرب في الأرض له منفذ من مكان آخر (٥) غمار كثير والبلل القليل (٦) رسيم سرعة، والأنيق الذلل اي الإبل المروضة التي ليست بجموحة (٧) أدفع بهذه الأنيق في أوائل الصحاري ، مسرعة مقابلات بأزمتها أعنة الخيل التي تصحبها في السير أي غير متأخرة عنها فيه (٨) النقل التحول والانتقال .

ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
تقدمتني أناس كان شوطهم وراء خطوي لو أمشي على مهل
هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا من قبله فتمنى فسحة الأجل
فإن علاني من دوني فلا عجب لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبر لها غير محتال ولا ضجر في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
أعدى عدوك أدنى من وثقت به فحاذر الناس واصحبهم على دخل
فإنما رجل الدنيا وواحدها من لا يعول في الدنيا على رجل
وحسن ظنك بالأيام معجزة فظن شراً وكن منها على وجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت
مسافة الخلف بين القول والعمل
وشان صدقك عند الناس كذبهم وهل يطابق معوج بمعتدل
إن كان ينجع شيء في ثباتهم على العهود فسبق السيف للعذل
يا وارداً سؤر عيش كله كدر أنفقت صفوك في أيامك الأول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه ؟ وأنت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا يحتاج فيه إلى الأنصار والخول
ترجو البقاء بدار لا ثبات بها فهل سمعت بظل غير منتقل ؟
ويا خبيراً على الأسرار مطلعاً
أصمت ففي الصمت منجاة من الزلل
قد رشحوك لأمر إن فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وقال المرحوم عبدالله باشا فكري يخاطب نجله المرحوم أمين باشا :

إذا نام غر في دجى الخطب فاسهر وقم للمعالي والعوالي وشمر
وخل أحاديث الأماني فإنها علالة نفس العاجز المتحير
وسارع إلى ما رمت مادمت قادراً عليه فإن لم تبصر النجح فاصبر

ولا تأتِ أمراً لا ترجّي تمامه ... ولا مورداً ما لم تجد حسن مصدر
وأكثرْ من الشورى فإنك إن تصبْ ... تجد مادحاً أو تخطىء الرأي تعذَر
ولا تستشرْ في الأمر غير مجرِّبٍ ... لأمثاله أو حازم متبصّر
ولا تتبع رأياً من خؤون مخادعٍ ... ولا جاهل غرٍّ قليل التدبر
فمن يَتبعْ في الخطب خدعة خائن ... يَعضُّ بنانَ النادم المتحسّر
ومن يَتّبع في أمره رأيَ جاهل ... يَقُده إلى أمر من الغيِّ منكر
ولا تصغ في ردِ الصديق لكاذب ... نموم وإن يَعرِضْ لك الشك فاخبر
ولا تَغترِر تَندمْ ولا تك طامعاً ... تـذل ولا تحقِرْ سواك تحقّر
وعوّد مقالَ الصدق نفسك وارضه ... تصَدق ولا تركن إلى قول مفترَي
ودَع عنك إسراف العطاء ولا يكن ... لِكفيك في الإنفاق إمساك مُقتر
ولا تَقفُ زلاّتِ العبادِ تعدّها ... فلستَ على هذا الورَى بمسَيطر
ولا تتعرض لاعتراض عليهمُ ... دَع الخلق للخلاق تسلم وتؤجَر

●

وقال عبد القيس بن خفاف البرجمي المتوفى سنة ٥١ هـ :

أبُنيّ إن أباك كاربُ يومه ... فإذا دُعيت إلى المكارم فاعجَلِ
أوصيك إيصاء امرىء لك ناصح ... طبنٍ بريب الدهر غير مُغفل
الله فاتقِه وأوف بنذره ... وإذا حلَفتَ مماريا فتحلل
والضيفَ أكرمْهُ فإن مبيتَه ... حقٌ ولا تكُ لعنة للنزل
واعلم بأن الضيفَ مخبرُ هله ... بمبيتِ ليلته وإن لم يسأل
وصل المواصل ما صفا لك وُده ... واجذذْ حبال الخائن المتبدل
واحذر محل السوء لا تحلل به ... وإذا نبا بك منزلٌ فتحول
واستأنِ تَظفر في أمورك كلها ... وإذا عزمت على الهدى فتوكل

واستغنِ ما أغناك ربك بالغِنى   وإذا تصبك خصاصة ، فتجمَّل
وإذا افتقرت فلا تكن متجشّعاً   ترجو الفواضل عند غير المفضل
وإذا تشاجَرَ في فؤادك مرة   أمران فاعمدْ للأعفِّ الأجمل
وإذا هممتَ بأمر سوءٍ فاتئد   وإذا هممتَ بأمر خيرٍ فاعجل

●

وقال فقيد اللغة ناصيف بن عبدالله اليازجي اللبناني المتوفى سنة ١٢٨٧ هـ :

دع يومَ أمس وخذ في شأن يوم غد   واعدُد لنفسك فيه أفضل العُدَد
واقنع بما قسم الله الكريمُ ولا   تبسُط يديك لنَيل لرزق من أحد
والبسْ لكل زمان بُردة حضرت   حتى تحاك لك الأخرى من البُرد
ودُر مع الدهر وانظر في عواقبه   حذار أن تبتلى عيناك بالرمد
متى ترى الكلب في أيام دولته   فاجعل لرجليك أطواقاً من الزرَد
واعلم بأن عليك العارَ تلبسهُ   من عضة الكلب لا من عضة الأسد
لا تأمُل الخير من ذي نعمة حدثت   فهو الحريصُ على أثوابه الجدَد

●

وقال مؤلف هذا الكتاب السيد أحمد الهاشمي معارضاً لاميّة الطغرائي :

عليك بالصبر والإخلاص في العمل   ولازم الخير في حِل ومُرتحَل
وجانب الشر واعلم أن صاحبه   لا بد يجزاه في سَهل وفي جبل
واثبت ثبات الرواسي الشامخات ولا   تركنْ إلى فشل في ساعة الوَهل
وكن كرَضوَى لما يعروك من نُوَب   ولا تكن جازعا في الحادث الجلل
واصبرْ على مضَض الأيام محتملا   ففيه قرْع لباب النجح والأمل
تأن متئداً فيما ترومُ ولا   تعجل وإن خلق الإنسان من عجل
لا تطلب العزَّ في دار وُلدْت بها   فالعزُّ عند رَسيم الأينق الذلل
شمّر وجدَّ لأمر أنت طالبُه   إذ لا تُنالُ المعالي قط بالكسل

واحذر مساوىء أخلاق تشان بها وأسوأ السوء سوءُ الخلق والبَخَل
واخفض جناحَك للمولى وجدْ ونَل ما أقبحَ الكبرَ والإمساك بالرّجل
لا تسأل النذلَ واقصد ماجداً حدباً
في طلعة الشمس ما يُغنيك عن زُحَل
ولا تجادل جَهولا ليس يفهم ُما تقولُ فالشر كل الشرّ في الجدل
ولا تكن لنزول الخطبِ مضطرباً في حادث الدهرِ مايغني عن الحيَل
الجود أحسَنُ ما أوليتَ من خلق والعفو أنقى لداء الضغن والدخَل
والحلم ملحٌ فساد الأمر يُصلحه والبذلُ خير فِعال الماجد البطل
لا تقتحم غمرات البحر مرتكبا وأنت يكفيك منه مَصّة الوشل
ولا تُعاشرْ سوى حزم أخا ثقة واربأ بنفسك أن ترعى مع الهمَلِ
لا تنخدع لصديق يَدّعي مَلقاً
بل حاذر الناسَ واصحبهم على دخل
لا تأمنن أحداً واحذر مكائدهم وظن شرّاً وكن منهم على وجل
ولا تغرّنك الدنيا بزهرتها فهل سمعت بظل غير منتقل
إن الغنيّ غنيّ النفس في كرم بالطبع لا باقتناء الشاء والابل
إن الصنيعة للأنذال تُفسدهم كما تضر رياحُ الورد بالجُعَل
مرارة النصح تحلو لي مضاضتها ورُبما صَحّت الأجسام بالعلل
دع التكلف لا يجديك منفعة ليسَ التكحّل في العينين كالكحل
أرى الرعاء رعاء الشاء في ترَفٍ في أرفع العيش بين الخيل والخوَلِ
وسادة العصْرِ قد ألقَوْا مقالِدَهم الى الطغام شرار الناس والسفل
تحكموا في قضايا الناس واحتكموا وحكموا كل ذي جهل أخي خَبَل
من كل غر جَهول لا يرى رشداً كباقل مثلاً في العيّ والخطل
تَعْساً لشرّ زمان ظل طوْع يد اللئام يَسقيهم عَلاً على نهل

القبضُ والبَسْط في أيدي ذوي شطط
من كلِّ سكران من خمر الهوى ثمِلِ
تَسْطو الكلابُ على أسدِ الشرى سفهاً
والباز الأشهب يخشى صَوْلة الحجَل

والقرد يضحك من نمر على هُزُؤ والكلب يوعِدُ ليث الغيل بالغيَل
نالَ المرامَ عُلوجٌ لا خلاق لهم فوق المؤمّل من شبٍّ ومكتهل
أملى لهم دَهرُهمُ فاستمهلوا أبداً مرخى لهم من مُروع العيش والطوَل
شرُّ العصور زمانٌ يستمد به خِبٌ لئيم غدَا في الشرّ كالثمل
لا يعلم الرُّشدَ من غيّ وليس له سوى الشرارة في قول وفي عمل
يشكو الطوى كل ذي فضل وذي أرب
وسوقَةُ الناس في رغد وفي جذل
مالي وللبلدةِ الحمقاء أسكنها مساكنا لذوي خرق أولي حِيَل
وليس لي ناقةٌ فيها ولا جمل وليس لي ثم من ثور ولا حمل
لا يستقيم وِفاقٌ لي بمثلهـم وهل يطابق مُعوجٌ بمعتدل ؟
قد ذقتهم وبَلوت الحال عندهم فما حصلتُ على صاب ولا عسل
لا يفعلون إذا قالوا فقد بعدت مسافة الخلف بين القول والعمل
أضحت مواعيدعُرقوب لهم مثلا وما مواعيدُهم إلا على دخل
أشكو الزمان وأهليه وأمقتهم إذ سوءُ أفعالهم أوفى على القلل
ساءت سريرتهم، حالت طريقتهم زاغت بصيرتهم عن أقوم السبل
علم بلا عمل، حُكم بلا حكم ظلم على عجل وعدٌ على مهل
الإفك والزورُ والبهتان عندهم والسعي في الأرض بالإفساد والخلل
الكذب مستحسن والصدق عندهم مستهجن من صفات العاجز الوكل
أهنى الطعام لحوم الناس عندهم والسُّمُّ فيما لديهم شربة العسل

نكثُ العهـود سجاياهم ودأبهمُ   خلف الوعود وذا من أسوإ الثقل
يا دهرُ مالك والأحرار تقهرُهم   تذل كل كريم الأصل مقتبل
حتى متى يا زمان السوء تفعل ما   تشيبُ فيـه النواصي غير محتمل
تؤخر الفاعل المرفوع تحفظـه   مقدماً لمفاعيل على البـدل
وساقة الجيش قد أضحت مقدمة   مثل التليل غدا في مؤخر الكفل
فلست أحفظ في ذي الدهر من أسف   أطـال ايام عمري ام دنا أجلي
واهاً لقلبيَ يـوم البَين إذ ظعنوا   فالعين في لجج والقلب في شعل
كيف التصبر من ناريْ نوًى وجَوًى ؟
وفي الحشا نَـكْءُ جُرح غير مندمل
فقد فقدتُ الألى كانت ببهجتهم   نور النواظر في الأحداق والمقل
لم أكتحل بقرار بعد ما ارتحلوا   ولا ابتغيتُ لهم في الناس من بَدلِ
لم يَبق لي الدهر بعد البَين من جلد   ما أستطيع به توديعَ مرتحل
ولا من الغمض ما أقرى الخيال به   ولا من الدمع ما أبكي على طلل
قلبي على لهَبٍ والجسم في نصبٍ   والروحُ في وصب واللب في ذهل
حسبي الغرام حليفٌ والجوى أبداً   منادماً ، وسميرٌ غيرُ منفصل
خذها مُحـبرة غـَيداءَ غانية   أتت على عجل كالقابس العجل
جاءت من الهاشمي) لاتبتغي مهراً   من خاطب لبنات النظم في عطل

●

وقال محمد اليمني الملقب بنجم الدين المتوفى سنة ٥٦٩ ه :

ولا تحتقِرنْ كيد الضعيف فربما   تموتُ الأفاعي من سموم العقارب
وقد هدّ قِدْماً عرش َبلقيس هُدْهُدٌ   وخَرّب حفرَ الفأرِ سد مأرب
إذا كان رأس المال عمرُك فاحترز   عليه من الانفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك   يكر علينـا جيشه بالعجـائب

وما راعني غدرُ الشبابِ لأنني أنِستُ بهذا الخلق من كل صاحب
وغَدْرُ الفتى في عهدِهِ ووفائِه وغدر المواضي في نُبُوّ المضاربِ

وقال الحريري المتوفى سنة ٥١٦ هـ :

سامِح أخاكَ إذا خَلَطْ منه الإصابة بالغَلَطْ
وتجافَ عن تعنيفِهِ إن زاغَ يوماً أو سَقَطْ
واحفظ صَنيعَكَ عنده شَكَرَ الصنيعةَ أو غَمَطْ
وأطِعه إن عاصى، وهُنْ إن عزَّ، وادن إذا شَحَطْ
واقنَ الوَفاءَ ولو أخَلَّ بما اشترطْتَ وما اشترط
واعلم بأنك إن طلبْتَ مُهذباً رُمْتَ الشطط
مَن ذا الذي ما ساءَ قطْ ومَن له الحسنى فقط ؟

وقال أيضاً :

اسمع أُخَيَّ وصيّةً من ناصح ماشاب محض النصح منه بغشّهِ
لا تَعْجلنْ بقضيّةٍ مَبتوتةٍ في مَدْحِ من لم تبلهُ أو خدشِهِ
وقِفِ القضيةَ فيه حتى تجتَلي وصفَيْهِ في حالي رضاه وبَطشه
فهناك إن ترَ ما يَشين فَواره كرماً وإن ترَ ما يزينُ فأفشه
واعلم بأن التبرَ في عِرق الثرى خافٍ إلى أن يُستَثار بنبشه
وفضيلة الدّينار يظهرُ سرها من حكّه لا من ملاحة نقشه
ومن الغباوة أن تُعَظّمَ جاهلاً لِصقال ملبسه ورَوْنق رَقْشه
أو أن تهينَ مُهذبا في نفسه لِدُروس بزتهِ ورِثّة فرشه

الباب التاسع في العلم

قال مؤيد الدين الأصبهاني المعروف بالطغرائي المتوفى سنة ٥١٣ هـ:

من قاس بالعلم الثراء فإنه ... في حُكمِه أعمى البصيرة كاذبُ
العلم تخدِمه بنفسك دائماً ... والمال يَخدُمُ عنك فيه نائبُ
والمال يُسلَبُ أو يبيدُ لحادثٍ ... والعلم لا يُخشى عليه السالبُ
والعلم نقشٌ في فؤادك راسخٌ ... والمال ظِلٌ عن فنائك ذاهبُ
هذا على الإنفاق يَغزُرُ فَيْضه ... أبداً وذلك حينَ تُنفِقُ ناضِبُ

العلم أشرَف شيءٍ قاله رَجُلٌ ... من لم يكن فيه علم لم يكن رَجُلا
تعلم العلمَ واعمل يا أُخَيّ به ... فالعلم زَينٌ لمن بالعلم قد عَمِلا

العلم مُبْلغ قومٍ ذروةَ الشرَفِ ... وصاحب العلم محفوظ من التلفِ
يا صاحبَ العلم مهلا لا تُدنّسه ... بالموبقات ، فما للعلم من خلفِ
العلم يرفع بيتاً لا عماد له ... والجهل يهدِم بيت العزّ والشرفِ

لو كان نور العلم يُدْرَك بالمنى ... ما كان يبقى في البريّة جاهل
اجهد ولا تكسل ولا تَكُ غافلا ... فندامة العُقبى لمن يتكاسل

وفي الجهل قبل الموتِ موت لأهله ... وأجسادهم دونَ القُبور قُبور
وإنّ امرأ لم يُحْيِ بالعلم قلبه ... فليس له حتّى النشور نُشورُ

لكل مجدٍ في الوَرى نفعُ فاضِلٍ ... وليس يُفيدُ العلم من دون عامِلِ
يُسابق بعض الناس بعضاً بجدهم ... وما كل كرٍّ بالهَوى كرُّ باسِلِ
إذا لم يَكنْ نفع لذي العلم والحجا ... فما هو بين الناس إلا كجاهِلِ

كذاك إذا لم ينفع المرء غيرَه ... يُعَدُّ كشَوْكٍ بين زَهْرِ الخمائلِ

يا ساعياً وطِلابُ المال همَّتُه ... إني أراكَ ضعيفَ العَقْلِ والدينِ
عليك بالعلم لا تطلب له بَدَلاً ... واعلم بأنك فيهِ غيرُ مَغْبونِ
العلم يُجْدي ويبقى للفتى أبداً ... والمال يفنى وإن أجدى إلى حينِ
هذاكَ عزٌّ وذا ذلٌّ لصاحبِهِ ... ما زال بالبعد بين العزّ والهونِ

العـــلم زَيْنٌ وتشريف لصاحبه ... فاطلب هُديت فنون العلم والأدَبا
كم سيدٍ بَطَـــلٍ آباؤه نُجُبٌ ... كانوا الرؤوس فأمسى بعدهم ذَنَبا
ومُقرفٍ خاملِ الآباء ذي أدب ... نالَ المعاليَ بالآداب والرُّتَبـــا
العلم كنزٌ وذخرٌ لا فناء له ... نعم القرين إذا ما صاحِبٌ صَحِبا
قد يجمع المال شخص ثم يحرمُه ... عما قليل فيلقى الذل والَحربا
وجامع العـــلم مغبوط به أبداً ... ولا يُحاذِرُ منه الفوت والسلبا
يا جامع العِلم نعم الذخر تجمعه ... ولا تعدلَنَّ به دُرّاً ولا ذَهَبا

بالعلم والعقل لا بالمـــال والذهب ... يزدادُ رفعُ الفتى قَدْراً بلا طلبِ
فالعلم طَوْق النهى يزهو به شرفاً ... والجهلُ قَيدٌ له يَبْليه باللعب
كم يرفع العلم أشخاصاً إلى رُتب ... ويخفض الجهلُ أشرافاً بلا أدب
العلم كنزٌ فلا تفنى ذخائرُهُ ... والمرءُ ما زاد علماً زاد بالرتب
فالعلم فاطلب لكي يُجْديك جَوهره ... كالقوت للجسم لا تطلبْ غِنى الذهب

العلمُ زَينٌ فكن للعلم مُكتسباً ... وكن له طالباً ما عِشتَ مُقتبِسا
اركن إليه وثِقْ بالله واْغنَ بــه ... وكن حَليما رَزين العقل محترسا
وكن فتى سالكاً محضَ التقى ورعاً ... للدّين مُغتنِما في العلم مُنغمسا

فمن تخلقَ بالآداب ظلّ بها رئيسَ قومٍ إذا ما فارقَ الرؤسا

الناس من جهة التمثال أكفاءُ أبوهُمُ آدَم والأمُّ حَــواءُ
فإن يكن لهم في أصلهم شرَف يُفاخرون به فالطين والماءُ
ما الفخرُ إلا لأهل العلم إنهُـمُ على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقدرُ كل امرىءٍ ما كان يحسنه والجاهلون لأهل العلم أعداء
وإن أتيت بجودفي ذَوي نَسَب فإن نسبتنا جودٌ وعلياء
ففُز بعلم تَعِش حَيّاً به أبداً الناسُ موتى وأهل العلم أحياء

العلم يغرسُ كل فَضْلٍ فاجتهد ألا يفوتكَ فضلَ ذاكَ المغْرَسِ
واعلم بأن العلم ليس ينالُه من همه في مطعم أو ملبَسِ
إلا أخو العلم الذي يزهو به في حالتيه عارياً أو مكتسي
فاجعل لنفسك منه حظّاً وافراً واهْجُر له طيب الرّقاد وعبِّس
فلعل يوماً أن حضرت بمجلس كنت الرئيس وفَخْر ذاك المجلس

وقال المرحوم أحمد شوقي بك في العلم والمعلم والتعليم :

قُم لِلمُعَلِم وَفِّهِ التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا
أعلمتأشرَف أوأجل منالذي يبني وُينشيء أنفساً وعقولا؟
سُبْحانك اللّهُمّ ،خيرَ مُعَلِم علمت بالقلم القُرون الأولى
أخرجت هذا العقلَ من ظُلماته وهديته النورَ المُبينَ سبيلا
وطبعته بيدِ المعلم ، تارة صدأ الحديدِ ، وتارة مصقولا
أرسلت بالتوراة موسى مُرْشداً وابن البتول فعلم الإنجيلا
وفجرتَ ينبوع البيانِ محمداً فسقى الحديث وناول التنزيلا

علمت يوناناً ومصرَ فـزالتـــا عن كلّ شمس ما تريـدُ أفولا
واليوم أصبحتــا بحال طفولةٍ في العـــلم تلتمسانه تطفيلا
من مشرق الأرض الشموس تظاهرت ما بالُ مغربها عليه أديــلا
يا أرضُ مُذْ فقد المعلمُ نفســه بين الشموس وبين شرقك حيلا
ذهب الذين حمَوْا حقيقة علمهم واستعذبوا فيهـا العذاب وبيلا
في عالم صحبَ الحياة مُقيَّداً بالفرد ، مخزوماً به ، مغـلولا
صرَعته دنيا المُستبد كما هوَت من ضربة الشمس الرءُوس ذهولا
سُقراط أعطى الكأس وهي منية شفـتي محب يشتهي التقبيـــلا
عرضوا الحياة عليه وهي غباوةٌ فأبى وآثر أن يموت نبيــلا
إن الشجاعة في القلوب كثيرةٌ ووجدتُ شجعان العقول قليلا
أمُعلمي الوادي وساسة نشئـه والطابعـين شبابــه المأمـولا
والحاملين إذا دُعوا ليُعلمـوا عبء الأمانةِ ، فادحاً مسئولا
ونيتْ خُطا التعليم بعد محمـد ومشى الهُوَينـا بعد إسماعيلا
حتى رأينا مصرَ تخطو إصبعا في العلم ، إن مشَتِ الممالكُ ميلا
تلك الكفورُ وحشوها أميةٌ من عهدِ (خُو) لم تر القنديلا
تجدُ الذينَ (بَنى) المسلةَ جدهم لا يُحسنون لإبرة تشكيـــلا !
ويُدَللونَ إذا أريدَ قيــادُهم كالبُهْمِ تأنسُ إذ ترى التدليلا
يتلو الرجال عليهمو شهواتهم فالناجحونَ ألذهم ترتيـــلا
الجهل لا تحيا عليــه جماعةٌ كيف الحياة على يدي عِزريلا ؟
ربُّوا على الانصاف فتيان الحمى تجدوهمُ كهف الحقوق كهــولا
فهو الذي يبني الطباع قويمــة وهو الذي يبني النفوس عُدولا
ويقيمُ منطق كلّ أعوج منطق ويُريــد رأياً في الأمور أصيلا

وإذا المعلمُ لم يكن عدلاً مشى روح العدالةِ في الشباب ضئيلا
وإذا المعلمُ ساء لحظَ بصيرةٍ جاءتْ على يده البصائرُ حُولا
وإذا أتى الارشادُ من سبب الهوى ومن الغُرور فسمّه التضليلا
وإذا أصيب القومُ في أخلاقهم فأقمْ عليهم مأتماً وعويلا
إني لأعذرُكم وأحسبُ عبئكم من بين أعباء الرّجال ثقيلا
وجد المساعدَ غيرُكم وحرمتُمو في مصرَ عون الأمهاتِ جليلا
وإذا النساء نشأن في أميةٍ رضع الرجالُ جهالة وخمولا
ليس اليتيم من انتهى أبواهُ من هم الحياةِ، وخلّفاهُ ذليلا
فأصاب بالدنيا الحكيمة منهما وبحُسنِ تربية الزمان بديلا
إن اليتيم هو الذي تلقي له أمّاً تخلّتْ أو أباً مشغولا

***

الباب العاشر في العقل

لولا العقول لكان أدنى ضَيْغمٍ أدنى إلى شَرَفٍ من الانسان
ولرُبما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبلَ تطاعُن الأقران

ألم ترَ أن العقلَ زَيْنٌ لأهله ولكن تمام العقل طول التجارب

يقول لك العقل الذي زيَّنَ الفتى إذا لم تكن تقدِر عدوَّك دارِهِ
ولاقِهِ بالترحيب والبشرِ والقرى وبارك له ما دمت تحت اقتداره
وقبل يد الجاني التي لست قادراً على قطعها وارْقبْ سقوط جداره

العقلُ حُلة فخر من تسرْبلها كانت له نسباً تغني عن النسب
والعقلُ أفضل ما في الناس كلهم بالعقل ينجوالفتى من حَومة الطلب

وأفضل قسْمِ اللهِ للمرء عقله فليس من الخيرات شيءٌ يقاربُه
يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه على العقل يجري علمه وتجاربه
يشين الفتى في الناس قلةُ عقله وإن كرُمت أعراقه ومناسبُه
إذا أكمل الرحمنُ للمرء عقله فقد كملت أخلاقه ومآربه

ما وهبَ الله لامرىءٍ هبةً أشرَف من عقله ومن أدبِه
هما حياةَ الفتى فإن عُدما فإنّ فقد الحياةِ أجمل بِه

يُعَدُّ رفيع القوم من كان عاقلاً وان لم يكن في قومه بحَسيب
وإن حلّ أرضاً عاش فيها بعقله وما عاقل في بلدة بغريب

ومن كان ذا مال ولم يكُ عاقلا فذاك حمارٌ حملوه من التبْر
أرى العقل مِرآة الطبيعة إذ به نرى صور الأشياءِ في عالم الفكر

ذو العقل في معترك الأقدار مُقتدر لكن ذا الجهل مغلوبٌ ومغلولُ
وعقل ذي الحزم مرآة الأمور بها يرى الحقائق ، والمجهولُ مجهولُ

وعُقولُ الأنام لو تستوي لم يكُ فرقٌ بين الغبيّ والنبيه
حوَر الأرض لو غدا مُستقيما لتساوى النهار والليل فيه

* * *

الباب الحادي عشر في الأدب

قال أبو تمام في مكارم الأخلاق :

اذا جاريت في خُلق دنيئاً فأنت ومَنْ تجاريه سواءُ
رأيت الحُرّ يجتنبُ المخازي ويحميه عن الغَدْر الوفاءُ

وما من شدّة إلا سيأتي لهـا من بعد شدّتها رخاء
لقد جرَّبتُ هذا الدهر حتى أفادتني التجاربُ والعنـاء
يعيش المرءُ ما استحيا بخير ويبقى العود ما بقي اللحاء
إذا لم تخش عاقبة الليـالي ولم تستح فاصنع ما تشاء

وقال أيضاً في الحرية :

سأصرفُ وجهي عن بلاد غدا بها لســانيَ معقولا وقلبيَ مُقفــلا
وإنَّ صريح الحزم والرأي لامرىء إذا بلغتــه الشمسُ أن يتحوّلا

وقال أبو فراس الحمداني في نتيجة الاختبار والتجارب :

لا أشتري بعد التجارب صاحباً إلا وددْت بأنـــني لم أشره
وتركتُ حلو العيش لم أحفل به لمـــا رأيتُ أعزه في مرّه
والمرء ليس بغانم في أرضــهِ كالصقر ليس بصائد في وكره

قال أبو العلاء المعرّي في الشيوخ المتظاهرة بالصلاح :

لئن قدرت فلا تفعل سوى حسن بين الأنام وجانب كل ما قبحا
فكم شيوخ غدوْا بيضاً مفارقهم يسبحون وباتوا في الخنا سبحا
وليس عندهم دينٌ ولا نسـكٌ فلا تغرّك أيد تحمل السبحـا
لوتعقلُ الأرضُ ودت أنها صفرت منهم فلم ير فيهـــا ناظرٌ شبحا

وقال الطغرائي في المقارنة بين العدو والحسود :

جامل عدوّك ما استطعت فإنه بالرفق يطمع في صلاح الفاسد
واحذر حسودك ما استطعت فإنهُ إن نمت عنه فليس عنك براقـد
إن الحسود وإن أراك تودُّداً منه أضر من العدوّ الحاقد
ولربمـــا رضي العدوُّ إذا رأى منك الجميل فصار غير معاند

ورضا الحسود زوالُ نعمتك التي أوتيتهـــا من طارف أو تالد
فاصبر على غيظ الحسود فناره ترمي حشاه بالعذاب الخـــالد
أو ما رأيتَ النار تأكلُ نفسها حتى تعود إلى الرماد الهامـــد
تضفو على المحسود نعمــة ربــه ويذوب من كمدٍ فؤادُ الحاسد

وقال ابن الرومي في عدم الإكثار من الأصحاب :

عدوك من صديقك مستفادٌ فلا تستكثرنْ من الصحاب
فإن الداءَ أكثرُ مــا تراه يكون من الطعام أو الشراب
إذا انقلب الصديق غداعدواً مُبيناً والأمور الى انقلاب
ولو كان الكثير يطيب كانت مُصاحبة الكثير من الصواب

وقال في الانفراد والوحدة :

ذقتُ الطعومَ فما التذّذت براحة من صحبة الأخيــار والأشرار
أما الصديق فلا أحبُّ لقاءَه حذرَ القلى وكراهة الإعوار
وأرى العدُو قذّى فأكره قرنه فهجرت هذا الخلق عن أعذار
من جور إخوان الزمان سرورهم بتفاضل الأحــوال والأخطــار
لو أن إن الصفــاء تناصفوا لم يفرحوا بتفاضل الأعمـــار
أأحب قوماً لم يحبوا ربهـم إلا لفردوس لديـــه ونار !؟

وقال المتنبي يلفت نظر العقلاء الى طلب المعالي :

اذا غامرت في شرف مروم فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في امر عظيم
يرى الجبناءُ ان العجز عقل وتلك خديعة الطبع اللئيم
وكل شجاعة في المرء تُغني ولا مثلَ الشجاعة في الحكيم
وكم من عائب قولاً صحيحاً وآفته من الفهـم السقـيم

وقال بشار بن بُرد في وصف الأخ الحقيقي :

خيرُ إخوانك المشاركُ في المـُر وأين الشريكُ في المرّ أينا ؟
الذي إن شهدتَ سرّك في الحـي وإن غبت كان أُذناً وعينا
مثل سِر الياقوت إن مسه النا ر جَلاه البلاء فازداد زَينا
أنت في معشر إذا غبت عنهم بدّلوا كل ما يزينك شَيْنا
وإذا ما رأوْك قالوا جميعاً أنت من أكرم البرايا علينا
ما أرى للأنام ودّاً صحيحاً عاد كلُّ الورى زوراً ومَينا

وقال أبو العتاهية في صنع الجميل مع الناس :

خيرُ أيام الفتى يومٌ نَفعْ واصطناع الخير أبقى ما صنعْ
ما يُنالُ الخيرُ بالشر ولا يحصدُ الزّارع إلا ما زرع
خذ من الدنيا الذي درّت به واسلُ عما بان منها وانقطع
إنما [الدنيا متاعٌ زائـلٌ فاقتصد فيه وخذ منه ودعْ
وارضَ للناس بما ترضى به واتبع الحق فنِعم المتبع

كن ابن من شئت واكتسب أدبا
يُغنيك محمودُه عن النسب
إنّ الفتى مَن يقول هأنذا ليس الفتى مَن يقول كان أبي
لكلّ شيءٍ زينة في الوَرى وزينة] المرء تمامُ الأدبِ
قد يَشرُف المرءُ بآدابه فينا وإن كان وضيعَ النسب

وأنشد أبو عبدالله نفطويه لنفسه في كون التعلم في الصغر كالنقش فى الحجر :

أراني أنسى ما تعلمت في الكبَر ولستُ بناس ما تعلمت في الصِّغرْ
ولو فُلق القلبُ المعلَّم في الصِّبا لألفيَ فيه العلم كالنقش في الحجرْ
وما العلم بعد الشيب إلا تعسف إذا كَلّ قلب المرءِ والسمع والبصر

وما المرء إلا اثنان: عقل ومنطق فمن فاته هذا وهذا فقد دمّر[١]

ومما ينشد خلف الأحمر[٢] في كون ميراث العلم أبقى من ميراث المال :

خيرُ ما ورّث الرجال بنيهم أدبٌ صالح وحُسْنُ ثناءِ
هو خير من الدنانير والأو راق[٣] في يوم شدّة ورخاءِ
تلك تفنى ، والدين والأدب الصا لح لا يفنيان حتى اللقاءِ[٤]
إن تأدبت يا بُني صغيراً كنت يوماً تُعد في الكبراء
وإذا ما أضعت نفسك ألفيت[٥] كبيراً[٦] في زمرة الغوغاء
ليس عطفي للعود إن كان رطبا وإذا كان يابساً بسواء

ومن شعر المنصور الفقيه في كون العلم بلا عمل كشجر بلا ثمر :

أيها الطالب الحريص تعلمْ إن للحق مذهباً قد ضللتَهْ
ليس يُجدي عليك علمك إن لم تك مستعملا لما قد علمتَهْ
قد لعمري اغتربت في طلب العلم وحاولت جمعهُ فجمعتهْ
ولقيت الرجالَ فيه وزاحمْتَ عليه الجميع حتى سمعته
ثم ضَيَّعت أو نسيت، وما ينفَعُ علم نسيتَه أو أضعتَه
وسواءٌ عليك علمك إن لم يجْدِ نفعاً عليه أم ما جهلتهْ
كم إلى كم تخادع النفس جهلا ثم تجري خلاف ما قدْ عرفته
تصفُ الحق والطريق إليه فإذا ما عملت خالفتَ سمتَه

وقال محمود سامي باشا البارودي في انتهاز الفرصة :

بادر الفرصة واحذر فواتها فبلوغ العز في نَيل الفرص
واغتنم عمرك إبّان الصبا فهو إن زاد مع الشيب نقص

(١) اي هلك (٢) كان راوية للشعر والأدب وشيخاً من شيوخ النحويين البصريين توفي سنة ١٨٠هـ (٣) جمع ورق مثلثة وهي الدراهم المضروبة من الفضة. (٤) يوم اللقاء أي لقاء الله وهو يوم القيامة (٥) اي وجدت (٦) نصب على الحال.

وابتدر مَسعاك واعلم أن من ... بادر الصيد مع الفجر قَنَص
واجتنبْ كل غبي مائـق ... فهْوَ كالعير[١] إذا جدَّ قمص
إنما الجاهلُ في العين قذًى ... حيثما كان، وفي الصدر غصص
واختبرْ من شئت تعرفه، فما ... يعرفُ الأخلاق إلا من فحص
إن ذا الحاجة إن لم يغتربْ ... عن حِماه مثل طير في قفص

وقال أبو إسحاق إبراهيمُ الغزّي في كون الحركة بركة : [٢]

فاجعل كراك[٣] إذا اعتزمت سهادا[٤] ... بمسيره نقَصَ الهلالُ ، وزادا
مشحوذة لم تفضُلِ الأغمـادا ... لولا انصلات[٥] البيض[٦] من أغمادها[٧]
لولا منافعه لـكان جمـادا ... وفضيلةُ الحيوان في حركاته
ما العمرُ إلا راحلٌ ، وأظنه اتـخذَ الشبيبة للمسافة زادا
لا تخلعَنْ عن اللسان لجامهُ ... وتوق فرط جماحـه المعتادا
فالله خصَّ الاستماع بـآلة ... مَثنى ، وجارحة الكلام فُرادى

وقال أبو نصر عبد العزيز بن نباتة السّعديُّ[٨] في طلب العلا :

حاولْ جَسيماتِ الأمور، ولا تقل ... إنَّ المحامدَ والعلا أرزاقُ
وارْغب بنفسك أن تكون مقصّرا ... عن غاية فيهـا الطلابُ سباقُ
لا تشفِقنْ فإن يومك إن أتى ... ميقاته لم ينفـع الإشفـاق
وإذا عجزت عن العدو فداره ... وامزَحْ له إن المزاحَ وفاقُ

(١) الحمار (٢) هو إبراهيم بن يحيى بن عثمان الكلبي شاعر مجيد صاحب مطولات ولد بغزة سنة ٤٤١ هـ وتصرفت به الاحوال فذهب إلى المشرق ومات بين مرو وبلخ سنة ٥٢٤ هـ (٣) الكرى النوم (٤) السهاد السهر ٥ تجرد (٦) السيوف (٧) جمع غمد وهو قراب السيف (٨) هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر المشهور بابن نباتة . وينسب إلى سعد تميم وعد في شعراء سيف الدولة الحمداني ، وله ديوان حافل توفي سنة ٤٠٥ ببغداد . وهو القائل :

ومن لم يمت بالسيف مات بغيره ... تنوعت الأسباب والموت واحد

فالنارُ بالماء الذي هو ضِدهـا ُتعطي النضاجَ، وطبعها الإحراقُ

وقال المعتمد بن عباد في وجوب التضحية لفدية الوطن :

إن يسلب القوم العِدى وطني وتسلِمُني الجموع
فالقلبُ بينَ ضلوعِـه لم تسلم القلبَ الضلوع
قد رُمت يوم نزالهمْ ألا تحَصّنني الدروع
وبرزتُ ليس سوى القمـيص على الحشا شيءٌ دَفوع
أجـلي تأخّر لم يكن بهَواي ذلّي والخضوع
ما سِرتُ قط إلى القتـا ل وكا نمن أمَلي الرجوع
شيمُ الأولى أنا منهـمُ والأصل تتبعه الفروع

وقال موسى بن عبدالله في وجوب عدم الثقة بالغير :

توَلت بَهْجة الدنيـا فكلُّ جديدِها خَلَقُ
وخان الناسُ كلهُـمُ فما أدري بمن أثـقُ
رأيتُ معـالم الخـير ات سُدّت دونها الطرُق
فلا أدبٌ ولا كـرمٌ ولا فضلٌ ولا خُلق
فلستُ مُصدّق الأقوا م في شيء وإن صدَقوا

وقال الأبيوَرْدي الأموي المتوفى سنة ٥٥٧ هـ بخراسان في تقلب الزمان

مَلكنا أقاليمَ البلاد فأذعنتْ لنا رغبةً أو رهْبة عظماؤها
فلما انتهت أيامنا علقت بنا شدائدُ أيامٍ قليل رخاؤها
وصِرْنا نلاقي النائباتِ بأوجه رقاق الحواشي كادَ يقطر ماؤها
إذا ماهممنا أن نَبوح بما جنَتْ علينا الليالي لم يَدعْنا حياؤها

وقال القاضي عبد الوهاب في دوام الخير بين الناس ما داموا درجات فإذا تساوَوْا هلكوا :

مَتى تَصلُ العطاشُ الى ارْتواءٍ   اذا استقت البحارُ من الرّكايا
ومَن يَثني الأصاغرَ عن مرادٍ   وقد جلس الأكابرُ في الزّوايا
وإنْ ترَفُّعَ الوُضعاء يومـاً   على الرُفعاء من إحدى البلايا
إذا استوَتِ الأسافلُ والأعالي   فقد طابت مُنادمـة المنـايا

وقال سعيد بن محمد في كون عمل الإنسان يدل على أصله :

ملكنا فكان العفوُ مِنـّا سَجيـّة   فلما ملكتمْ سالَ بالدّمِ أبطحُ
وحلـّلتُمُ قتل الأسارى وطالمـا   غـدَونا على الأسرى نَمُنُّ ونصفح
فحسبُكم هذا التفاوتُ بيننـا   وكل إناءٍ بالذي فيه يَنضـحُ

وقال مَعن بن أوْفى في لزوم التحفظ بآثار الآباء والجدود :

ورثنا المجدَ عن آباءِ صِدْقٍ   أسأنا في جوارهمُ الصنيعا
إذا المجدُ الرفيعُ توارَثته   بُناةُ السوءِ أوشك ان يضيعا

وقال الإمام الشافعي في المن والأذى وتعداد صنائع الإحسان :

لا تحْمِلَنّ لمنْ يَمُنُّ مِنَ الأنام عليك مِنّهْ
واخترْ لِنَفسِك حظـّها   واصبر فإن الصبر جنهْ
مِننُ الرجال على القلوبِ   أشدُّ من وقْعِ الأسِنهْ

وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني في وصف النفوس الأبية :

وقالوا توصَّلَ بالخضوع إلى الغِنى   وما علموا أن الخضوع هو الفَقْرُ
وبيني وبين المال شيئان حرّما   عليّ الغنى : نفسيالأبيةُ والدهرُ
إذا قيلهذا اليسر أبصرتُدونـَهُ   مواقفَ خيرٌ من وقوفي بها العسرُ

وقال الشريف الرضي في كون المال خادماً للانسان :

اشتَرِ العِـزّ بمـا بيـع فمـا العزُّ بغـالِ

لَيسَ بالمَغبُونِ عقلاً مُشترٍ عِزّاً بمالِ
إنما يُدّخَرُ المالُ لحاجاتِ الرجالِ
والفتى مَن جَعلَ الأموالَ أثمانَ المعالي

وقال أبو تمام في كون العز والمجد لا يُنالان إلا بالتعب والجد :

قد عَلِمنا أنْ ليس إلا بشقّ النفس صار الكريمُ يُدعى كريما
طلب المجد يورث المرءَ خبلا وهموماً تقَضْقِضُ الحيزوما
فتراه وهوَ الخَليّ شجيّاً وتراه وهو الصحيحُ سقيما
تَيَّمَتْهُ العلى فليس يَعُدُّ البؤس بُؤساً ولا النعيم نَعيما

وقال مخيّس بن أرطأة في لزوم تجنُّب الإنسان كلّ ما يُعاب :

عَرَضْتُ نَصيحةً مني ليحيى فقال غَشَشْتَني والنصحُ مُرُّ
وما بي أن أكونَ أعيبَ يَحيى ويَحيى طاهرُ الأخلاق بَرُّ
ولكن قد أتاني ان يحيى يُقال عليه بقاءَ شَرُّ
فقلتُ له تجنَّبْ كل شيء يُعابُ عليك إن الحرّ حُرُّ

وقال ابن هانىء (متنبي الغرب) في : أن ليس للانسان إلا ما سعى :

ولم أجدِ الإنسانَ إلا ابنَ سعيهِ فمن كان أسعى كان بالمجدِ أجْدَرا
وبالهمةِ العلياء ترقى إلى العلى فمنْ كانَ أعلى همة كان أظهرا
ولم يَتأخَّر مَنْ أراد تَقَدّما ولم يَتقدّمْ مَن أرادا تأخّرا

وقال بعضهم في كون التقليد في الخير فضيلة :

إذا أعجبتكَ خِلالُ امرىء فكنْه تكنْ مثلَ منْ يعجبك
وليسَ على المجد والمكرماتِ إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

وقال أبو روح ظفر بن عبدالله في الهمة والعزيمة الماضية :

السيف يَعلم أن لي في حَدّه سِرّاً نَهاه الدهر عن إفشائهِ
والدهر يَعلم أنلي في صَدْره ناراً مضرمة على أحشائهِ

ولوأنّ أطرافَ السّيوفِ وفينَ لي	لأخذتُ حقّ الدّهرِ من أبنائه
همَمٌ مؤرّقةٌ جفوف كلّما	أرخَى الظلامُ عليّ ذيلَ خبائه
همَمُ النفوس منوطةٌ بمنائها	والمرءُ يخدَعه لسانُ رجائه

وقال عمارة اليمني المتوفى سنة ٦٦٩ في الشجاعة والإقدام :

العلمُ مذ كان محتاجٌ إلى العلمِ	وشفرةُ السّيف تستغني عن القلم
وخيرُ خيلك إن غامرتَ في شرف	عزمٌ يفرّقُ بين السّاق والقدَم
لا يُدركُ المجدَ إلا كلُّ مقتحمٍ	في موجِ ملتطِمٍ أو فوجِ مضطرم
وربّ أمرٍ يهاب الناس غايتَه	والأمر أهوَنُ فيه من يَدٍ لفَم
تَنمى قوى الشيء بالتّدريج إن رزقت	لطفاً ويقوى شِرارُ النّار بالصرمِ

وقال ابو الحسن التّهامي المتوفى سنة ٤١٦ هـ في الأدب العام :

لا تحمَدِ الدّهرَ في بأساء يكشفها	فلو أردتَ دوامَ البؤسِ لم يَدُمِ
فالدهرُ كالطيف بؤساهُ وأنعُمهُ	عن غير قصدٍ فلا تحمدْ ولا تلُمِ
لا تحسبنّ حسَبَ الآباء مكرُمة	لمن يُقصّرُ عن غايات مجدِهم
حسنُ الرّجال بحسناهم وفخرُهمُ	بطَوْلِهم في المعالي لا بطوْلهم
ما اغتابني حاسدٌ إلا شرفتُ به	فحاسدي منعِمٌ في زيّ منتقِم
فالله يكلأ حسّادي فأنعمُهُمْ	عندي وإنْ وقعت عن غير قصدهِم

وقال أبو تمام في كون المرء يجمع والزمان يفرق :

ولكنّني لم أحوِ دفراً مجمّعا	ففزتُ به إلا بشمْلٍ مبدّدِ
ولم تعطني الأيامُ نوماً مسكّناً	ألذّ بهِ إلا بنوْمٍ مشرّدِ
وطولُ مقامِ المرءِ في الحيّ مخلِقٌ	لديباجتيْه فاغتربْ تتجدّدِ
فإني رأيتُ الشمسَ زيدت محبّة	الى الناس أن ليست عليهم بسرمدِ
وليس يجلّي الكربَ رُمحٌ مسدّدٌ	إذا هوَ لمْ يؤنَسْ برأي مسدّد

وقال ابو تمام في كون الحركة بركة :

من أبَنَّ [١] البيوت أصبح في ثو ... بٍ من العيش ليس بالفضفاضِ
والفتى من تعرّفته الليــالي ... في الفيافي كالحيةِ النضناضِ
صلتانٌ اعداؤه حيثُ كانــوا ... في حديث من عزمه مستفاضِ
كلّ يوم له بصَرْفِ الليــالي ... فتكةٌ مثلَ فتكة البرّاضِ

وقال بعضهم في ان الأمور تسهل بالصبر والاطمئنان لا بالذل والهوان :

إذا ضيّقت أمراً ضاق جداً ... وإن هوّنت ما قد عزّ هانا
فلا تهلِكْ لشيء فات يأساً ... فــكم أمرٌ تصعب ثم لانا
سأصبرُ من رفيقي إن جفاني ... على كل الأذى الا الهوانا

وقال الحسين بن مطير في مكارم الأخلاق :

أحِبُّ مكارمِ الأخلاق جُهدي ... وأكره أن أعيبَ وأن أعابـــا
وأصفحُ عن سباب النّاس حِلماً ... وشَرُّ النّاسِ مَن يَهْوى السِّبابا
ومَنْ هابَ الرّجالَ تَهَيَّبوهُ ... ومَنْ حقَرَ الرّجالَ فلن يُهابا

وقال القطامي في التأني السّلامة وفي العجلة الندامة :

والنّاسُ مَن يَلقَ خيراً قائلون له ... ما يَشتهي، ولأم المُخطيء الهَبَلُ
قديُدرِكُ المُتأني بَعضَ حاجَتِهِ ... وقد يكون مع المستعجلِ الزّللُ
ورُبما فاتَ قَوْماً بعض أمرهم ... مِنَ التّأني وكان الحزمُ لوعجلوا
والعَيْشَ لا عيشَ الا ما تقَرُّ بهِ ... عينٌ ولا حالَ إلا سوف تَنتَقِلُ

وقال رجل من بني أسد في انه لا خير في ود يجيء تكلفاً :

وما أنا بالنـكس الدّنيّ ولا الذي ... إذا صدّ عني ذو المودةِ أحرَبُ
ولكني إن دُمْت وان يكن ... له مذهبٌ عَني فلي عنه مَذْهبُ

---

(١) ابن : لازم وأقام، والفضفاض بفتح الفاء الشيء الواسع والصلتان الراجل الجاد في أموره .

ألا إن خيرَ الودّ وُدٌ تطوّعت ... له النفس لا وُدٌ أتى وهو متعبُ

وقال القاضي الجرجاني في كون النفس الأبية لا تقبل الدنايا وتستقبل المنايا :

يقولون لي : فيك انقباضٌ وإنما ... رأوْا رجلاً عن موقف الذل أحجما
إذا قيل هذا منهلٌ قلت قد رأى ... ولكن نفس الحرّ تحتملُ الظما
ولم أبتذل في خِدْمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيتُ لكن لأخدما
أأشقى به غرساً ؟ وأجنيهِ ذلة ... إذنْ فاتباعُ الجهل قد كان أحزما

وقال البعيث بن حريث في كون كرامة الإنسان متوقفة على حفظ الأوطان :

وإن مسيري في البلادِ ومنزلي ... لبالمنزل الأقصى إذا لم أقَرَّبِ
ولستُ وإن قربت يوماً ببائع ... بلادي ولا ديني ابتغاء التحبب
ويعتده قوم كثير تجارة ... ويمنعني من ذاك ديني ومنصبي

وقال عمرو بن الأطنابة في اقتحام الأخطار لنيل الفخار :

أبت لي عفتي وأبى بلائي ... وأخذي الحمد بالثمن الربيح
وإقحامي على المكروه نفسي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقَولي كلما جشأتْ وجاشت ... رويدك تحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مآثر صالحات ... وأحمي بعدُ عن عِرْضٍ صحيح

وقال أبو تمام لا يستحق الشكر والحمد إلا من تعب وجد :

الحمد شهد لا ترى مشتارهُ ... يجنيه إلا من نقيع الحنظل
غلٌ لحامله ويحسبهُ الذي ... لم يوه عاتقهُ خفيفُ المحمل

وقال بعضهم في الفقير الصابر المتجمل بالعفاف والكفاف :

كم فاقة مستورة بمروءَة ... وضرورة قد غطيت بتجمل
ومن ابتسام تحتهُ قلبٌ شج ... قد خامرتهُ لَوْعة ما تنجلي

وقال أبو تمام في صدق اليقين :

قلوا ولكنَّهُمْ طابوا فأنجدهم جيشٌ من الصبرِ لا يُحصى له عدد
إذا رأوا للمنايا عارضاً لَبِسوا من اليَقين دُروعاً ما لها زَرَدُ

وقال هدبة العذري في وجوب وضع الشيء في موضعه :

ولا أتمنَّى الشرَّ والشرُّ تاركي ولكن متى أحمل على الشرّ أركبِ
ولستُ بمفراحٍ إذا الدهر سرني ولا جازعٍ من صرْفه المتقلّبِ

وقال بعضهم في وجوب الثبات على المبدأ :

قد عِشْتُ في الدهر أطواراً على طرق شتى وقاسيتُ فيها اللين والفظعا
كلاً بَلوْتُ فلا النعماء تُبطِرُني ولا تخشّعتُ من لأوائها جزَعا
لا يملأ الهَوْلُ صدري قبل موقعه ولا أضيقُ به ذَرْعاً إذا وقعا

عوِّد بنيك على الآداب في الصغر كيما تقرّ بهم عيناك في الكبرِ
فإنما مثلُ الآداب تجمعُها في عُنفوان الصبا كالنقش في الحجر
هي الكنوز التي تنمو ذخائرُها ولا يخاف عليها حادثُ الغيرِ
إن الأديب إذا زلتْ به قدمٌ يهوى على فرش الديباج والسُّرَرِ
الناس صِنفان : ذو علم ومُستمع واعٍ وسائرهم كاللغو والفكرِ

من لم يكن عقله مؤدِّبه لم يغنه واعظٌ من النسبِ
كم من وضيع الأصول في أمم قد سوَّدوه بالعقل والأدبِ

لا تيأسنَّ إذا ما كنت ذا أدب على خُمُولك أن ترقى إلى الفلك
فبينما الذهبُ الإبريز مختلطٌ بالترْبِ إذ صار إكليلاً على الملك

السبعُ سبعٌ ولو كلّتْ مخالبهُ والكلبُ كلبٌ ولو بين السباع رُبي
وهكذا الذهب الإبريز خالطهُ صفر النحاس وكان الفضل للذهب
لا يُعجبنك أثواب على رجل دع عنك أثوابه وانظر إلى الأدب

فالعود لو لم تَفُحْ منه روائحه   لم يفرق الناسُ بين العود والحطب
وليسَ يسودُ المرءُ إلا بنفسه   وإن عدَّ آباءً كراماً ذوي حسب
إذا العودُ لم يُثْمر ولو كان شعبةً   من المثمرات اعْتَدَّه الناس من حطب
قد ينفعُ الأدبُ الأحداثَ من صغر   وليسَ ينفعُ بعد الشيبة الأدب
إن الغصون إذا قومتها اعتدلت   ولن يلين إذا قوّمْتَهُ الخشب

وقال حاتم الطائي في الكرم :

أماويُّ إنّ المالَ غادٍ ورائحٌ   ويبقى من المال الأحاديثُ والذكرُ
أماويُّ إني لا أقولُ لسائلٍ   إذا جاءَ يوماً حلّ في مالنا النذْرُ
أماويُّ إما مانعٌ فَمُبَيِّنٌ   وإما عطاءٌ لا يُنَهْنِهُهُ الزَّجرُ
أماويُّ إن يصبح صداي بقفرةٍ   من الأرض لا ماءٌ لديَّ ولا خَمْرُ
ترى أن ما أنفقتُ لم يكُ ضَرَّني   وأن يَدَيَّ مِمّا بَخِلْتُ به صفرُ

وقال حاتم الطائي أيضاً في الإيثار :

وما أنا بالساعي بفضل زمامها   لتشرب ماء الحوض قبل الركائبِ
وما أنا بالطاوي حقيبة رَحلها   لأبعثها خفّاً وأترُك صاحبي
إذا كنت ربّاً للقلوص فلا تَدَعْ   رفيقك يمشي خلفها غيرَ راكب
أنخْها فأرْدِفْهُ فإن حملتكما   فذاك وإن كان العقابُ فعاقب

وقال بعض الشعراء المتقدمين في ذم الغيرة :

ما أحسن الغَيرة في حينها   وأقبح الغَيْرة في كلّ حينْ
منْ لم يَزَلْ مُتّهِماً عِرسه   مناصباً فيها لريْب الظنونْ
أوشك أن يُغريها بالذي   يخاف أن يبرزَها للعيونْ
حَسْبُكَ من تحصينها وَضعها   منك إلى عِرض صحيح ودينْ
لا تطّلع منك على ريبةٍ   فيتبعُ المقرونُ حبلَ القرينْ

وقال بعض الشعراء المتقدمين في كرم الضيافة :

أُضاحِكُ ضيفي قبل إنزال رَحله ... ويَخْصُبُ عندي والمحلُّ جديبُ
وما الخِصْبُ للأضيافِ أن يكثر القِرى ... ولكنما وَجْهُ الكريمِ خصيبُ

وقالت ليلى الأخيلية في العِفة :

وذي حاجةٍ قلنا له : لا تَبُحْ بها ... فليسَ إليها ما حييتَ سبيلُ
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه ... وأنت لأخرى صاحبٌ وخليلُ

وقال ابن الرومي في القناعة :

مرحباً بالكفافِ يأتي هنيئاً ... وعلى المتعباتِ ذَيلُ العفاءِ
ضلة لامرىءٍ يُشمِّر في الجمـ ... ـعِ لعيش مُشمِّر للفناءِ
دائباً يكنزُ القناطير للوا ... رث والعمر دائباً في انقضاءِ
يحسب الحظّ كُلَّه في يديه ... وهو منه على مدى الجَوزاء
ليس في أجل النعيم له حـ ... ـظ وما ذاقَ عاجل النعماءِ
ذلك الخائبُ الشّقيُّ وإنْ كا ... نَ يَرى أنه مِنَ السُّعداءِ
حَسْبُ ذي إربةٍ ورأيٍ جَليٍّ ... نظرت عينه بلا غلواءِ
صِحّة الدّين والجوارح والعِر ... ض وإحراز مُسْكة الحَوْباءِ
تِلكَ خيرٌ لعارفِ الجَدِّ مِمّا ... يجرع الناس من فضول الثراءِ

وقال بعض الشعراء المتقدمين في القناعة :

أحِبُّ الفتى ينفي الفواحِشَ سمعُه ... كأن به عن كلّ فاحشةٍ وقْرا
سليم دَواعي الصدر لا باسطاً أذى ... ولا مانعاً خيراً ولا قائلا هُجْرا
إذا ما أتت من صاحب لك زلة ... فكن أنت مُحتالاً لِزَلّته عُذرا
غنى النفس ما يكفيك من سدّ خلة ... فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقْرا

وقال بعض الشعراء المتقدمين في حب البنين :

لولا أميمة لم أجزع من العــدَم ... ولم أجُبْ في الليالي حندس الظلم
وزادني رغبة في العيش معرفتي ... أن اليتيمة يجفوها ذَوو الرحم
أحاذرُ الفقرَ يوماً أن يلم بهــا ... فيهتك الستر عن لحم وعن وضم
تهوى حياتي وأهوى موتها شفقـاً ... والموت أكرم نزال على الحرم

وقال مسكين في كتمان السر :

وفتيان صِدْق لستُ مُطلعَ بعضهم ... على سر بعض غير أني جِماعها
لكل امرىءٍ شِعب من القلب فارغ ... وموضع نجـوى لا يُرام اطلاعها
يظلون شتى في البـلاد وسِرُّهم ... إلى صخرة أعيى الرجالَ انصداعها

وقال أبو العتاهية في المغفرة :

إني شكرت لظالمي ظلمي ... وغفـرتُ ذاكَ له على علمي
ورأيته أسدى إليَّ يـداً ... لمّا أبان بجهـله حِلمي
رَجَعَت إساءَته عليه وإحســـاني فعاد مُضاعف الجُرم
وغدوتُ ذا أجْرٍ ومحمـدة ... وغدا بكسب الظلم والإثم
فكأنما الإحسان كان له ... وأنا المُسيء اليه في الحُكم
ما زال يظلمني وأرحمـه ... حتى بَكيت له من الظلم

وقال ابن مطير في إكرام النفس :

ومَنْ يَتتَّبع ما يُعجب النفس لم يزل ... مُطيعاً لها في فعل شيء يُضيرها
فنفسكَ أكْرِمْ من أمور كثيرة ... فما لكَ نفسٌ بعدها تستعيرهـا

وقال بشار في السعادة :

وما خابَ بين الله والناس عامِلٌ ... له في التقى وفي المحامد سـوقُ
ولا ضاق فضل الله عن مُتَعَفِّفٍ ... ولكن أخلاق الرجال تضيـقُ

وقال أبو تمام في الصداقة الكاذبة :

إن شئت أن يسود ظنك كله فأجله في هذا السواد الأعظم
ليس الصديق بمَنْ يعيرك ظاهراً متبسماً عن باطن متجهم

وقال بعض الشعراء المحدثين في الثقة :

فيَّ انقباضٌ وحشمة فإذا صادفتُ أهلَ الوفاءِ والكرمِ
أرسلتُ نفسي على سَجيّتها وقلتُ ما قلتُ غير مُحْتَشِمِ

وقال أبو تمام في القناعة :

من زاحفَ الأيام ثم عبا لها غير القناعة لم يزل مَفلولا
من كان مَرعى عَزمهِ وهمومه روض الأماني لم يزل مهزولا
لو جاز سلطان القنوع وحكمه في الأرض ما كان القليلُ قليلا

وقال أبو العلاء المعري في الخمر :

أيأتي نبيٌّ يجعل الخمرَ طَلْقةً فتحمل شيئاً من همومي وأحزاني
وهيهات لو حلّتْ لما كنتُ شارباً مخففةً في الحلم كفة ميزاني

وله أيضاً في أن الملك أجير الرعية :

مُلَّ المقامُ فكم أُعاشِرُ أمّةً أمَرَت بغير صلاحها أُمَراؤها
ظلموا الرّعيّة واستجازوا كيدها فَعَدَوْا مصالحها وهم أجراؤها

وقال أيضاً في رياء الوُعّاظ :

رُوَيْدَكَ قد غُرِرْتَ وأنت حُرٌّ بصاحب حيلة يعظ النساء
يُحَرِّمُ فيكم الصهباءَ صبحاً ويشربها على عمد مساء
يقول لكم : غَدَوْتُ بلا كساء وفي لذّاتها رهن الكساء
إذا فعلَ الفتى ما عنهُ يَنْهى فمن جهتين ، لا جهةٍ ، أساء

وله أيضاً :

إذا كان علمُ الناس ليس بنافــع ولا دافعٍ ، فالخُسْرُ للعلماء
قضى الله فينـــا بالذي هو كائن فتَمّ وضاعت حكمة الحكماء

وله أيضاً في سلطان العقل :

يرتجي الناس أن يقومَ إمامٌ ناطق في الكتيبةِ الخرساء
كذب الظن لا إمامَ سوى العقـــل مُشيراً في صُبحهِ والمساء
إنمــا هذه المذاهبُ أسبا بٌ لجلب الدنيا إلى الرؤساء

وله أيضاً في رياء العُبّاد :

لعَلّ أناساً في المحاريبِ خَوّفوا بآيٍ، كناسٍ في المشارب أطْربوا
إذا رامَ كيداً بالصلاة مُقيمُها فتاركُها عمداً إلى الله أقربُ

وله أيضاً :

أيا جَسَدَ المرءِ ماذا دهــا كَ وقد كُنتَ من عنصرٍ طيب
تصيرُ طَهوراً اذا مـــا رَجَعْــتَ إلى الأصل كالمطر الصيب

وقال أيضاً في قسمة الأرزاق :

لقد جاءَنا هـــذا الشتاء وتحته فقيرٌ مُعَرّى أو أمير مُدَرّجُ
وقد يُرْزق المجدود أقوات أمةٍ ويُحرم قوتاً واحدٌ وهو أحوَجُ

وقال أيضاً في ذم البطالة :

ويُعجبني دأبُ الذين ترَهّبوا سوى أكلهم كدّ النفوس الشحائح
فما حبسَ النفس المسيحَ تعَبُّداً ولكن مَشى في الأرض مشية سائح

وقال أيضاً في الرّفق بالحيوان :

قد رابَني مَغدىَ الفقير بجهـله على العَيْرِ ضرباً ساءَ ما يتقلّدُ
يحمّــله ما لا يطيق فإن ونى أحــال على ذي فَترة يَتجلّدُ

وله أيضاً في أين الحقيقة :

نفارق العيشَ لم نظفر بمعرفة أيُّ المعاني بأهل الأرض مقصود
لم يعطنا العلمَ أخبارٌ يجيءُ بها نقلٌ ولا كوكبٌ في الأرض مرصود
وابيضّ ما اخضر من نبت الزمان بنا وكلّ زَرْعٍ إذا ما هاجَ محصود

وقال أيضاً في حقيقة الايمان :

ما الخيرُ صومٌ يذوبُ الصائمون له ولا صلاة ولا صُوف على الجسد
وإنما هو ترك الشرّ مُطّرَحاً ونَفضُكَ الصّدْرَ من غِلٍ ومن حَسَد

وقال أيضاً في خرافات النساء :

سألَتْ مُنجّمها عن الطفل الذي في المهد كم عائِشٌ من دهره ؟
فأجابها مائة ، ليأخذ درهماً وأتى الحِمامُ وليدها في شهره !

وقال أيضاً في راحة الموت :

قدِمَ الفتى ومضى بغير تَثبّتٍ كهلال أوّل ليلة من شهره
لقد استراح من الحياة مُعَجّلٌ لو عاش كابدَ شِدّةً في دهره

وقال أيضاً في العفة :

أحْسِنْ جِواراً للفتاة وعُدّها أختَ السماك على دُنُوّ الدار
كتجاور العينين لن تَتَلاقيا وحجاز بينهما قَصيرُ جدار

وقال أيضاً في بقاءِ الملك :

مضى الأنام فلولا علم حالهم لقلت قول زُهَيرٍ آية سلكوا
في الملك لم يخرجوا عنه ولا انتقلوا منه فكيف اعتقادي أنهم هلكوا

وقال أيضاً في الصبر والأذى :

إذا قال فيك الناس ما لا تحبّه فصبراً يفيء ود العدو إليكا
وقد نطقوا مَيْناً على الله وافتروا فما لهمُ لا يفترون عليكا

الدين المعاملة ، للمعري أيضاً :

سَبِّح وصلِّ وطُفْ بمكة زائراً سبعين لا سبعاً فلستَ بناسكِ
جَهِلَ الديانة مَنْ إذا عَرضتْ له أطماعــه لم يُلْفَ بالمتماسكِ

قتل الأفراد ، وقتل الأمم ، للمرحوم أديب بك إسحاق :

قَتلُ امرىءٍ في غابةٍ جريمــة لا تُغتَفَرْ
وقَتــل شَعب آمنٍ مسألةٌ فيهــا نظــرْ
والحــقُّ للقوّةِ لا يُعطاها إلا مَن ظَفِرْ
ذي حالة الدنيا فكن من شَرّها على حَذَرْ

الوطن ، لابن الرومي :

وطنٌ به صَحِبتُ الشبيبةَ والصِّبا ولبستُ ثوبَ العيشِ وهو جديدُ
فإذا تمثل في الضمير رأيتُــه وعليه أغصان الشباب تميــد

البنات ، لِمَعْن بن أوْس :

رأيتُ رجالاً يكرهونَ بناتهم وفيهِنّ لا نغلو نساءٌ صوالحُ
وفيهنّ والأيامُ يعثرنَ بالفتى عوائد لا يَمللنَهــا ونوائحُ

الكرم ، للبستي :

فسامح ، ولا تستَوْفِ حقك كله وأبقِ فلم يستقصِ قط كريمُ
ولا تغلُ في شيء من الأمر واقتصِد كِلا طرَفيْ قصدِ الأمور ذميمُ

الشهيد حيٌّ ، والميت هو خائن الوطن ، للأمير الجليل شكيب أرسلان :

بالله لا تَنــدبوا قَتلي ، ولا تهنــوا
بعدي ، ولا تغرقوا في النَّوْح والحزنِ
إنّ الشهيدَ لَحَيٌّ عند خالقه وإنما الميتُ حقاً خائنُ الوَطنِ

الدواة ، للمرحوم إسماعيل صبري باشا :

يادَواةُ اجعلي مِدادَك وِرداً لوفود الأقلام حينــاً فحينا

وليكن كالزمان حالاً وحالا تارةً آسياً وأخرى مَعينا
أكرمي العلم وامنحي خادميه ماءك الغاليَ النفيسَ الثمينا
وابذُلي الصافيَ المطهّرَ منه لهُداة السرائر المرشدينا
وإذا الظلمُ والظلام استعانا يوم نحس ٍ بأجهل الجاهلينا
واستمدّ من الشرور مِداداً فاجعليه من قِسْمة الظالمينا
واقذفي النقطة التي بات فيها غضبُ القاهر المُذِلّ كمينا
لِيراعِ امرىءٍ إذا خطّ سطراً نبذَ الحق وارتضى المَيْنَ دينا
وإذا كان فيكِ نقطةُ سوءٍ كوّنتْ من خباثةٍ تكوينا
فاجعليها قِسطَ الذين استباحوا في السياسات حُرمةَ الأضعفينا
وإذا خِفتِ أن يكون من الصخـر جلاميدُ ترجمُ السامعينا
فابخلي بالمِداد بخلاً وإن أُعطيت فيه المئينَ ثم المئينا
فإذا أعوز المدادُ طبيباً يصف الداءَ دائباً مستعينا
فامنحيه المرادَ منا وعرفاً واستطيبي معونة المحسنينا
واذا مهجة الحمائم أسدتْ نقطةً سِرّها الذكي المصونا
فاجعليها على المودّات وقفاً وهَبيها رسائلَ الشيّقينا
فإذا لم تكن بقلبكِ الا ما أعدّ الاخلاص للمخلصينا
فاجعليه حظي لأكتبَ منه شرحَ حالي (لسيد المرسلينا)

القمار ، للشيخ نجيب الحداد المتوفى سنة ١٨٩٩ م من قصيده طويلة :

لكلٍّ نقيصةٍ في النار عار وشرُّ مصائب المرء القمارُ
هو الداء الذي لا بُرءَ منه وليس لذنب صاحبه اغتفار
تشادُ له المنازل شاهقات وفي تشييد ساحتِها الدمار
تصيب النازلين بها سُهادٌ وافلاسٌ فيأسٌ فانتحار

الوطنية للشاعر المرحوم مصطفى أفندي صادق الرافعي المتوفى سنة ١٩٣٧ م:

بلادي هواها في لساني وفي دمي ... يمجدها قلبي ويدعو لها فمي
ولا خيرَ فيمن لا يُحب بلادَه ... ولا في حليف الحبّ إن لم يُتيم

الرجوع الى الحق خير من التمادي في الباطل : للمرحوم مصطفى لطفي المنفلوطي المتوفى سنة ١٣٤٣ ه :

اذا ما سَفيه نالني منه نائلٌ ... من الذم لم يُحرجْ بموقفه صدري
أعودُ الى نفسي فإن كان صادقاً ... عتبت على نفسي وأصلحتُ من أمري
والا فما ذنبي الى الناس ان طغى ... هواها فما ترضى بخير ولا شرّ

النفس الابية للشاعر الكبير أحمد أفندي نسيم :

ولم أدّرع بالذُّلّ شيمة حازم ... عن العز والعَلياء لا يتنكبُ
كذا أنا يا نفسي فكوني أبيّة ... ومالكِ الا مذهبُ الفضل مذهب

الجمال : لشاعر النجف بالعراق الشيخ محمد رضا الشبيبي :

لقد عصفتْ بالمكرُمات زعازعٌ ... وعفّت رسومَ الاكرمينَ رياحُ
اذا أظلمت أخلاقنا وتجهّمتْ ... فهل نافعٌ أن الوجوه ملاح

الادب : للمرحوم محمد أفندي امام المتوفى سنة ١٩١٧ م :

لم يثبت الخير مال ولا نسَب ... انما الخير كل الخير في الادبِ
مَزيةٌ تملأ الدنيا محاسنها ... سُلم لكمال الفضل والحسبِ

الحكام : للمرحوم السيد توفيق البكري المتوفى سنة ١٣٥٣ ه :

حُكم الألى يحكمون الناس يُضحكني ... وسوءُ فعلهمُ في الناس يُبكيني
ما الذنب قد عاث بين الضأن أفتك من ... هذي الولاةِ بهاتيك المساكينِ

نشر العلم : لشاعر العراق الفيلسوف المرحوم جميل الزهاوي المتوفى سنة ١٩٣٦ م :

اذا كان نشر العلم ذَنباً مُعاقباً ... عليه فإني أشهدُ الله مذنب

الثبات على المبدأ . لشاعر الشام أسعد أفندي رستم :

لا بدّ للمرء مما ليس يُرضيه اذا تداخل فيما ليس يَعنيه
فابدأ بتحسين مبدا أنت صاحبه فالمرء يُعرف أصلاً من مباديه

طلب المحال : للشاعر الجليل أحمد أفندي محرم :

صَرفت رجائي عن مطالبَ جمةٍ وليس الذي يَرجو المحالَ بكيّسِ
أقول لنفسي والاسى ليثيرها مكانك ان النفسَ بالنفس تأتسي

وقال محمد بن بشير في الصبر الجميل :

ان الامور اذا انسدتْ مسالكها فالصبر يَفتق منها كل ما ارْتتجا
لا تيأسنّ وان طالت مطالبه اذا استَعنت بصبر أن ترى فرجا
أخلقْ بذي الصبر أن يحظى بحاجته ومُدمِنِ القرع للأبواب أن يَلجا
قدّر لرجلك قبل الخطو موضعها فمنْ علا زلقا عن غرّةٍ زلجا
ولا يَغرّنك صفو أنت شاربه فرُبما كان بالتكدير مُمتزجا

وقال الأضبط بن قريع في الادب العام :

لِكلّ ضيق من الأمر سعَهْ والصبحُ والمسا لا فلاح معهْ
قد يجمع المالَ غير آكِله ويأكل المالَ غيرُ من جمعَهْ
ويقطع الثوبَ غيرُ لابسه ويلبَس الثوبَ غيرُ من قطعهْ
فاقبل من الدهر ما أتاك به من قرّ عينا بعيْشه نفعهْ
وصِلْ حِبال البعيد ان وصَلَ الحَبلَ وَأقص القريب ان قطعَهْ
لا تعادِ الفقير عَلكَ أن تركعَ يوماً والدهر قد رفعَهْ

وقال عبيد بن الأبرص الأسدي أحد فحول شعراء الجاهلية في الصبر

صَبّر النفس عند كلّ مُلِم ان في الصبر حيلةَ المحتال
لا تَضيقنّ بالأمور فقد تكشفُ غماؤها بغير احتيالِ
ربما تكره النفوسُ من الأمر فرْجة كحَل العقال

الباب الثاني عشر في الصبر والتأني

تصبّر ففي اللأواء قد يحمدُ الصبرُ ولولا صُروف الدهر لم يُعرف الحرُ
وإن الذي أبلى هو العون فانتدبْ جميل الرّضا يبقى لك الذكر والأجرُ
وثِق بالذي أعطى ولا تك جازعاً فليس بحزمٍ أن يروّعك الضّرُّ
فلا نعَمٌ تبقى ولا نقمٌ ولا يدوم كلا الحالين عُسر ولا يسر
تقلب هـذا الأمر ليس بدائم لديه مع الأيام حُـلو ولا مر
اصبر على مضض الادلاج في السحر وفي الرواح إلى الطاعات في البُكر
إني رأيتُ وفي الأيام تجربـة للصبر عـاقبة محمودةُ الأثرِ
وقلّ من جدَّ في أمر يؤمّـله واستصحب الصبر إلا فازَ بالظفر

عليك بإظهار التجـلد للعِدى ولا تظهرن منك الذبول فتحقرا
أما تنظرُ الرّيحـان يشمُ ناضراً ويُطرحُ في البيـدا إذا ما تغيرا

صـبراً على نُوب الزّمـا ن وإن أبى القلبُ الجريحُ
فلكلّ شيء آخِـر إما جميـل أو قبيـحُ

الدهر أدّبني والصـبر رباني والقوت أقنعني واليأس أغناني
وحنّكتني من الأيام تجْربـة حتى نهيتُ الذي قد كان ينهاني

إني رأيت الصبرَ خيرَ مُعـوّل في النّائبات لمن أراد معولا
ورأيتُ اسباب القناعة أكّدت بعُرى الغِنى فجعلتها ليَ مَعقلا
فإذا نَبا بيَ منزل جـاوزتُه وجعلت من غيره ليَ منزِلا
واذا غـلا شيءٌ عليّ تركته فيكون أرخص ما يكون اذا غلا

اذا ما أتاك الدهر يومـاً بنكبةٍ فأفرغْ لها صبراً وأوسعْ لها صدرا
فإن تَصاريف الزمان عجيبة فيوماً ترى يُسراً ويوماً ترى عُسرا

على قدْر فضل المرء تأتي خطوبه ويُحمدُ منه الصبْر مِمّا يُصيبهُ
فمن قلّ فيما يَتـّقيه اصطبــاره لقد قـلّ فيما يرتجيــه نصيبهُ

اصبر قليلاً فبَعْدَ العُسر تيسيرُ وكلّ وقتٍ له أمْرٌ وتدْبيرُ
وللمهيمن في حالاتنــا نظر وفوق تدبيرنا لله تَدْبيرُ

اصبرْ ففي الصّبرِ خيرٌ لو علمت به لكنت باركت شكراً صاحب النعم
واعـلم بأنك ان لم تصطبر كرمـاً صبرْتَ قهراً على ما خطّ بالقلـم

كنْ حليماً اذا بُليتَ بغيظٍ وصَبُوراً إذا أتتك مُصيبــهْ
فالليالي من الزّمـان حبالى مُثقَلاتٌ يَلدْن كلّ عَجيبــهْ

تصَبّرْ أيها العبــدُ اللبيبُ لعلك بعد صبرك مــا تخيب
وكلّ الحادثات وان تناهتْ يكون وراءهــا فرَجٌ قريب

أيا صاحبي ان رمت أن تكسب العُلا وترقى الى العَلياءِ غير مَزاحم
عليك بحسن الصبْر في كلّ حالة فما صابر فيما يَرُومُ بنــادم

بَنى الله للأخيــار بيتاً سماؤه همومٌ وأحزانٌ وحيطانُه الصبر
وأدخَلهم فيه وأغلقَ بابَــه وقال لهم مِفتاحُ بابكمُ الصبر

اصــبرْ قليلاً وكن بالله مُعتصما لا تعجلنّ فإن العَجز بالعَجَل
الصبر مثل اسمه في كل نائبة لكن عواقبه أحلى من العَسَل

اذا جَرحَت مساويهم فؤادي صبرْتُ على الاسـاءة وانطويتُ
وجئتُ اليهمُ طلق المُحيّا كأني لا سمعتُ ولا رأيتُ

تأنّ ولا تَضيق للأمر ذَرعـاً فـكم بالنّجح يَظفر مَنْ تأنـّى
تأنّ فحَيثما المَرْءُ تــأنـّى يَنـلْ نجْحاً ويُدْرِكُ مــا تمنى

تأنّ ولا تعجَل بِلَوْمك صاحباً لعَلّ له عذراً وأنتَ تلومُ

الباب الثالث عشر في الصدق

الصدق عز فلا تعدل عن الصدق   واحذر من الكذب المذموم في الخلق

عليك بالصدق ولو أنه   أحرقك الصدق بنار الوعيد

عليك بالصدق في كل الأمور ولا   تكذب فأقبح ما يزري بك الكذب

الباب الرابع عشر في الكذب

لي حيلة فيمن ينم وليس للكذاب حيله
من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليله

نعم نعم انما النمام ذو ضرر   لكنما الكاذب الجاني أشد ضرر
أخو النميمة إن يسمع ينم ومن   يكذب يقل ما يشاء قولا بغير أثر
لذاك لي حيلة في من ينم وما   لي حيلة في كذوب ملء فيه شرر

لي حيلة في من ينم فإنني   أطوي حديثي دونه وخطابي
لكنما الكذاب يخلق قوله   ما حيلتي في المفتري الكذاب

لا يكذب المرء الا من مهانته   أو فعله السوء، أو من قلة الأدب
لبعض جيفة كلب خير رائحة   من كذبة المرء في جد وفي لعب

اياك من كذب الكذوب وافكه   فلربما مزج اليقين بشكه
ولربما كذب امرؤ بكلامه   وبصمته وبكائه وبضحكه

اذا عرف الانسان بالكذب لم يزل   لدى الناس كذاباً ولو كان صادقا
فان قال لم تصغ له جلساؤه   ولم يسمعوا منه ولو كان ناطقا

الباب الخامس عشر في التواضع

ان شئت أن تبني بناء شامخاً   يلزم لذا البنيان أس راسخ
ان البناء هو الكمال وأسه الـ   صخري فهو الاتضاع الباذخ

تواضع لرب العرش علك ترفعُ فما خاب عبدٌ للمهيمن يخضعُ
تواضعْ تكنْ كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيعُ
ولا تكُ كالدخان يعلو بنفسه الى طبقات الجو وهو وضيع
اذا شئت أن تزداد قدراً ورفعة فلن وتواضع واترُكِ الكبر والعجبا
تواضع اذاما نلتَ في الناس رفعة فان رفيع القوْم من يتواضعُ

الباب السادس عشر في الكرم والكرماء

ونكرم ضيفنـــا ما دام فينا ونتبعه الكرامة حيثُ مالا
فتى كملت خيراتـــه غير أنه جوادٌ فما يبقي من المال باقيا
ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم في المنزل الخشنِ
أبى الجود في الدنيا سواك لأنـه تفرّع من جود وأنت أبو الجودِ
ان الكريم الذي لا مال في يده مثلُ الشجاع الذي في كفه شللُ
والمال مثل الحصى ما دام في يدنا فليس ينفعُ الا حين ينتقلُ
لو أشبهتك بحار الأرض في كرم لأصبح الدرُّ مطروحاً على الطرُقِ
أو أشبه الغيثُ جوداً منك منهملا لم ينجُ في الأرض مخلوقٌ من الغرق
من قاسَ جدْواك بالغمام فما أنصف في الحـكم بين شكلين
أنت اذا جدْت ضاحكٌ أبداً وهو اذا جاد دامعُ العـين
مـــا نوال الغمام وقت ربيع كنوال الأمير وقت سخاء
فنوالُ الأمـــير بدرةُ مال ونوالُ الغمام قطرَةُ مـــاء

الباب السابع عشر في البخل والبخلاء

يفنى البخيل بجمع المال مدّته وللحوادث والايام مـا يدعُ
كدودة القز ما تبنيه يهدُمها وغيرها بالذي تبنيه ينتفـع

إن هذا الفتى يصون رغيفاً ... ما إليه من ناظر من سبيل
في جراب في جوف تابوت موسى ... والمفاتيح عند ميكائيل

شرابك مختوم وخُبزك لا يُرى ... ولحمك بين الفرقدين مُعلق
نديمك عطشانٌ وضيفك جائعٌ ... وكلبك نباح وبابكَ مُغلق

نوالك دونه شَوْك القتاد ... وخبزك كالثريّا في البعاد
ولو أبصرت ضيفاً في منام ... لحرّمت الرقاد على العباد

قدشاب رأسي ورأس الدهر لم يشب ... إن الحريص على الدنيا لفي تعب

وذي حرص تراه يلمّ وفراً ... لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسك وهو هاوٍ ... فريسته ليأكلها سواه

حسبي بعلمي إن نفع ... ما الذل إلا في الطمعْ
من راقب الله نزعْ ... عن سوء ما كان صنعْ
ما طار طيرٌ وارتفع ... إلا كما طار وقع

أصبحت أجوع خلق الله كلهم ... وأفزع الناس من خبز إذا وُضعا
خبزُ البخيل لمكتوب عليه ألا ... لا بارك الله في ضَيف إذا شبعا

إياك والحرص إن الحرص متْعبةٌ ... فإن فعلت فراع القصد في الطلبِ
قد يرْزق المرءُ لم تتعب رواحلهُ ... ويحرمُ المرء ذو الأسفار والتعب

إذا كسر الرغيف بكى عليه ... بكاء الخنساء إذ فجعَتْ بصَخْر
ودون رغيفهِ قلعُ الثنايا ... وضَربٌ مثل وقعة يوم بدر

تغير إذ دخلتُ عليه حتى ... فطنْتُ فقلتُ في عرض المقالِ
عليَّ اليوم نذرٌ من صيامٍ ... فأشرق وجههُ مثل الهلالِ

رغيف في الحجاب عليه قفلٌ ... وحُرّاسٌ وأبوابٌ منيعَه
رأى في بيته ضَيفٌ رغيفا ... فقال لضيفهِ هذا وديعَه

رأى «الصيف» مكتوباً على باب داره فصحفه «ضَيفاً» فقامَ إلى السيف
فقلنا له «خيراً» فظنّ بأننا نقول له «خُبزاً» فمات من الخوف

وقال أبو محمد إسحاق الموصلي المتوفى سنة ٢٣٥ ﻫ في ذمّ البُخل:

وآمرة بالبُخل قلتُ لها اقصري فليس إلى ما تأمُرين سبيلُ
أرى الناس خُلان الجواد ولاأرى بخيلاً له في العالمين خليل
وإني رأيت البخل يُزري بأهله فأكرمتُ نفسي أن يقال بخيلُ
ومن خير حالاتِ الفتى لو علمتِه إذا نال شيئاً أن يكون ينيلُ
عطائي عطاءُ المكثرين تجمُّلا ومالي كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقرَ أو أحرم الغِنى ورأيُ أمير المؤمنين جميل

* * *

الباب الثامن عشر في وصف الدنيا

أيا مَن عاش في الدنيا طويلاً وأفنى العُمرَ في قيل وقال
وأتعب نفسه في ما سيفنى وجمع من حرامٍ أو حَلالٍ
هب الدنيا تُقادُ إليك عفواً أليس مصيرُ ذاك إلى انتقال

إن لله عباداً فطنا طلقوا الدنيا وعافوا الفِتَنا
فكرُوا فيها فلما علِموا أنها ليست لحيٍّ وطنا
جعلوها لُجة واتخذوا صالح الأعمال فيها سُفنا

عجبتُ للمرء في دُنياه تُطمِعُه في العيش، والأجلُ المحتوم يقطعُه
يُمسي ويُصْبح في عشواء يخبطها أعمى البصيرة والآمالُ تخدعُه
يغتر بالدهر مسروراً بصحبته وقد تيقّن أن الدّهر يُصرّعه
ويجمع المال حرصاً لا يُفارقه وما دَرى أنه للغير يجمعه
تراه يُشْفِقُ من تضييع درهمه وليس يُشفق من دين يضيعه

وأسوأ الناس تدبيراً لعاقبـــة　　من أنفق العمر في ما ليس ينفعهُ

ألا إنما الدنيا كأحلام نائـــمٍ　　وما خيرُ عيش لا يكون بدائـــم
تأمـــل إذا نلتَ بالأمر لذةً　　فأفنيتها هل أنت إلا كحالِم ؟

ومن يذق الدنيا فإني طعِمتها　　وسيق إلينا عذبُها وعذابُها
فلم أرَها إلا غروراً وباطــلا　　كما لاح في ظهر الفلاة سرابُهـــا
وما هي إلا جيفةٌ مستحيـــلة　　عليها كِلابٌ همهنّ اجتذابهـــا
فإن تجتنبها كنت سِلماً لأهلهـــا　　وإن تجتذبهـــا نازعتك كلابهـــا
فدع عنك فضلات الأمور فإنها　　حرام على نفس التقيّ ارتكابها

ومن يحمد الدنيا لشيء يسُرُّه　　فسوف لعمري عن قليل يلومُها
إذا أدبرت كانت على المرء حسرةً　　وإن أقبلَت كانت كثيراً همومُها

هي الدنيا تقولُ بملء فيهـــا　　حذارِ حذارِ من بطشي وفتكي
فلا يغرُركموا مِـــني ابتسامٌ　　فقولي مُضحك والفعل مُبكي

يا خاطبَ الدنيا الدّنية إنهـــا　　شرَكُ الرَّدى وقرارة الأقذار
دار متى ما أضحكت في يومها　　أبكت غداً ، تبّاً لهـــا من دار

الباب التاسع عشر في الأسرار

ولستُ بمُبْدٍ للرجال سريرتي　　ولا أنا عـن أسرارهم بسؤول

لا يكتم السّرّ إلا كل ذي ثِقـةٍ　　والسر عند خيار الناس مكتوم
فالسّر عنديَ في بيت له غلق　　ضاعت مفاتيحه والبابُ مختومُ

صن السر عن مُستخـــبر　　وحاذر فما الرأيُ إلا الحـذَرْ
أسيرُك سِرّك إن صنتَـــه　　وأنت أسير له إن ظهـــر

كل علم ليس في القِرطاس ضاع　　كل سر جـــاوز الإثنين شاع

إذا لم يكن في الورى صاحب ... وفيه ثلاثُ خصال حميده
وفاءٌ وسرٌ ، وحفظُ الولا ... فصُحبته قط ليست مفيده

الباب العشرون في اللسان

لا يُعجبنك من خطيب خطبةٌ ... حتى يكون مع الكلام أصيلا
إن الكلامَ لفي الفؤادِ وإنما ... جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

يُصاب الفتى من عثرةٍ بلسانه ... وليس يصاب المرء من عثرة الرِّجل
فعثرته في القول تُذهبُ رأسه ... وعثرته بالرجل تبرا على مهل

احفظ لسانك أيها الإنسانُ ... لا يَلدغنك إنه ثعبانُ
كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعانُ

الصمت زَين والسكوت سلامة ... فإذا نطقتَ فلا تكن مكثارا
فإذا نَدمت على سكوتك مَرّة ... فلتندَمنَّ على الكلام مرارا

إن القليل من الكلام بأهله ... حسن وإن كثيره ممقوت
ما زَلَّ ذو صمت وما من مكثر ... إلا يَزلّ وما يعاب صَموت
إن كان ينطق ناطق من فضة ... فالصمت درٌ زانه الياقوت

احفظ لسانك واستعذ من شره ... إن اللسان هو العدُو الكاشح
وزن الكلام إذا نطقت بمجلس ... فإذا استوَى فهناك حلمك راجح

عوّد لسانك قول الخير تَنج به ... من زلة اللفظ أو من زلة القدم
واحذرْ لسانك من خِل تنادمه ... إن النديمَ لمشتقٌ من الندَم

الباب الحادي والعشرون في المعاشرة

إذا المرء لا يَراك إلا تكلفاً ... فدَعْه ولا تُكثرْ عليه التأسفا
ففي الناس أبدال وفي الترك راحة ... وفي القلب صبر للحبيب ولو جَفا
فما كل مَن تهواهُ يهواك قلبه ... ولا كل مَن صافيته لك قد صفا

إذا لم يكن صفوُ الوداد طبيعة ... فــلا خير في وُدٍّ يجيء تكلفا
ولا خير في خِلٍّ يخونُ خليله ... ويَلقاه من بعد المودّة بالجفا
وينكرُ عيشاً قد تقادَم عهده ... ويظهر سراً كان بالأمس قد خفا
سلامٌ على الدنيا إذا لم يكن بها ... صديق صدوق صادق الوعد منصفا

صافِ الكرامَ فخير مَن صافيتَه ... مَنْ كان ذا أدبٍ وكان ظريفا
واحذرْ مؤاخاة اللئيم فإنــه ... يُبدي القبيح ويُنكر المعروفا
إن الكريمَ وإن تضعضع حالُه ... فالخُلُقُ منه لا يزال شريفا
والناس مثل دراهمٍ قلّبْتَهـا ... فأصبت منها فضة وزيوفا

ولن يصحَبَ الإنسان إلا نظيره ... وإن لم يكونا من قبيل ولا بلد
وما الغيُّ إلا أن تصاحب غاوياً ... وما الرشد الا أن تصاحب ذا رَشَد

أخو الفِسق لا يغرُرك منه توددٌ ... فكل حبال الفاسقين مَهينُ
وصاحب اذا ما كنت يوماً مصاحباً ... أخا ثقة بالغيب منك أمين

اجعل قرينك مَن رضيت فعالَهُ ... واحذر مقارنة اللئيم الشائن
كم من قرين شائنٍ لقرينـه ... ومُهجِّنٍ منه لكل محاسن

وعينك إن أبدت اليك مساوياً ... من الناس قل يا عينُ للناس أعينُ
وعاشرْ بمعروف وكن متودّداً ... ولا تَلقَ الا بالتي هي أحسنُ

الباب الثاني والعشرون في القناعة

وأكل كُسيرة في جَنب بيتي ... أحبُّ اليَّ من أكل الرّغيف
ولبْسُ عباءة وتقرّ عيني ... أحب اليَّ من لبس الشفوف

هي القناعة فالزمها تعِش مَلِكاً ... لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر لمن مَلك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

قنعت بالقوتِ من زماني وصُنتُ نفسي عن الهوانِ
خوفاً من الناس أن يقولوا فضلُ فلانٍ على فلان
من كنتُ عن ماله غنياً فلا أبالي اذا جفاني
ومن رآني بعين نقص رأيته بالتي رآني
ومن رآني بعين تمٍّ رأيته كاملَ المعاني

اذا المرء عُوفيَ في جسمه وملّكه الله قلباً قنوعا
وألقى المطامعَ عن نفسه فذاك الغنيُّ ولو مات جوعا

النفس تجزعُ أن تكون فقيرةً والفقر خيرٌ من غنى يُطغيها
وغنى النفوس هو الكفاف فإن أبَتْ فجميعُ ما في الأرض لا يكفيها

إن القنوع نفيسُ النفس راشدُها وهو الغنيُّ الذي يحيا بلا نَصَبِ
وذو المطامع مغرورٌ ومفتقر ولو حوى مُلكَ سلطان وعلم نبي

أفادتني القناعة كلّ عز وهل عزٌّ أعزُّ من القناعه

ولقد طلبتُ رضا البرية جاهداً فإذا رضاهُم غايةٌ لا تُدرَكُ
وأرى القناعة للفتى كنزاً له والبِرُّ أفضلُ ما به يتمسكُ

الباب الثالث والعشرون في الحسد

تخلق الناسُ بالأدناس واعتمدوا من الصفات الدها والمكر والحسدا
كرهتُ منظرَهم من سوء مخبرهم وقد تعاميت حتى لا أرى أحدا

اصبِرْ على كيد الحسو د فإنّ صبرك قاتلُه
فالنارُ تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

دَعِ الحسودَ وما يلقاه من كمدٍ يكفيك منه لهيبُ النار في كبِدِهْ
إن لُمتَ ذا حسد نفّست كربته وان سكتّ فقد عذّبته بيَدِهْ

أيا حاسداً لي على نِعمتي ... أتدري على مَن أسأت الأدب
أسأت على الله في حكمه ... لانك لم ترضَ لي ما وهب
فأخزاكَ ربي بأن زادني ... وسدّ عليك وجوه الطلب

ان شئت قتلَ الحاسدين تعمداً ... من غير مُدْيات عليك ولا قوَد
وبغير سم قاتل وصوارم ... وعقاب ربّ ليس يغفل عن أحد
عظّم تجاه عيونهم مَحسودَهم ... فتراهمو اموتى النفوس مع الجسد

الباب الرابع والعشرون في الحلم

ألا انّ حلم المرءِ أكرمُ نسبة ... تسامى بها عند الفخار حليمُ
فيا ربّ هبْ لي منك حِلماً فإنني ... أرى الحلم لم يَندَمْ عليه كريم

ولا خيرَ في حِلم اذا لم يكن له ... بوادرُ تحمي صَفوهُ أن يُكدَّرا
ولا خيرَ في جهلٍ اذا لم يكن له ... حَليم اذا ما أوردَ الأمر أصدرا

اذا كنتُ محتاجاً الى الحلم إنني ... الى الجهل في بعض الأحايين أحوج
ولي فرس للحلم بالحلم مُلجم ... ولي فرس للجهل بالجهل مسرَج
فمن شاء تقويمي فإني مقوَّم ... ومَن شاء تعويجي فإني معوّج
وما كنت أرضى الجهل خِدْناً وصاحباً
ولكنني أرضى به حين أُحرَجُ

إذا كنتَ بين الحلم والجهل ناشئاً ... وخُيِّرتَ أنّى شئت فالحلم أفضلُ
ولكن اذا أنصفتَ مَن ليس مُنصفاً ... ولم يرض منك الحلم فالجهلُ أمثلُ

وعينُ الرِّضا عن كلّ عيب كليلة ... كما أن عين السُّخط تُبدي المساويا
ولستُ بهيّاب لمن لا يَهابُني ... ولستُ أرى للمرء ما لا يرى ليا
فإن تَدنُ مني تدنُ منك مودّتي ... وان تنأ عني تلقَني عنك نائيا
كلانا غَنيٌّ عن أخيه حياتَه ... ونحنُ اذا متنا أشد تغانيا

الباب الخامس والعشرون: في الحماقة

لكل داء دواء يُستطبُّ به ... الا الحماقة أعيت من يُداويها

لا تيأسنّ من اللبيب وان جفا ... واقطع حبالك من حبال الأحمق
فعداوةٌ من عاقلٍ متجمّل ... أولى وأسلم من صداقة أخرق

الباب السادس والعشرون في الوطن

قال ابن الرومي :

ولي وطنٌ آليت ألا أبيعه ... وألا أرى غيري له الدهر مالكا
عمرتُ به شرخ الشباب منعماً ... بصُحبة قوم أصبحوا في ظلالكا
وحبّبَ أوطانَ الرجال اليهمُ ... مآرب قضّاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمُ ... عهود الصبّا فيها فحنوا لذالكا
وقد ألفتهُ النفس حتى كأنه ... لها جسدٌ إن بان غودر هالكا

الباب السابع والعشرون : في المال

إن الدراهم كالمرا ... هم تجبُرُ العَظم الكسيرا
او نالهُنّ ثعيلب ... في صُبْحِه أضحى أميرا

إن قلّ مالي فلا خلٌ يُصاحبُني ... وان زاد مالي فكل الناس خلاني
فكم عدوٍ لأجل المال صاحبني ... وكم صديقٍ لفقد المال عاداني

لعمرُك ان المال يجعلُ الفتى ... سرياً وان الفقر بالمرء قد يُزري
وما رفع النفس الدنية كالغنى ... ولا وضع النفس النفيسة كالفقر

وإذا رأيت صُعوبة في مطلب ... فاحملْ صعوبتهُ على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فإنهُ ... حجر يُليّنُ قسوةَ الأحجار

الناسُ أتباعُ من دامتْ له نِعم ... والويل للمرء إن زلّتْ به القدم

المال زَين ، ومن قَلَّتْ دراهمه حيٌّ كمن مات الا أنـه صَنمُ
لما رأيت أخلائي وخالِصـتي والكـلُّ مُستترٌ عني ومُحتشم
أبدوا جفاءً وإعراضاً فقلت لهم: أذنبت ذنباً ؟ قالوا ذنبك العدم

فصاحةُ حسّان وخط ابن مُقلة وحِكمة لُقمان وزُهـد ابن أدهم
إذا اجتمعت في المرءِ والمرء مُفلس ونُودي عليه لا يُباعُ بدرهم

اذا كنت في حاجةٍ مُرسِلاً وأنتَ بهـا كلِفٌ مُغرَمُ
فأرسِلْ حكيما ولا تُوصِـه وذاك الحكيم هـو الدرهم

أظهَروا للنـاس زُهداً وعلى الدينـار داروا
وله صاموا وصـلوا وله حَجُّـوا وزاروا
لو يُرى فـوق الثريّـا ولهـم ريشٌ لطاروا

المالُ يَفرقُ بين الأمّ والولدِ فذاك أدنى نسيب عند كلّ يدِ
عهدي به خادما كالعبد تملكه فما لِعيني تراه سيد البـلد ؟

مالٌ يميل إلى الإنسان من صِغَرٍ وكلما شَبَّ شَبَّ الحب في الكبد
لو يجمع الله ما في الأرض قاطبـة عند امرىء لم يَقُلْ حَسبي فلا تزد
كلٌ يروح من الدنيـا الغرور كما أتى بـلا عَدَد منها ولا عُدَد
لو كان يأخذ شيئاً قَبْلَنا أحد لم يبق شيء لنا من سالف الأمـد

اذا المرء لم يعتق من المال نفسه تملكه المالُ الذي هو مالكـه
ألا انما مالي الذي أنا مُنْفِقٌ وليسَ ليَ المال الذي أنا تاركه

من كان يملك درهمين تعلمت شفتاهُ أنواعَ الكلام فقـالا
لولا دراهمه التي يزهو بهـا لوجدته في النـاس، أسوأ حالا
إن الغنيّ اذا تكلم بالخطـا قالوا صدقتَ وما نطقت مُحالا

أما الفقير اذا تكلم صادقاً قالوا كذبت وأبطلوا ما قالا
ان الدراهم في المواطن كلها تكسو الرجالَ مَهابة وجمالا
فهي اللسانُ لمن أراد فصاحة وهي السّلاح لمن أراد قتالا

الباب الثامن والعشرون في السياحة والغربة

وإذا البلاد تَغيرت عن حالها فدع المقامَ وبادرِ التحويلا
ليس المقام عليك فَرضاً واجباً في بلدة تدع العزيز ذليلا

تنقّل فلذّات الهوى في التّنقلِ وَرِدْ كلّ صافٍ ولاتقف عندمنهل
ففي الأرض أحبابٌ وفيها مَناهل فلا تبك من ذكرى حبيب ومنزل

تغرّب عن الأوطان في طلب العُلا وسافِرْ ففي الأسفار خمسُ فوائد
تفرُّج همّ ، واكتساب معيشةٍ ، وعلم ، وآداب ، وصحبة ماجد
وإن قيلَ في الأسفارِ ذلٌ ومحنة وقطع الفيافي واكتساب الشدائد
فموت الفتى خير له من حياتهِ بدارِ هوانٍ بين واشٍ وحاسد

ارْحَل بنفسك من أرض تُضامُ بها ولا تكن لفراق الأهل في حرق
من ذلّ بين أهاليهِ ببلدتِه فالاغتراب له من أحْسَنِ الخُلق
الكحل نوع من الأحجار مُنطرحا في أرضه كالثرى يُرْأى على الطرق
لما تغرّب نال العز أجمعه وصار يُحمل بين الجفن والحدق

ما في المقام لذي عَقل وذي أدب من راحة فدع الأوطان واغترب
سافر تجد عِوضاً عمن تصاحبه وانصَبْ فإن لذيذ العيش في النصَب
إني رأيت وقوف الماءِ يُفسِدُهُ إن سالَ طابَ وإن لم يجرِ لم يَطِب
والأسدُ لولا فراق الغاب ما قَنصَت والسهم لولا فراق القوس لم يُصِب
والشمس لو وَقَفَتْ في الفلك دائمةً لملّها الناس من عُجْمٍ ومن عَرب
والبدر لولا أفول منه ما نظرت اليه في كل حين عينُ مُرْتقب
والتبر كالترب مُلقى في أماكنه والعود في أرضه نوع من الحطب

فإن تغرّب هذا عز مطلبهُ   وإن أقامَ فلا يعلو على رتبِ

إذا ما ضاقَ صدركَ من بلاد   ترحل طالباً أرضاً سواها
عجبتُ لمن يقيمُ بأرض ذل   وأرض الله واسعةٌ فضاها
فذاك من الرجال قليلُ عقل   بليدٌ ليسَ يعلم ما طحاها
فنفسك فزْ بها إن خفتَ ضيما   وخلِّ الدار تنعي من بناها
فإنك واجدٌ أرضاً بأرض   ونفسك لم تجد نفساً سواها
ومن كانت منيتـــه بأرض   فليس يموت في أرض سواها

وقال الحريري في الحث على السفر من آخر مقامة له :

لا تقعدَنَّ على ضر ومسغبة   لكي يقالَ عزيز النفس مصطبرُ
وانظر بعينيك هل أرض معطلة   من النبات كأرض حفها الشجر
وجانبن ما يشيرُ الأغبياء بـه   فأيُّ فضـــل لعود ماله ثمر
وارحل ركابك عن ربع ظمئت به   الى الجناب الذي يهمي به المطر
واستنزل الري من درّ السحاب فإن   بلت يداكَ بـه فليهنكَ الظفر

بلادُ الله واسعة فضـــاء   ورزّق الله في الدنيا فسيح
فقلْ للقاعدينَ على هوان   اذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

واذا رأيت الرزق ضاق ببلدة   وخشيت فيها أن يضيق المكسبُ
فارحلْ فأرض الله واسعة الفضا   طولاً وعرضاً ، شرقها والمغربُ

اذا ما كنت في قوم غريبـاً   فعاملهم بفعـــل يستطاب
ولا تحزن اذا فاهوا بفحش   غريبُ الدار تنبحه الكلاب

وما طلبُ المعيشة بالتمني   ولكن ألق دلوَك في الدلاء
يجيء بمائها طوراً وطوراً   يجيء بحمـأة وقليـل مـاء
ولا تقعد على كسل التمني   تحيلُ على المقدّر والقضاء

فإن مقادر الرحمن تجري بأرزاق الرجال من السماء
مقدرة بقبض أو ببسط وعجز المرء أسباب البلاء

الباب التاسع والعشرون في الغدر

لا أشتكي زَمني هذا فأظلمه وإنما أشتكي من أهل ذا الزمن
هم الذئاب التي تحتَ الثياب فلا تكن الى أحد منهم بمؤتمن

وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختياري صاحباً بعد صاحب
فلم ترني الأيام خلا تسرني مباديه الا ساءني في العواقب

إني بلوت الناس أطلبُ منهم أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
فلم أرَ فيما ساءني غيرَ شامت ولم أرَ فيما سرني غير حاسدِ

وقال علي بن الجهم وهو مسجون :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري حبسي وأي مهند لا يغمدُ
فالشمس لولا أنها محجوبة عن ناظريك لما أضاء الفرقدُ
والبدر يُدركه السّرار فتنجلي أيامه وكأنه مُتَجَدِّدُ

الباب الثلاثون في الدعاء والختام

أراني الله وجهك كل يوم صبحا للتَّيمُّن والسرور
وأمتعَ مُقلتيّ بصفحتيه لأقرَا الحسن من تلك السطور

بقيتَ مدى الدنيا وملكك راسخ وطودُك ممدود وبابك عامرُ
يود سَناك البدرُ والبدر زاهرٌ ويقفو نداك البحرُ والبحرُ غامرُ
وهنئت أياماً تَوالت سعودها كما تتوالى في العقود « الجواهرُ »

يقول مؤلفه فرغت من تأليفه وترتيبه في ربيع الأول سنة ألف وثلثمائة وخمسة عشر هجرية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

فهرس الجزء الأول

من كتاب جواهر الأدب

صفحة

الجزء الثاني



فهرس الجزء الثاني من جواهر الأدب

تم بحمد الله فهرس الجزء الثاني – وبتمامه تم الجزءان
الأول والثاني من جواهر الأدب